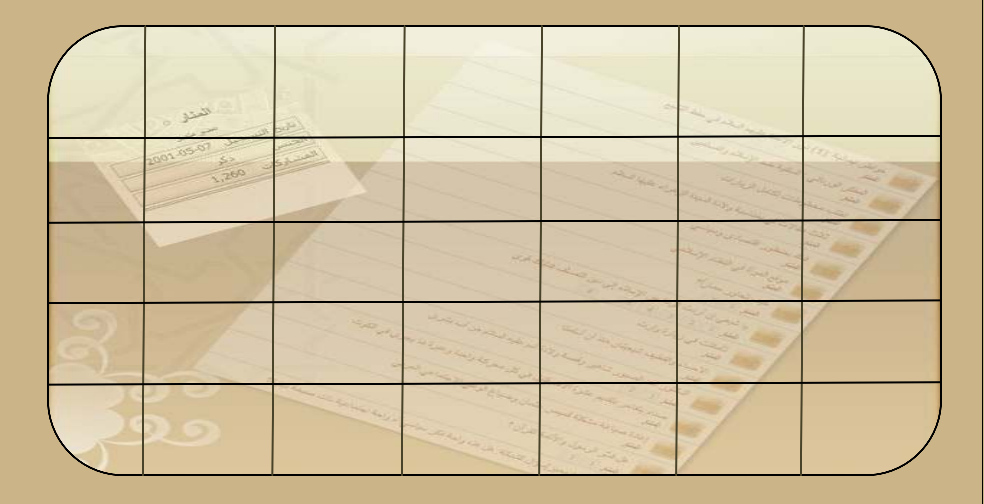
قَطْفُ الثِّمَارِ

مِنْ كِتَابَاتِ

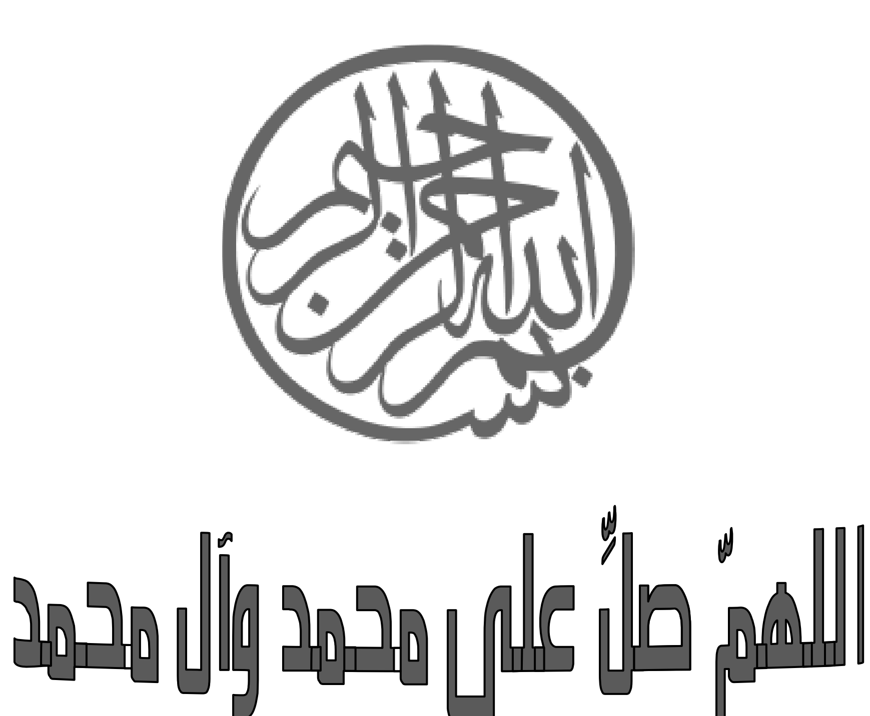
العَلاّمَةِ المَنَارِ



[درٌرٌ منتزعة من كتابات العلامة المنار]

إعداد شبكة الفكر للكتب © ٢٠١٢

www.alfeker.net


بسم الله الرحمن الرحيم
اللهمّ صلِّ على محمد وآل محمد

الـفـهـرس

توطئـة

بعد الإنتهاء من كتاب العلامة المنار الأوّل (القليل المختار من مقالات العلامة المنار)*، أكرمنا سماحة الشيخ ابن قبة، وغيره، ببعض الدرر الثمينة التي انتزعها من كتابات العلامة المنار المختلفة، وعلى عكس الكتاب الأول، فإن المنشور هنا ليست مقالات كاملة ولا هي مواضيع نشرت منفصلة بل هي مقتطفات منتزعة من وسط كتابات مطولة للعلامة المنار، وهذه الكتابات في أصلها المطوّل منوعة ما بين مقالات وحوارات وخواطر وإجابات على تساؤلات طرحها بعض الأفاضل على العلاّمة حفظه الله، وتكرّم بالتعليق عليها أو إجابتها، وأخرى كان يردُّ فيها على بعض المخالفين في شبكة الإنترنت.

ومن الجدير بالذكر أنّ الكثير من الدرر المنثورة هنا هي مكتوبة من الذاكرة مباشرة، وبعضها مرَّ عليه سنوات طوال وكثير منها لم يخضع للتحقيق ولم يكتب إلا على سبيل الإشارة الخاطفة فخرجت بصورتها الحالية، ونقلناها كما هي لأن الفائدة فيها كثيرة وإن اعترى بعضها النقص أو أثّر الاختصار والاختزال عليها.

وأخيرًا، فإن العناوين الموضوعة لهذه المقتطفات ليست من وضع العلامة المنار حفظه الله إنما هي من وضع الـمُعدّ لما وجده مناسبًا للتعبير عن الموضوع المندرج تحتها.

هذا، وثمن هذا الكتاب هو الدعاء لكاتبه العلامة المنار، وجامع بعض أصوله ابن قبة، ومعده.

والحمدلله ربّ العالمين

* بالإمكان الحصول عليه من شبكة الفكر: http://alfeker.net/library.php?id=1170

استيراتيجية الشيعة

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم،..لم يرد أن ينتهي دينه ويوأد على يد الأشرار نتيجة هزيمة عسكرية كما اندثرت نبوات كثيرة في الأرض، وإنما أوجد منظومة داخلية، تتمسك بالديانة وتمنع التحريف، وتصارع بقوة وبطريقة ناعمة، وهي قادرة على تحويل كل انتصارات الأشرار إلى هزائم دينية وخزي فكري، وهذه المنظومة هي منظومة أهل البيت عليهم السلام بكل خصائصها.

إنّ منظومة أهل البيت عليهم السلام منظومة عجيبة التنظيم والتكوين، ورغم ذلك فهي عجيبة التأثير في المسار العام في الإسلام، وهذا بحث يطول خارج اختصاص هذا الموضوع.

ولن نتكلم عن أسرار التنظيم الديني في المنظومة الشيعية الإمامية التابعة كليًا لأهل البيت عليهم السلام، فالمكان لا يسمح بمثل ذلك، إنما نتكلم عن وسائل نشر هذه المنظومة، في ظروف تزايد العداء لها وتزايد القوة ضدها، وكيف أنها يمكن تشبيهها بغصن شجرة كلما قاومته إزداد صلابة حتى يصل إلى صلابة تفوق الحديد فتكسره. فكلما إزادات الضغوط ينتشر التشيع، وسر ذلك نابع في التنظيم وفي وسائل التوصيل.

إن وسائل توصيل الفكرة الشيعية للإنسان تتكون من عدة فروع: الأول هو الاعتناء بالعقل ونشر قوة التمييز، والثاني هو الروحانية وحقائقها المذهلة، والثالث هو العاطفة ومنابعها المتعددة، والرابع هو الفن.

وهذه الأصول الأربعة لنشر الأفكار عند الشيعة جعلتهم متميزين جدًا في العالم أجمع، فالشيعة يملكون أكبر نسبة بين الأمم في الاهتمام بالعقل والتمييز العقلي وعلوم العقل، وهم يمتلكون أفضل الروحانيات الحقيقية التي تشرق بالنفس بدون حاجة إلى أي شيطان وتلبسات سحرية مفتعلة، وهم يملكون أفضل الوسائل العاطفية، وهم مخترعوا أفضل سبل التواصل الإجتماعي العاطفي، وهم يملكون أفضل وأرقى الفنون حيث أن الشيعة يمتلكون أكبر نسبة عالمية من الشعراء ومن ألحان الشعر. فلا يوجد عند أي أمة نسبة شعراء إلى عددهم بهذه النسبة، فإنك ما تحب شاعرًا مجيدًا إلا وتجده شيعيًا، وفي أربع لغات على أقل تقدير هي العربية والفارسية والتركية والهندية.

ولعل استراتيجة التنظيم الشيعي على يد الأئمة الأطهار عليهم السلام، في قلب الطاولة على رؤوس الأعداء وتحويل بطشهم وتزويرهم إلى نحورهم، هو من الاستراتيجيات العقلية الرائعة، وقد استخدم الأئمة في ذلك الإعلام والعاطفة ومنطق المحاججة بطريقة الخُلف، والإعلام كان في زمنهم هو الشعر والشعراء وفنون الأدب، والعاطفة كانت تتمحور حول المظلومية لأهل البيت، وإبراز قبح بطش الظالمين بشكل تجسيمي ظاهر للعيان، يقزز أي عاقل من سلوك هؤلاء المخادع للبشر، بحيث سيكتشف كل متحول إلى الحقيقة، بأنه وأهله كانوا ألعوبة بيد مجرمين قبيحين لا يمكن وصف قبائحهم، ولكنها كانت مستورة إلى درجة رؤياهم لها بطريقة معاكسة، فكل الشر يظهر أمامهم بأنه خير لطيف محبوب، وهذا ما يغيظ المكتشف لهذه الجريمة، فإنه يتعجب من نفسه ومن اهله، فكيف كانت تنطلي عليهم هذه الحيلة العجيبة؟ وكيف أن التشيع

كشف هذه القبائح بطريقة منظمة جدًا؟ هكذا يتساءلون نتيجة انكشاف حقيقة الجريمة.

إن المجتمع الشيعي كمجتمع مبدع في اتجاهه الإبداعي، استقى وطور كل وسائل تسخير العاطفة في النفس الانسانية ليكون قريبًا حتى ممن لا حظ له من دين وعلم وتربية راقية، وكان منها الممارسات الحسينية وغيرها من ممارسات الأفراح والأحزان.

السطحية

عانى الإسلام من السطحية قديمًا، والسطحية تمثلت بجملة أمور منها:

١. التبسيط للمعتقدات.

٢. التهديف على غير الهدف.

٣. التشخيص الخاطئ للموضوعات والمفاهيم.

٤. الميل للحلول السهلة غير الشرعية كالميل لحل السيف بدل القانون.

٥. النظرة البلهاء للتكليف فلا يعلم المسلم مثلاً تكليفه الحقيقي من الحاكم الجائر وإمام الجمعة والجماعة الفاسق.

٦. إنتاج قضايا من الظنيات والمشكوكات والوهميات.. وعلى سبيل المثال فقد أسس الحجاج نظرية الأخذ بالظنة والتهمة، وهذا تسطيح ما بعده تسطيح وسهولة حيوانية في معالجة الأمور ما بعدها سهولة، فيكفي أن تشتبه بشخص فتقتله وترتاح من الشك في قلبك، يا سلام!

٧. مبدأ ما يسمى إعمال العقل النظري في غير القضايا المسلّمة المسماة (القضايا المحمودة) وقد أسس على هذا الأساس جملة مصادر للتشريع ما أنزل الله بها من سلطان وتم تداول الفقه عليها وهي مجرد أوهام لا تصلح دليلاً على شيء.

٨. الأدلة الخطابية والإنشائية في المواقع البرهانية.

٩. الأدلة النصية في المواقع العقلية والعكس حيث يؤتى بدليل عقلي في موقع فيه نص. فكم نرى من يرد مبدأ الإمامة العقلي بنصوص متهافتة ودراسة نصية؟! وكم رأينا رد الدليل النصي على إمامة إمام معيّن بأدلة ظنية تصنف من الدليل العقلي الظني أو الوهمي. ففي موقع العقل يناقشك بالنص وفي موقع النص يناقشك بالعقل!

فما أتعس هكذا تفكير!

١٠. الأحكام الواضحة السطحية أو التسطيحية الجاهزة مثل وجوب طاعة الجائر إذا كان من مذهبهم ولا يجوز طاعة العادل إذا كان من مذهب غيرهم.

١١. وأهم مشكلة تسطيحية عند المسلمين من أول بدئهم مع الدولة الجائرة هي: تليين الدليل الشرعي وفق مقتضيات الحكم والحاكم، وهذه أكبر كارثة حيث أصبح دين الإسلام عبارة عن نزوات الحاكم، وفيه من كل أمر قولان فمرة يمين ومرة شمال ولا يعرف سرُ السير إلا الحاكم الظالم.

وهناك مشاهد كثيرة للتسطيح، وأهم ما رأيته – حسب تتبعي لسلوك أهل البيت عليهم السلام – هو إنشاء منظومةِ (الخاصة) التي هي عبارة عن مجموعة المناهضة للتسطيح الفكري ولهذا أسموا التسطيحيين (بالعامة)، ونِعمَ الحركة هي.

فقد أجادت ذرية المصطفى المنتقاة عليهم الصلاة والسلام بتحديد المسار الفكري بين خاص تعميقي منضبط متأمل وبين عام تسطيحي فلتاني لا يفرق بين الناقة والجمل فكرًا وموضوعًا.

وكل أملي أن لا يحشرني الله مع التسطيحيين وأن لا أموت تسطيحيًا. فعندنا مشكلة عويصة، وهي نشوء فكر تسطيحي بين الشيعة المعاصرين، وهذا خطر عليهم جدًا أمام الله وأمام فكرهم، فهم سيتحولون مثل غيرهم إلى عامة لا يدركون عمق الإسلام وطرق الإلتزام به، وسيضطرون لإصدار أحكام بطرق غير فنية، وسيكونون وبالاً على أنفسهم وتأريخهم حين ينتصر التعميق وهذا ما سيكون لأن انتشار طرق المعرفة قد بدأ بفقدان الظالمين سيطرتهم المعرفية لتجهيل الناس وتسطيح أفكارهم.

مشكلة الغيبة والعقل الحسي التجريبي

إنَّ طرح مسألة الإمام المهدي عليه السلام، وغيرها على المجتمعات الحسية، قضية معقدة نسبياً، حيث يكلّم العالِمُ مجتمعاً، تمّت تربيته على المنهج الحسي، الذي يزرع فيه الظن أن هذه القضية هي ضد منهج العقل، أو يقال له – إيحاءً، أو مباشرة –: إن منهجك في التفكير، هو منهج علمي رائع، ومنسجم، ويعتمد الوسطية، بخلاف الفكر المتطرف، الذي يؤمن بأمور غيبية، وما أشبه ذلك، من الإيهامات التي يوهمون بها مجتمعاتنا، بينما في نفس الوقت، لا يستطيع الثبات الفكري على رأي، لتلمس الحقيقة، فقد تمّت تربية الناس على عدم الثبات على فكرة، وعلى عدم التمييز الحقيقي للخطأ، والصواب، وللمصلحة، والمفسدة، فكل ساعة يمكن أن ينقلب إلى عكس ما كان يعتمده، ويدافع عنه.

وقد قمت شخصياً بتجارب، في مجتمعات كثيرة في منطقة الشرق الأوسط، متحدياً مجاميع من الناس ليختبروا طريقة تفكيرهم، فأعرض لهم الرأي بأدلته، فيقولون: هذا صحيح، ويساعدوني فيأتون بشواهد مؤيدة، ثمّ أعرض لهم الرأي المخالف تماماً، فيقولون: صحيح، ويأتون بشواهد مؤيدة جدّاً، ثمّ أقلب القضية، فأعرض رأياً ثالثاً، فيتأكدون من صحته، وأعود لأعرض الرأي الأوّل، والثاني، فيتفانون في إبطاله، وحين أخبرهم بأنهم خسروا الرهان، ولم يفوزوا في الامتحان، يتناقشون ويختلفون، ويتبيّن أنَّ القضية لم تكن فكرية، وإنما مجرد طرح أفكار.

إن هذه الكارثة العقلية في الاستدلال، وتحقيق المعرفة، هي ظاهرة غارقة في القدم، وموغلة في عمق التاريخ. ولكن، لا ينبغي أن تكون بنفس حدتها في زمننا هذا، بعد انفتاح وسائل المعرفة، ووصول إيجابيات العولمة إلينا _ مع تحفظنا على سلبياتها _، والأمر يعود _ في الحقيقة _ إلى عدم تعليم الإنسان، لطريق التفكير السليم، بشكل حقيقي، ومرتب، ليستطيع الثبات في عالم متغيّر. ولهذا وجدت أن من يعمل في علوم البرمجة _ بشكل حقيقي _ يتعامل بسهولة مع الأفكار، التي تحتاج إلى ترتيب في الاستدلال، وفي الوصول للنتيجة، وقد يقتنع بصورة سلسة في الحوارات، وذلك؛ لأنهم يدرسون ترتيب الأفكار، ولو جزئياً بمقدار حاجتهم المهنية، وحين يكون مبطلاً، ومتحزباً أراه يعترف بأنه يواجه صعوبة معينة؛ لأن طريقة تفكيره المرتبة، اصطدمت مع حواجز التربية على القوالب الجاهزة للفكر، الذي يصعب عليه الخروج من شرنقته، ولهذا يتهرب بمواضيع ثانوية، طلباً لعدم الدخول في فهم الحقائق؛ لأنها بدأت تصطدم بواقعه الداخلي، الذي تربّى عليه من الباطل.

وفي سبيل أن نحاور ذاتنا، حواراً داخلياً مقنعاً، علينا أن نواجه قضايا مهمة في طبيعة التفكير. فأوّل سؤال يجب أن نسأل أنفسنا به: هل الغَيبة مستحيلة عقلاً، أم هي ممكنة؟ والسؤال الثاني، الذي يجب أن نسأل أنفسنا به: هل هناك غيبة حدثت فعلاً؟ وهل هناك قناعة خارج حدود التمذهب الضيق لوجود غيبة فعلية؟

ثمّ نحاول أن ندرس القيمة الحقيقية للنصوص الدالة على التبشير بالغيبة، ابتداءً، قبل وقوعها، ثمّ على النصوص الدالة على وقوع الغيبة، انتهاءً.

وبعد أن نخرج من حوارنا الداخلي مع أنفسنا، علينا أن نتحرر من مرض الاستخفاف والسطحية، ونركّز على الحقيقة القرآنية، وعلى أن الغيبة لم تكن عملية طارئة مفاجئة في وجودها الواقعي للبشر، فتحتاج إلى تفسير أرضي لتحوّل الحالة، وإنما هي عملية مدروسة، منصوص عليها قبل حدوثها، وهي من قبل الله، لأمر يعلمه الله، وهو خارج نطاق القدرة العقلية، التي نمتلكها؛ لأنها خارج نطاق المألوف، فهي ليست ذات مصلحة مرتبطة بنا فقط، وإنما هي حقيقة، ذات علاقة كونية، مرتبطة بإرادة الله، فالعقل إذا كان يدرك الحسن والقبح، ويدرك الحقائق، لا يعني ذلك أبدا أنه قادر على إدراك ما هو خارج مجاله، فمسألة وقوع الغيبة، والنصوص عليها، يدركها عقلنا، ونتلمسها علمياً، وحسياً، ولكن تفسير أحكام هذه الحالة، يحتاج إلى معرفة من الله.

تكفير السلفية للمسلمين

أساس تكفير السلفية للمسلمين مبني على التلاعب بأمرين أساسيين وأمر ثالث رابط بينهما.

والأمران هما:

١- التوسيط: (ويشمل الشفاعة والتوسل والاستعانة بمعنى الفعل لا بمعنى الطلب)

٢- الطلب: (ويشمل الاستغاثة والدعاء والرجاء والاستعانة بمعنى الطلب وليس بمعنى الفعل)

والرابط هو:

العبادة: (وهي بمراحل من المعاني منها العبادات اللازمة التي هي مدار المصطلح الشرعي ومنها التسامح بإطلاقها على كل محاولة للتقرب إلى الله بأي شكل من الأشكال، وهذه الأخيرة غير مقصودة في مقام البحث وقد جهل ابن تيمية فزجها في البحث من أجل تبرير قتل المسلمين)

نأتي الآن إلى أول الأمرين:

التوسيط: الأصل في كل تقرب إلى الله وعبادته إنما هو بتوسيط غيره إليه.

فالصلاة مثلاً: هي توسيط أفعال من حركات وكلام وفعل وغير ذلك وتوسيط مواد مثل الماء والملبس والمكان وغير ذلك، وكل هذه الأفعال والمواد تشكل أداة من أدوات الوساطة للتقرب إلى الله بعنوان الصلاة.

فالأصل في التقرب إلى الله هو بالوسائط ولا يوجد ما يكون تقربًا مباشرًا بالله بدون وساطة شيء (حتى النية فإنها غير الله)، ولكن مما لا يخفى على مسلم فإن هناك توسّطا مقبولاً وتوسطًا مرفوضًا.

فما الضابط بينهما؟

والجواب بكل بساطة: إن التوسط إلى الله لا بد أن يكون بقبوله سبحانه ورضاه، فكل وساطة مقبولة عند الله نصًا أو إمضاءً فهي مقبولة، وكل وساطة مخترعة بدون دليل من الله فهي مرفوضة.

وهنا أنبّه بشدة أن هذا الموضوع هو غير ما سنتكلم به في باب العبادة مما سنعيده بألفاظ أخرى هناك.

وهو أن أي تقرب إلى الله سواء كان عبادة أم طاعة أو تقرب وتحبب مجرد إلى الله، لا بد أن يكون بقيد قصد ألوهية المتقرب إليه وبدونه لا ينتمي لأي عنوان من شرك وغيره أصلاً .. وإلا لإنتفى الموضوع فصار بدل التقرب إلى الله التقرب لغيره.

فلابد من تحقق شرط الموضوع وهو أمر نبحثه لاحقًا بصورة ميسرة بدل التعقيدات التي يريد أن يدخلنا فيها الفلينة الفارغة حتى يستطيع أن يطيل بالبحث مدعيًا عدم انتهائه ويحاول أن يخترع مفاهيم وألفاظ مدعيًا أنها خفيت علينا وهو يطرحها بشكل يختلف عما طرحه سابقًا، كما هو ديدن أهل البدع والضلال والدجالين الكبار.

بهذا الجواب البسيط القائل بأن الفرق بين المرفوض والمقبول من التوسيط إنما يكون بالدليل عليه من الله (البرهان، عدم التقول على الله ... إلخ) نكون قد قطعنا دابر الإدعاءات السلفية لتكفير المسلمين ولكنهم يحاولون التغطية على هذه الحقيقة البسيطة والتي يمكن الاستدلال عليها بكل بساطة بما يلي:

كل تقرّب إلى الله إنما هو بوساطة غيره.

ليس كل وساطة مقبولة،وذلك لرفض الله بعض الوساطات بنصوص ثابتة مذكورة فيما حق من الأديان.

فلا بد من وساطتين أحدهما: وساطة مقبولة عند الله وتتعيّن ببرهان منه تعالى، وثانيهما: وساطة غير مقبولة هي من مخترعات الإنسان بدون دليل أو دل الدليل على خلافها.

فالنتيجة إن معيار القبول للوساطة هو قبول الله لها بدليل شرعي بالنص أو العموم أو عدم الزجر لأن الأصل الوساطة، وهذا لا يحتاج إلى عناء أو تأمل زائد يفوق قدرة المكلف العادي، وهو ليس من مختصات أهل الاختصاص بل هو من بديهيات التفكير العام للبشر.

وأما بالنسبة للنصوص القرآنية فهي حافلة بالنقاش حول كل وساطة مرفوضة بأنها بدون دليل من الله وأنها كذب على الله. وفي المقابل النصوص مشبعة بالحث على الوساطة مع الله بل نفس نصوص العبادة وطلبها إنما هو طلب للوساطة بغيره إليه.

فالقضية ليست فكرًا مجردًا و إنما هي فكر وتطبيق قرآني للفكرة الواضحة.

كما أن نصوص الحديث حافلة بالوساطة بكل أنواعها وبشتى طرقها، بما ينفي كل القيود التي يخترعها السلفية من عند أنفسهم تقوّلاً على الله.

ولكن الذي حصل عند السلفية بحسب طريقتهم في التفكير فإنهم يأتون لعنوان معيّن ويحاولون اللف والدوران حوله من أجل وضعه موضع الشبهة.

فتارة يأخذون معنى التوسل بمها هو توسل وبقيد هذا اللفظ ويدعون بأنه لا يكون إلا بالله وما كان بغير الله فهو شرك به، ويحاولون فبركة الدليل بين نص وتحريف معان.

وقد يأخذون لفظ الشفاعة ويدعون بأن الكفار ادّعوا أن شفاعة الأصنام وعبادتهم لم تكن بنوع عبادة اصطلاحية دفعا للمشكل عليهم وتبريرًا من نبلائهم لعبادتهم وتحسينًا لصورتهم البشعة بعبادة الأصنام، فيدعون أنها نوع وساطة، بدليل أنهم يدعون أنها تقربهم من الله زلفى وتشفع لهم عند الله فهم في الحقيقة ليسوا مشركين في الله ذاتًا وإنما شركهم شرك عبادة بصرف الأفعال إلى غيره وتوسيط غيره ويشترط في العبادة أن تكون بدون وساطة الغير.

وأنت كما ترى أن هذه الحجج هي مجموعة أكاذيب.

فلا العبادة يمكن أن تكون بالله مباشرة بدون وساطة كما يريدون أن يزوّروا على الإسلام، ولا الوساطة مرفوضة مطلقًا و إنما المرفوض منها ما كان من جيب الراوي، ولا الكفار ادعوا عدم عبادة الأصنام.

ولا تعني دعواهم تقريب الأصنام وشفاعتهم إلى الله، بطلان مطلق التقريب ومطلق الشفاعة.

ودعوى السلفية الاستثناء فيما نُص عليه مثل الاستسقاء بالعباس والاستسقاء بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أمرت أم المؤمنين عائشة ودعواهم أن هذه مستثنيات، إنما هي ضدهم، لأن ما كان فيه مستثنيات فهو ليس بشرك في الأصل لأن الشرك لا يستثنى منه فكله ممنوع ويستحيل تخصيص بعضه، وهو غير مرفوض في جملته و إنما المرفوض بشروط يجب دراستها، وهنا عندنا الدليل العقلي والنص يؤيدان

أن الفارق هو السلطان من الله، فما كان مسموحًا من الوساطة فهي صحيحة وما نهي عنها فهي مرفوضة. والمشكلة أن المشركين يدّعون الوساطة بدون أي دليل أو صحة لما يؤسسون عليه، ولا شرك في جميع الوساطات كما بيّنا لأنها الأصل.

ولا صحة لدعوى عدم شرك المشركين في الذات الإلهية إنما هم مشركون في العبادة فقط، بحسب الفهم المبتور للنصوص.

والسلفية يحاولون أن يصدقوا كذب المشركين في تبرير أفعالهم وتزويق أعمالهم ليخف عليهم الانتقاد، فيقولون نحن متفقون على وحدانية الله ولكن هذه الأصنام إنما هي طريق للتوصل إلى الله وما شابه ذلك من الكذب والدجل من أجل تخفيف الضغط عليهم بواسطة حجة الموحدين، وقد رد عليهم الله والرسول بأن هذه دعاوى كاذبة ولم يعطهم الله دليلاً على كون هذه الوسائط مقبولة عنده.

وهذا هو أغلب الرد القرآني.

وهناك بعض الردود الثانوية الداعمة في موضوع الشفاعة لأن فيه خصوصية طلب الشفيع من المشفع إليه، الشفاعة في المشفوع له، مثل كون الأصنام لا تعقل ولا تقدر فهي من لوازم الشفيع. فكيف يكون شفيعًا لا ينطق بشفاعة؟

فهذا يبطل موضوع الدعوى.

وهناك إشكال آخر يطرحه القرآن الكريم وهو الاعتراض بعدم النفع والضر، وهذا في الحقيقة نفي للقدرة على الشفاعة ونفي لألوهية ووساطة هذه الأصنام معاً في الكون.

فهو يبطل اعتقادهم بأن الأصنام مؤثرة في الكون وتخيف المؤمنين بها إذا خالفوها، وتنفعهم في حياتهم وتضرهم بالمخالفة وبغضبها على عبادها.

وهذا الدليل ينفي ألوهيتها أيضا مع تأثيرها في الكون وقدرتها على الوساطة، مع نفي الإذن لها بالوساطة بأدلة نفي البرهان والسلطان من الله عليها.

فكل تصوراتهم إنما هي وهم وكذب، لأنها أصلاً مادة وحجارة لا تنفع ولا تضر. وليس لها سلطة تكوينية واعتقادهم بسلطتها التكوينية على الكون لا أصل له، فهي جمادات غير قادرة على فعل شيء وليست مرضيّة عند الله.

فهذا الاعتراض يتعلق بنفي أمرين هما صحة الوساطة المدعاة كذبًا وصحة ألوهية هذه الأصنام.

وليس نفيًا لأمر واحد وهو الوساطة فقط، فضلاً عن دعوى المشركين السلفية بأنه يدل على نفي أصل الوساطة، كما يزعمون بكذبهم ولفهم ودورانهم حتى يكفّرون المسلمين ويبقون هم على عبادة الصنم الستيني الراكب على ظهر بعوضة فيصفون أنفسهم بأنهم المسلمون الأتقياء المخلصون والفرقة الناجية من بين ثلاث وسبعين فرقة كل الفرق

الأخرى أشركوا في العبادة بينما السلفية لا يشركون لأنهم يعبدون إلهًا ليس بأعور بل هو تام العينين غزالي الرموش.. تعالى الله عما يصف المشركون.

باختصار:

التوسيط بالتوسل وبالشفاعة وبالسببية هي أساس عبادة الإنسان لربه الذي لا يحد ولا يوصف والذي ملأ أركان كل شيء وعلى على كل شيء.

فالتوسيط هو الأصل. وهذه أم الحقائق في هذا الموضوع.

وكل ما يحاولون مداخلته إنما هي مغالطات محضة، لا يمكن أن تثبت، مهما زوقوا الكلام وأطالوا في الشرح والاستدلال، لأنهم يغرفون من خارج القدر. ولا يقبل بقولهم وفعلهم مسلم.

فهم يداخلون المعاني وسنأخذ موضوع التوسل كنموذج للوساطة بطريقة مبسطة جدًا للمسلم العادي.

فليتفضل حبيبنا المسلم من أي مذهب كان وكذلك ندعو أعداء الإسلام عبّاد الصنم الراكب على ظهر البعوضة، لينظروا كيف يفكر المسلم؟

قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (المائدة: ٣٥)

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} (الاسراء: ٥٧)

لا يوجد أوضح من هاتين الآيتين بأمر الله وترغيبه لعباده بطلب الوسيلة إليه والتوسل إليه بغيره.

ولكن السلفية ادعوا بأن المقصود من الوسيلة هنا هو الطلب منه تعالى مباشرة، لأن التوسل بغيره محرم وشرك. فقد جعلوا المطلوب عين البرهان حين استدلوا على انحراف فهمهم بنفس ما هو منفي حصوله، ونقصد هنا حرمة وشرك التوسل.

وهذا غباء منهم لأنهم اعتقدوا أن الدعاء هو توسل بالله مباشرة، فقد ألغوا وساطة الدعاء نفسه فهو توسل بغير الله وهو الدعاء نفسه الذي هو غير الله، ولبّسوا على العامة وادعوا إن الدعاء هنا من الله مباشرة و هو التوسل بالله وأنه هنا لا وساطة في الموضوع، بينما هو توسل بغيره وهو بوساطة نفس الدعاء وهذا ما لم يفهمه عبّاد صاحب الحق وباعترافهم.

فالدعاء نفسه واسطة إلى الله بغيره، والنص لم يحصر الوسيلة والوساطة بجنس محدد مثل الدعاء حتى يحصروه، و إنما هناك إطلاق لا يقيّده هذا الادعاء الباطل من عند أنفسهم.

يحتاج فهم هذا الكلام إزالة قشرة البلادة السلفية، وأنَّا لهم بها.

فما يريدون توجيه الآية به إنما هو وقوع فيما فروا منه.

وهو الفرار من التوسل بغير الله إليه، فقد اختاروا معنى لا يختلف عن جميع المعاني المرفوضة عندهم، غير انهم يلبّسون على الناس ويقولون: يا إخوان هل الطلب من الله مثل الطلب من عبد الله؟

سيقال: لا.

فيقولون: إذن التوسل بالله هو الطلب من الله والتوسل بالنبي محمد هو الطلب من غير الله وهذا شرك.

فالعارف يعرف إن هذا لعب ودجل.

فأولاً لم يستطيعوا أن يعطوا صورة لتوسل بالله مباشرة لأن هناك توسطًا وتوسلاً بكلمات وألفاظ ومعاني هي غير الله.

وثانيا هم يداخلون عمدًا بين الطلب وبين التوسيط من أجل التشويش على فكر المسلمين البسطاء في حين هم أنفسهم يفرون من ضغط أدلة المسلمين بالتفريق بين التوسل والاستغاثة!

وهذه لعبة نفسية قذرة، حيث يخترع المبتدع صورة يضفي عليها البغض والكراهية ويجعلها غير مقبولة ثم يحاول نقلها إلى مفهوم آخر. وهو معروف عند قادة الإعلام الحربي في حرب الأفكار. فهم يخلقون معيارًا أو صورة كريهة فيرسمون كراهتها بشتى الصور وبعد التمكن منها يلصقونها بأي شخص أو تحرك لا يرغبونه.

وأبسط مثال هو ما يفعله السياسيون من دمج مفهوم (التعامل) بمفهوم (العمالة) وإعطاء صورة للعمالة لا وجود لها، مع رسم كل ما في الكون من قبح وتشويه لمفهوم العمالة. وهم يقومون بعد ذلك بلصق تهمة العمالة لكل من لا يرغبون من الشرفاء وغيرهم، بحيث يجعلون الشعوب تطالب بتقطيع هذا العميل القذر، وهو في الحقيقة ليس عميلاً أصلاً بل قد تكون مجرد كذبة، أو قد يكون مجرد متعامل مع القوى الأخرى بما يفوق تعامل الحاكم كرامة واحتراما للذات في اللقاء بالآخر. مع أن نفس العمالة لا يمكن أن تكون بهذا القبح إلا إذا كانت بمعنى التعاون والسعي لتدمير أسس المجتمع، وإلا فما أفضل العمالة المزدوجة من أجل حماية المسلمين مثلاً من أهداف أعدائهم بالكشف والتأثير والتثبيط لقراراتهم كما في أبواب العسعس وغيرها في الفقه الإسلامي! وهذا بناءً على العمالة بمفهومها الأضيق وأما ما يخترعه الحكام من وصف أعدائهم بالعمالة

جزافًا أو قلب التعامل الشريف إلى عمالة، فهذا كما ترى بأنه فعل لا يمكن وصفه بهذه الصورة القبيحة التي تجيز القتل والتقطيع في الشوارع والسجن والتشهير.

فما يقوم به السلفية هو عين ما يفعله الخونة السياسيون القذرون من قتل أعدائهم بتهم جاهزة وأحكام معلبة. وهم يعرفون ذلك تمامًا فحين ينقلب عليهم الحال، يصرحون بلا أدنى تأمل بأن هذه أفكار معلبة مرفوضة جملة وتفصيلاً.

فأينهم عن أحكامهم المعلبة الجاهزة التي يخترعون لها مبررات وصور قبيحة لا مثيل لها في القباحة بحيث تجعل الشعوب تغلي من أجل قتل مرتكبيها الذين لم يرتكبوا منها شيئًا في الغالب.

السلفي يأتي هنا ليقول بأن التوسل المقبول هو ما كان بالدعاء إلى الإله مباشرة.

فقفز من التوسل إلى الطلب بدون مقدمات صحيحة وبدون صحة لما قام به كما قلنا لأن مفهوميهما مختلف، ومن ثم يركّبون الدليل الباطل الثاني وهو أن الطلب من غير الله مطلقًا هو شرك يستحل به الدماء.

فيشلون تفكير المسلم لأنهم يستخدمون لحاهم ونظاراتهم وهيئاتهم للإيحاء بأن كلامهم مدروس ودقيق وهو يخرج من معدن العلم والفهم، بينما هو كلام حمير بل لا يرقى إلى مستوى كلام الحمير. فحتى الحمار يعرف بأن طلبه من غير الله لا شرك فيه وإن

السببية في الكون تستدعي الطلب من غير الله وإلا لنفق حمارنا المتمسلف من الجوع والعطش وغير ذلك.

فالطلب من غير الله هو سنة الله في الكون، وهو أساس التعامل في كون العقلاء المريدين إرادة واعية، فهذه هي ألاعيبهم.

ومن ألاعيبهم أنهم لو اعترض عليهم المعترض فقال:

بأن هناك روايات التوسل بالنبي الصحيحة بموجب معايير أهل الحديث السنة الذين تتشدقون بدعوى الانتماء إليهم كذبًا وزورًا.

فسيجيبون: بأن هذه في حياة النبي وهي جائزة، ولا يعلم من أين أتوا بهذا التجويز؟

فيعترض عليهم بأن هناك الروايات بالتوسل بالنبي وبقبره كما هو نص أحاديث صحاح مثل حديث أم المؤمنين عائشة بالتوسل بكشف سطح غرفة قبر الرسول.

فسيقولون: أنتم لا تعرفون.. فهناك فرق بين التوسل والاستغاثة، فنحن نحرّم الاستغاثة لا التوسل. فنحن نفرق بين قولك يا الله اعطني بجاه محمد وبين يا محمد أعطني وهو ميت لا يقدر على شيء.

عجيب.. وكأنهم لم يناقشوا كل هذا النقاش المستميت لإثبات كفر التوسيط والتوسل وكأنهم لم يداخلوا بين الاستغاثة والتوسل ويدعون بأن التوسل في الآية إنما هو دعاء

الله فقط وهذا هو الاستغاثة والطلب فقد انتقلوا من التوسل إلى الطلب طواعية. والآن يريدون التفريق!

إذن لنأتي إلى تفريقهم الكاذب هذا.

من أين لكم أن تحرّموا الاستغاثة بمعنى يا محمد اعطني؟

سيقولون: إذا كان محمد ميتًا فلا يجوز.. وهم يعلمون علم اليقين أن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد استغاث بعلي في معركة أحد وكان يقول يا علي ادفع عني هؤلاء وهؤلاء. وهذه طبيعة البشر.

طبعا هذا قيد مخترع ينسف أساس دعواهم بعدم جواز مطلق الاستغاثة، فهم يقيدوها الآن بعدم الحياة. والسبب الوجيه عندهم هو أن النبي حين يموت لا قيمة له عمليًا فهو لا يقدر على النفع والضر، ويحوّلونه إلى صنم وإله يعبد من قبل الناس لمجرد الطلب منه.

وحين يقال لهم: طيب إذا كان هذا هو معياركم، فهذا جيد – جدلاً– ولكنه لا ينطبق على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لوجود أدلة خاصة بأن حياته كموته وهو يسمع ويرى ويؤثر وهذه أدلة خاصة، فبموجب معياركم الحماري يجوز الاستغاثة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فيتهربون مباشرة ويقولون نحن نتكلم عن زيارة القبور وعن دعوى صلاح الصالحين وهذه القبور التي يزورها الناس هي لأناس عاديين لا ينفعون ولا يضرون ولا يوجد دليل شرعي من الله على أن صاحب القبر الفلاني له القدرة على الجواب والسماع وقال تعالى (إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى) محرّفين معنى الآية من المجاز إلى نفي قدرة الميت على السماع التي دلت الآيات والأحاديث على سماعه كآية حياة الشهيد وأدلة سماع الأموات لذويهم وفرحهم بطاعاتهم وحزنهم من معصيتهم، فينقلب الكلام ١٨٠درجة إلى الوراء.

فأين الكلام على التوسل؟

وكيف انتقلنا إلى الطلب بعنوان الاستغاثة؟

وكيف تهربنا إلى زيارة القبور؟ والاستدلال بعدم وجود كتاب منزل في قدرة عبد القادر الجيلاني أو الحسين بن علي على الجواب.

مع أن الدليل مطلق من جهة والكلام في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالخصوص كما يوجد أدلة صحيحة في كون حياته كمماته وفي كون الاستغاثة حاصلة به حيا وميتاً.

وآخر ما في جعبتهم هو الكذب على الله وعلى العقل فيدّعون: أن نسبة ما لله لغيره شرك، وهنا نسبتْ قدرة الله لغيره فهذا هو مصدر الشرك. وهذا نرد عليه في موضوع

الطلب، وجوابه المختصر هو الكذب في إدعاء هذه القاعدة أصلاً، والكذب في نسبة أن هذه المطلوبات من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليست من قدرات العبد، والكذب في العلاقة بينها وبين التوسل.

فهنا نحن نواجه تقلبًا وعدم ثبات في تشخيص الموضوع.

فهم يتقلبون بين التوسل وبين الاستغاثة وبين الدعاء وبين العبادة ويداخلون بين مفهوم ومفهوم، فمرة تراهم يقولون باتحادها ومرة يتهمون الناس بعدم الفهم وانهم يفرّقون بينها فيما لا تفريق وهو الحكم، ليلبسوا على العامة الذين لا يستوعبون شيئين مهمين هما:

الأول: أن هؤلاء السلفية دينهم الكذب واللعب على الذقون

والثاني: سهولة ضياع الموازيين والمعاني حين يتم خلط العناوين فيما لا خلطة بينها في الأحكام الخاصة بها.

فلا قدرة للعامي على معرفة حجم كذب هؤلاء، خصوصا وهم مزيتون بالبترول ومطليون بالذهب بحيث اصبحوا لمّاعين لزجين لا يقدر أحد أن يمسكهم من جانب بحكم لزوجة الزيت ونعومة ولمعان الذهب كما تعلمون يا أحبتي.

فصورتهم بهية يسال لها اللعاب الذي يسيل لكل عَرَض في الحياة الدنيا.

الفكر الشيعى و سياسة اللا عنف

إن مما لا شك فيه عند كل المفكرين الشيعة أن دعوة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم أساسًا هي دعوة للتغيير بدون عنف، بل هو أهم من أمر بالصبر والتصابر وعدم اللجوء إلى السلاح إلا في حال رد العنف الواصل لحد خطر الاستئصال، ولهذا أوصى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالصبر وعدم استخدام أي عنف في تحقيق مقاصد الشريعة، وقد رأينا كيف سكت أمير المؤمنين عليه السلام وبدأ يربي المسلمين على التمييز بين الحق والباطل حتى أصبح مسار الإسلام واضحًا لدى نخبة كبيرة من الأنصار وقلة قليلة من المهاجرين، ونتيجة ذلك حصل أن بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالإرادة المحضة بخلاف من سبقه، مهما كانت المبررات والتحايل في تحسين الصورة، وهكذا حال الأئمة الطاهرين عليهم السلام كلهم بلا استثناء، يرون التغيير السلمي بدون عنف، وإسقاط الظالم بنشر الوعي في المجتمع المسلم لخطورة جرائم السيطرة غير الشرعية على الحكم ومقدرات الناس والاستمتاع بمال المسلمين بدل المشاريع التنموية التي ترقي من المجتمع الإسلامي الذي أدى إلى عدم انتشار الإسلام في كل الكرة الأرضية نتيجة هدر الموارد والاستمتاع بالنساء والغلمان والتفاخر بالقصور وما شابه ذلك، وكلها بأموال المسلمين.

إن صيغة نشر الفضيلة سرًا، ونشر الوعي المعارض سلميًا، عند الشيعة مشهود لها في جهات العالم حتى أنه ما من عالم دارس إلا ويعتبر الشيعة هم أهم معارض سلمي طويل التواصل تاريخيًا إلى الآن في الكرة الأرضية.

وقد نشر الأئمة سلام الله عليهم مبدأ التقية وهو مبدأ يبرمج الإنسان ليكون فاعلاً ومؤثرًا في مجتمعه مع أقل الخسائر، فقد عرف أئمتنا أن مجابهة الطواغيت لها ثمن خطير، لهذا يجب تعليم المؤمنين كيفية الموازنة بين الوصول إلى أهداف العدل والشرعية، مع أقل مستوى من الخسائر، وهذا ما جعل من التشيع المذهب العجيب في العالم الذي كلما ازداد اضطهاده كثر أتباعه، وهو في تزايد كبير في هذا العالم حتى أصبح نسبة الشيعة إلى العالم الإسلامي يتراوح بين ٣٠–٤٠٪ من مجمل المسلمين بعد أن لم يكن بنسبة ١٪ في الزمن الأموي وقبله، حسب ما يفهم من مسار الأحداث.

قد يشكل مستشكل فيقول: بأن الشيعة معروفون بالثورة والثورية والعنف الثوري، وأهم قضية لديهم تدل على العنف الثوري هي ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

فنقول: إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام على الظلم كانت ثورة إصلاحية، ولم تكن ثورة مسلحة إطلاقًا، ولعلّ بعض الباحثين كان يرى أن دراسة حركة مسلم بن عقيل رسول الإمام الحسين تدل على أنه موصى أصلاً بعدم استخدام العنف، ولهذا تفرّق الناس عنه حين عمل السيف والدعايات والحرب النفسية في المجتمع المناصر لمطالب الإمام الحسين عليه السلام، والذي حدث أن الإمام عليه السلام امتنع عن

بيعة الفاسق الجائر وطالب بإصلاح النظام الإسلامي، ومن ثم أخفى نفسه عن عيون القتلة في مكة والمدينة، وأتى إلى الكوفة وقد علم بتخاذل الناس عن رسوله ومقتل رسوله، وهو في الطريق قبل أن يأتي إليه جيش ابن زياد.

وقد حاول أن يأخذ مسارًا للابتعاد عن عيون أعداء الإنسانية، ولكن جواسيسهم لاحقته، فتصدت له جيوش وهو في رهط من عياله وأصحابه، وحاول الابتعاد عن الكوفة حتى وصل إلى كربلاء فنازلوه، فكان لها، وحاشى الإمام عليه السلام أن يكون جبانًا في مواجهة الموت، أو رعديدًا يتنازل عن مطالبه لمجرد حصره في زاوية ضيقة، فكان أن قابل جيوشهم بعدد غير متوازن فضرب أروع الأمثلة لمناضل غير عنيف في دعوته، وقد حوصر فلم يطلب من الجماهير العنف ويهرب، وانما قابل المصير بنفسه، وطلب من كل رجل وامرأة معه، أن يتخلى عنه طواعية ليسلم، ولكن أصحابه كانوا على طريقته وهديه، وكلهم كان مشروعًا للشهادة في سبيل مبادئ الاسلام الحقيقي، فلم يخذلوه حتى الموت، وكان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام هو المحرك الحقيقي للوعي الإسلامي، فحصلت التبدّلات السلمية أو العنيفة في المجتمع الإسلامي، وسقطت الدولة الأموية بكل جبروتها واندفاعها العسكري الهائل، وحين هجم العباسيون على هذه الدولة، لم تجد من يقف معها من المجتمع المسلم وكان التخلي عنها هو أبسط جواب عن قناعة الشعب المسلم بجريمة هذه الدولة وعدم استحقاقها للبقاء.

فالقول بأن ثورة الإمام الحسين دليل على استخدام العنف في دعوة الأئمة، قول عار عن الصحة إطلاقًا. ومسيرتهم وكلماتهم الشريفة تدل على عكس هذا القول، بل إن فقهاء الشيعة وأهل الاعتقاد منهم يعلمون علم اليقين، أن التشيع هو دعوة للإصلاح وإسعاد الإنسانية عن طريق اللاعنف، وهذا هو سلوك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

وملخص دعوتهم هو (الشرعية، الإصلاح، السعادة للمجتمع، التقدم اقتصاديًا وسياسيًا وحقوقيًا، حفظ الحقوق والحريات والموازنة بينها، عدم الخروج عن تعاليم الإسلام)، وهذه كلها مبادئ مكروهة عند الجائرين، ومحاربة من قبلهم بكل تفاصيلها.

ولم يقم أي إمام وحتى الرسول نفسه لنشر دعوته التوحيدية الإصلاحية لبناء المجتمع الأمثل، بالعنف والسيف، وإنما هجم عليه أعداء الحقيقة وأهل المطامع واللذات الدنيوية بالقوة العسكرية والمؤامرات الدنيئة، وقد أفشلهم الله، وهكذا عملوا مع علي ومع الحسن ومع الحسين ومع بقية الأئمة الطاهرين عليهم السلام أجمعين ولم يصدر منهم أي أمر بابتداء حرب أبدًا، ولا مؤامرات ضد الحاكم، وإنما كان عملهم المطالبة بالمبادئ السامية، والثبات عليها، ونشر الوعي بترك الحاكم وعدم التعاون مع الظلمة، حتى أن خياطا يخيط الألبسة للظلمة، سأل: هل هو من أعوان الظلمة؟ فأجيب: إن

أعوان الظلمة هم من باعك الخيط والإبرة، يعني أنه دخل في العملية الإنتاجية للظلم فهو من الظلمة فعلاً لا من أعوانهم.

فهل هناك توجيه لمناعة أكثر من هذا؟

وأما من يدعي أن الإسلام قام بالسيف، فهذا إنما يدعيه من يمثل الإسلام الذي لا يعرفه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو إسلام القتل والذبح من أجل مصلحة الحاكم وبالظنة والتهمة. وليس لدينا ما يشير إلى ذلك مطلقًا، وما يستدل به مما هو منسوب للرسول بدون سند كما ورد في (شجرة طوبى) للمازندراني ج ٢ ص ٢٠ وقد نسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين مال خديجة وسيف علي ابن أبي طالب) فهذا النص لا يعني أن الإسلام قام بالسيف مطلقًا، وإنما ساعد سيف علي بن أبي طالب على بقاء الإسلام من الغدر والهجمات المتتالية، وهذه حقيقة مشهودة، لإننا إذا درسنا ما وقع على الإسلام من مؤامرات ومن محن خلّصه منها سيف علي عليه السلام، لعرفنا صدق هذه المقولة، ولكن لا يعني أن النبي دعا لتخيير الناس بين السيف وبين الإسلام، كما يريدون قوله، ولا هو قد ابتدأ الحرب حتى في معركة بدر الكبرى، فإن الجيوش قد جاءت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وليس هو من ذهب إليها كما يفهم بعض من لم يتعمق في الحدث، ليردوا على رسالة التعرض لقافلتهم الذي كان عقوبة تجارية على سلب أموال المسلمين في مكة، ولم تكن حربًا، وقد تفاداها أبو سفيان وحرف مسيره

فتركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنه بعث رسالة واضحة بأنه لا يتوانى عن المطالبة بالحقوق.

وهذه هي الحرب الوحيدة التي قيل عنها أنها ابتدائية، وهي ليست كذلك في الحقيقة.

من إعجاز القرآن

القرآن في الحقيقة له سلطان نفسي على الجميع ولكنه سلطان من نوع مخصوص، كما قال في مرسل البحار عن مولانا الصادق عليه السلام: (لقد تجلى اللّه لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون)، فالقرآن له سلطة تكوينية وصورة ذهنية تكوينية مختلفة حين يسمعه الإنسان حقيقة، وليس لقلقة لسان أو طرب لصوت.

حيث أعتقد أن القرآن يشكّل طبقات كبيرة داخل عقل الإنسان من المصفوفات البيانية النقطية والمعلوماتية تتداخل مع كل كيان الإنسان وما على العبد إلا أن يصغي إليه جيدًا وأن لا يستخدمه استخدامًا سيئًا لأن هذه الجداول نفسها يمكن أن تتداخل معلوماتها مع الغير (حين لا يتبع نظامًا هندسيًا صحيحًا) وتنتج إنتاجًا معاكسًا. وهذه هي طبيعة كل جدول بيانات معقد، فأمّا أن تقرأ صحيحًا فتأخذ نتائج صحيحة وإما أن تقرأه خطأ فتأخذ نتائج خاطئة، و المشكلة كما قلت، أن القرآن يتداخل تكوينًا مع العقل البشري وهذا بالتجربة والمشاهدة والمراقبة العقلية والنفسية لعيّنات كثيرة. وقد ورد في موثقة السكوني عن أبي عبد اللّه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم في جوابه للمقداد: (فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وماحل مصدق «ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار» وهو الدليل يدل على خير سبيل وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى

نجومه نجوم لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة فليجل جال بصره وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب ويتخلص من نشب فإن التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص).

رغم أن كل الرواية شاهد على ما نقول إلا أن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار) شاهد مخصوص على أن القرآن يفعل مفعولين متعاكسين، وللتنبيه هنا فإن كلمة ساقه تعني فعلا ايجابيًا، فيكون معنى الكلام التقدم على القرآن بالتطويع للنص والتسخير والتبرع بالشر، وليس بمعنى تركه خلفه من دون اعتناء، لأن السوَق هو من فعل نفس القرآن لا من الابتعاد عنه إذا تأملت جيدًا.

ولهذا فأنا أؤمن حقيقة أن من يقرأ القرآن وهو شرير كالوهابية وأمثالهم من المجسمة المشركين الأشرار محبي دماء المسلمين، فإنه يسوقهم إلى النار ولن يهديهم إلا إلى جهنم وبئس المصير، وهذا بنص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وكل من يفتخر بمجرد قراءة القرآن اعتبره نصف مجنون لأن قراءة القرآن الحقيقية هي التدبر بآيات الكتاب واستكشاف عجائبه كما قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الرواية الموثقة: الحجة في العمل، وليس بلقلقة اللسان وتحسين الصوت وتكثير القراءة.

الطريق إلى تصديق الخبر

تصديق الأخبار جزء مهم من نظرية المعرفة الإنسانية وهو أمر يخضع للكثير من المتغيرات والعوامل المعرفية الضرورية والمستنبطة. فحين يأتيك خبر كيف تبني عليه وكيف ترفضه؟

هذا السؤال رغم بساطته إلا أنه ينطوي على تعقيدات في نظرية المعرفة.

وهناك إجابات كثيرة عند البشر على هذا السؤال.

هناك من يصدق كل ما يرغب بتصديقه، وهناك من يكذب كل ما يرغب بتكذيبه. وهؤلاء لا يبنون على معرفة وإنما على هوى نفسي ولكن للأسف أكثر البشر يتبع هذه الطريقة وهذا أهم مورد من موارد قبول الدجالين وانتشارهم بين البشر. حيث يخبرون الناس بطريقة ترضيهم وغالبًا مدعومة بوعود كاذبة وقضايا جانبية لجعل السامعين يقبلون الدجل الذي يخبر به.

هناك من يجعل ميزانًا صارمًا لا يقبل النقاش لقبول الخبر وهذا الميزان يعتمد اليقين المطلق من التحقق من الخبر، وهذا الكلام لا بأس به بنفسه من ناحية عقلية ولكنه ينفي حقائق كثيرة ويضيق دائرة المعرفة بشكل كبير في الحياة العامة والعلمية، ولكنه في التاريخ ونقل الخبر بوسائط متعددة ينفي الاخبار بشكل ينفي التاريخ والتراث جميعه، فمن يريد القطع بالنقل وكأنه سمع من صانع الحدث أو رآه فلن يحصل على

ذلك إذا زادت وسائط نقل الخبر عن اثنين، وذلك للتعقيد والصعوبة في التحقق اليقيني من الناقل، فإذا تعدد ضربت الصعوبات في إعداد الوسائط، وأساس هذا الموضوع هو معادلة تنامي احتمال الخطأ مع كل حلقة من حلقات النقل والمعادلة معروفة من معادلات نظرية الاحتمالات في قسم الاحصاء من الرياضيات، والنتيجة دائما تكون: من العسير الحكم القطعي بنفي احتمال الخطأ في كل السلسلة وكلما طالت السلسلة تنامى احتمال الخطأ وتضائل القرار القطعي. وبهذا فلا يمكن الاعتماد على الخبر بنفسه ولا يمكن تكوين قناعة قطعية فينفى كل التراث وكل التاريخ نتيجة هذا الشرط المتشدد وهو شرط القطع بالحكم لتحقق المعرفة.

فهل لهذا الشرط واقع في العلم؟

الحقيقة خلاف ذلك تمامًا.

أنت حين تقود سيارة كيف تعالج القيادة وأوامرها العصبية للوصول بأمان؟

ولماذا ينجح الإنسان في قيادة سيارة؟ وكيف يخسر حياته بقيادتها؟

هذه أسئلة بسيطة تبين مدى القدرة العقلية عند الإنسان لمعالجة المشكلات والمجهولات على الأخص ومن لا يعرف كيف يعالج المجهول بسرعة ووعي يقع في الخطر ولا يمكنه قيادة سيارة.

فأنت حين تقود السيارة تواجهك أولاً معالم الطريق التي تلتزم بها وبعد ذلك تواجهك المجاهيل وكلما ازدادت سرعتك تقاربت المجاهيل وتسارعت وأصبحت أكثر خطورة وتدميرًا، فهل تعالج المجاهيل بنظرية القطع؟

طبعا لا يمكن أن تعالج بهذه الطريقة وإنما تعالجها بطريقة الاطمئنان العقلائي الذي به نجاتك وأساس مسيرة العقل الإرادي.

وطريقة القطع هي طريقة الكائن الآلي. فقياسات الكائن الآلي هي القياسات التامة التي لا تقبل الاحتمال والكائن الآلي لا يمكنه أخذ قرار، وهذه مشكلة عويصة عند المفكرين ومنتجي الانسان الآلي ولهذا اخترع بعض العلماء الشيعة في بريطانيا ما يسمى بالمنطق الضبابي وقد بدأ عصر تقليد القرار الانساني بناء على ما قام به علماء الشيعة من تطوير لعلم المنطق حيث أثبتوا علميًا أن المعرفة قائمة على أساس الإرادة الواعية المقارنة لأقرب المعطيات وأكثرها اقناعًا في تكوين المعلومة. وقد نقدوا المنطق الأرسطي الذي يرى أنه من المستحيل الوصول إلى الحقائق نتيجة تتبع الإنسان وتجربته وذلك لكون معطيات الاستقراء الناقص هو الظن غير المجدي. وهذا الرأي كان كارثيًا للعلم إلا أن أئمة اهل البيت عليهم السلام والعلماء من تلاميذهم أعلى الله شأنهم نقدوا هذا الاتجاه وفرقوا بين العلم الذي هو الإطمئنان (أو هو القرار العقلي الحاكم على نوع المعطيات في المعلومة) وبين الظن الذي يمثل المعطيات غير المكتملة وغير الحجة أمام

العقل. فهذا الظن هو الباطل بعينه بينما العلم هو الحكم العقلي الصحيح على المعلومات والمتغيرات داخل ميزان الواقعة.

فالقضية متعلقة بالخطأ والصواب وليس بالقطع وعدم القطع، نعم يجب أن يكون الصواب واضحًا للنفس منكشفًا لها بحيث لا يعتد بخلافه وهذا هو مبدأ العلم. مع أن المنطق الأرسطي في قراره عدم قبول نتائج الاستقراء غير التام يكون قد أوقف المعرفة وجانب الطبيعة البشرية ولهذا لا يمكن تطبيقه عمليًا وإنما يُدّرس لأجل الترف الفكري والبرستيج الاجتماعي. وهذا سبب عدم استفادة دارسي المنطق القديم من تقويم النظريات الحقة، فأمامك الأشاعرة مثلاً يعتمدون اعتمادًا أعمى على المنطق الأرسطي وهم لا يأخذون منه إلا المغالطات والتشكيك بالعقل وتشكيل عقل مقلوب يقول بوقوع الأشياء بلا أسباب وبإمكان اجتماع النقيضين والضدين، وقد انتجوا فكرًا دينيًا غريبًا لا يمكن وصفه إلا بمذهب المجانين! وهم يشتمون المنطق وحكم العقل بأدوات منطقية أرسطية، وذلك لأنهم لا يفهمون سر الخطأ بالمنطق الأرسطي. والسر قد وضعت لك مفتاحه وهذا المفتاح كشفه لنا أئمتنا وخصوصًا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام.

ونعود لمثال قيادة السيارة لما له من أهمية فطرية في معالجة المجاهيل، ونرى ملاحظة جديرة بالتأمل وهي أننا حين نقود لا يمكن أن نعتمد مبدأ العلم القطعي ولا مبدأ الظن الواهي، فالأول يمنعنا من الحركة والثاني يدهورنا في الهاوية.

إنما نعتمد منطقًا ذكيًا جدًا يحل مشاكلنا ويعذرنا أمام انفسنا وأمام مجتمعنا فيما إذا كنا على المنهج الصحيح.

هذا المنهج سهل تحليله عند العقلاء وهو يعتمد تقاطع البيانات وأخذ نقاط التقاطع واستبعاد نقاط الابتعاد عن الخط البياني ومن ثم تكوين حكم على أقرب البيانات للصواب. وهذا يفسر سلوك الانسان حين يجد نفسه فجأة بلا كوابح في سيارته فيقوم بإطفاء المحرك وتتغيير تروس الحركة إلى أثقل حركة ثم السيطرة الحذرة على السيارة يالسياقة الذكية لتفادي الخطر وقد يقرر دعم السيارة بعارضة بطريقة مسنعرضة لتكون كابحًا تدريجيًا وليس صادمًا مميتًا من أجل تفادي خطر الاصطدام أو التدهور القاتل. وكل هذا بناء على تقريب معلومة واستبعاد معلومة ولم يكن فعلاً اعتباطيًا أبدًا، فقد قام السائق بعملية جدولة غير محسوسة لتقاطع البيانات بسرعة هائلة وانتجت عنده أحكامًا علمية سار بهداها للنجاة، وهذا هو عين الحجة.

هذا المثال.. واضح جدًا عند من يعمل في مجال المعلوماتية، وهذا المنطق مطبق الآن في الآلات الذكية حتى في المنازل فقد أنتجت الشركات غسالات الملابس بطريقة (الفوزي) أي الضبابي، وهو منطق يحاول تحليل المعلومات على أساس المعالجة الأمثل للمجهول وليس على أساس رد الفعل الشرطي المنعكس بطريقة رياضية تسلسلية محكومة للمعطيات المتوفرة بصيغة الجمل الشرطية والذي هو أساس البرمجة.

ولنأتي للخبر

كيف نواجه خبرًا وصل إلينا؟

أولاً: ننظر فيما إذا كان معقولاً أم لا فقد يكون ناقل الخبر أثق الثقاة ولكننا لا نصدقه ويتبين أن عدم تصديقنا صحيح فقد كان يمزح لأن معلومات الخبر إذا كانت تصطدم مباشرة مع المعطيات المتوفرة في عقولنا توقفنا فورًا لتطلب التحقق.

ثانيًا: إذا كان القائل هو صاحب يد أم لا، مثلاً أن يخبر المخبر عن أن سجادته فيها نجاسة فهذا الخبر لا يشترط في الوثاقة وكذا الأخبار بالاقرار وغير ذلك.

ثالثًا: نحاول توثيق الخبر وذلك بالطرق التالية:

أ. اذا كان المخبر ثقة تطمئن النفس إليه نميل إلى تصديق الخبر، فإذا ورد معارض للخبر من ثقة ثان نحقق في مدى الضبط وعدم الضبط في المخبرين وتعارض الثقتين يوجب التحقق، وإذا لم يكن المخبر ثقة نبحث عن تقاطعات وأدلة تتقاطع في نقاط أساسية من الخبر وكلما كثر التقاطع ازدادت القيمة العلمية للخبر، مثلاً جاءتنا عدة أخبار من جهات ضعيفة الوثاقة ولكنها تتقاطع في أمر واحد فستكون القيمة العلمية للخبر عالية.

سأعطيك مثالاً عن تقاطع البيانات البسيطة في خبر منقول عن جهات مجهولة:

١- اصطدمت سيارة شيخ القبيلة بعامود فمات شيخ القبيلة

٢- اصطدمت سيارة شيخ القبيلة بحجر فمات شيخ القبيلة

٣- اصطدمت سيارة شيخ القبيلة بشاحنة فمات شيخ القبيلة

٤- انقلبت سيارة شيخ القبيلة في الشارع فمات شيخ القبيلة

٥- تدهورت سيارة شيخ القبيلة في حفرة فمات شيخ القبيلة

وهكذا يأتيك العديد من الأخبار في الموضوع، وهنا تلاحظ أن قسما منها يتقاطع في الاصطدام وقِسمًا في الإنقلاب، بينما جميعها تقاطعت في موت شيخ القبيلة، وافترقت كليًا في العامود والحجر والشاحنة والإنقلاب الذاتي والإنقلاب في حفرة. هنا أمامنا طريقة عقلائية لنسلكها في معرفة حقيقة ما جرى فعندنا أولاً قضية أن الإختلاف دليل عدم الصدق (التعارض يوجب التساقط) إذا توفر موجب لذلك، كوجود العداوات، وهذا يوجب اضافة تحقيق خارج الخبر من الطرق أعلاه لاثبات موت شيخ القبيلة، وهذه الاضافة المؤكدة لصدق موضوع التقاطع (موت شيخ القبيلة) تنفي احتمال التواطؤ على الكذب في تقطة التقاطع، أو أننا لا نجد مبررًا أساسًا للكذب وإنما نتهم المخبرين بعدم الضبط لعدم نفع المخبرين بهذا الخبر فنميل إلى نفي التساقط حين التعارض، وبهذا نأخذ بنقطة إلتقاء الخبر وهو حقيقة (موت شيخ القبيلة) والمسلك الأول هو الأكثر سلوكًا عند البشر وهو الصيرورة إلى القرائن لمعرفة حقيقة الخبر في نقاط الالتقاء، فلو رأينا عدوًّا يروي فضيلة لعدوه وقد روى نفس الفضيلة مجهول فهنا قرينة من تطابق من ليس من مصلحته نشر فضيلة عدوه مع خبر المجهول الحال فيرفع من

القيمة المعرفية للخبر. وهكذا تتظافر القرائن لتقرب الحكم أو تبعده عن موضوعه. وهذه القرائن مهمتها زيادة التقاطعات واستبعاد محتملات الخبر غير المتقاطعة.

والقرائن على أنواع وأشكال عديدة واهم تقسيماتها هي القرينة المتصلة والقرينة المنفصلة، وهم هنا يرون أن القرينة المتصلة توجّه المعنى الأصلي وتمنع الظهور في غير القرينة، بينما المنفصلة لا تمنع وإنما تضع قيمة معرفية مضافة وهي بدرجات متعددة وبحسب درجتها يكون الحكم في الدلالة التصديقية. وهنا يختلفون هل القرينة مقوية للإتجاه في المعنى أم مفسرة له؟ وعلى كل من القولين يكون الحكم التصديقي مختلفاً في الجوهر واللوازم.

إذن، خبر الثقة هو أحد أساليب التوثيق لصحة الخبر، ولكنه ليس الشكل الوحيد للتوثيق، واختياره السبب الوحيد لثبوت الخبر أو (صحة الصدور) الذي نبحث عنه، انما هو إساءة للحقيقة وللمعرفة، فهذا طريق ضيّق قد لا يمكن تطبيق جميع معاييره في الخبر لينتج حقيقة أصلاً.

فإذا أضفنا لذلك أن القيمة الحقيقة لخبر الثقة هو الظن وليس القطع فكيف يبنى على الظن قطع أصلاً؟

فلو شهدت جميع الأمم على وثاقة شخص لا يرقى إلى مستوى القطع بل قوله يبقى مظنونَ الصحة بظن عال، وأساس اعتماده هو العرف العقلائي الذي يفرض الأخذ بقول الثقة، ومن يطالب بالقطع لا يمكن أن يصل إليه بهذه الطريقة. ولهذا فإن بعض

العلماء الذين لا يرون في نظرية المعرفة إلا الحكم القطعي يرون أن جميع النصوص على الإطلاق ثبوتها من باب الظن سواء ما كان عن ثقة أو ما كان عن غيره.

وهنا نكتة حساسة وهي أن حجية قول الثقة تختلف عن حجية البينة لأن البينة مجعولة شرعًا فهي منزلة منزلة الواقع وعند بعضهم منزّلة منزلة العلم، والأول أقرب للتحقيق، ولكن على الثاني تكون مثبتة للوازمها، بينما حجية قول الثقة لم يدل عليه أي نص شرعي ليكون مجعولاً شرعًا ويقوم مقام العلم أو مقام الواقع، وحتى على القول بأن الأخذ بقول الثقة هو بناء العقلاء المضي شرعًا فهذا لا يدل على تأسيس الشرع لهذا الطريق كطريق علمي، فغاية ما يدل عليه هو قبول الأخذ بخبر الثقة لا أنه حجة لازمة ومثبتة للوازمها وإلا لكان خبر الثقة المفرد يقوم مقام البينة نفسها، ولهذا فهو إمارة ظنية غير مجعولة لتقوم مقام العلم القطعي. فكيف يمكن أن يُرفع خبر الثقة إلى مرتبة القطع ليكون العلم حجة عند من يريد ذلك؟

ولهذا فمن يذهب في نظرية المعرفة إلى إنتاج القطع وعدم إنتاج ما سواه وهو يفسر العلم التصديقي باليقين القاطع، لا يثبت لديه علم عن طريق النقل أساسًا. فحتى القائلين بأن الأدلة الشرعية توجب القطع بخبر الثقة يقولون أن هذا يختلف عن القطع بمضمون الخبر فالأدلة لا تشمله.

فاعتبر بعض الفقهاء تبعًا لهذه الإشكالات البينة قائمة مقام العلم باعتبارها مجعولة أساسًا كما يقولون وهي عندهم ليست ممضاة فقط، فهي تثبت لوازمها (مثل لو قامت

البينة على نجاسة زيت مباع فهذه البينة تثبت حق الفسخ للمشتري مع أنه ليس له علاقة بمحتوى البينة)، ثم اعتبر أن خبر الثقة جزء من البينة فإذا وصل لحد البينة كان قائمًا مقام العلم وهو حجة بذاته لا يحتاج إلى داعم، فإذن اتجه بعض الفقهاء إلى اعتبار خبر الثقة جزء من بينة شرعية على مضمون الخبر فإذا كان واحدًا فهي بينة ناقصة وإذا كان اثنان كانت بينة تامة ولهذا يحرص بعضهم على ايجاد اكثر من طريق للخبر ليصل لحد البينة.

أقول هذا قد يكون مقبولاً ولكن اثبات الشيء لا ينفي ما عداه، فهذا الحل لا يحصر الأمر بنفي الحلول الأخرى ولا ينفي حجة الامارة والقرينة على صحة الصدور حتى لو لم تكن من ثقة وكذا هناك قرائن في خبر الثقة تدل على ترك الخبر وعدم الأخذ بمضمونه. وهذا بحث مطول جدًا وله شواهد مهمة وعميقة.

ثم أنهم فرّعوا على ذلك بناء على نظريتهم في المعرفة، فنقلوا القول إلى طريقة اثبات الوثاقة نفسها، فقالوا أن التوثيق شهادة بينة وهي أوضح في ذلك من خبر الثقة ولهذا يشترط فيها ما يشترط في شهادة البينة.

والحقيقة أنّ التوثق خبر كغيره من الأخبار وينطبق عليه ما تقدم وعليه نفس الإشكالات، وهنا في البينة يوجد شروط قد لا تشترط في خبر الثقة قطعًا، فمثلاً الأئمة في نصوصهم على اعتماد خبر الثقة كانوا ينصون على الثقة، الصادق، المأمون، ولكنهم كانوا يأمرون بالرواية لبعض الرواة مع نص الأئمة بسقوط عدالتهم وهذا يعني عدم

اشتراط العدالة وهذا شرط في البينة وكذلك لا يشترط في خبر الثقة المشاهدة الحسية ويكفي الاستنتاج العقلائي، مثلاً يسألك الناس عن جارك فتقول لم يكذب ولم يفعل القبيح إلى آخره، وهذه كلها شهادات حدسية اجتهادية نتيجة عدم الإطلاع على سيئاته وهي شهادة مقبولة في البناء العقلاني وعليها مدار المعاملة، فلو أقسم عليك السائل أن تشهد عن علم وحس بأن جارك لم يفعل قبيحًا لما شهدت مطلقًا لأن هذا يعني أنك تراقبه ليل نهار وفي سره وعلنه، وهذا غير ممكن عقلاً فبناء على اعتبار التوثيق بينة ويحتاج إلى شروط الشاهد في البينة لكان من المستحيل توثيق شخص.

أريد أن أوضح بأن الأئمة الطاهرين عليهم السلام منذ زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يصرون على الكتابة وكتابة كتب الأصول وكان الكتبة يتخفون لأن السلطة ترفض كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والسر في الاهتمام بالكتابة هو تحويل النصوص إلى أعيان كتابية حتى يكون العلم بها علم وجدان يصل إلى اليقين ولا يكون مجرد خبر يحتاج إلى قرائن.

ولكن هذا أيضًا يقتضي التمحيص لا من جهة الشك بالأعيان ولكن هناك اسباب أخرى منها أن اجتهاد التوثيق يمكن نقضه باجتهاد آخر فيكون توثيق النص من عدم التحريف يحتاج إلى اجتهاد شخصي، ومنها كون هناك جملة من الروايات صدرت تقية أو لم تصدر أصلاً وإنما أدخلت بواسطة المندسين في كتب أصحابنا، وهناك روايات صحيحة قطعًا مأمورين بترك ما فيها من قبل الأئمة عليهم السلام أنفسهم

فهذا يجعل القضية معقدة إلى حد ما ويقتضي الجو العام التمحيص، فرغم أننا متأكدون بأن اغلب روايتنا دراية وليست رواية بمعنى مشاهدة أعيانها الكتابية إلا أن هناك ما يوجب التمحيص وعدم الأخذ بمضمونها من دون تمحيص، هذا طبعًا في المتروك وفي غير المتواتر.

أصالة الوجود والماهية

أسجل بشكل سريع ملاحظتي على موضوع الخلاف في القول بين أصالة الوجود وأصالة الماهية،.. لو دققنا لوجدنا أن القائلين بأصالة الماهية يجيزون قدم المخلوقات وتعدد القدماء وهذا ما صرّح بالتنبيه عليه الخواجه الشيخ نصير الدين الطوسي في تعليقه على الرئيس ابن سينا في الإشارات والتنبيهات، وهذه نظرية كارثية، ولو دققنا النظر في قول القائلين بأصالة الوجود فسنجد شيئًا مثيرًا للانتباه وهو أن الوجود له مرتبتان في المعنى:

الأولى: مرتبة الوجود الذهني

الثانية: مرتبة الوجود الخارجي

فأي منهما هو المقصود بالأصالة؟ يقولون أنه لا هذا ولا هذا وإنما هو الوجود اللا بشرط المقسمي، ويقصدون طبيعة الوجود بما هو وجود من دون لحاظ التحقق والثبوت، وهذا الجواب قد يعجب بعض أهل النظر، ولكنه لا يعني شيئًا في الحقيقة، فإذا كانت الطبيعة مستنبطة فهو وجود ذهني، وإذا كانت الطبيعة متحققة فهو الخارجي، ولا يوجد وجود غير موجود لا في الذهن ولا في الخارج، وعلى كل حال إنما الكلام في الحقيقية السارية في كل ما اسمه موجود، والعارف يعرف أنه هو الله ولا يوجد غيره مطلقًا حتى يبحث عن الغير، والمعنى بهذا الشكل لا غبار عليه والأصالة للوجود قطعًا، ولكن عند ذلك فهو غير قابل للتصور أو الفهم بل يعرف بآثاره وليس بحقيقته،

وإذا كان الوجود بما هو وجود – غير الحقيقة السارية في الموجودات – فهو وجود ذهني، وليس حقيقيًا خارجيًا لأنه انتزاعي.

وعلى هذا فالعجب كل العجب هو من تقسيم الوجود والبحث فيه وفي خصائصه، فيما لو كان بمعنى الحقيقة السارية في الموجودات، وقولهم بأنه من أبده البديهيات وأوضح الواضحات والبحث عن نوع الوحدة؟ وكيفياتها؟ وما يصح؟ وما لا يصح؟ والبحث في لوازم الوجود؟ فهذا كله غفلة عجيبة من الباحثين القائلين (بأصالة الوجود) أنفسهم، لأنهم ملزمون بفهم حقيقة ما يقولون في لفظ: (الوجود)، فيجب أن يبيّنوا من يقصدون به، هل هو الله أم غيره؟ بلفظ صريح ولغة واضحة، والبدهي هو الإحساس بالموجود المحسوس، وأما إذا كانوا يقصدون به المفهوم الانتزاعي من جملة الموجودات المحسوسة أو المعقولة، وهي من الوجود الذهني، فعندها ما علاقة ذلك بواجب الوجود؟ وما علاقة ذلك بالوحدة وغيرها؟ فالأمر في غاية التشويش.

ولا ينبغي تبادل الألفاظ والمعاني، فلو راجعت النقاش بين القائلين بالنظريتين لوجدت أن القائلين بأصالة الوجود يتهمون القائلين بأصالة الماهية بأنهم لا يفرقون بين الوجود الخارجي وبين الوجود الذهني ويخلطون بينهما، ولكن لو دققت في أدلة القائلين بأصالة الوجود فإنك ستجدهم أيضا يخلطون بشكل واضح بين الوجود الخارجي والوجود الذهني بل يستدلون على الوجود الخارجي بالوجود الذهني، ويبنون نظرياتهم على معاني عجيبة للوجود الذهني الذي هو: (المعرفة) فتارة يصورون

أنه وجود حقيقي شبه مادي وتارة يرون أنها انطباع أشباح الوجودات الخارجية بنفسها في الذهن وتارة يرون أنها مجرد صورة، وهذا الأخير عليه أغلب المتأخرين، وهو غير مفيد في البحث عن الخارجي، وكل هذا يدل على التمسك بمعارف قديمة في فهم طبيعة المعرفة، وكيف تتكون في الكائن الإنساني مثلاً؟ والذي قد كشفت المعارف المستمرة أمورًا جوهرية في كيفية المعرفة، و هي مزيج بين قوانين الفيزياء والرياضيات وأمور قبلية لا يمكن تفسيرها لحد الآن، إلا بالخلق الإلهي، فالخلط بين مفاهيم غير محققة وغير دقيقة في الأساس هو أساس الأدلة على أصالة الوجود كما هو حال أصالة الماهية، رغم تشدد القائلين بأصالة الوجود على التفريق ووجوب عدم الخلط.

ومن المشاكل الفكرية هو انتقال الموضوع إلى البحث الأصولي، فقد كانت مسألة أصالة الوجود هي المرتكز في بعض أبحاث اجتماع أمر النهي كما أنها محور في بحث توجيه الأمر إلى الطبيعة أو الفرد؟

مع اعترافهم بأن الوجود المبحوث هو الانتزاعي المفهومي وليس الخارجي.

أقول: هذه الإلماعة السريعة جدًا غير كافية في الموضوع، ولكنها خارجة عن البحث فلا يصح التعمق فيها، وإنما أردت التنبيه إلى أنني لا اتبنى الكثير من المباحث الفلسفية في هذا المجال، ولي فيها رأي وبراهين تعكس براهينهم عليهم، والذي أعتقده أن الله هو خالق كل شيء وهو مقوّم كل شيء، فإذا كانوا يقصدون بأصالة الوجود أصالة الله فهذا لا بأس به، ولكن البحوث اللاحقة بالوجود غير لائقة في

جوانبها التي تحاول الكشف عن خصائص الوجود، فلا يوجد ما يكشف خصائص الله لضرورة عدم إدراك كنهه، وإذا كانوا يقصدون أصالة الوجود المنتزع من عموم التحقق الخارجي للأشياء فهو أمر تحليلي عقلي كما لا يخفى وهو بحث وجيه بهذا الاعتبار حصرًا، وهذا المنحى لا معنى لأصالته ولا لعدم أصالته، فهو بحث عقيم. وتبعًا لهذا فالوحدة إذا كان المقصود بها القيمومة بمعنى (داخل في الأشياء بلا ممازجة وخارج عنها بلا مزايلة) بوجود قيّومي، فهو كلام متين يمكن الحوار فيه عرفانيًا، وأما إذا كان المقصود ثبوت الله في الأشياء أو ثبوت الأشياء في الله فذلك اشتباه كبير.

من هم أهل السنة؟

الجواب عن هذا اللغز غير مفهوم مطلقًا وذلك لاختلاط الحابل بالنابل، والكافر بالمؤمن عندهم، فأبو حنيفة المشؤوم عند الحنابلة الكافر الزنديق، سني، كما أن المجسمة الكفرة عند الأحناف أمثال الحنابلة والحشوية هم من أهل سنة، فهل يستطيع أحد أن يحل هذا اللغز؟

أنا سأحل هذا اللغز والأمر لله.

أول من استخدم كلمة سنة الشيخين هو عبد الرحمن بن عوف حين طلب من الستة بعدما قتل كعب الأحبار عمر بن الخطاب، أن يتعهدوا بالسير على سنة الشيخين فرفض علي عليه السلام ذلك وقبل عثمان، ثم نكل وسار بغير سنتهما وعاداه عبد الرحمن بن عوف.

هذا أول استخدام غريب للسنة وقد بيّن افتراق الطريقين عبر مصطلح، ولكن لم يؤخذ بهذا المصطلح جديًا خصوصًا وأن عثمان خالف سنة الشيخين وأحكام الله ورسوله حسب اتهام المسلمين في المدينة وغيرها، فقتله المسلمون ودفنوه في مقابر اليهود (حش كوكب) من غير غسل ولا صلاة لعدم اعترافهم بإسلامه أصلاً (لعلهم حكموا بردته فلماذا يدفنوه في مقابر اليهود بلا صلاة عليه؟)، ثم قتل معاوية عليًا بالاغتيال بالتعاون مع المجرم الأشعث بن قيس ومجموعة أبي موسى الأشعري صاحب الأعور الدجال الخائن لأمير المؤمنين عليه السلام في كل المواقف، عبر وسيط خسيس هو (ابن ملجم).

وبعد استشهاد سيد الموحدين وتلميذ سيد الرسل ووصيه وحامل لوائه استخدم الداعية إلى نار جهنم المال المسروق من خزائن المسلمين لتشتيت جيش الخليفة الحق سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن عليه السلام وخذلانه وتفريق جيشه عنه، فعمل معه صلحًا لغير صالح معاوية، ولكنه بمجرد استلام الحكم نكل حسب نيته المسبقة وأعلن تمزيق الاتفاق الذي في بنوده وجوب الحكم بالإسلام وقوانينه وتسليم الأمر من بعده لولد علي (الحسن أو الحسين)، فأجهز عليهم وعلى أنصارهم قتلاً وتشريدًا، وسمى سنة استلامه الحكم عام السنة والجماعة وصار جماعته أنصار أهل السنة والجماعة، وهو كلام غامض لا يعرف معناه. فهل هو سنة الشيخين كما طالب عبد الرحمن؟ أم سنة عثمان الذي ادعى معاوية المطالبة بدمه من المسلمين، الذين دفنوه من دون صلاة في مقابر اليهود، مما اضطر بعض المنافقين للصلاة عليه بعد دفنه في المقبرة اليهودية أم هي سنة معاوية الجديدة؟

كان الأمر غير واضح. ولكن معاوية كتب لعماله في كل الممالك الإسلامية بمتابعة من يناصر عليًّا وشطب اسمه من دواوين الدولة وملاحقته وتخوينه وتكذيبه، فتبيّن أنها سنة معاوية الداعية إلى نار جهنم بصريح الصحيح عن رسول الله عند أهل السنة أنفسهم قبل الشيعة، فعرف الناس ذلك بالتدريج.

وبعد ذلك حدث شيء غريب بعد سقوط الدولة الأموية على يد العباسيين، حيث كانت حركتهم زيدية ابتداءً ممن لم يعتمد مفهوم العصمة، متأسين بأبي هاشم بن

محمد بن الحنفية زعيم هذا الاتجاه، الذي لم يقبل أهل البيت أن يسمّوا أباه بابن علي بن أبي طالب عليه السلام لسر يعرفونه ليس له علاقة بالمولد أو أصل الأم، وإنما له علاقة بادعاء ابنه على أمير المؤمنين وموافقته له، وبإدعاء العلمانية للدين مستخدمًا المنهج العقلي الذي كان يدعو إليه الإمام علي عليه السلام فقد جعله منهجًا حاكمًا على الدين المنصوص ومفسرًا له من دون الرسول ودون الحاجة إلى الرسالة نفسها، وهكذا تكوّن أول الأمر منهج الكيسانية ثم الزيدية بقيادة الحسنيين وأتباعهم العباسيين، فكانوا العربة التي خرجت عن سكة العترة المعصومة، ثم حدث بينهم خيانات رهيبة حين انتصر الأتباع – وهم بنو العباس – على بني أمية، حاملين راية محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى، ثم أنكروا على إمامهم النفس الزكية إمامته وقتلوه مع أهله، مع أنهم بايعوه قبل خروجهم للثورة في خراسان ونواحيها بواسطة أنصار أهل البيت عمومًا، مستغلين تحرّق الناس للقضاء على الباطل والظلم والضلال المبين الذي مثّله أهل سنة معاوية الداعية إلى نار جهنم وحزبه الشيطاني.

فتفككت العربة المنحرفة عن سكة قطار العترة، وأصبح بنو العباس أعداءً شخصيين لكل من بني الحسن وبني الحسين كما كانوا في السابق حيث يكتمون ذلك مجاملة، فقاموا بقتل الطرفين والتنكيل بهم جسديًا، ولكنهم احترفوا قضية مهمة فكريًا، وهي أنهم استعملوا تضارب آراء المسلمين فيما بينهم فأول الأمر رجعوا في الفكر إلى المصدر الذي اعتمده أئمة الزيدية من بني الحسن، وهو الكيسانية (المعتزلة) فقربوا أهل

الإعتزال، بينما أخذوا الفقه من أحد مفكري الزيدية وهو الفقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الكابلي الأفغاني.

والسر هو أن هذا الفقيه اخترع طريقة فقهية تعطي الشرعية للتشريع الوضعي المناسب للحاكم الفاسد، فقال بالقياس والاستحسان وقال بنظرية التصويب، فأسس فكرًا سلطانيًا جديدًا في الإسلام، وعليه بنى تلميذه أبو يوسف كتاب الخراج والماوردي كتاب الأحكام السلطانية.

ولكن العباسيين اكتشفوا أنّ ولاء أبي حنيفة الحقيقي لمحمد بن عبد الله المحض فأعدموه في السجن، وبدأوا مرحلتهم مع المُجيد لقوانين الطرب كما يعترف، الإمام مالك، الداعية إلى قتل ثلث المسلمين في سبيل تطويع المسلمين لما يريد، وهو بعيد كل البعد عن منهج أبي حنيفة، وهكذا بدأت مرحلة جديدة في الفكر الإسلامي العباسي، فقد قام العباسيون يضربون هذا بذاك، ويفتنون هذا مع ذاك، فقربوا المتعصبين الأمويين تارة، والعلويين أخرى، و مرة قربوا بعض الزيدية ثم قتلوهم، وقربوا أئمة الإمامية وقتلوهم، وحاصروهم، فمرة هم مع المعتزلة، ومرة يقتلونهم، ومرة مع علي بن موسى الرضا عليهما السلام ومن ثم يقتلونه، ومرة مع المجسمة والنواصب ومن ثم يقتلونهم، وأخذوا يدعون في أحيان كثيرة أنهم من أهل السنة، فأصبح المذهب السني خليطًا بين الأمويين النواصب والشيعة المتعصبين كأتباع الزيدي ابن أبي الجارود القائل بكفر الشيخين، والمعتزلة المكفرين للمجسمة الأمويين، وهكذا دواليك ثم انتقلت

حمى الانتصار بتعادي أطراف المسلمين، إلى الانتصار بتعادي القوميات، فنصروا الفرس على العرب والعرب على الترك، والترك على الفرس والعرب، وهكذا كل مرة لهم ولاء لعنصر بشري، ولمذهب فكري متناقض، وأخيرًا انتصر الأتراك عمومًا عليهم وعلى غيرهم، فأوّلاً انتصر الترك السلاجقة فتسننوا، ثم انتصر الترك المغول فتشيعوا، ثم انتصر الترك التتار العثمانيون فتسننوا، وقد ورث الترکَ المغول الترکُ الصفويون، رغم أنّ نفس الصفويين ليسوا أتراكًا، وإنما هم عرب عامليون، ولكن بسبب لغتهم وتفاعلهم مع الشعب التركي التبريزي أصبحوا تركًا، وهم إمامية اثنا عشرية لم يخرجوا عن الطريق الإمامي رغم بعض الهناة عند بعض ملوكهم، وقد ورثوا الصراع المغولي التتاري بالقهر. فتحاربت الدولتان التركيتان غير العربيتان مدة أربعمائة سنة حتى لما بعد الأتراك الصوفيين، وبقي التسنن تركيًّا بامتياز، ولكن لم يكن التشيع تركيًا ولا فارسيًا بسبب كون الفقهاء الشيعة إلى عهد قريب أغلبهم من العرب الأقحاح المتمسكين بالثقلين والذين لا يقبلون الخروج عن دائرة الثقلين، وقد أصبح التسنن خليطًا من الموحدين ومن المعدّدين لله وصفاته، ومن المجسمة والمنزهة، ومن الزيدية والناصبة الأموية، وبعض من يهوى أهل البيت وبعض من يقدس يزيد، ومن مختلف الأفكار والأجناس يجمعها شيء واحد، هو:

الالتفاف حول السلطة، والإيمان بأن الإسلام انقلب إلى مذهب السيف والذبح لمن خالف القوة المسيطرة، والصلاة خلف من غلب، وترك طريقة أهل البيت عليهم السلام بالمطالبة بشرعية الحاكم والحكم (مفهوم الإمامة العامة) وترك تقليدهم واتباعهم.

وأمّا بقية الأشياء فلا رابط بينها. فهم مجموعة من الخارجين عن التشيع بشكله العام (زيدية وإمامية وغيرهم) ومن النواصب والمجسمة، ومن أتباع السلطان بأي دينٍ كان، حتى لو كان تترياً أو سلجوقيًا مشركًا فهو أقرب إلى رسول الله من ابنته الصُلبية، ما دام مسيطرًا على الحكم، وأما إذا نطق بالشهادتين فسيتّبع الله ظنه وينصره نصرًا مبينًا على المخالفين له، كما هو تصريحهم بالتصويب وعقيدتهم في الحاكم.

فهذا هو التسنن وهؤلاء هم أهل السنة الذين يريد زميلنا أن يوهم بأنهم فرقة موحدة لها معالم معينة، واضحة ومحددة، يعرفون بها ويميّزون من خلالها. والواقع أن هذه كذبة صلعاء، لا يمكن سترها بشكل من الأشكال لأنهم قوم مختلفون متخالفون لا يجمعهم إلا جامع التمسك بالسلطة والقوة والغلبة.

ففي الحقيقة التسنن "كوكتيل" عجيب غريب تكوّن عبر العصور بالالتفاف حول السلطة والقوة والسيف والقتل والإرهاب والغباء الشعبي بالتصفيق لكل ناعق وإتباع كل ما يَكْذِب فيه السلطان، وتبرير ذلك بطرق ذكية أو غبية، معقولة أو غير معقولة، مخفية العيب أو ظاهرة العيب، فكله سواء. (من الطرائف أن بعضهم [وهو أبو حنيفة] حين أراد تبرير شرب الخمر للخلفاء العظماء، قال: إن هذا الموجود في العراق عند الخلفاء ليس خمرًا، لأن الخمر ما يصنع من العنب، وهذا اسمه نبيذ لأنه يصنع من التمر، فاشربوا على بركة الله يا حكام، وبالهناء والعافية، وطول العمر، والدخول للجنة فورًا بلا حساب).

ولو أردنا أن نأتي بالشواهد على كل هذا، فهي متوفرة بالعشرات، ولكن يجب أن يكون بحجم كتاب بعشرة مجلدات، فمن أراد أن يعرف بالتفصيل فليقرأ التاريخ والمذاهب فسيجد ما قلته حرفيًا.

فزميلنا اختزل مفهوم أهل السنة وادعى أنهم جماعة يتبعون أهل البيت، وأنهم يؤمنون أن هذا المنهج منج من الضلال وما شابه ذلك من خزعبلات. فقد اختزل التاريخ وقزّم الحقيقة بشكل مضحك، بينما أصل التسمية قائم على نبذ أهل البيت قولاً وعملاً.

لكن هناك حقيقة مهمة. وهي أنه سرًّا يرى أن أهل السنة ليس كل من يسمى بأهل السنة، فليس كل من وصف بالتسنن سنيًا، إنما هم من اسموا نفسهم بأهل السنة وإماتة البدعة في زمن المتوكل وقبله قليلاً، وهؤلاء في الحقيقة الطرف الأموي الذين قربهم الزعماء العباسيون لضرب المعتزلة، الذين تنامى نفوذهم فأرادوا إسقاطهم شعبيًا بالشغب والجهالة فقربوا هؤلاء الحشوية المجسمة، وهؤلاء في الحقيقة كان أحدهم لا يقوم من مسجده في صلاة الصبح حتى يلعن عليًا سبعين مرة تقربًا إلى الله، رغم أن أمر اللعن لعلي قد انتهى مفعوله منذ أن أمر عمر بن عبد العزيز بإيقافه أو قلَّ منذ أن سقط نفوذ بني أمية السفياني قادة المشركين في بدر وأُحد، فقد رفض طلب عمر بن عبد العزيز في إيقاف لعن علي في كثير من البلدان، فلا يرتاحون إلا بلعن علي والانتقاص منه في الصلاة وفي كلامهم وحوارهم، مع مجاملة الناس تقية كما كان يفعل الأفغاني

أحمد بن حنبل حليف بني شيبان فمع المجتمع الشيعي كان يظهر تقديمه لعلي أو على أقل تقدير كان يربع به بل كان يقول بلعن يزيد في بغداد، ومع الأمويين في الشام كان يرى إن ذكر علي مع الشيخين كارثة في الدين وكان يفضل الثلاثة ثم يقف.

هؤلاء الوصوليون التسلقيون المزورون للتاريخ صنعوا تاريخًا عجيبًا غريبًا يتمحورون عليه وأفكارًا يتمحورون عليها، فقد جعلوا قضية خلق القرآن مسألة كفر وإيمان وحاربوا من ينكر ذلك، والطرفان يقولان نحن أهل السنة، وجعلوا من محنة القائلين بقدم القرآن دليلاً على نصرة الدين، بينما نشرت مذكرات حنبل ابن أخ احمد بن حنبل، فكانت خالية من هذه المحنة المزعومة، (ونتحداهم أن يثبتوا أن حنبلاً وصف هذه المحنة كما يصفونها) وجعلوا القول بثبوت الصفات محور الدين عندهم مع أنه قول تجسيمي شركي عند المسلمين غيرهم، وأغلب الطرفين ينتسبان لأهل السنة.

وقتلوا الناس على سب الشيخين (وقد اعتبروا عدم تفضيلهما سبًّا في كثير من مراحل الفتن) مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قَبل سبهما صريحاً* ولم يكفّر أو يقتل أحدًا بهما، وهذا ثابت في الصحيح أو الحسن المعتمد عند أهل السنة. وهكذا اختلقوا فتنًا ومذاهب ما أنزل الله بها من سلطان، وهم أنفسهم حاربوا كل ما هو مرتبط بأهل البيت وسبوا أئمتهم واعتدوا عليهم ورفضوا نهجهم.

* تجد تفصيل ذلك في كتاب العلامة المنار الآخر وهو (القليل المختار من مقالات العلامة المنار)

فقد سبوا الشيعة والرافضة وهم يعلمون أن الشيعة هم أهل البيت أنفسهم، وأن الرافضة هم أهل البيت أنفسهم، ويقصدون بهم عليًّا وفاطمة والحسن والحسين والتسعة من ذرية الحسين عليهم السلام، دون غيرهم، ولم يستطيعوا أن يثبتوا قصدًا لغيرهم مطلقاً.

وهم قسم مشعوذ ومنبوذ من أهل السنة عند الأغلب من المسالمين والذين لا يقبلون بهذه التصرفات، ولكنهم يرون الجميع خير وبركة، لطبيعة عدم التفريق بين الناقة والجمل التي غرسها فيهم إمام الدعاة إلى نار جهنم.

فهل أهل السنة — هؤلاء – يقبلون بنهج أهل البيت عليهم السلام؟

لنر جوابهم بأنفسهم، ما هو؟

أهل السنة هؤلاء عندهم عشر مبادئ أساسية، لا يكون فيها السني سنيًا إلا بهذه العشرة. وهي مبادئ صنعت متعمدة للخروج عن مسلك أهل البيت والعترة الطاهرة من المعصومين الهداة المهديين عليهم الصلاة والسلام. فانظر إلى صريح قولهم:

* البحر الرائق – ابن نجيم المصري ج ٨ ص ٣٣٣ – ٣٣٤:

مِن أهل السنة والجماعة مَن فيه عشرة أشياء:

الأول: أن لا يقول شيئًا في الله تعالى لا يليق بصفاته.

والثاني: يقر بأن القرآن كلام الله تعالى وليس بمخلوق.

والثالث: يرى الجمعة والعيدين خلف كل بر وفاجر.

والرابع: يرى القدر خيره وشره من الله تعالى.

والخامس: يرى المسح على الخفين جائزًا.

والسادس: لا يخرج على الأمير بالسيف.

والسابع: يفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا على سائر الصحابة.

والثامن: لا يكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب.

والتاسع: يصلي على من مات من أهل القبلة.

العاشر: يرى الجماعة رحمة والفرقة عذابًا.

وكذا في تكملة البحر الرائق للشيخ حسين الطوري في شرح صفحة ٣٣٤ قال:

وفي الحاوي: مِن أهل السنة والجماعة مَن فيه عشرة أشياء:... ثم شرح الحكم بناء عليه، بعد ذكر هذه العشرة من المبادئ الأساسية لهم، ممن يسمون أنفسهم أهل السنة.

وبتحليل بسيط جدًا، نجد أنها كلها ضد أهل البيت ومبادئهم وأوامرهم وهديهم:

الأول: يقصدون إثبات الصفات البشرية والتشبيه والتمثيل لله، وهذا ضد مبدأ أهل البيت الصريح.

الثاني: يقصدون به قِدم القرآن، وهذا ضد مبدأ أهل البيت الصريح بأنّ لا شيء قديم مع الله (نفي تعدد القدماء).

الثالث: يقصدون الإئتمام بالفجرة وهذا أهم موارد الاختلاف مع أهل البيت عليهم السلام.

الرابع: يقصدون الجبرية وهذا ضد فكر أهل البيت عليهم السلام الصريح وهو ضد تصريحهم الواضح بنفي الجبر واستحقاق العقاب للمخالف لأمر الله بجدارة لأنه هو من قام بالجريرة.

الخامس: فتوى المسح على الخفين ضد فتوى أهل البيت قطعًا، تُطلب في الفقه ويعرف مقدار مخالفتها، ولكن الغريب أن تكون جزءًا من العقيدة!

السادس: يقصدون مناصرة الظالم وعدم الخروج عليه وهذه أهم موارد الخروج على فكر أهل البيت عليهم السلام الدعاة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقارعة الظالمين ولو بالاستنكار اللساني والقلبي وعدم مناصرتهم ومعونتهم.

والسابع: تفضيل من سبق على علي هو من أهم المرفوضات عند أهل البيت فعلي عندهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة، ولا يعدله أحد، وهم يؤمنون أن لا

فضيلة مطلقًا في مخالفة علي والزهراء عليهما السلام وقد خالف من سبق عليًا قطعًا عند العترة.

والثامن: يقصدون به عدم دخول مرتكب الكبيرة والمنافق إلى نار جهنم، ويضعون هذا المبدأ لوجوب ولاء المنافقين والجائرين، وهذا ضد فكر أهل البيت.

والتاسع: يقصدون به سلامة دين الفاسقين والفجرة والظالمين الجائرين قتلة أبناء الأنبياء والمخالفين لأوامر الله ورسوله، ولهذا عندهم، لو مات عثمان مثلاً محكومًا عليه بالكفر من قبل المسلمين فلا يجوز لهم عدم الصلاة عليه ودفنه في مقبرة اليهود وإنما يكرّم ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين. وهذا من الهراء اللا إسلامي عند المسلمين الأوائل بالخصوص، وهو فكر تبريري غير مقبول عند أهل البيت عليهم السلام حتى لو كانوا يحكمون بوجوب الصلاة على المسلم غير معلوم الحال أما المنافقين والخارجين عن حكم الله فهذا أمر مسلم بنص القرآن في المنافقين أو المخلفين: {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} (التوبة/٨٤).

فهؤلاء مسلمون لم يقبلوا النفرة لحرب الكافرين، وهم ممن يشهد الشهادتين ويعمل بشريعة الإسلام وترك الحرب خوفًا وحبًا بالسلامة وبخلاً بالمال والنفس، كما يشهد القرآن. فهذا الأمر ضد القرآن وضد أهل البيت. فكيف تكون هذه المخالفة من مبادئ التسنن العشرة؟

العاشر: هو للتستر باسم الجماعة بمعنى جماعة معاوية، الذي اخترع عام السنة والجماعة، وهو نوع من أنواع التخدير للمشي وراء الظالمين، بلا خلاف معهم، حتى لو كان أحدهم يصلي الجمعة يوم الأربعاء أو يأمر راقصته بصلاة الصبح جماعة تؤم شيوخ الإسلام وهي زانية مجنبة وسكرانة لا تعي ما تقول! فهذا مقتضى التمسك بالجماعة وعدم الفرقة. وإلا ففي الطرف المقابل يجب أن يلصق بكل مخالف لهم اسم المبتدع ويجب قتله واغتياله فورًا بلا تأخير تلبية لواجب نصرة الجائر، وهذا ليس خروجًا عن الجماعة ولا حبًا بالفرقة عندهم، بل هو عين إلتزام الجماعة وترك الفرقة.

هذا التحليل البسيط لو حاولنا بسطه والبحث فيه لاحتجنا إلى كتب ومجلدات، ولكن يكفي العاقل أن يفهم أن هذه هي مبادئ من يدعي هذا الشخص ولاؤهم لأهل البيت وإتباعهم لهم. فكل مبادئهم العشرة الأساسية التي يختلفون بها مع بقية المسلمين هي ضد أهل البيت عليهم السلام قطعًا، بل المقصود بها أن تكون دائرة خارج محيط أهل البيت تمامًا.

وأما بقية معاييرهم في نبذ تراث أهل البيت عليهم السلام وملاحقته وإحراقه، وقتل شخوصهم وحرق قبورهم (كحرق قبر الإمام الكاظم عليه السلام) ونبشها كنبش قبر سيد شباب أهل الجنة وحرثه وقتل زائريه مما يدل على الإتباع والمحبة عندهم! مع أن نبّاشي قبور أهل البيت يقولون بقدسية قبر أحمد بن حنبل ومعاجزه التي أظهرها الله للناس بحفظه لهذا القبر العجيب من ماء دجلة الغدار، ولهذا فهو ليس له قبر

الآن لأن نهر دجلة سفرّه إلى الخليج ثم المحيط، كما يبدو حسب معجزتهم المقلوبة.
وهذا الرجل الذي حفظ الله قبره في عالم الخيال، هو نفسه كان المفكّر والمَنَظّر لمن أمر بنبش قبر الحسين وحرثه وقتل زائريه، ناصر السنة ومحييها ومميت بدعة العترة المعصومة عدل القرآن (وهم القائلون بخلق القرآن والإمامة والرجعة والغيبة والتقية والبداء وتفضيل علي على الشيخين، ومانعي المسح على الخف، والقائلون بخلود معاوية وحزبه في نار جهنم تبعًا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله والقرآن في المنافقين وغيرها من البدع ومخالفات سنة معاوية)، ذلك هو المتوكل العباسي مخدوم أحمد بن حنبل الأفغاني مولى بني شيبان كبير المقدَسين في السماء، وإمام أهل السنة، الذين يقصدهم هذا الشخص سرًّا، وإلا فهو قطعا لا يقصد ذاك الشيعي الزيدي أبا حنيفة الأفغاني الخارج على السلطان العباسي الذي ائتمنه على المسلمين، إمام أهل السنة من الطرف المناقض للحنابلة.

فإذن يجب أن نعرف حجم التعمية والغش في إطلاق هذه اللفظة ونسبة الأمور إليها.

وأما إدعائه بتسليمهم بالقول بأن اتباع أهل البيت عليهم السلام من المنجيات فهذا من المضحكات، ولكن كما أشرنا بتعدد أهواء ومشارب أهل السنة وتناقضهم إلى درجة التكفير والتنابذ، فإن هناك من ينتسب لأهل السنة ممن يفضل عليًا أو يقول بعصمته وضلال معاوية وهلاكه الأخروي، بل منهم من يقول بعصمة الأئمة الإثني عشر كما اشتهر عن ابن عربي وابن طولون والسيوطي في أحد أقواله وغيرهم. ولكن هذا رأي

شخصي، وهم ليسو من أهل السنة المقصودين عنده، بل هم كفرة أتباع الضال المضل أبا حنيفة أو الشافعي. ولم يتبعوا إمام الهدى ابن حنبل. ومن أراد أن يصدق ما أقول فعليه أن يراجع أقوالهم في أبي حنيفة وفي الشافعي وأقوال الأحناف والشوافع فيهم وفي مالك (مثلاً دراسة الخطيب البغدادي عن أبي حنيفة، ودراسة الغزالي الشافعي في المنخول عن أبي حنيفة ومالك، فسيعرف القاسم المشترك بينهم وهو أن الكل يضلل الكل).

ومن المناسب ذكره أن نفس طريق السلفية، هو طريق مرقّع لا يعرف له مفهوم، فقد كان إمام السلفية الذين يُقتدى به، وهو ابن تيمية الرومي الأصل ولعل أصل آبائه من الصابئة من قرية حران الصابئية، قد حكم عليه الشوافع بالموت والكفر لكونه قال بعدة مسائل بعضها ناصبية وبعضها فتاوى وأفكار شيعية إمامية (جامع المتناقضات) مثل حكم عدم وقوع الطلاق بالثلاث وتقسيم التوحيد إلى توحيد ذات وتوحيد صفات وتوحيد أفعال كما يقوله الشيعة، ومثل قوله بخذلان الله لعلي بن أبي طالب كما يقول النواصب الأمويون، وقوله بآراء فلاسفة اليونان بوجود (وقائع لا أول لها بالنوع)، أو بكون الله في الطرف الثاني من الكرة الأرضية حين رأى لو نزل الإنسان مخترقًا الأرض وخرج من الطرف الثاني لوصل إلى الله. أو أنه يمكن أن يركب ظهر بعوضة ليتجول بها في رحلاته السياحية بدون أطيط! وغير ذلك من مقولات هي في الحقيقة تبني لمقولات منتقاة من مختلف المذاهب والأديان (مذهب انتقائي صرف) من دون اعتماد مذهب أو دين معين، بحجة أنه كان يسير مع الدليل حتى لو خرج عن المذهب أو

الدين، وأغلب ما قاله مما يكفره عليه أهل السنة الباقين..، وهكذا حكم عليه الشوافع بالإعدام مرتين، مرة في دمشق ومرة في مصر. ولكن اليد السلطانية الوكيلة عن الله، تخرجه دائمًا كالشعرة من العجين، ولكنها تجامل علماء أهل السنة فتبقيه في السجن ليؤلف الكتب ويبث الفرقة بين المسلمين حتى وفاته داخل سجنه المتصل بالناس مباشرة، وعليك أن تفهم التناقض والإشارة من ذلك!

أدلة إثبات الحموريّة!

أصحاب الأهواء لهم طرق معروفة في تغيير الحقائق وطمس المعالم وهي فذلكات سهلة العبور على خاليي الوفاض، ولكنها سهلة الاكتشاف عند العارفين أيضًا، ومجملها يقع ضمن المغالطات المنطقية الشهيرة، وقليل منها يقع ضمن المغالطة العالية والخفية، إلا أن هذه المغالطات تُغلف دائما بغلاف يجعلها قابلة للتصديق، وسآتيك بمثال قريب جدًا.

هل تعتقد بأن من السهل أن يقام دليل على أن الإنسان حمار؟

طبعا هذا مستحيل ابتداءً فلا يوجد عاقل يمكن أن يفكر في هذا الاتجاه.

ولكن ما قولك حين تعرف بأن هناك مئات الأدلة التي يمكن أن تثبت للمخاطَب بالفتح أنه حمار؟

وما قولك أكثر حين تعرف إن نفس أدلة إثبات حمارية المخاطَب هي أدلة نفي نبوة النبي محمد صلى اللّه عليه وآله؟ وكذلك نفي الديانة أو نفي وجود اللّه أو إثبات التعبد للشمس والقمر والروح والبشر وما شابه ذلك، فكلها تعتمد نفس نوع المغالطات.

طبعا سوف تستغرب، ولكن لا غرابة في ذلك لمن يفهم أصول التفكير ودرَسَ الفرق بين الدليل البرهاني والجدلي والخطابي والمغالطة (السفسطة)، والسفسطة تعتمد بشكل عام على إيهام الطرف المقابل بأن الدليل المقام صحيح ومنتج، بل أكثر من ذلك يستعمل

المغالط في كثير من الأحيان وسائل لإقناع نفسه بنفس مغالطته (وهذه قضية سيكولوجية) كما يمكنه أن يخدع الآخرين ويجعلهم يتوهمون صحة مغالطته ويفكرون أنّ المغالطة برهان والبرهان مغالطة.

وكم عانى علم المنطق من مغالطات عجيبة مثل نفي الكثير من المغالطين لإنتاج القياس المنطقي وهو أساس كل تفكير عند البشر مثل قولهم بأن المقدمات تستبطن النتجة فتكون النتجة قبل المقدمات فيكون إنتاجها عبثي أو بأدلة بعضها من الشكل الرابع بما لا يمكن أن ينتج كإنتاجهم للدليل من السوالب أو استخدام نقائض وعكوس لا تنتج أبدا ويدّعون أنها تنتج ويستدلون بها على إبطال المنطق نفسه.

ومن خصائص الإنسان أنه لو اقتنع بفكرة موحاة له من أي جهة كانت يدعي أنها له لأنه مقتنع بها، وهذا ما تقوم به وسائل الإعلام الموجهة لنصرة النظام أو الزعيم أو الفكرة التي يراد انتشارها، من دون أن يجد المتلقي للمغالطة والمارة عليه أي غضاضة بإدعاء أنها له ومن ابداعه، وقد لاحظنا ذلك في حواراتنا مع الشيوعيين في الستينات فقد رأيناهم جميعًا يتبنون الفكرة الخطأ وكأنهم هم من أبدعها بينما هي مكتوبة قبل أن يولدوا.

على كل حال من أجل أن نمثّل مثالاً واقعيًا نعود إلى ما يعرف في علم المغالطات بالمسألة الحمارية في علم المنطق، ويقال أن أول من أثارها هو المرحوم المقدس الشيخ بهاء الدين محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني

قدس الله نفسه الطاهرة. وقد نجد تعددًا في الأدلة قد تصل إلى مئات الأدلة المغالطية، وهنا عندي ملاحظتان ضروريتان:

الأولى، أن هذه المغالطة دائمًا تطرح على شكل توجيه الخطاب لمخاطَب بالفتح، ولهذا فحين تطرح هنا ليس المقصود بها شخصًا بعينه لأنها في الغالب مسألة تطرح هكذا فلا يتوهم أحد بأن هناك مقصودًا شخصيًا في المسألة.

الثاني، أنني لم أرتب الأدلة ترتيبًا علميًا بحسب الفهرسة المنطقية وإنما هكذا كما أتذكر من الأدلة الشهيرة التي تقدم كصيغة مغالطة.

يقال لمن يراد إثبات حماريته: نحتمل أنك تأكل الحشيش ليلاً وهذا دليل على أنك كنت جحشًا فقلبتك الطبيعة إلى إنسان بضرب بعض الجينات، وبما أن هذا الإمكان موجود فهو متحقق والدليل هو أن نفرض التساوي في الفرض وندرس الإمكان فنجد أن الإمكان متحقق والامتناع غير متحقق فبهذا الرجحان يثبت حماريتك بدون الحاجة إلى الاستدلال بوجود الحشيش قرب بيتكم في الحدائق وغيرها، فإذا أضفنا له الدليل العقلي القاطع المبني على الشكل الصحيح المنتج من أشكال القياس المنطقي فينتج نتيجة محققة جدًا بصيغة الشرطية المنحلة وهو قولنا: ما يلزم من وجوده وعدمه حماريتك.

إذا كان موجودًا لزم حماريتك، وإذا كان معدومًا لزم حماريتك. فتأمّل جيدًا فإنه دليل ما بعده دليل، والدليل على لزوم حماريتك ونفي إنسانيتك هو أن الإنسانية عارض

خاص على الإنسان و هو أما أن يعرض للشيء المتصف به فيلزم عروض الشيء لنفسه وأمّا أن يعرض له عند عدم اتصافه به فيلزم اجتماع النقيضين، فكلا الفرضين باطل فثبت انتفاء إنسانيتك.

ولو ادعى جاهل أنك والحمار نقيضان، فنقول له حلاً ونقضًا. فأما الحل فإن من المستحيل تحوّل الموافق إلى نقيضه وقد ثبت بالأدلة التوافقK وسيأتي بعضها. وأمّا نقضًا فنقول: بإمكان أن تكونا نقيضين مجتمعين معًا وذلك أنَّ رفع النقيضين نقيض للنقيضين. والنقيضان يستحيل ارتفاعهما فيستحيل أن يرتفع رفعهما وعينهما بقاعدة استحالة اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما، فيجب أن يتحقق نقيض النقيضين وهو ارتفاعهما فيبطل حكمها، وبذلك يثبت اتحادكما حتى لو كنتما نقيضين.

بل هناك دليل يثبت الاتحاد وهو أنك والحمار تقعان تحت جنس الحيوان وتتحدان في اللازم العام، و لازم الأعم لازم للأخص، لأن الأعم لازم للأخص، ولازم اللازم لازم بلا إشكال، فتكون مع الحمار من نوع وفصيلة واحدة، ونضيف إليه ما يمكن وصفه بالدليل القطعي الناتج من عكس النقيض الصحيح جدًا وهو: كل لا حماريتك هو لا أنت، فينعكس بعكس النقيض، كل حماريتك هو أنت.

وهاك دليل بديع بالقياس الشرطي وهو أنه كلما كان الحمار موجودًا كنت موجودًا وكلما كنت موجودًا فالحياة موجودة فكلما كان الحمار موجودًا فالحياة موجودة

والحياة تساوي الحياة، فأنت تساوي الحمار وأصبح بلا شك الحمار يساوي أنت! ثم أنك لو لم تكن حمارًا لكنت إنسانًا؟

وكل إنسان ناطق، وبعض الحيوان ليس بإنسان، فينتج كل ناطق ليس بحيوان. بينما أنت حيوان، والحمار حيوان، فأنت حمار لتكرر الحد الأوسط بصراحة ويقين. فثبت انتفاء إنسانيتك من هذه الجهة وبقيت الحمارية على حالها سليمة من الخدش. وهناك مئات الأدلة العقلية على حماريتك كلها يقينية لا تقبل النقاش (هذا نوع من الغلاف المبطن الذي يستخدم للإيحاء)، بل يمكن أن يضاف إليه الأدلة الحسية والعلمية على المطلوب حيث أن أجزاء الحمار الداخلية هي نفس أجزاءك الداخلية من دماغ وكبد وقلب وأمعاء وطحال ومخرج وقضيب والتساوي بالأجزاء يوجب التساوي بالذات، ولا يُشكل بزيادة بعضٍ على بعضٍ، كالكرش مقابل المعدة فإن الإنسان نفسه قد يولد بكلية واحدة أو ستة أصابع وغير ذلك مما لا ينضبط بضابطة، والمهم الغلبة، وهذا دليل حاسم قاطع، ومن الأدلة القاطعة على حماريتك أن الحمار حين يسير يتفادى المخاطر من حفر وغير ذلك وهذا تفعله أنت بالذات ولو لم تفعله لكنت أدنى مرتبة من الحمار أعزكم الله، وهذا دليل اتحاد الفعل وهو من الأدلة اللازمة، ومن الأدلة أن الحمار يخلط بين قضايا الفكر ولكنه لا يخلط أبدًا في منفعته. وقد ثبت أنّ هذا بعينه هو طريقتك. فهذا اتحاد في الفصل الذي يوجب اتحاد النوع والجنس.

والحمار لا يطير وأنت لا تطير والحمار له أذنان وأنت لك أذنان. والحمار له شعر قسم منه أبيض وقسم منه أسود وأنت لك شعر فيه أبيض وفيه أسود وهذا من العجائب في الاتحاد، ولو تتبع العلماء الدقائق لوجدوا التطابق.

وهناك أدلة كثيرة لم نذكرها اختصارًا للوقت والكلام.

طبعا هذه الأدلة كما قلنا مغلّفة بالتأكد واليقين واستخدام بعض أساليب الإيحاء كما أشرت في قلب الأدلة، ولكن لأن المسالة مكشوفة لا يمكن تصديقها قد يقرأها المرء مستهزئًا، والحقيقة أن هذه الأدلة نفسها يمكن استخدامها ببسطها وتغليفها بالإطار الأدبي لنفي واثبات أشياء بالباطل لا صحة لأدلتها.

لإحداث التوافق بين المسلمين

في سبيل التوافق بين المسلمين علينا أن نأخذ المتوافق بيننا قطعًا ونترك موارد الخلاف وهذا طريق عقلاني لحل الخلافات، ولكن هل هذا هو مجرد تكليفنا حين نريد التوافق أم هناك أمر آخر أبعد من التوافق؟

الحقيقة أن مسألة التكليف هي من أخطر المسائل التي تهم المؤمن.

الإنسان مخلوق للعبادة وهذا هو تكليفه، والتكليف في العقل أمر حسن وفي الشرع أمر لازم وقد كلف الله الإنسان بالتكاليف التي هي جوهر عبادته والالتزام بأمره.

وأداء التكليف أمره سهل عقلاً وشرعًا، وذلك بالتحفظ على الواقع وأداء ما أمر المولى كما أمر، والتحفظ على الواقع يتحقق بأداء المتيقن وترك المشكوك أو غير المتيقن.

وهذا هو كل ما في الأمر، وهو يسمى عند كل المسلمين بالاحتياط للدين.

فهل نستطيع أن نقول عن أنفسنا مسلمين وملتزمين بالتكليف الإلهي ونحن لا نحتاط لديننا؟

الجواب عند كل عاقل معروف، وهو عدم إمكانية ادعاء الالتزام مع عدم الاحتياط في تنفيذ أوامر الله، والاحتياط من المأمور به في حال التعارض بين الإلزام وعدمه وبين الخفيف والثقيل.

وأبسط مثال: لو أنني تيقنت أن الدواء رقم واحد أوصاني به الطبيب، ولكن لا أدري أن الدواء رقم اثنين هل أوصاني به الطبيب أم أشار زائر زارني إلى استعماله، فلو أنني استعملت الدواء رقم اثنين وتركت الدواء رقم واحد، وساءت صحتي فهل أستطيع أن أحاجج الطبيب وأفلجه بحجتي؟

الجواب: كلا بكل تأكيد.

وهل ألام أمام العقلاء وأمام نفسي؟

الجواب: نعم بكل تأكيد.

لماذا؟

لأنني تركت الاحتياط.

الموضوع مشابه تمامًا: نحن متأكدون سنة وشيعة بأن أهل البيت عليهم السلام المخصوصين (خصوصًا علي والحسن والحسين وفاطمة) ممن كلفنا الله شرعًا بمتابعتهم والأخذ عنهم ووضع أعمالنا قلادة في رقبتهم، ونحن نعلم أنهم هادون لغيرهم مهتدون بأنفسهم من دون حاجة الناس العاديين إلى تعليمهم وأن التمسك بهم منج من الضلال، وأنهم معصومون من المخالفة لدين الله، وأن حجتهم كحجة القرآن لمقابلة الثقليّة بمعنى الثقل والميزان أو الثَّقَليّة (المفتوحة الثاء) بمعنى الخصوصية والميزة عند رسول الله أو عند المشرّع. والحكم فيهم ملزم. ونشك أو نظن بأن غيرهم مهدٍ، ولكن غيرنا

يقول بأن لا شيء من الهدى الخاص عنده، وإنما هو امرئ يتعرض لما يتعرض له عامة الناس، وقد ثبتت مخالفاته للشرع، فهل يجوز في دين الله وعند المتشرع المؤمن ترك المتيقن والتمسك بالمشكوك؟

الاحتياط له قواعد بسيطة جدًا، غير قابلة للنقض في العقل ولا في الشرع، منها: الاشتغال اليقيني يوجب الفراغ اليقيني، ومنها: الاجتناب اليقيني للمشكوك مرجوحيته يوجب العذر اليقيني.

وهنا – فيما لو تركنا المؤكد، واتبعنا المشكوك في مرجوحيته – لم نشتغل يقينًا، فلم تفرغ ذمتنا يقينًا، ونبقى مسئولين أمام الله سبحانه ولم نجتنب عن المشكوك يقينًا، فليس لنا العذر أمام الله إذا كان طريقه طريق الضلال وليس الهدى في واقع الأمر.

فالنتيجة المؤكدة أن إتباع الأربعة عشر معصومًا عليهم السلام منجٍ ومفرغ للذمة.

بينما اتباع غيرهم غير منج وغير مفرغ للذمة، فلماذا نترك سبل النجاة ونتمسك بمن لا نعرف أين يسيرون؟ مهما كنا نحترمهم.

هذا إذا أحسنّا بهم الظن وقلنا بأن أمر من خالف أهل البيت مشكوك فيهم وليس طريقهم طريق الضلال؛ المشكلة أن النصوص المصاحبة لحديث الثقلين تقول بضلال مخالفيهم، والسبر لأحوال المخالفين يدل على ذلك يقينًا.

فلماذا تقحّم مواطن الهلكة وطريق النور متوفر؟

هذا السؤال يجب أن يطرحه كل مسلم على نفسه، وعليه أن يحس بعظيم المسئولية التي يضعها على عاتقه حديث الثقلين.

فكل الاعتراضات والصيغ للتخلص من هذا الأمر الملزم، هي عبارة عن تبرير للباطل، ولا يمكن أن تكون عذرًا حقيقيًا أمام الله، ولا تُخلي المسؤولية، مهما تفننا في تحريف المعاني، وتزييف الحق، وخلطه بالشبهات.

الفتوحات "الإسلامية"!

قراءة شاملة للفتح منذ بدايته إلى نهايته:

بقراءة مبسطة للفتح نجد أن بداية الفتح كانت عبارة عن عروض قوة محلية أو مناطقية ولكن بعد انكشاف ضعف الأعداء وسقوطهم العسكري أخذ الأمر يتوسع جدًا بدون استراتيجية محددة وإنما بسبب هزائم الأمم وفسادها الإداري ومشاكلها المتفاقمة تم التوسع الهائل خلال سنوات قليلة كغزو الإسكندر المقدوني حيث اجتاح أوروبا وشمال أفريقيا وآسيا جميعها بأقل من عشر سنوات والسبب هو السقوط الحضاري لكل الأمم في ذلك الوقت، على أن الاسكندر قد خطط للانتقام من الفرس ومن الترك في شرق بحر قزوين.

ولعل الحالة الأقرب لبداية فتح المسلمين هي حالة جنكيز خان كما شرحها ابن أبي الحديد والعديد من المؤرخين، فقد بدأ مناوشا للعشائر المغولية فيما بينها ثم التعرض لارساليات ملوك الصين المالية وتحقيق انتصارات كبيرة جعله يوسع من مفهوم سلطته باتجاه الصين، ولكن تحرش السلطان محمد خوارزم شاه القذر بممتلكات نساء جنكيز خان وعدم ثبات جيشه المكون من مائة ألف جندي أمام عشرين ألف جندي مغولي غيّر مسار جنكيز خان وحياته، فتوجه لتمزيق دولة النمر الكرتوني المنسوبة للإسلام كذبًا، وأخذ يتوسع بهذه الدولة وبغيرها حتى سيطر على قسم من الهند والصين وقلب

الدولة الإسلامية وبعض دول أوربا في حدود أربعين سنة(من سنة ٦١٢ إلى سنة ٦٥٦ سنة سقوط بغداد).

فلو رجعنا لما يسمى بالفتح الإسلامي فسنجد جدول أحداثه على النحوي التالي:

١- بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأقل من أربعة شهور، تم افتعال حروب يقتل فيها المسلم كاستعراض للقوة بحجة جواز قتل الممتنع عن دفع الزكاة وتسميتها حروب الردة (مع وجود مرتدين فعليين اختلط أمرهم).

٢- خذلان الناس لسببين:

الأول: عدم توقع قتلهم من قبل مسلمين وهم مسلمون محقونوا الدم.

والثاني: وحشية وفظاعة تصرف الجيش الإسلامي.

فتم اكتساح الجزيرة العربية في اقل من سنة بشكل مرعب ومخيف جدًا، بكل ما رافق ذلك من جرائم وحشية وانتهاكات أخلاقية محرمة إسلاميًا وعالميًا (وضع الرؤوس أثافي للقدور، قطع الرؤوس وحملها على الرماح، حرق المساكن، الزنا بالمتزوجات، اختطاف النساء، الاغتيالات بعد الأمان).

٣- إعادة محاولة غزو الشام (حملة أسامة) لمجاملة المسلمين بإعادة حملة أسامة بناء على رغبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته.

٤- انكشاف هشاشة الموقف البيزنطي وانتشار الخوف والرعب في قلوبهم من المسلمين، وهرب تسعة أعشار أهل الشام إلى البيزنطيين وتوقف الزحف لحدود جبال طوروس جنوب تركيا الحالية.

٥- وصول أنباء من عرب العراق عن هشاشة موقف الفرس وانغماسهم في الصراعات والملذات والمشاكل الداخلية.

٦- غزو الفرس وتحقق نوع الهشاشة الفظيعة في جيوش الفرس بما لا يقاس بجيوش الروم، ولهذا توقف التوسع جهة الروم ولم يتم إسقاط دولتهم نهائيًا بينما اتجه الغزو لإسقاط دولة الفرس نهائيًا.

٧- تعاون عرب العراق مع العرب المسلمين لأسباب قومية وللغنائم والسرقات.

٨- سقوط الإمارات المحكومة لرعب الفرس فإن من يُرعب المرعب يستحق الخضوع له، وهذا قانون عالمي.

٩- تكونت هالة من الرعب العالمي من جيش المسلمين الغازي وقد وصف بالهجوم البربري الشنيع من قبل الأمم الأخرى، وبات الخيال الشعبي يهيئ لهزيمتهم نفسيًا بشكل لم يتصوره أحد. نتيجة سرعة التوسع وعدم التوقف.

١٠- التحول إلى غزو الدولة الصديقة دولة المقوقس المصري (مصر) لأسباب مجهولة فهي لم تكن في قائمة الأعداء مطلقًا، بل كانت في قائمة الأصدقاء والتعاطف والمحبة والنصرة، وقد بان عليها الهشاشة بشكل مريع وأنهيت بسرعة سير الجيوش.

١١- الإمتداد إلى الدول التركية شمال شرق إيران كمقاطعة مَروْ وما وراءها من بلاد الترك.

١٢- الإمتداد إلى بعض الساحل الافريقي وصولاً إلى قرب تونس [المعروفة باسم إفريقية]

١٣- الإمتداد إلى نهر السند والوقوف عند النهر.

١٤- في بدية سنة ٢٣ هـ توقف الفتح الإسلامي الأوّل وتحوّله إلى مناوشات ومحاولة المحافظة على ما تم إسقاطه من مقاطعات في مختلف بقاع الأرض.

١٥- وفاة عمر بن الخطاب وانتهاء الحالة الفعلية للغزو مع بعض الاستثناءات استجابة لتحرشات أو مطالب مالية كما حدث لأرمينيّة وما ورائها فقد تم إبقائها مسيحية من أجل المال فقط (أي فتحت وأبقيت مسيحية بقرار من الخليفة لأن العائد المالي [الخراج] أكبر من الزكاة الإسلامية من المسلمين، كما قيل، وقد تم إهداء الخراج لبعض الأقارب من أجل التعريس بزوجة صالحة.. ما شاء الله!)

١٦- فترة عثمان فترة مناوشات بسيطة، وبعد وفاته صعد الإمام علي إلى سدة الحكم بإجماع المسلمين في الحاضرة الإسلامية، وهو من المعارضين للغزو بشكل عام، فاعترض عليه أقارب الخلفاء الثلاثة السابقين الفقراء جدًا، ولهذا أقاموا عليه حلفًا مشتركًا (أقارب الخليفة الأول وأقارب الخليفة الثاني وأقارب الخليفة الثالث) وجهزوا حربًا كبيرة فتوالت حروباً كبرى أخرى. ولكن الإمام علي عليه السلام لم يقم إلا بحروب مع الخارجين عن القانون داخل الدولة الإسلامية من مجوس أكراد ومسلمين بغاة، يستثنى من ذلك فتح مكران والنزول في ما وراء النهر ولعله أيضا لحفظ الثغور.

١٧- الفترة من علي بن أبي طالب إلى فترة عبد الملك بن مروان كانت فترة صراعات داخلية وضبط السيطرة، فلا فتوحات تذكر.

١٨- حدث أمر خطير في فترة عبد الملك وهو تمرد الجبهة الغربية وسقوط تونس بيد البربر، فانتدب عبد الملك الفارس الشيعي المعروف موسى بن نصير لإخماد فتنة الوثنيين البربر وحصل موسى على مباركة الإمام زين العابدين عليه السلام لإخماد الفتنة في الثغور ويبدو أنه قد انشأ له دعاء أهل الثغور المعروف والمرويّ في الصحيفة السجّادية.

١٩- حين توجه موسى مع فتاه البربري طارق بن زياد إلى تونس وجد أمرًا مريبًا وهو تحريك الأسبان للبربر ضد المسلمين فبعد أن فتك بالبربر وقتل بعض أمرائهم وساحراتهم، توجه لتأديب الجواسيس وبقي يطاردهم، بدون إذن من الخليفة حتى

وصل إلى عنق الجزيرة الإيبيرية، ولكنه كان يغري الخليفة بالهدايا وبعث الثروات المنهوبة من شمال أفريقيا إلى دمشق.

٢٠- تكونت فكرة العبور عند غلامه طارق بن زياد، فعبر المضيق وسمي باسمه واحتل أغلب شبه الجزيرة الايبيرية والتي سميت فيما بعد بدولة الأندلس.

٢١- أنهي إلى سمع الخليفة في دمشق أن موسى بن نصير سوف يحتل كامل قارة أوربا وسيدور حوله وسيصل إلى دمشق من الشمال وقد يقتله هذا الشيعي ليجلس مكانه.

٢٢- أمر موسى بن نصير بالتوقف عن الزحف، ثم استدعاه.. وبعد ذلك اغتال ابنه في الأندلس.. وقتله في الشام.. ثم استدعى طارق واغتالوه في أحد أزقة الشام مدعين أنّه تدهور في حفرة في زقاق ضيّق ليلاً.

٢٣- توقف الزحف ولم يكن هناك أي فتح جديد إلى أن هجم المغول على دولة المسلمين، ثم أسلموا فتحوّلت بلادهم الشاسعة قهرًا إلى بلاد المسلمين فأضحت الدولة الإسلامية أكبر دولة في المساحة حيث تضم سيبيريا ومنغوليا وأجزاءًا من الصين والتبت والهند والسند بالإضافة إلى العالم الإسلامي القديم.

أي من طرف ألاسكا إلى المغرب العربي والأندلس في الشق العربي، وإلى بولندا في الشق الأوربي (معركة ليجنتز)، ومن وسط الأورال شمالاً (المركز الأورالي قازان

والعاصمة على الفولغا هي مدينة سراي اتخذها حفيد جنكيز خان باطوخان ولكن لم يثبت هذا الفتح طويلاً وانحسر إلى دولة القرم شمال البحر الأحمر) إلى جنوب الهند (حيدر آباد دكن)، وهذا هو الفتح الثالث للدولة الإسلامية.. والإضافة في المساحة للدولة الإسلامية تمثل ثلث مساحة اليابسة في الكرة الأرضية تقريبًا.

٢٤- في زمن تيمورلنك المغولي تم اكبر توسع للدولة الإسلامية حيث توسع الأتراك من جهة أوروبا جنوبًا وتوسع تيمورلنك من جهة أوروبا شمالاً فقد احتل موسكو وما وراءها، وهذا هو الفتح الرابع. وتوقفت الفتوحات بعد ذلك، كما قد توسع الاتراك في أوروبا واحتلوا أماكن مهمة في البلقان وقد وصلوا إلى فيينا.

٢٥- هنا ملاحظة أن فتوحات المغول والعثمانيين الإسلامية وما بعدها لا تعتبر في الحقيقة فتوحات إسلامية إنما هي حروب دول نظامية عسكرية أكثر مهنية وحرفية من الدول الإسلامية، ولم تكن ابتداءً باسم الإسلام ولكن تغيير ديانة كل من الترك المغول والترك العثمانيين أعطاها الطابع الإسلامي وقد استمرت الحروب على نفس المنوال السابق لدولهم ونظمهم في الحكم. فالترك المغول بدأوا كفارًا يريدون احتلال دول المسلمين ولكنهم مع الاحتكاك بالمسلمين أسلموا وتمذهبوا، وكان أول مذهبهم سنيًا ثم تشيعوا، وبالنسبة للعثمانيين كذلك كانوا من القوم المتاخمين للمغول وقد قاموا بحروب معهم وهم من الكفار واحتلوا بلاد المسلمين ثم اسلموا وتحولوا إلى النظام الإسلامي السني الحنفي باعتباره يجيز الخلافة لغير القرشي.

وكان الفرق بين المغول والأتراك أن المغول نادوا بدولة دستورية وضعوا دستورًا ينظم صلاحيات السلطان وطريقة عمل الدولة واختيار السلطان شبيها بقانون دولة الكويت أو القانون الداخلي للأسرة السعودية وغيرها من الممالك الحالية. ولم ينادي المغول بخلافة للرسول رغم أن أكثرهم أكثر تدينًا وتحضّرًا من العثمانيين. وكان المغول فقهيًا أرقى كثيرا من فقهاء المسلمين التكفيريين حيث أنهم لم يروا كفر الدستور (الياسق أو الياثق) بينما أمثال ابن كثير وابن تيمية اعتبروه كفرًا بواحًا وتابعهم الحمقى على ذلك الفكر المعوج (مع أننا لم نقرأ الياسق نفسه لنحكم فيما لو قال أأه دين مقابل القرآن الكريم وليس مجرد نظام داخلي ينظم أعمال الدولة بطريقة عصرية وفعالة)

٢٦- بهذا يعتبر الغزو الإسلامي العربي متركزًا في فترتين هما:

الفترة الأولى: فترة أبي بكر وعمر وهي فترة جاءت بعد استعراض قوة ناجح كشف عن هشاشة الدول المحيطة بشكل مريع.

الفترة الثانية: هي فترة عبد الملك إلى زمن ابنه الوليد وهذه كانت فترة غزو عفوي أوحت به مشاكل الأعداء وضعفهم بعد تحرشهم.

وانتهى التوسع على يد العرب، وما حدث بعد ذلك من فترتي الغزو التركي المغولي - العثماني الإسلامي في بداية القرن السابع وفي أواسط القرن الثامن هو امتداد لطموحات وحروب تلك الأقوام الغازية لدولة الإسلام أساسًا.. وهي نظرة معاكسة:

حيث كشفت هشاشة المسلمين العسكرية والإدارية الساحة للقوميتين التركيتين لغزو بلاد المسلمين ولكن الأقوام الغزاة اسلموا فتغيّر الميزان كليًا.

بهذه الخلاصة يمكن القول بأننا بإزاء أكذوبة كبيرة وهي ربط هذه الغزوات العسكرية بالدين، ولكن لا يعني أن هذا يقلل من أهميتها لما بعد الحدث، ولكن الفائدة لا تعطي الشرعية للخطأ الذي تحوّل إلى مصلحة، فهناك خيانات في جيش الرسول تحوّلت إلى عنصر مصلحة للرسول بعد ذلك، وهذا لا يعطي الشرعية لخيانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن الجدير ذكره أن المسلمين من سكان المساحات التي فتحت بالحروب والسيف الآن لا يمثلون إلا ثلث أو نصف المسلمين على أقصى تقدير والبقية تم إسلامهم بالقناعة والنشر الفكري كشرق أسيا وأفريقيا (شرقًا وغربًا) وسواحل البحر الهندي وشرق الهند والهند الصينية والصين وغيرها من الأماكن التي لم يصلها غزو دول المسلمين قط.

وهذا يعني أن السيف لم يكن أكثر أهمية من القناعات الجميلة للمسلمين الذين اعتنقوا الديانة الإسلامية عن وعي ومحبة حقيقية بدلاً من الحقد الدفين والخوف والرهبة وصورة الجرائم البشعة من السلب والاغتصاب والقتل مما زرع لنا أعداء ثقافيين من الداخل يخربون بإسلامنا.

رغم أن الفتوحات شملت ثلاثة أرباع المعمورة سابقًا ولكن لم تتحقق النسبة الأكبر منهم من مجموع السكان المسلمين، بل كان الأكثر ممن امن بالقناعة، وهذه ظاهرة يجب أن تدرس ويعاد التفكير فيها.

نأتي الآن إلى مسألة البدع:

هذه المسألة معقدة جدا وتحتاج إلى توثيق كبير..

الإنحراف الأساسي في بداية الإسلام كان سياسيًا مع استعمال الدين كغطاء وعملية مداراة، فهو انحراف عملي، وهذا ما قامت به قريش وحزبها.

لكن لم يكن عند العرب غير المخالفات نتيجة الأهواء والمصالح الشخصية ونبذ الحق وطرد الاستحقاق، وبعد حكم معاوية ظهرت ثلاثة أفكار خطيرة:

الأولى: نظرية عبد الله بن عمر في الوالي وهي قوله (نصلي خلف من غلب) وهي تعطي الشرعية الدينية لمن تغلب على المسلمين مهما كان فاجرًا جائرًا وقد أسس لولاية الجور فقهيًا وعقائديًا.

والثانية: نظرية الجبر وهي إما من أصل يهودي أو فارسي والثاني أقرب.

والثالثة: مسألة رفض العلاقة بين العقل والدين، التي أفرزت الحركة الإعتزالية (الاهتمام بالعقل).

فواحدة من هذه البدع الأساسية الخطيرة هي قرشية والبقية ليس كذلك والأقرب أنهما فارسيتان وإن كان هناك أقوال أخرى كالأصل النصراني أو اليهودي لهذه الشبهات.

وبعد ذلك ٩٩٪ من المخالفات الفكرية المؤصلة هي من إنتاج الدول المفككة بالغزو.

وللتوضيح: لم أنفِ ابتداء الفتن والبدع عن قريش وإنما اعتبرت التأصيل الفكري قد جاء من الأقوام الحاقدين على سالبيهم ومستبيحي نسائهم وأطفالهم، ولهذا قلت (بطرق فكرية وليست بعمل بَدَوي متوحش محض، أي بفكر استراتيجي جديد حوّل الإسلام إلى دين دنيوي خبيث) وأقصد بذلك التأصيل الفكري، وهذا بحثه طويل جدًا، لن انتهي منه بشهور من الكتابات السريعة.

وباختصار: فغير تلك النظريات الفكرية الثلاث لم يكن هناك من نظرية فقهية أو أصولية أو سياسية إلا وأصلها من تلك الأقوام، ولا أنفي أن بعض تلك الأفكار هي إثراء بشري وليس بالضرورة بدعة محرمة أو فتنة بل بعضها مضاد للفتنة وهذا يتبع إخلاص المسلم وحسن إسلامه لله.

فلو درست نظرية واحدة مثلاً وهي نظرية الرأي (القياس والاستحسان) لأبي حنيفة الكابلي الأفغاني، وخلفيتهما الفكرية ستجد أن الدين الإسلامي تحوّل إلى دين وضعي تمامًا لا علاقة له بالله خصوصًا وهي نظرية مطعمة بنظرية التصويب التي تجعل حكم الله تابعًا لظن الفقيه.

فإننا سنكون بإزاء دين جديد لا يمت للإسلام بصلة بل هو عين الخروج عن الإسلام بطريقة فنية وإسلامية.

ولو درسنا آلاف النظريات التي جاءت من ذلك الوسط الديني التابع للدولة، المحرَك من قبل أقوام مستجدين بالإسلام ويحملون ثقافات أساسية تختلف عن الإسلام.

فالمسألة تحتاج إلى تفريق دقيق بين المخالفة والمروق وتدبير المؤامرة على الإسلام وبين تأصيل تلك المخالفة وعلمنتها.

المغالطة الداخلية والخارجية

أقول لكل الموالين: يا أخوة الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اعلموا أن خير سلاح هو أن تتعلموا و تطبقوا جيّدًا العلوم العقلية فهؤلاء يأتوكم من هذا الطريق وهم يدّعون أن علومهم نصية فقط بينما كل نقاشهم مغالطات للعقول بطرق فنية مأخوذة من اليونانيين، وقد أدرك علماؤكم كل هذه الألاعيب وفصلوها فادرسوها جيدًا حتى تلاحقوهم وتكشفوا باطلهم.

..إن المغالطة لها صورتان الأولى المغالطة الداخلية والثانية المغالطة الخارجية وبما أن أغلب أهل الباطل يستعملون المغالطة الخارجية لقلة بضاعتهم ونادرًا ما يستعملون المغالطة الداخلية إلا في جانبٍ واحدٍ تقريبًا وهو الاشتراك اللفظي، وهذا إذا كان بسيطًا فهو مكشوف لمن له سليقة وطبع سليم، فما هي المغالطة الداخلية؟ وما هي المغالطة الخارجية؟

المغالطة الداخلية وتسمى الذاتية أو متن التبكيت: وهي التركيب أو التلاعب في القضايا التي تستدعي بذاتها المغالطة والغلط.

المغالطة الخارجية وتسمى المغالطة بالعَرَض وهي أمر خارج القضايا المبحوثة مثل الشغب والسيطرة على الحوار بالأساليب الرخيصة وما شابه ذلك من الأساليب التي لا علاقة لها بالمبحث المطلوب. وهذا هو أغلب ما يمارسه الوهابيون، فتراهم يثيرون الشغب والمشاكل حتى تضيع الطاسة ولا يعرف ما هو الموضوع، فإذا كان مكان الحوار

لهم سيطروا على الحوار وأثاروا الهرج والمرج وطردوا من طردوا وأبقوا من يعتقدون أنه ضعيف يمكن السيطرة عليه، وقلبوا موضوع الحوار وأخذوا برمي التهم والتهريج وتلفيق الأكاذيب بسيل طويل عريض من الجهلات والأكاذيب في قراءة النصوص أو اعتبارها أو قيمتها وقد يعمدون إلى السخرية والتسخيف والنقاش على معايير أهل الشوارع فهم حين يناقشون موضوعا فقهيًا يقولون هذا اعتقاد الشيعة والفرق بين الفقه والمعتقد لا يجهله إلا أولاد الشوارع.

وحين يبحثون موضوعًا فقهيًا معينًا يثيرون الغرائز والحميات الجاهلية فإذا بحثوا موضوع المتعة يتحول عندهم إلى الأفكار الجنسية مع كون أحد وجوه البحث في زواج المتعة هو: هل هذا الزواج منسوخ كما يدعي اتباع الداعية إلى نار جهنم معاوية بن أبي سفيان أم هو غير منسوخ؟ وإنما هو زواج باق على شرعيته كما يقول أهل البيت عليهم السلام، فقد رأينا حتى مشايخهم الكبار يحولون الموضوع إلى حركات جنسية من أجل إثارة الشباب وتهييجهم وتدمير بنيتهم الفكرية (فيطلبون النساء ليتمتعوا بها)، وقد يصدر عنوان البحث في المتعة بعنوان: (المتعة زنا) بدون خجل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن الصحابة المنتجبين الذين تمتعوا وكذا التابعين وأهل البيت القائلين بالحلية، فمن هو الزاني والداعي إلى الزنا؟

فالجماعة لا يناقشون أصل المطالب وإنما يثيرون قضايا لا علاقة لها بالمطلب ويركبون قصصًا وأضاحيك لتسكيت الخصم.

ولهذا تراهم يخرسون صوت الحق ويقلبون الحقيقة بالأكاذيب والفجور، فهذا كله من المغالطات الخارجية التي لا علاقة لها بالموضوع. ولهذا فإنني أنصح أي محاور لهؤلاء أن يتأكد بعدم حصول مغالطات خارجية حتى يمكن أن يحترم في الحوار لا أن يدخل في حوار مع الدجالين في مكان يستطيعون فيه السيطرة وإثارة الشغب والمغالطات الخارجية ويظهروا أنفسهم منتصرين، ولو انتصر الشيطان على الأنبياء لانتصر هؤلاء على حق أهل البيت عليهم السلام.

.. ثم إن بعض المغالطات الداخلية ممتعة في التلاعب بالألفاظ والمعاني وهذا يدل على حركة عقلية وتحريك عقلي للملقى عليهم أيضًا، ولكن مهما قلنا بالاحترام لعدم استعمال المغالطات الخارجية وبالاستمتاع بمغالطاته الداخلية وتحريك العقل، فإنه لا يعدو عن كونه مغالطة لا توصل إلى حقيقة ولا تقر حقًا، ولا تكون حجة أمام العقلاء وأمام الله، وكل ما يراه القارئ مما يستغربه مني إنما هو معالجة للمغالطات الخارجية والداخلية التي أراها في الموضوع، والفن يقتضي هذا المسلك لأن علاج المغالطات له منهج عملي ينبغي سلوكه وأهمه طريقة الكشف والتأشير الضروري. ومعالجة المغالطات يختلف تماما عن إقامة البرهان او الجدل.

... إن الشيعة لا ينهزمون بعمليات الشغب، وإنما يستثمرون ذلك لكشف مستوى من يحاورهم، وهم يفوزون دائمًا بهذا الكشف حتى أن عقلاء أبنائنا من أهل السنة يرتدعون عن التسنن لمجرد رؤية هذه الحركات وهذا الرخص في التعاطي.

وبعضهم يقرأ كثيرًا ويعرف أن هذه الألاعيب لا يمكنها أن تزعزع شيئا بل هي تزعزع أبناء التسنن لينتبهوا للحق، فأراد أن يأتي بطريقة جديدة لعلها تنفع وهي إثارة مغالطات داخلية يعتقدها خفيّة ومتينة يصعب على المثقفين كشفها، والحقيقة أنه لو اختار مجلسًا ليس فيه خبراء لكان ما أراد ميسورا إلى حد متصور، ولكنه اختار مكانًا مزدحما بمن درس علم المنطق ودرس الصناعات الخمس وعرف الفرق بين هذه الصناعات، وخصوصًا الفرق بين البرهان والمغالطة، على أن أبناء الشيعة مدربون على تمييز المغالطات فحتى غير المتخصصين يعرفون التفريق بين الدليل والمغالطة.

والمغالطة الداخلية التي اختارها في الحقيقة تعتمد غالبًا على اللعب بما قبل تشكيل القياس، فهو يعتمد على قلب الموضوع أو المحمول أو الكذب في بداية تشكيل القياس المركب والاستمرار بالشكل الصحيح ظاهرًا من أجل إظهار الإلتزام بالمسلك، فهو حين يغيّر معنى العصمة أو معنى الإمامة أو معنى الهدى ويبني على هذه التغيرات قياسات منطقية تكون النتيجة أبعد ما تكون عن نتيجة من يقولها بلا تغيير حسب العادة، ولكننا رددنا عليه حتى مع تغيير حدود المواضيع من ناحية منطقية، وبيّنا أن الإلتزام الجدلي بما يقول لا يعطيه النتيجة التي يريدها، وإنما يكشف له عن صحة ما نريد.

وهنا قضية أخرى قديمة جدًا استخدمها أهل الباطل وهي الكذب في بداية تكوين الشكل والبناء عليه بقياسات مركبة ومعقدة فيتيه السامع، وهذا للأسف قد استعمله الأستاذ وقد أشرنا له أنه لا ينبغي له أن يأتي بالقضايا الكاذبة ليكوّن منها دليلاً لأننا

سنضطر لبيانها، ولكنه كرر ذلك، ومن هذه البدايات المقدمة الكاذبة، استعماله لأحاديث ادعى أنها معارضة لنص حديث الثقلين وهي بنفس القوة وبنفس الاتجاه، وعلميًا ينبغي إعمال طرق المعالجة بالجمع أوّلاً أو الطرح ثانيًا إذا لم يمكن الجمع، وهكذا يبدو عليه القيام بالجمع العرفي، فنتج عنده: (كما يصح حديث الثقلين في التمسك بأهل البيت يصح التمسك بغيرهم للجميع بين النصوص)، ولكن نسي أن فيما طرحه مشاكل كثيرة قبل الوصول لحالة الجمع، وأنه قد طوى الدليل واختزل المعالجة من دون تثبت في مفاصل مهمة من البحث.

عصمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والتلّقي عنه

إن واحدة من أهم قضايا الخلاف بين المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو موضوع العصمة وسعة التلقي من النبي صلى اللّه عليه وآله، وقد طفحت هذه القضية في صور شتى، وكانت محور كل الخلافات الجانبية في شخصية الرسول، ولو أردنا أن نحصر الكلام في لوازم ذلك فسنقول إن أهم لازم عند الصحابة كان يدور حول هذا السؤال: (هل يؤخذ جميع ما يقوله النبي؟ أم أنه بشر يخطئ ويصيب فنأخذ منه ما نراه صائبًا؟)

وقد سرت بين الصحابة ثورة ضد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم حين طالب بغزو الروم في قضية غزوة تبوك واتهمه الكثير من الصحابة بالجنون والخيال وعدم الواقعية، وكان علي عليه السلام يصيح في الأسواق (وما ينطق عن الهوى) فكل هذا لم يكن بدون مناسبة وليس عملاً جنونيًا يقوم به علي بن أبي طالب بلا مناسبة.

وقد كانت هناك رشحات كثيرة تبين معالم هذا الخلاف في زمن الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم منها مثلاً اعتقاد السيدة عائشة بأن الرسول يؤلف القرآن على هواه، فقالت له متهمة إياه بتهمة باطنية (ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك) وتقصد بذلك الإشارة إلى التوافق بين ما يريده الرسول وبين النصوص القرآنية، وهو تهمة وطعن واضح.

ولكن أوضح ما ورد في هذه المسألة اعتراف عبد الله بن عمرو بن العاص بأن الصحابة كانوا ينهونه عن كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معللين ذلك بأنه بشر يغضب ويخطئ فلا ينبغي كتابة كل أقواله وحركاته، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قولهم فأمره بكتابة كل أقواله وحركاته للرد عليهم، وأن كلامه معصوم لا يخرج منه الباطل.

هذه الحادثة الموثقة تعتبر دليلاً هامًا على وجود هذا الاتجاه في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد ذلك تبين أن أصحاب هذا الاتجاه هم من استلم زمام السلطة ونفذوا نظريتهم فرفضوا تدوين حديث الرسول وقالوا بأنه بشر يغضب ويخطئ. بينما كان الفريق الآخر وهم فريق من يؤمن بعصمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لا ينطق عن الهوى وهم فريق علي وشيعته كانوا يدونون الكتب ويخفونها عن أعين السلطة لئلاّ تتلفها.

ولكن بنفس الوقت فقد حصل تحديث كاذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأول حديث كذب هو زيادة (ما تركنا صدقة) وهي كذبة لم يستطيعوا هم تصديقها فقد ورثوا زوجاته وورث من زوجته بينما بنيت عليها قاعدة فقهية عندهم أن الأنبياء لا يرثون ولا يورثون خلاف القرآن الكريم وقد زادوا فيما بعد الكذبة كذبات حتى ادعوا بأن عليًّا اعترف بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك وأن فاطمة اعترفت وسكتت حين سمعت ذلك، كانت هذه أول كذبة سياسية مرصودة وتوالت بعدها

الأعمال الكبيرة من الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن رفض سيرته وتعلمياته، وكانت أكبر فضيحة كاشفة لحجم افتعالهم الكذب هو عمل عبد الله بن الزبير حين وصلت عائشة إلى (الحوأب) فقالت أرجعوني لما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد بشرها بالخسران المبين، فقام المؤمن المجاهد (!) عبد الله بن الزبير مع مروان بن الحكم ومجموعته بتدبير (قسّامة) وهم أربعون شاهدًا مزورًا يشهدون أن هذه الأرض ليست الحوأب، وقد كانت شهادة زور مدبرة، وكانت جزءًا طبيعيًا من طبيعة تفكير ذلك الفريق الذي يستسهل الكذب والتزوير على رسول الله بينما يمنع الحديث الصادق الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد اخترعت كل الطرق الغريبة ما عدا الأخذ من علي والحسن والحسين.

فقد اخترعوا الاجتهاد مقابل النص الصريح، واخترعوا منع الحديث عن رسول الله وإنما العمل بفهم الرجل من الكتاب ومما يتذكره من فعل الرسول كما يدعيه هو واخترعوا نظرية القرآنيين، واخترعوا محاربة الكتب وحرقها حتى أحرقوا مكتبات الأمم المتعلمة وأحرقوا العلوم (يبدو أنها كانت مضرة بالصحة) ولا زلنا لحد هذا اليوم تحرق كتبنا، فقد رأينا بأم اعيينا في سنة ١٤١٠ هـ كيف أن جيش أهل السنة الصداميين في العراق أوّل ما دخلوا كربلاء والنجف قاموا بإحراق الكتب والمخطوطات بكميات هائلة، وبشهية في الحرق لا مثيل لها وكذا فعلوا حين سقط صدام فقد أحرق كل الكتب والوثائق، وقد رأينا هذا في كل الفتن التي عملوها على مر التاريخ.

واخترعوا حرق المصاحف وإلزام الناس بمصحف الدولة (هذا الأمر لم يكن عليه كثير اعتراض ولكنه يبقى عملاً غريبًا لأنه تهمة جاهزة بأن كل مصاحف الناس محرفة يجب حرقها)، واخترعوا ..، واخترعوا ..، ثم قتلوا الناس بحجة الاختراع والبدعة.

عجيب أيبتدعوا البدع ثم يقتلون الناس بحجة البدعة؟

هذا هو الواقع.

هذا لا يهمنا الآن .. ولكن نريد أن نفهم كيف بدأ علم الحديث عند من يحرّم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

إن مجموعة علي بن أبي طالب استمرت في مدارسة العلم وفي الكتابة، فانتشرت بين المسلمين كقوة علمية فارضة لنفسها. مقابل القوة العسكرية التي يقودها العسكريون الزناة العادرون المعروفون الذين لم يظهر منهم إلا الفظاظة، فكانت الكتب تؤلف والأحاديث تحدث من قبل أفراد يؤمنون بالله ورسوله رغم حظر السلطة وقد انتشر اسم هؤلاء المحدثون الواعظون كالمقداد وعمار وأبي ذر وجابر وسلمان وغيرهم من أنصار علي.

ثم حين آلت الأمور إلى الداعية إلى نار جهنم معاوية قرر القيام باحتواء مزدوج للحديث، فهو يمنع الحديث عن علي وأهل بيته ويمنع ذكرهم والإشادة بهم كبيت الرسول، وأطلق العنان لكل من يريد أن يكذب ويحدث عن الرسول وأطلق العنان حتى

للكذب على نفس الكذابين، وهكذا جمع حول مائدته مجموعة غريبة ممن تسلقوا على الصحابة من أهل (الصفة) فقد أصبح أهل الصفة أهم بكثير من رواد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان بينهم من وصفه الإمام علي بن أبي طالب بأنه (أكذب خلق الله على رسول الله)، وهكذا جمع معاوية كل من يكره محمد وعلي ويكذب عليهما حتى أنه أغرى بعض ضعاف النفوس من بني هاشم أنفسهم بالمال والسلطة الزائفة ليجعلهم رأس حربة ضد علي والعترة الطاهرة.

فبدأت في عهد معاوية تتشكل أولى المدارس الفكرية المناصرة للسلطة على أساس فكري وقد ضم إليها خبرات أبناء الخلفاء السابقين أمثال عبيد الله وزيد ابني عمر بن الخطاب، الذين قتلا على يد علي بن ابي طالب وهما يدافعان عن معاوية وكذلك عبد الله بن عمر حيث يكرمه ويستدعيه ويهينه ويهين أبيه أيضًا على شكل دوري وذلك من أجل أن يبقى الباطل كما هو فاخترع له العبقري عبد الله بن عمر نظرية (نصلي خلف من غلب)، وكذا استمال عائشة وحزبها بالمال والتكريم والدفع باتجاه العداء لعلي، واستمال جميع مجموعة عثمان لأنهم أبناء عمومة معاوية.

وهذا يعني أنه كون مجموعة عمل مناهضة لعلي من نفس الفريق المشكك في عصمة رسول الله وفي أنه يغضب ويسارع الله إلى هواه.

وفي هذه الفترة بدأت الحلقات البسيطة للحديث عند رواد السلطة ولكن كان ضابطها العام هو البراءة من علي ومن الحديث عنه ومن الاتصال به، بينما كانت متقدمة عند

جماعة علي وكان أبرز المحدثين هم من المجاميع العلوية، في الكوفة والبصرة والمدينة ومكة.

وجاء بعدها فترة عبد الملك بن مروان، حيث كلف الحجاج بمحاربة شيعة علي في الحجاز والعراق، وهنا اخترع الحجاج علم الرجال (لطرد كل من يشيد بعلي وبأهل البيت)، وهو علم مخابراتي القصد منه متابعة وإبعاد أي شخص معجب بعلي أو يروي عنه، فكلف لهذه المهمة عامر الشعبي وأمثاله، وهو رجل من عشيرة موالية لأمير المؤمنين ومن أهل الكوفة ولكنه يكره عليًا بشكل غير طبيعي، فهو خير من يعرف أسرار مجموعة أهل البيت ومواليهم، فكانت له عجائب في التحقيقات والأمر بترك العلماء والمتدينين من أجل تمسكهم بعلي بن أبي طالب.

ثم حين سقطت الدولة الأموية وجاءت الدولة العباسية، وقد كانت مبنية أساسًا على فكر الخارج عن أهله عبد الله بن محمد بن الحنفية، حيث كان هذا الرجل يكره جده عليًا ويتهمه بأنه ليس معصومًا (لعلَّه لنقص نفسي يشعر به حيث لم يكن والده مكرمًا عند أبيه وعمومته لضعف في شخصيته ولكونه ليس ابن بنت رسول الله) ولهذا كان أبو هاشم (عبد الله بن محمد) يكره الحسين بشكل خاص ويكره أبناءه وقد تاجر بمقتل الحسين وتحالف مع المختار وأسس المذهب الكيساني، واستطاع أن يستدرج أبناء الحسن وبعد ذلك استدرجت حركته أبناء زيد بواسطة أبناء الحسن وكونوا المذهب الزيدي، ودعوا إلى الثورة وأخذ الحكم من بني أمية فقامت الحركة العباسية

المنادية بإمامة محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى، ولكن كما قلنا فإن العباسيين غدروا سادتهم وأئمتهم وذبحوهم وفعلوا كما أخبر الإمام الصادق عليه السلام بغدرهم ومآل الحكم إليهم وليس إلى أبناء عبد الله المحض الذي اغتاض من نصيحة الإمام الصادق فقال له (أخذك الحسد) فتبين من هو على حق ومن هو على باطل بعد ما ذبحهم خادمهم المنصور جميعًا، وهنا بدأ عصر جديد للتلقي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

العهد الجديد غريب بكل معنى الكلمة، إنه عهد اختلاط وامتزاج بين الماء والزيت وبين الأمويين والهاشميين العباسيين ولكن ضد العترة الطاهرة.

لقد أحدثت الدولة الأموية في أواخر عهدها انفجارًا في عدد الأحاديث فقد كانت دكاكين حمص مزدهرة بالحديث الكاذب وبلغت الأحاديث بالملايين، فجاء هؤلاء العباسيون ذوي التوجه الفكري الشيعي العام والذين يؤمنون بالقوة وبمبدأ السيف الذي يوافق دين بني أمية، فحدث مزج وخلط، ولكنهم اضطروا لأن يخففوا من حجم المكذوبات ومن حجم الخروج عن الإسلام نتيجة توسع عمليات الكذب، فقد كانت الأحاديث قد رسمت صورة للإسلام أعجب من الخيال فحتى أشد النواصب كان يستنكف منها، فقد وقع إسفاف يرويه أهل السير والطرافة يصعب تصديقه رغم وقوعه فعلاً حيث كانت الأحاديث موردًا للدعاية للسلع التجارية كما نقل عن موضوع البصل الأحمر وبصل عكا، وخلال هذه المسيرة فقد اشتهر أن بعض الرواة عن رسول الله من

الخط الأموي كأبي هريرة حيث أنهم في الفترة العباسية أخذوا من أحاديثه أقل من ٢ بالألف فقد أخذوا بحدود ألف حديث من أصل ستمائة ألف حديث رويت عنه في الشام، وقد أخرج البخاري أقل من ثلاثة آلاف حديث بحذف المتكرر من أصل ستمائة ألف حديث توفرت بين يديه.

وهذا يعني أن ماكنة الفرز كانت هائلة في زمن بني العباس، ولكن المشكلة أن بني العباس أيضًا وضعوا شرطاً لكل الحديث والفقه والدين هو استبعاد أهل البيت المعصومين وخلط الأوراق واعتبار بني العباس من أهل البيت بل هم الحقيقة والطريقة، وقد توجه الكتّاب في زمنهم إلى اتجاهين الأول هو قلب الأسانيد لصالح رواة من الخط الأموي، والثاني هو الكذب على لسان عبد الله بن عباس حتى أصبح من أهم رموز الدين والعلم والتفسير بينما هو أقل بكثير من أن يذكر لأنه ضعيف الشخصية.

وكلا الإتجاهين كان لضرورة ملحة في زمنهم.

فأما الاتجاه لقلب الأسانيد فقد كان ضرورة لأخذ الدين المعقول من آل الرسول وقلب الأسانيد بدل أن تكون عنهم فأصبحت باسم أبي هريرة وعبد الله بن عباس وعائشة وغيرهم.

وأما الاتجاه الثاني فهو ضرورة لإثبات أصالتهم في الإسلام وللتستر على ضعف أبيهم العباس في دينه وفي نفسه حيث كان محبًّا للمال والجاه وقد أصدر رسول الله إشارات في حقه تكشف هويته وأما أبوهم عبد الله بن عباس فقد كان رخيصًا ومن رخصه أنه

خان المسلمين وخان ابن عمه عليًّا فسرق أموال المسلمين في البصرة وهرب وترك وراءه زياد ابن أبيه ليحكم بين الناس وقد مكنه من رقاب المسلمين، وأما أخيه عبيد الله الذي كان واليًا في اليمن وقد ذبح بسر بن أرطاة ولديه أمام أمهما التي جنت عليهما فقد استهوته أموال معاوية فالتحق ليلاً بمعاوية وترك الإمام الحسن عليه السلام بلا قائد جيش وكل هذا بوعده بمليون درهم.

فأسرة هذا تاريخها تحتاج إلى تلميع وتحسين الصورة، وقد أصبح بيدها المال والرجال والقوة، فلهذا نسبوا كل غث وسمين لعبد الله بن عباس بقلب الأسانيد واختراع الأسانيد.

وقد بيّنا أن القاسم المشترك بين الأمويين والعباسيين هو رفض أفكار وتوجهات أهل البيت، وقد اضطروا أن يخفوا أمام الناس بادعائهم أنهم يوافقون أهل البيت في مسائل كثيرة، وأخذوا يكذبون عليهم ويلفقون الأحاديث، فمثلاً اكتشف المنهج العباسي أن تحريم المتعة ليس منسوبًا لعمر وإنما للرسول ولعلي بن أبي طالب فرووا عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذبة طريفة بتحريم المتعة ولحوم الحمر الأهلية، بينما الثابت عند المسلمين أن لحم الحمر الأهلية مكروه وليس محرمًا لأن إفناءها بالأكل يضر بالمجتمع الإسلامي باعتبارها وسيلة النقل والجهاد، وهذا يكشف طبيعة الكذبة حين يخلط الأمر بهذا الشكل، فقد كانت كذبة نسبة تحريم المتعة على الأغلب عباسية بامتياز وقد زوروا

الأسانيد أو قلبوها، بدليل أنها أحاديث مضطربة غير سليمة وقد اضطر بعض كتبة المسانيد إلى القول بأنها أحلت ثم حرمت ثم أحلت ثم حرمت ست مرات، فهذا هو الاستهانة الحقيقية بالدين الإسلامي.

مصادر الفقه عند المخالفين

من يقرأ تاريخ الإسلام ونشوء المدارس الفقهية والفكرية فيه يجزم جزمًا قاطعًا أن الخلاف هو حول تكذيب طرق التلقي وتحديدها فعلي وشيعته يكذبون صراحة بعض الصحابة وتابعيهم من الكذابين الذين كذبوا على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله، كما يكذبون الرأي المبني على تحريف الكلمات الذين وصفهم اللّه في كتابه الكريم: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (البقرة/٧٥). وقال تعالى فيمن عاصر الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم من اليهود وأتباعهم من المنافقين: {مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} (النساء/٤٦).

ثم إن كتب الفقه والعقائد عند من يسمي انفسهم أهل السنة (سنة معاوية) أمامنا أغلبها مأخوذ عن غير رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وبدون حجة شرعية، فهو إما أقوال صحابة مشكوك في تدينهم أو مشكوك في فهمهم وقدرتهم على فهم الدين فهذا من اتهمه أبوه بأنه لا يجيد أبسط مسألة في الفقه وهي الطلاق وشروطه وهو عبد اللّه بن عمر، هو أهم مشرّع يبني على قوله الشرائع في الفقه السني بل العقائد، وقد تجد في الفقه السني عجائب غرائب مثلاً حكم التكفير (التكتف) في الصلاة مبني على قول

أعرابي لا يُعرف من هو؟ يقول دخلت صباحًا في جو بارد فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي صلاة الصبح وقد ضم يديه بعباءته.

فلا الراوي يمكن أن يكون مصدرًا للرواية كما هو التحقيق، والاعتماد عليه هو اعتماد على غير الرسول! أ يعتمد على أعرابي مجهول ويترك علي بن أبي طالب الذي رفض هذا؟

ولا الفعل وظرفه كان دالاً على حكم إلزامي أو ترخيصي لفعل مغير لصورة الصلاة، فلعله صلى الله عليه وآله وسلم للحظة برد شديد لف عباءته بحركة مفردة جائزة، وهو من الحركات غير المخلة بصورة الصلاة المسموح بها فرآها الأعرابي مارًا أمامه ثم أسبل يديه. فكيف يبنى على هذا حكم ويكون العلامة الفارقة عند بعض المذاهب؟ بينما هو حكم ثبت أنه من مبتدعات الخليفة عمر وليس له علاقة برسول الله أصلاً.

وهكذا صلاة التراويح التي هي صلاة باطلة لأنه لا جماعة في النافلة بنص صريح، فخالف عمر النص ببدعة سمّاها البدعة الحسنة وهذه بدعة مركبة. فأصبح الفقه السني يتبع هذه المخالفة الصريحة، وكذا حكم المتعتين اللتين نهى عنهما عمر ثم لفقوا أكاذيب مكشوفة بأن النهي من النبي ومن علي وغير ذلك من أكاذيب مكشوفة لم يسلم بها المسلمون الحقيقيون، وكذا حكم السجود على الحرير والصوف فهو من عمل معاوية وليس له أي علاقة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما لأن الجبابرة المترفين يأنفون أن يمرغوا جباههم بالتراب تذللاً لله فاخترعوا حكمًا لتحليل السجود

على الأقمشة الناعمة والسجاد الفاخر . وكذا كان الحجاج يأنف من دخول الفلاحين إلى المسجد الذي هو فيه فأمرهم بغسل الرجلين في الوضوء، ثم نسب أتباعه ذلك لعثمان كذبًا على عثمان نفسه ولو ثبت فإنما هو موقوف على صحابي قتله المسلمون مكفرين له ودفنوه في حش كوكب (مقبرة اليهود) بلا صلاة عليه، لاعتقادتهم بردته وخروجه الكلي عن الاسلام بدليل عدم الصلاة عليه، فكيف يكون هو من يحدد تعاليم الله؟ والقائمة تطول بحيث تشمل أبسط البديهيات في الفقه إلى أعظمها خطرًا، فهذا الفقه السني أغلبه لا يشترط النية في العبادات، وابن تيمية يرى قتل من يجهر بالنية في صلاته، فإذا كان بانيًا على بطلان الصلاة للجهر بالنية لأنه خلاف معنى النية وهذا المعنى مما يقول به أهل البيت عليهم السلام، فإن حكمه بالقتل باطل قطعًا وهو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان غاية ما يدل عليه الحكم هو البطلان فمن أين أتانا بحكم القتل؟ فأنت ترى التذبذب بين عدم اشتراط النية وبين حكم الكفر لمن يجهر بها؟

وهكذا الأمر في تفاصيل العبادات وفي تفاصيل المعاملات وفي تفاصيل الحدود والديات فكلها أمور لم تؤخذ عن الرسول صلى الله عليه آله أصلاً وإنما هي موقوفة على صحابةٍ أو تابعين أو على أصحاب المذهب أنفسهم، وقولهم واجتهادهم، فكيف نرقع هذه الفتق القائل بأن المذهب السني هو عبارة عن الأخذ عن الرسول بينما لا علاقة له به إطلاقًا وما يذكر من الأخذ فهو اما للمجاملة أو لأن القضية غير مهمة وليست داخلة في المصالح، فلا يضر الأخذ بقول الرسول فيها، وبشرط أن يكون عن طريق من

يريدون، وأما إذا كانت القضية لا تعنيهم مطلقًا فيمكن الأخذ حتى من أعدائهم أمثال أهل البيت المتروكين كعلي وفاطمة والحسن والحسين والباقر والصادق عليهم السلام.

وفي بعض الأحيان يذكرون رأي أهل البيت ويتركونه عمدًا، فقد ذكروا آراءً في حد القطع فقالوا في أربعة دنانير وقالوا في دينار وقالوا في ربع دينار ونقلوا عن الباقر أنه في ثلث دينار ونقلوا عن عمر أنه في خمس دينار فإذا كان الحديث عن الرسول هو القطع في ربع دينار فصاعدًا فمن أين أتت هذه الأقوال العجيبة؟ فهم ذكروا قول العترة ولم يعتمدوه، رغم أنه قول غير صحيح وملفق عليهم بالدليل الثابت لأننا نرى القطع في ربع دينار فصاعدًا وهذا هو قول الباقر والصادق وجميع العترة وهو قول رسول الله عليهم السلام.

ثم إننا لو درسنا مصادر التشريع عند أهل السنة لوجدنا شيئا عجيبًا ..، ومن أجل إعطاء صورة للمقارنة أبيِّن أولاً مصادر التشريع عند الشيعة الإمامية ثم أعرج إلى مصادر التشريع عند أهل السنة.

مصادر التشريع عند الشيعة الإمامية أربعة اثنان متفق عليهما وعلى حدودهما، واثنان مختلف في حدودهما، المتفق عليهما:

القرآن والسنة.

والمختلف في حدودهما:

الإجماع والعقل.

والمتفق عليه عند جميع الشيعة في الأخيرين هو أن الإجماع إذا كان كاشفًا عن توجيه المعصوم مثل فعل الشيعة فعلاً في أيام المعصوم مؤكد الحدوث وكان المعصوم بينهم ولم يصدر منه نهي أو توجيه فهذا يكشف عن رضاه او توجيه المسلمين له، فمرد الإجماع هو إلى الكشف عن السنة فهو جزء من السنة بطريق إلزامي وليس بالنص الصريح. وأما حكم العقل فهو فيما لا يمكن للعقل البشري أن ينفي إلزامه، وهذا متفق عليه بين جميع الشيعة، ولكن في الحقيقة فإن هذا الأمر نادر الوقوع بدون نص من الشريعة، بل ادعى الكثير من الأعلام الأصوليين والأخباريين أنهم لم يعثروا على حكم عقلي إلزامي بدون قول من الشريعة. وعلى هذا فإن مرد جميع الأحكام إلى المصدرين الأولين حصرًا والبقية قواعد المعالجة المذكورة من الشريعة نفسها في الكتاب والسنة كالأصول العملية المقررة من الشريعة بواسطة القرآن والسنة، وهذا يعني مصدرية القرآن والعترة حصرًا، والسبب لهذا التفسير هو حديث الثقلين، وعدم معقولية سنة لرسول الله صلى الله عليه وآله تؤخذ من غير المعصومين خصوصًا مع كثرة الكذابة عليه، بشهادة الرسول وأهل بيته عليهم السلام، ولأن العلم الإجمالي بقطعية الخروج عن الحقيقة وادعاء عدم معرفة الخارج، يوجب الاقتصار على القدر المتيقن وهو الأخذ عن المعصومين وهم العترة المقررة المخصوصة بالعصمة لا كل من كان من نسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

والخلاصة أن المصادر الحقيقية للتشريع عند الشيعة هي فقط وفقط الكتاب والسنة ومعناهما الكتاب وقول العترة وهما المصدر الحصري للتشريع الإسلامي بنص حديث الثقلين وبالزاماته خصوصًا بعدم ضلال متبعهما.

نأتي الآن إلى ما يقره أهل السنة من مصادر للتشريع :

١.القرآن

٢.سنة النبي

٣.الإجماع

٤.العقل في الأخذ بحدود العبارات الشرعية (يقصدون به الانسلاخ عن اللغة والعرف في النص الديني حين لا يطلب ذلك، وادعاء أن العقل يقتضي تحديد النص بهذه الحدود التي يضعونها).

٥.سنة الشيخين

٦.سنة من قبلنا، أو ديانة من قبلنا (أي ديانة اليهود والنصارى فيما لا نص عليه من الرسول)

٧.سنة أهل المدينة

٨.قول الصحابي وعمله

٩.قول التابعي وعمله

١٠.القياس (دليل التمثيل: إثبات الحكم في جزئي لثبوته في جزئي آخر مشابه له، وهو هنا يعتمد على إدراك علة الحكم) انظر مثلاً قولهم في حكم اختلاف الورثة في قبول البيع ستجد عجبًا في اختلاف الحكم بين القياس والاستحسان في المسألة الواحدة وشواهدها كثير في الفقه السني تصل إلى مئات الأحكام.

١١.الاستحسان (الدليل الذوقي الصرف: إدراك نفس الحكم عند الله، وهو دليل ينقدح في نفس المجتهد لا تساعده العبارة عنه ولا يقدر على إبرازه وإظهاره. كما عبر الغزالي عنه) والشافعي قال ببطلان الاستحسان إذا خالف الخبر أو القياس.

١٢.المصالح المرسلة (اعتماد العلة الاجتماعية الباعثة للحكم الشرعي!)

١٣.سد الذرائع (تحريم المحللات لسد الذريعة!)

١٤.العرف (إذا كان الاعتبار تحديد المفاهيم فهو ليس مصدرًا للتشريع رغم تسميته لأنه عبارة عن مرجع لتحليل النص أو ما يتسالم عليه العقلاء من الفهم للنص والحكم وليس هو حكمًا بنفسه، ولكن هناك أحكامًا شرعية مستندها العرف فبهذا الاعتبار يعتبر تشريعاً، ولا أعرف لهذه الصورة أحكامًا معتمدة إلا قليلاً ولعلّ منها خلافهم في نجاسة الشعرات المنسوبة لرسول الله صلى الله عليه وآله فقد قالوا بنجاسة شعر الميت لأن العرف يعتبر الشعر جزءًا من الميتة فنجسوا شعر الإنسان، وبما أن شعرات رسول

الله الموجودة عند بني عثمان وغيرهم هي جزء من جسده الميت فهي نجسة، ولكن بعض الفقهاء رد هذا القول بنفي نجاسة ما لا تحله الحياة كرأي أهل البيت، وقسم قال أنه معفو عنه كدم البعوض لقلته! وبعضهم قال بطهارة جسد الرسول بدليل خاص، وعندي أنه من يقول إن الشعرات مأخوذة من الرسول بعد وفاته؟ بل لعلها أخذت من حلاقته فهي شعرات إنسان حي هذا بناء على تنجيسهم لشعر الميت (انظر المجموع لمحيي الدين النووي ج١ ص ٢٣٣)

١٥.حكم الحاكم (قالوا إذا حكم بما يخالف الكتاب والسنة وتبين له خطأه فلا ينقض حكمه وقال بعضهم إذا خالف الكتاب والسنة لا ينقض وإذا خالف الإجماع ينقض حكمه)

فهذه هي مصادر التشريع عند السنة، وقد بلغت عند بعضهم سبعة عشر مصدرًا، ومن يتمعن فيها يجد ان اغلبها لا يتصل بالكتاب والسنة وانما هي للتحايل على الكتاب والسنة بل بعضها لرد الكتاب والسنة، وقد قالوا بنسخ القرآن نفسه بقول الصحابي أو بقول أهل المدينة.

من نماذج تفكير أحمد الكاتب

.. شاهدت وقرأت حجج أحمد الكاتب اللينة، فوجدتها لا تستحق التفكير، ولكن يحاول السلفية أن يعطوها صبغة العلم والتحقيق، ويطبلون ويزمرون، غير أنها أشبه ما تكون بكلام المجانين، لأن شخصاً يقيم الأدلة على أساس ما فرض مسبقًا من النفي ويحاول نفي الدليل الصريح الصحيح بعلل واهية، بل تجاوز إلى نفي الممكنات وسلب الفضائل، فهذا شخص لا يستحق الاعتناء بأي شكل من الأشكال وما هو إلا نكرة في حد ذاته.

قد يقول بعض المتشدقين أنّ هذا حكم قاس على رجل يرى نفسه قد اجتهد بالبحث.

فأقول: بعد قراءة ما كتب، تبين أنه يجهل أبسط قواعد العلوم العقلية والنقلية، ومثل هذا لا يحق له خوض غمار البحث فهو كمن يريد أن يقود سفينة فضاء لأنه يعرف أن يسوق سيارة. فالحكم عليه غير قاس أبدًا. فجهده هو جهد الجاهل الباحث في الأمور التخصصية.

وهل أبقى من يقول بأن المعجز دليل على كذب المتصدي والمدعي أي قيمة للفكر الإنساني؟

فهل أبقى نبوات وهل أبقى ديانات؟

على كل لست في صدد مناقشة الكاتب في جزئيات طرحه المضحك، ولكن أريد أن أبيّن لكل الأخوة بأن منهج أحمد الكاتب ليس منهجًا جديدًا في نفي الأشخاص و إنما هو جزء من مهزلة مضحكة تسمى بالبحوث العلمية والموضوعية.

قد لا يعرف الأخوة بأن هناك دراسات مسيحية تقول أن المسيح نفسه أسطورة لا وجود له، بناءً على نفس المقاييس التي اعتمدها أحمد الكاتب، والفرق الوحيد أن الكنيسة لم تجد نصوصًا (خارجية) تدل على وجود المسيح غير نص في سنة تسعين من ولادته لترد على هؤلاء، بينما أحمد الكاتب بين يديه مئات بل آلاف النصوص الدالة على كذب ما يقول ونسخ ما مشِق.

فهل يستطيع أحمد الكاتب أن يثبت أن المسيح موجود فعلاً بناءً على تحقيقات أمثاله ممن يبني على نفي ما بيده وطلب المستحيل؟

فإذا كان المهدي عليه السلام يشهد بولادته أحباب أبيه وأعداؤه من رجال الشرطة والحكومة وتقصي البحث عنه لوضعه تحت الإقامة الجبرية كما كان حال أبيه وجده وأبي جده وجد جده تحت الإقامة الجبرية، وأصبح منهج أحمد الكاتب لا يؤمن بوجوده، فإن المسيح لم يشهد بوجوده أحد من أعداءه ولا من أحبابه (عدا النصوص الداخلية المتضاربة)، فكيف سيثبت وجوده.

قد يستكبر أحد هذا القول، ممن لا يدري ما يجري في الدنيا، فأقول له بأن هذا الموضوع هو مصدر بحوث كبيرة في المسيحية، ولكن الفرق أن هذه المعركة تخصصية، فلم يَرْخُص حتى منْ رَخُص من أصحاب البحوث التشكيكية من خروج البحث عن أجواء النخبة الفكرية، ولم يقم أحد منهم من الطرح على العوام لعدم جدوى هذا في حياة العوام ومن يطرح مثل هذه البحوث على العوام فهو رخيص يقوم بعمل سياسي مدفوع الثمن بشكل واضح.

المهم أن المسيح لا وجود له حسب دراسات كهنوتية مسيحية متطرفة تعتمد نفس معايير أحمد الكاتب.

فإذا كان وجود المسيح وهو رأس ديانة سماوية كاملة محل شك، فيجب إعادة أحمد الكاتب و أمثاله النظر في أصل الديانات، فننصحه أن يعمل نادلاً في في نادي ليلي لأنه أكثر نفعًا من ناحية فكرية وعملية، فلم يكذّب على نفسه ويدعي الإسلام وغير ذلك، فهذا كتاب المسلمين المعجز وهو القرآن يتكلم عن المسيح كحقيقة، والمسيح نفسه لا وجود له حسب منهج أحمد الكاتب و أمثاله من السطحيين، فالقرآن كاذب حسب بحوثه، فلا بد أن تكون كل الديانات محل شك، وكذب وغلو خلقته المصالح الاقتصادية والسلطوية وهي مؤامرات من مخابرات الدول.

وعليه فلماذا يكون مسلماً أو مسيحياً يتعب نفسه؟

أنصحه أن يكون وجوديًا ومن اتباع نوادي التعري، ومن ضباط المخابرات ليجمع الدنيا بأطرافها لأن الآخرة كذب محض ما دام المسيح غير موجود.

سيقول الأخوة لم نجد أي دليل على أن البحوث المسيحية المتطرفة السطحية تشير إلى عدم وجود المسيح فأقول: امسكوا أوراقًا وأقلامًا وانسخوا ما نسخته لكم عن كتاب قصة الحضارة لـ ويل ديورانت، الكتاب الشهير في التاريخ. وانقلوا القول بدقة وتتبعوا الكلمات كلمة كلمة.

تفضلوا واقرؤوا بإمعان وطابقوا بين المنهجين فستجدون كأن أحمد الكاتب يكتب عن المسيح وليس هؤلاء القسس المتطرفين فحسب.

وهذا يبين ما ينهجه هذا الرجل:

قصة الحضارة

الباب السادس والعشرون

الفصل الأول

عيسى أو يسوع

٤ ق.ب — ٣٠ م

هل وجد المسيح حقًا؟ أو أن قصة مؤسس المسيحية وثمرة أحزان البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من أساطير شبيهة بخرافات كريشنا واوزريس واتيس وادنيس وديونيشس ومثراس؟ لقد كان بولنجرك والملتفون حوله وهم جماعة ارتاع لأفكارهم فلتير نفسه يقولون في مجالسهم الخاصة إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق وجهر فلني Volney بهذا الشك نفسه في كتابه خرائب الإمبراطورية الذي نشره في عام ١٧٩١ ولما التقى نابليون في عام ١٨٠٨ بفيلاند Wieland العالم الألماني لم يسأله القائد الفاتح سؤالا تافها في السياسة أو الحرب بل سأله هل يؤمن بتاريخية المسيح؟

كان من أعظم ميادين نشاط العقل الإنساني في العصر الحديث وأبعدها أثرا ميدان (النقد الأعلى) للكتاب المقدس — التهجم الشديد على صحته وصدق روايته تقابله جهود قوية لإثبات صحة الأسس التاريخية للدين المسيحي وربما أدت هذه البحوث على مر الأيام إلى ثورة في التفكير لا تقل شأنًا عن الثورة التي أحدثها المسيح نفسها وقد دارت رحى أولى المعارك في هذه الحرب التي دامت مائتي عام كاملة في صمت وسكون وكان الذي أدارها هو هرمان ريمارس Hermann Reimarus أستاذ اللغات الشرقية في جامعة همبرج فقد ترك بعد وفاته في عام ١٧٦٨ مخطوطا عن حياة المسيح يشتمل على ١٤٠٠ صفحة حرص على أن لا ينشره في أثناء حياته وبعد ست سنين من ذلك الوقت نشر جتهولد لسنج Gotthold Lessing اجزاء من هذا المخطوط رغم معارضة أصدقائه في هذا النشر هتامات ولفنبتل Wolfebuttel

Fragments ويقول ريمارس إن يسوع لا يمكن أن يعد مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم بل يجب أن يفهم على أنه الشخصية النهائية الرئيسية في جماعة المتصوفة اليهود القائلين بالبعث والحساب ومعنى هذا أن المسيح لم يفكر في إيجاد دين جديد بل كان يفكر في تهيئة الناس لاستقبال دمار العالم المرتقب وليوم الحشر الذي يحاسب فيه الله الأرواح على ما قدمت من خير أو شر. وفي عام ١٧٩٦ أشار هردر الى ما بين مسيح متي ومرقس ولوقا ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها وفي عام ١٨٢٨ لخص هنريخ بولس Heinrich Paulus حياة المسيح في ١١٩٢ صفحة وعرض تفسيرا عقليا للمعجزات أي أنه آمن بوقوعها ولكنه عزاها إلى علل وقوى طبيعية ثم جاء ديفيد استروس (1835 – 1836) David Strauss في كتابه عن حياة المسيح – وهو كتاب عظيم الأثر في التاريخ — رفض ما حاوله بولس من توفيق بين المعجزات والعلل الطبيعية وقال إن ما في الأناجيل من خوارق الطبيعية يجب أن يعد من الأساطير الخرافية وإن حياة المسيح الحقيقية يجب أن تعاد كتابتها بعد أن تحذف منها هذه العناصر أيا كانت صورتها رقد أثارت مجلدات استروس الضخمة عاصفة قوية في التفكير الألماني دامت جيلا من الزمان وفي نفس العام الذي ظهر فيه كتاب استروس هاجم فرديناند كريستيان بور Ferdinand Christian Bour رسائل بولس وقال إنها كلها مدسوسة عليه عدا رسائله إلى أهل غلاطية وكورنثوس (كورنثة) وورومية (رومة) وفي عام ١٨٤٠ بدأ برونو بور Bruno Bauer سلسلة من الكتب الجدلية الحماسية يبغي بها أن يثبت أن يسوع لا يعدو أن يكون

أسطورة من الأساطير أو تجسيدا لطقس من الطقوس نشأ في القرن الثاني من مزيج من الأديان اليهودية واليونانية والرومانية وفي عام ١٨٦٣ أخرج إيرنست رينان Ernest Renan حياة يسوع الذي روع ملايين الناس باعتماده فيه على العقل وسحر لب الملايين بنثره الجزل وقد جمع رينان في هذا الكتاب نتائج النقد الألماني وعرض مشكلة الأناجيل على العالم المثقف كله وبلغت المدرسة الفلسفية صاحب البحوث الدينية ذروتها في أواخر القرن التاسع العشر على يد الأب لوازي Loisy الذي حلل نصوص العهد الجديد تحليلا بلغ من الصرامة حدا اضطرت معه الكنيسة الكاثوليثيكية إلى إصدار قرار بحرمانه هو وغيره من ((المحدثين)) وفي هذه الأثناء وصلت المدرسة الهولندية مدرسة بيرسن Pierson ونابر Naber ومتثاس Matthas بالحركة إلى أبعد حدودها إذ أنكرت بعد بحوث مضنية حقيقة المسيح التاريخية وفي ألمانيا عرض آرثر دروز Arthur Drews هذه النتيجة السالبة عرضا واضحا محددا (١٩٠٦) وفي إنجلترا أدلى و.ب. أسمث W.B. Samith و ج.م. ربرتسن J.M. Robertson بحجج من هذا النوع أنكرا فيها وجود المسيح وهكذا بدا أن الجدل الذي دام مائتي عام سينتهي إلى إفناء شخصية المسيح إفناء تاما.

وبعد فما هي الأدلة التي تثبت وجود المسيح؟ إن أقدم إشارة غير مسيحية إليه التي وردت في كتاب قدم اليهود ليوسفوس (٩٣؟م):

((وفي ذلك الوقت كان يعيش يسوع وهو رجل من رجال الدين إذا جاز أن نسميه رجلا لأنه كان يأتي بأعمال عجيبة ويعلم الناس ويتلقى الحقيقة وهو مغتبط وقد اتبعه كثيرون من اليهود وكثيرون من اليونان لقد كان هو المسيح))

الفصل الثاني

نشأة عيسى

يحدد متى ولوقا ميلاد المسيح في (الأيام التي كان فيها هيرودس ملكا على بلاد اليهود) أي قبل العام الثالث ق.م على أن لوقا يقول عن يسوع أنه كان (حوالب الثلاثين من العمر) حين عمده يوحنا في السنة الخامسة عشرة من حكم تيبيربوس ((أي في عام ٢٨–٢٩ م)) وهذا يجعل ميلاد المسيح في عام ٢–١ ق.م ويضف لوقا إلى هذا قوله: ((وفي تلك الأيام صدر مرسوم من قيصر أغسطس يقضي بأن تفرض ضريبة على العالم كله ... حين كان كويرنيوس Quirinius واليا على سوريا)) .

والمعروف أن كورونيوس كان حاكما لسوريا بين عامي ٦–١٢م ويذكر يوسفوس أنه أجرى إحصاء في بلاد اليهود ولكنه يقول إن هذا الإحصاء كان عام ٦–٧م لسنا نجد ذكرا لهذا الإحصاء إلا هذه الإشارة ويذكر ترتليان إحصاء لبلاد اليهود قام به سترنينس حاكم سوريا في عام ٨–٧ ق.م فإذا كان هذا هو الإحصاء الذي يشير إليه لوقا فإن ميلاد المسيح يجب أن يؤرخ قبل عام ٦ق.م ولسنا نعرف اليوم الذي ولد فيه بالتحديد وينقل لنا كلمنت الإسكندري (حوالي عام١٠٠٠) آراء مختلفة في هذا الموضوع

كانت منتشرة في أيامه فيقول أن بعض المؤرخين يحدده باليوم التاسع عشر من أبريل وبعضهم بالعاشر من مايو وإنه هو يحدده بالسابع عشر من نوفمبر من العام الثالث قبل الميلاد وكان المسيحيون الرقيون يختلفون بمولد المسيح في اليوم السادس من شهر يناير منذ القرن الثاني بعد الميلاد وفي عام ٣٥٤ احتفلت بعض الكنائس الغربية ومنها كنيسة روما بذكرى مولد المسيح في اليوم الخامس والعشرين من نوفمبر وكان هذا التاريخ قد عد خطأ يوم الانقلاب الشتائي الذي تبدأ الأيام بعده تطول وكان قبل هذا يحتف فيه بعيد مثراس أي مولد الشمس التي لا تقهر واستمسكت الكنائس الشرقية وقتا باليوم السادس من يناير واتهمت أخواتها الغربية بالوثنية وبعبادة الشمس ولكن لم يكد يختم القرن الرابع حتى اتخذ اليوم الخامس والعشرون من ديسمبر عيدا للميلاد في الشرق أيضا (*)

ويقول متي ولوقا إن المسيح كان في بيت لحم القائمة على بعد خمسة أميال جنوبي أورشليم ثم يقولان إن أسرته انتقلت منها إلى الناصرة في الجليل أما مرقس فلا يذكر بيت لحم ولا يذكر المسيح إلا باسم "يسوع الناصري"(*) وقد سمي بالاسم العادي المألوف "يسوع" Yeshu'a ومعناه معين يهون وحرفه اليونان إلىIesous والرومان إلى Iesus.

ويبدو أنه كان ينتسب إلى أسرة كبيرة وشاهد ذلك أن جيرانه أدهشتهم تعاليمه القوية فأخذوا يتساءلون قائلين: ((تري أنى له هذه الحكمة والقدرة على القيام بهذه

العجائب؟ أليس هو ابن النجار؟ أليست أمه تسمى مارية Mary أليس أخوته هم يعقوب ويسف وشمعون ويهوذا؟ ألا تقوم أخواته بيننا؟)) ويحدثنا لوقا عن البشرى بأسلوب أدبي بليغ وتنطق مريم — مارية - بتلك لاعتبارات البليغة وهي من أروع القصائد التي يشتمل عليها العهد الجديد.

وتأتي شخصية مريم في القصة بعد شخصية ولدها في الروعة والتأثير: فهي تربيه وتتحمل في تربيته مسرات الأمومة المؤلمة وتفخر بعمله في أيام شبابه وتدهش فيما بعد من تعاليمه ومطالبه وترغب في أن تبعده عن جموع أتباعه المثيرين وأن تعيده إلى بيته الهادئ الشافي (لقد بحثت أنا وأبوك عنك محزونين)(**)وشاهدته وهو يصلب وعجزت عن إنقاذه تلقت جسده بين ذراعيها فإذا لم يكن هذا تاريخا فهو الأدب السامي لأن صلات الآباء والأبناء تؤلف مسرحيات أعمق مما تؤلفه عاطفة الحب الجنسي أما القصص التي أذاعها سلسس Celsus وغيره فيما بعد عن مريم وجندي روماني. فالنقاد مجمعون على أنها افتراء سخيف وأقل من هذا سخفا تلك القصص التي تذكر أكثر ما تذكر في الأسفار المحذوفة عن مولد المسيح في كهف أو إسطبل وعن سجود الرعاة المجوس له وعبادتهم إياه وعن مذبحة الأبرياء والفرار إلى مصر و إن كان العقل الناضج لا يرى ضيرا في هذا الشعر الشعبي ولا يذكر بولس ويوحنا شيئا عن مولده من عذراء وأما متي ولوقا اللذان يذكرانه فيرجعان نسب يسوع إلى داود عن طريق يوسف بسلاسل أنساب متعارضة ويلوح أن الاعتقاد في مولد المسيح من عذراء قد نشأ في عصر متأخر عن الاعتقاد بأنه نسل داود

(*) الذي نعرفه أن الكنائس الشرقية لا تزال تحتفل بعيد الميلاد في اليوم السادس من يناير "المترجم"

(*) يظن الناقدون أن متي ولوقا قد اختارا بيت لحم ليقولوا بذلك الإدعاء بأن يسوع هو المسيح وأنه من نسل داود كما تتطلب ذلك النبوءة اليهودية وذلك لأن أسرة داود كانت تقيم في بيت لحم ولكننا لا نجد ما يؤيد هذا الظن(المترجم)

(**) نقلنا هذه الأقوال وما بعدها كما هي وإن خالفت بعض عقائد المسلمين والمسيحيين (المترجم)

انتهى نص كتاب قصة الحضارة

أقـــول: بدون تعليق!

ولكن يجب أن يعلم الجميع أن هناك دراسات تشكك في وجود النبي موسى عليه السلام ودراسات تنفي وجود النبي إبراهيم عليه السلام ودراسات تجعل من النبي نوح عليه السلام والنبي إدريس عليه السلام (أزريس) أسطورة خرافية .

فليس بعجيب أن يخرج لنا الكاتب و أمثاله بنفي المهدي عليه السلام كما يمكنه أن ينفي النبي محمد صلى الله عليه وآله وكل ما جرى منه، فإذا خانه ذكاءه ودجله فسيجد من يساعده على طرق نفي النبي محمد صلى الله عليه وآله أو نفي أفعاله العظيمة وتحويلها إلى قصة خرافية صنعها الغزاة العرب نتيجة توسعهم الحربي، والقضية سهلة جدًا على مقاييسهم.

إن هذا الموضوع لا يعالج (معلومة) و إنما يشير إلى (معالجة منهج تفكير واستنتاج)، والمقصود هو مسألة (منهج معالجة الإثبات والنفي)، وقد وضعت صورة لهذا المنهج تعتبر خطيرة جدًا على الفكر الإنساني حيث أن بإمكانها نفي ما هو مثبت وإثبات ما هو منفي، بأساليب (مضادة للمنطق وللعقل) باسم العقل والمنطق والدليل. وقبول مثل هذا المنهج كارثة على الفكر الإنساني من جهة ومن جهة ثانية يعتبر دليلاً على انخفاض المستوى البشري في التفكير والرجوع إلى رتبة حيوانية أقل من رتبة الإنسان، لأن مما يميّز الرقي الإنساني على باقي الكائنات ليس هو التفكير والاستنتاج بما هو استنتاج باعتبار أن الحيوان يفكر ويستنتج، ولكن الرقي هو في ضوابط التفكير وسلامته في الوصول إلى النتائج، ولو قبلت المؤسسات الراقية مثل هذا المنهج في الاستنتاج

الدوري والتشكيكي بناءً على ما لا يعتد عقلاً، لما استطاعت البشرية تحصيل معلومة دقيقة ولا استطاعوا الإبداع والعمل الإنساني الراقي، وهذا لا يحتاج إلى شرح لمن يشتغل في مجال الفكر والمنطق والفلسفة، و إنما يجهل هذا الأميون من أدعياء الثقافة.

والمطروح هو خلاصات بحوث طرحها ويل ديورانت في قصة الحضارة تشير إلى طريقة متطابقة تمامًا مع منهج أحمد الكاتب، في إثبات الحقائق التاريخية، فقد توصلت هذه البحوث إلى نفي حقيقة وجود المسيح نتيجة (عدم وجود دليل) عند أعدائه (المحايدين) وعدم قبول نقل أصحابه (غير المحايدين) ونتيجة (تضارب النصوص) في الصفة والولادة والنسب التي تسقط نفسها فتبقى القضية بلا دليل لأن الأدلة المتساقطة لا تعتبر موجودة. و بهذا التفكير يتم استنتاج أن المسيح لا وجود له.

وقد أضاف أحمد الكاتب شبهة الانتفاع بإثبات الوجود (وهو أمر اشار إليه ويل ديورانت في موقع آخر من كتابه)، وهذه الشبهة تجعل أكثر الشخصيات تأثيرًا في التأريخ إما معدوماً أو معدوم الفعل التأثيري للمصلحة في نفس الإدعاء. وهذا لا يمت إلى العلم بنسب أو سبب من قريب أو بعيد، والمصيبة فيمن لا يعرف.

فائدة ..

في إثبات المواضيع خارج الذهن في التأريخ الماضي لا مجال للحس إلا بالعثور على بعض الآثار وضم دليل عقلي إلى هذا الدليل الحسي وهو دليل عدم خلو الأثر من

مؤثر، مع إضافة أدلة الترابط بين الأثر والمؤثر سواء كانت إمارات ظنية متضافرة أو قطعية.

وهنا نعتبر أن إخبار أصدق الصادقين أحد وسائل الإثبات القطعية (وهو كاف بذاته) ولكن لا مانع من تضافر الأدلة، .. نحن نراها من زاوية الدليل نفسه لأن نص القرآن الثابت النسبة (كنقل ثقة ما بعده ثقة) بنفسه دليلاً هامًا، نعم من لا يؤمن بنسبة القرآن لا يعتبره دليل إثبات ووسيلة إخبار مسلّمة، ولكن ليس من حقه أن يفرض فرضياته على الآخرين، ومع ذلك فإن إيماننا كمسلمين بالمسيح لم يكن من القرآن بل لأن وسائل الإثبات قبل القرآن تؤكد وجود المسيح و أثره البالغ في منطقتنا العربية بحيث كان المسيح من المسلمات الوجدية نتيجة الشياع والإجماع العقلائي وهما من وسائل الإثبات المهمة بشروطها العلمية، وهذا بخلاف شخص غربي ظهرت عنده المسيحية بعد مائة عام من المسيح، فهو يشكك بما لم يثبت عنده الأثر في بلاده وفي حضارته القديمة، وهذا يمكن تشبيهه بمن يبحث عن الأهرامات في الصين. فالأثر البالغ والمدعم إنما هو في منطقتنا الناطقة بوجود المسيح في كل حجر وبناء، ويمكن أن يعرف هذا أي باحث علمي في التأريخ في فلسطين ولبنان والأردن وسورية.

التطبير والعنف الديني

.. صناعة الرعب وصلت إلى الشارع العالمي ولم تعد نخبوية، وأصبحنا في عالم تسوده ثقافة الرعب والعنف، حتى أن ألعاب الفيديو الناجحة الآن هي ألعاب عنف وقتل وتدمير بلا رحمة وتعليم القتل بدم بارد وكيفية سيلان الدم حين القتل والتدمير ببرامج تفاعلية يصل بعضها إلى مقاربة الحقيقة الذهنية.

فكل فقيه لم يلحظ هذا الواقع ويعتقد بأن ما يقوم به بضعة آلاف من أصل ٤٠٠ مليون شيعي إنما هو عنف خارج عن طبيعة المجتمعات العالمية فهو واهم، ويحتاج إلى إعادة قراءة، وقد انخدع أو انخدع مستشاروه بمقولات تصدر عن دوائر بحثية موجهة لتدمير المسلمين بالذات، وهم لا يريدون لنا التدرب على عنف ممنهج لصالح العقيدة، وإنما يريدون التدرب على عنف غير ممنهج وغير منضبط ولا يوجد له مرجعية حقيقية، وإنما يسير مع أي اشاعة أو مقولة، وقد تبين من خلال العمل الشيعي في العراق وفي لبنان بأن العنف الشيعي مسيطر عليه، بينما العنف السني والمسيحي واليهودي ينتشر في مجتمعاتهم بما لا سيطرة عليه ولا يوجد له خطوط حمراء، وكم قد انزعج الأمريكان من قوى إرهابية سنية موالية للأمريكان حين وجدوا أن العنف السني يمكن أن يسيطر عليه من الخارج، وقد تبين أن أغلب خلايا العنف السني والبعثي في العراق وأفغانستان سيطرت عليه الإدارة الإيرانية ووجهتها عكس المطلوب بذكاء رائع وكان هو أحد أهم أسباب الهزيمة السياسية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وهذه أمور

سوف لن تظهر إلا بعد عشرات السنين ولهذا لا أمتلك عليه دليلاً ماديًا وحتى لو كنت أمتلك فليس هو محل الكلام ولا هو مجال الحديث. وكل ما أريد قوله أن الذكاء غير محصور بهم وأنهم اعتقدوا بأنهم الأذكى والأقوى وخلقوا هذه المجموعات ولكن هناك من يقف في وجوههم بذكاء وفلّت من أيديهم هذه المجموعات المدربة، ويحاولون الآن اعادة تكوينها في ليبيا بعيدًا عن المنطقة، ولكنهم سيفشلون أيضًا وستكون الدفة بيد غيرهم كما أتخيل والله أعلم.

فمن يتصور أن العنف والتطبير يشكل مشكلة فكرية أو ثقافية فهو واهم بل عدمه الآن يشكل أكبر كارثة وخروج عن العصر، ونحن من نظرة اجتماعية علينا أن نركب سفينة التغيير نحو ما يريدون بما نريد نحن، وهذا يحتاج إلى ذكاء وعلم ومعرفة دقيقة وحسن ملاحظات ومقايسات معرفية قليلة الخطأ.

طبعا أتوقع أن يقول البعض بأن هذا الكلام قد ينبز بالعالم الفلاني والقائد الفلتاني فإني أطمئن جميع الأخوة، وأقول لهم أن هؤلاء أنفسهم الآن يرعون ما هو أهم من هذا العنف بل نفس هذا العنف ينتشر بواسطتهم في بلدان غير بلدانهم وبدعم منهم بالمال والسيوف والقامات والزناجيل بكميات مليونية، ومن لا يدري فليبق لا يدري، فإن النوم أفضل له، فإن تلك القيادات المحترمة أذكى بكثير مما يعتقد بعض الأخوة الذين يعتقدون بعدم مرونة قياداتهم وذكاءها ويتصورونهم جامدين على النص الديني.

والخلاصة، فإن كون ظاهرة العنف الآن عالمية ويتم بها الحرب السرية لتدمير الأديان، فإن علماء الشيعة اعتبروا ذلك مصدر خطر على الإسلام، وأن الحفاظ على جوابنا الخاص بعنفنا الخاص هو آمن لكل أبنائنا حاليًا ومستقبليًا، خصوصًا وبالمقابل فقد تم صنع عنف إسلامي غير شيعي من قبل الكفار، الهدف منه تشويه الإسلام، فإن كل مناظر التطبير لم تحرك ولم توقف شعرة واحدة من مسيرة نمو التشيع خارج العالم الشيعي ولا داخله، بينما حركات العنف السني تحت قيادة السي آي أيه كان لها أكبر الأثر في إيقاف نمو الإسلام في أوروبا، وقد حاولت المخابرات الفرنسية كشف لعبة ١١ سبتمبر ولكنهم سكتوا بعد ذلك لأسباب إخوانية. ولهذا فإن القيادات الشيعية تريد أن تقول بأن العنف الشيعي له حدود ومهام محددة، ولا يمكن السيطرة عليه من الأعداء لضيق موضوعه الآن، ولكنه واسع النتائج ومؤثر بشكل دقيق وعلى الله الإتكال، ولا تعتقدوا بأنّ هذه الشيبات في مراجعنا تحتاج إلى من يعلمها فن الصراع.

مشكلة الزيدية

بالنسبة لأخوتنا الزيدية حفظهم الله وأعانهم فمشكلتهم مشكلة حقيقية، وما حركتهم إلا حركة أبناء الحسن المثنى بعد أن امتزجوا بالكيسانية وكانوا القياديين بعد عبد الله بن محمد بن الحنفية (أبي هاشم) .. فما هم وزيد سلام ربي عليه؟ وقد ورّطونا بالحركة العباسية التي انقلبت عليهم وذبحتهم. فهم من أسسّها وقام بها لا العباسيون، وكانوا ينْوون نية سيئة لأبناء عمهم الأئمة الطاهرين عليهم السلام وانقلب عليهم الأمر، لأنهم تآمروا مع من نيتهم قتل أبناء عمومتهم وقد استأمنوا الخائن.

ونحن نعذرهم فإن الحق ثقيل، ولا بد من نفور نفوس توّاقة للزعامة وطلب الرياسة من مسلك العلم والحقيقة، والإلتزام بأوامر إلهية غير مفهومة السبب، وغير واضحة النفع، شباب يرون الوصول للسلطة لذة وقوة قد تساعد شيعتهم، ولكن المهم هو السلطة نفسها، ومفاتنها في الراحة والملذات، هكذا فهم العوام السلطةَ على أنها مكسب وليست تكليفاً لخدمة وحفظ نظام المجتمع الإسلامي.

وهؤلاء من عوام الشيعة الذين ابتلينا بهم. وفي كل زمن يظهر لنا عوام يتلبسون بلباس العلم يطلبون السلطة ويقولون نريدها لخدمة التشيع، وإذا بهم يقتلون التشيع لأنه يحد من سلطتهم وحريتهم في ابتزاز الناس. وهذه مشكلتنا مع الفاطميين في مصر.

إن الزيدية ليس لهم فكر واضح ولا تراث سليم، رغم أنهم حكموا اليمن باسم الإمامة الزيدية أكثر من ألف سنة وكان نصيب اليمن التخلف والدمار والضعف العلمي، وهذا

كما ترى فإننا نُقتل يوميًا ونُطارد مع ذلك لدينا علوم وأصول وتراث حديثي وعقائدي وكتب تعادل أكثر من نصف إنتاج المسلمين، وهم لا يملكون إلا الإشكالات الواهية والغيبة لمحبيهم والتودد لأعدائهم. ساعدهم اللّه وحرسهم من أنفسهم.

الإشكالية فيمن نحاورهم: حوارٌ عن المهدي (عج) أنموذجًا

إن من نحاورهم .. مرة لا يؤمنون أصلاً بما وراء الحس وبما وراء التفكير البسيط، وحين يحرجون يتبين أنهم يؤمنون ولكنهم لا يريدون أن يصدقوا، وحين يجبرون على التصديق لا يقبلون النتائج ولكن يقبلون خرافات الجان والسحرة وغيرها، فهم مستعدون لتصديق كل الخوارق ولكنهم على غير استعداد لتصديق ميزة لولي من أولياء الله.

وهذا في عقيدتي ليس عداءً من الخوارق ومصدرها، ولكنه تعبئة فكرية مسبقة ضد من تصيبهم نعمة الله وتتمثل فيهم هذه الخوارق، فنحن نرى بأم أعيننا عدم اعتبار خوارق الدجال والشيطان والسحرة والأولياء الفجرة من المشكلات.

ولكن نسبة أي أمر بسيط لأهل البيت عليهم السلام يعتبر غلوًا وجريمة وضحك على الذقون، وما شابه من تلك الأشباه من التهم.

فلو كانوا رفضوا الجميع، لقلنا بأن العقل الحسي مسيطر بشكل كلي، ولكنه عقل حسي ومنطق معرفي لا يعترف إلا بالظواهر العامة المكشوفة، أحادي الفكرة وأعور النظر، ويطبق فقط على من يعادون ويكرهون (محمد وآل محمد صلى الله عليهم أجمعين) .

وحين يجابههم أحد بهذه الحقيقة نراهم يتعجبون ويقولون أ نحن نكره محمدا وآل محمد؟

عجيب ! نحن أحبابهم.

ولكنهم لا يعلمون بأن الخلفية لمثل هذه الاتجاه في الرد هي الكره لمحمد وآل محمد، ولهذا فإن النتيجة إفراز ثقافتهم لهذه النتائج المنبثقة عن الكره الشديد لمحمد وآل محمد عليهم السلام من دون علم منهم في أغلب الحالات (الوهابية نموذجًا).

وليس عجيبًا أن نرى المزج عند بعض من يحاول محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، بين محبة النبي محمد وآله وبين فصلهم عن تراثهم وعدم التفكير بهذا، فلا يهمه أن يأخذ تراث النبي عن كذّاب مشهور، بينما يرفض وبكل قوة أخذ تراث النبي عن الصادق المصدق، بناءً على تصديقه كذب الطريق المفتعل، ويقبل ترهات من النقد لا تثبت بأي دليل كان.

فيقبل ترك الإمام الصادق عليه السلام بناء على ما ينسب لزرارة والهشامين رضوان الله عليهم وغيرهم مما لا يفهمونه ولا يثبت في واقعه.

فهذه سطحية وكسل في البحث العقلي الصحيح.

فهنا ينطلق عن خلفية كارهة للرسول بدون علم ومعرفة، ولو أحب الإنسان أحد لسعى إليه بما يحب، وهذا الحال في أحسن الناس حالاً عند محاورينا، أما من يعلن العداء والتلون فحدث ولا حرج.

وقد جرى معي الكثير من الحوارات، بل قل لا يمضي أسبوع إلا وأنا في حوار كبير، وعند نهاية الحوار أقول لنفسي: ما هذه المصيبة أحاور من يكذب على نفسه، ويدّعي المعرفة ثم يتبيّن أنه لا يعرف شيئًا، ومتناقض ويريد أن يصحح العلم فيوجهه إلى الخطأ.

وأخيرًا يخرج المحاور معترفًا بأنه كان مشتبهًا، وكأن أوقاتنا هدر لنحاور من هو مشتبه، بشتى الطرق ليكتشف في نفسه أنه مجرد مشتبه.

وقد يخرج مني بلا إحساس، لعظيم ما طرحه على الفكر الإسلامي، وتدميره لبنية المفاهيم الإسلامية في عقله، وكأن ما قام به مجرد نزهة تستحق الابتسام.

واكتشافه لخطئه بسيط جدًا كما يكتشف خطأه في معاملة زوجته أو أولاده وغير ذلك.

وقد حدث معي الكثير من المواقف التي ينبغي تسجيلها ولكن لكثرتها لا أستطيع تسجيلها ولعل بعضها مكرر بشكل ممل، وسأنقل قصة تكشف طبيعة التفكير لدى محاورينا الحسيين المتناقضين، (نقل معنى وليس نص الحوار لأنني نسيت الكثير منه لقدمه):

فلقد جاءني يومًا أحد الأخوة من أهل السنة المتأثرين بالسلفية مع شيعي مؤمن بسيط، وقال لي السني المتأثر بالسلفية بأن هذا الشيعي هو جاري وصديقي، وقد عجز عن إجابتي عن سؤال حول تفسيركم لمسألة الإمام المهدي عليه السلام.

وبعد أن طرح إشكالاته قلت له: قبل أن أجيب أسألك جملة أسئلة:

- هل تحاورني في الإمكان أم في الوقوع؟

- قال: كلاهما

- قلت: هل تشك في قدرة اللّه أم في المقدور؟

- قال: لا تحرجني ولكن أقول لم يثبت وقوع شيء مشابه

- قلت: هل أنت مطلع على الكون وعلى العوالم الخفية وأسرار التكوين؟

- قال: لا ولكنني أدرك بعقلي الأمور الواضحة

- قلت له: هل تدرك إسرار الكيمياء والفيزياء التي تحرك الأشياء المحسوسة لك؟

- قال: لم افهم كثيرا ما قلت، فمثّل لي.

– قلت له: أنت تعرف مثلاً أن الذرة مكونة من أجزاء صغيرة جدًا مثل الإلكترون والبروتون والنيترون وغيرها مما اكتشف أخيرًا، فهل هذه نفسها لها صفحة حسية مادية؟

– قال: لا أعلم

– قلت: إذن أنت لا تعلم أساس ما نفهمه من تكوين مادي الذي هو بحد نفسه بدء العالم المادي والذي لا نعرف بالحقيقة ممن يتكون هو؟ فمثلاً هل الإلكترون يتكون من أجزاءٍ أخرى أو هو جزء لا يتجزأ؟ فإذا كان جزءًا له أجزاء فما هي طبيعة هذه الأجزاء، وإذا كان جزءًا لا يتجزأ فكيف يمكن تصويره؟ وممن منشأه فنحن نعرف الذرة وأواصرها التي تشكل الصورة المادية، ولكن كيف نصور هذا الجزء من الذرة، وهل هو مادة أم طاقة وهل هناك علاقة حقيقية واضحة بينهما؟

– فقال: لا أدري

– فقلت له: جيد هل هذا الذي لا تدري ما هو، له تأثير في الكون؟

– قال: نعم، فكل ما أعرف من تأثير ينسب له بحسب ما درست في تعليمي المتوسط والجامعي.

– قلت: إذا كان هذا متحقق عندك وأنت تدري بتأثير ما لا تعرف، فكيف تنفي ما لا تعرف في أمور قد تكون أبسط بكثير من هذه الظواهر الغامضة، وكأنك تتكلم بما تعلم،

بل تريد أن تقول بأنك مطلع على أسرار الكون والعوالم المتوازية وتنفي من موقع الاقتدار

- قال: إنما استبعد بحسب ما يظهر لي من معرفة.

- قلت: هذه لغة جديدة، ولكن هل استبعادك عن علم أو لأنك لا تعرف

- قال: لأنني لا اعرف

- قلت: إذن هل وجود الإمام المهدي وغيبته ممكن أم لا؟ حتى نتحاور فيه

- قال: بل ممكن ولكنه خلاف العادة، ولم نر مثله قط.

- قلت له: هل كل ما تؤمن به موافق للعادة؟

- قال: نعم

- قلت له: أنت مخطئ

- قال: كيف؟ فأنا لا اعتقد إلا ما كان واضحًا

- قلت له: يا أخي أنت مسلم وتؤمن بنجاة إبراهيم من نار متأججة تبخر البشر، ونوح دعا ٩٥٠ سنة وجهز سفينة وأتى الطوفان الذي أخبر به، بل أنت تؤمن بشيء أعظم من هذه جميعها.

– قال: ما هو؟

– قلت: هو الخلق من الطين، فعيسى حين أخذ من الطين كهيئة الطير ونفخ فيها فكانت طائرًا (بإذن الله)، هل تفهم معنى ذلك؟ إنه أخذ طين من الأرض ونحته بشكل طير من الطين، ثم نفخ فيه، فصار طائرًا بريش وخلايا حيوانية وخلقة حيوانية كاملة. هل هذا معقول عندك؟ وهل عيسى الذي قام بفعل الله ذاته حين خلق آدم من طين، قد ارتفع إلى مرتبة مبهمة أم هو مفهوم عندك؟

– قال: ولكن هذه نصوص قرآنية من جهة ولا علاقة لها من جهة ثانية بموضوع المهدي.

– قلت له: بل لها علاقة وهو عدم كون إيمان المسلم بأمور حسية ١٠٠٪ و إنما هناك أمور فيها تدخل الله أو منح الله لقوى خارقة للعادة، كالخلق لكائن حي، من الطين الأرضي، وقد غفلت عن الإشارة إلى أن من جملة ما هو في القرآن مسألة طول العمر والحياة المتخفية، فنوح عليه السلام عاش في قومه داعيًا حوالي ألف سنة (٩٥٠) وعاش بعدها قيل ١٥٠٠سنة وقيل ٢٥٠٠سنة، والمهدي لم يبلغ هذه المرتبة من العمر بعد. فكيف تصدق بحياة نوح هذه المدة التي تقارب ٢٥٠٠ أو اكثر بألف سنة؟ ولا تقبل طول العمر لغيره؟ وكذا أحاديث المسلمين عن الخضر وحياته المتخفية وغير ذلك؟

– قال: لم أفكر في هذا، ولكن أنا مأمور بالطاعة للنص للقرآني. فنحن نصدق ما قاله ربنا حتى لو لم نعقل الأمر.

- قلت له: هذا تحوّل جديد، وقد سلّمت الآن بأن ليس كل النص الشرعي وليس كل ما تؤمن به إنما هو معقول وواضح كما كنت تدعي، بل أنت تقر الآن بأن في القرآن الكريم آيات لا تعقلها ولكنك تصدقها، وهذا اهتزاز في الفكر واضح، ولكن من قال لك أن المهدي عليه السلام ليس نصًّا يجب التصديق به؟ كما صدقت بقصة خلق عيسى للطير من طين أرضي.

- قال: لو ثبت لي صحة المهدي أساسًا لصدقت به. فأنا لا أؤمن بالمهدي فضلاً عن وجوده وظهوره.

- قلت: الآن اختلف الوضع، فأنت تدعي الآن: أنه لم يثبت لك النص، وهذا يعني أحد أمرين وهما إما إنك لم تطلع فادعيت الاطلاع كالعادة، أو اطلعت على ما هو خلاف مقياسك فادعيت عدم الصحة، وكلاهما باطل، لأن عدم اطلاعك ليس بدليل، ولأن مقياسك لا يعول عليه في إثبات الصحة.

- قال: كيف ترى أن مقياسي لا يعول عليه؟ وأنت لم تعرفه من جهة، وقد جازفت باعتبار مقياسك هو الصحيح فطرحت مقياسي بدون نظر.

- فقلت له: لا هذا ولا ذاك وهذه عجلة منك، فإنما قلتُ أن مقياسك لا يعول عليه، إنما قصدت ما يلي: وهو إن طرح فكرة المهدي عليه السلام بروايات عن النبي مختلفة وتعد بالآلاف بما يفوق روايات الصوم والصلاة مجتمعة، ولم يظهر في الإسلام إلا مدعٍ من الخوارج في اليمن أنكر المهدي، لأن فكرة المهدي تدحر الفكر الخارجي، فهو

نكران لغرض واضح، ولم يقبله أي مسلم واستنكروا عليه وحقروا فكرته بجميع طوائفهم بما فيهم الأمويين الكارهين لرسول الله صلى الله عليه وآله، فمثل هذه القضية التي وصلت إلى تسليم جميع المسلمين وقبولهم لها، وعدم الاعتراض عليها، يدل دلالة أكيدة بأن مثل هذا الأمر فوق اعتبارات التصحيح، مثل كون صلاة العصر ثلاث ركعات، فهذا لا يحتاج إلى تصحيح. وكل معايير التصحيح خطأ فيها، وأهل العلم عندهم لا حاجة لتصحيح المنصوص على تواتره مع ثبوت هذا التصحيح فلا يطلب مسلم تصحيحًا لرواية بل لا يطلب لها طريقًا إذا ثبت كونها متواترة إلى حد التسالم الكلي، أو (ادعى) أحد التواتر ولم يرده أحد على أقل تقدير لأنه في مقام التحدي وظهور التحدي، فهذا يثبت التواتر، وبه لا نحتاج إلى سندٍ أصلاً، لأن التواتر قد يصل إلى حد لا ينفع معه تثبيت السند لكثرته وعجز المتتبع عن الإحصاء، فيكون نقل التواتر عن الثقات أو التحدي بها مع عدم النكران يكفي في إثبات تواتر الحديث، مثل ما تحدى الشيعة على طول قرون بثبوت تواتر حديث (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما) واعتراف جميع الشيعة من زيدية وإسماعيلية وإمامية وسكوت أهل السنة وعدم رد التحدي لهؤلاء جميعًا، دلّ على ثبوت تواتر هذا الحديث مما لا يحتاج إلى سند أبدًا، فعدم المعارض لما يقوله جميع المسلمين يكشف عن كون الأمر ضرورة من ضرورات الإسلام، ولا يوجد من يستطيع رد هذا إلا بالجهل والكذب. فمعايير التصحيح لا تنطبق على هذه القضية التي بين أيدينا، فأنت حين لا يثبت لك النص على المهدي، إنما لأنك لا تعرف أين تقيس؟ ولا كيف تطبق المقياس؟

وأما أن مقياسي أصح أو غير ذلك، فلم أقل بأن مقياسي أصح وإنما مسألة التصحيح والتضعيف غير واردة.

– قال: الحقيقة أن مسألة انتشار خبر المهدي، وعدم رده هذه حقيقة لا ينكرها إلا مفتر، وأنا لا أريد أن أكون كذلك، ولكن اختلف المسلمون فيمن هو وفي طبيعته ووجوده.

– قلت له: هذا لا يؤثر على ثبوت حقيقة المهدي سلام الله عليه. ولو دققت لوجدت أن من أنكر ولادته أو اسمه هو ممن يعادي خط المهدي عليه السلام، وهذا يكشف طبيعة الدافع لهذه التحريفات. ثم أنك تقول بأن الروايات السنية التي هي عمدتك ضعيفة، فلماذا تستخدم ضعفها في نكران حقيقة المهدي مع التسالم الإسلامي عليها، ولا تستخدم ضعفها في رد هذه الأقوال المخالفة في اسمه وفي ولادته؟ ثم أين الرواية التي تقول أنه يولد آخر الزمان وأنه لم يولد قبل ذلك؟ أليس أنه استنباط من كلمة سيظهر في آخر الزمان؟ فهل الظهور هو الولادة؟ أم أنه العلن بعد الخفاء؟ فكيف تفهمون الألفاظ؟

– قال: ليس بالضرورة الظهور هو العلن بعد الخفاء فقد يكون بالولادة أيضا ظهور.

– قلت: لنسلّم بهذا، ولكن لا يمنع من ذاك، فحصركم للفهم، وتدينكم على أن المهدي سيولد في آخر الزمان مبني على احتمال لو أردنا أن نكبّره فهو متساوٍ وهو عين الشك في علم المصطلح وهذا لا يقوم به دليل، فكيف تتدينون بما لا دليل فيه؟

– قال: لعل علمائنا لديهم أدلة خاصة على عدم ولادة المهدي وأنه سيولد في آخر الزمان.

– قلت: الآن دخلنا في دليل (لعّل)... يا أخي الكريم كم رأينا من (لعل) للتخلص من موقف خطير، ينبغي فيه ثبات الكلمة، وثبات الحق. فـ (لعل) عمر عرف ناسخًا لمتعة الحج والنساء لم يعرفه الصحابة، و (لعل) عمر عرف أن النبي ما أراد أن يكتب الكتاب أو (لعله) أشفق عليه، و(لعل) طلحة والزبير رأوا العز الإسلامي في محاربة علي، و(لعل) عثمان أراد الخير فأعطى خراج المسلمين لبني أمية، و(لعل) معاوية لا يعرف حرمة الخروج على الإمام علي عليه السلام في فقه مدرسة الشيخين التي يدعي الانتساب إليها، ولعل ولعل ولعل وكلها احتمالات هروب لا قيمة لها. فنحن نواجه معكم مشكلة تصعيد الوهم من جهة، وخفض الدليل من جهة ثانية، فأنتم لا تقبلون النص على علي بالخلافة والإمامة والولاية نصًّا باللفظ وتقولون أنها مؤولة، بينما تعتبرون حادثة مزعومة وهي التوكيل لإمامة الصلاة نص على الإمامة، وأنتم تؤمنون أن الصلاة خلف البر والفاجر، فكيف لا تفهمون التقديم من قوله (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) وتشككون في هذه المنزلة الوزارية ثم تدّعون إنها لتطييب الخاطر، وكأن علي بن أبي طالب مكسور الخاطر دائمًا والنبي يطيّب خاطره كلما دعت الضرورة، بينما ترون أن الصلاة خلف الفاجر جائزة ثم ترونها تعيينًا خفيًا بالخلافة؟ فهل هناك خروج عن العقل أشد من هذا. وهنا نحن نواجه نفس القضية في المهدي عليه السلام.

– قال: نحن نمحص الدليل.

– قلت: وضح لنا تمحيصكم.

– قال: المهدي عندنا غير مولود وهذا ثابت، فكيف تدّعون الولادة؟

– قلت: طبعا عندكم المهدي غير مولود، لأنكم لا تعرفون من هو؟ فمن لا تعرف عينه لا تعرف وجوده. وهذا بديهي. ولكننا نعرف عينه بروايات عن الرسول صلى اللّه عليه وآله وسلم، كرواية جابر وروايات أهل البيت عليهم السلام قبل ولادته بمئات السنين. فمن يعرف من هو ومن سيلده، يعرف فيما إذا ولد أم لا؟ وأما من لا يعرف من هو؟ سوف لا يعرف هل ولد أم لا، ولكن أنبهك إلى عودتك إلى دليل (الجهل) بمعنى أنك تنفي ما تجهل، وهذا عين الجهل. فما تقوله من تأكدكم من عدم ولادته مبني على عدم معرفته، فجهلكم هو دليلكم، وهذا غير مقبول.

– قال: طيب أنتم ما دليلكم على ولادته؟

– قلت له: نحن دليلنا مرتب منهجيًا ومن لا يرتب الأفكار منهجيًا لا يستطيع أن يتعقل الدليل.

– قال: بيّن لي.

– قلت:

١- النصوص متضافرة متواترة على حقيقة المهدي

٢- والنصوص عندنا متواترة على تسميته وتسمية آبائه فردًا فردًا

٣- وقد وقع بالفعل كل تلك المسميات بالتسلسل

٤- وقد أُخبرنا بأن ولادته غير طبيعية وغامضة، لأن والده وجده ووالد جده وجد جده كانوا تحت الإقامة الجبرية في القصور العباسية وكانوا تحت المراقبة بحساسية ظهور المهدي، وقد عمد العباسيون لتسمية أحد أولادهم (بالمهدي) فخيّب ظنهم لأنه تبيّن أنه من الراقصين والحمقى، فترصدُ المهدي في هذا البطن من هاشم، لم يكن تربص الشيعة وحدهم، بل تربص أعدائهم أيضًا للقضاء عليه، ولكن شاء الله أن يظهر نوره، ولو بشكل معجز وخفي، ولهذا شابت حالته الكثير من التناقضات المتعمدة، كإخفاء وإظهار في نفس الوقت، وقد قيل أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام نفى وجود ولد له (لو صحَّ الحديث) وفي نفس الوقت يبعث على رؤساء الشيعة يريهم إمامهم، وهو طفل يكلمهم بأرقى ما يتكلم به رجل. والإمام الحسن العسكري عليه السلام لا يتزوج و إنما يتخذ لنفسه أمَة وهي تكون أم المهدي، ليقال هو غير متزوج، فمن أين له الولد؟ فهذا كله نوع من أنواع وضع المشوشات العقلية أمام الأعداء من أجل حفظ هذا الإمام العظيم، وهي أمور جرت بأمر الله وتوفيقه، ونجاحها كان معجزة بحد ذاته، فلو فكرنا جيّدًا، لوجدنا أن من الصعب تضييع مثل هذه الحقيقة على جند يقومون بحراسة إمام تحت الإقامة الجبرية في بيت الخليفة يسير مع

الخليفة أينما سار، ولهذا فإن الجند هم من اختلق قضية السرداب، التي لا يعرفها الشيعة القدماء و إنما حَرسُ الخليفة هم من أثارها، حين تأكدوا من الاستخبارات وجود ولد للإمام، فأرادوا القبض عليه، فهجموا على دار الإمام، فلم يجدوا إلا أن طفلاً نزل سردابًا فنزلوا خلفه فلم يجدوا شيئًا وهم من أشاع هذا، وجاء من لا يفهم بعد ذلك وادعى أن هذه هي الغيبة! بينما هي حادثة في بداية حياة المهدي عليه السلام، وهذا هو نتيجة الإشاعات والتشويش الذهني الذي قام به نفس من يشيع هذه الترهات وساعد عليها الشيعة لسلامة إمامهم كما فعل الإمام الحسن العسكري نفسه سلام الله عليه. المهم أن المهدي عليه السلام تم الإخبار عن ولادته من قبل أبيه الحسن العسكري ومن أغلب الأئمة قبله ومن النبي عليهم السلام أجمعين.

٥- وتم الإخبار عن ولادته بشهادة أبيه والقابلة (عمة أبيه)

٦- وتم مشاهدته واللقاء به

٧- وتم تواصل الشيعة به بطرق ملتوية

٨- ومن ثم أخبر بالغيبة الكبرى التي لا يعلمها إلا الله.

فهذه أدلة لم تحصل لثبوت أي واحد منا، لا أنت ولا أنا، وقد ثبت لنا وجودنا تاريخيًا، فكيف تريد أن ننكر هذه الأدلة؟ التي يثبت بأقل منها وجود شخص تاريخيا، فالشهادة على الولادة واللقاء به وثبوت آثاره، من فقه ودعاء وعقيدة، تعتبر

إثبات وجود لا ينكرها إلا منكر للعقل ونتائجه، على أنك للأسف خرجت من تسننك برفض فكرة المهدي وملت إلى الوهابية في تفكيرك، ولكنك خالفتهم بإيمانهم بضرورة الإيمان بالمهدي.

– قال: الحقيقة أحرجتني ولكن عندي بعض الأسئلة.

– قلت: سلها.

– قال: سلمت بأن الحسن العسكري له ولد، وبعد ثبوت مثل هذه المنهج في الدليل، فلا يحق نكران الولادة، وأنتم معذورون فيما ذهبتم إليه، ولكن من أخبركم أن هذا هو المهدي المنتظر؟ فلعله مهدي من المهديين؟

– قلت: كأنك لم تفهم ما قلته لك فقد قلت لك قبل إثبات ولادته هناك سلسلة منهجية للدليل وهي التسليم بالمهدي والتأكيد بالنصوص بأنه سيكون ابن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وعلى أقل تقدير فإن روايات الإمام الصادق والإمام الرضا بالخصوص في هذه التسمية شديدة الوضوح والبرهان وهي سابقة على وجوده بأكثر من ٦٠ سنة — ١٠٠ سنة. فالربط بين هذا المهدي وبين المهدي المنتظر ليس من البدع بل خلافه خلاف المنطق والدليل (وقد نقلت له روايات كانت تحت يدي بسندها وطريقة تصحيحها).

– قال: لا أستطيع نكران حجتك ولكن ما فائدة غيبته؟

– قلت: لقد انقلبنا إلى موضوع ثانٍ تمامًا، فبعد أن كنا في الحوار حول المهدي تحوّلنا إلى إثبات كونه سيولد ثم تحولنا إلى الحديث عن ولادته وسلمنا بهذا فالآن نتحدث في الفائدة من غيبته وهذا يعني أنك أما أن تثبت الغيبة وتُشكل أو أنك تريد أن تنفي الغيبة بالتساؤل عن عدم منفعتها، (وأمدح لك عدم تعرضك لما احتمله بعض الكتاب بأن المهدي عليه السلام ولد ولكنه مات وهذا ما يروج له الكثيرون، ليفصلوا بين المهدي عليه السلام وبين انتظار المهدي من أجل الطعن بالشيعة قبل الطعن بالمهدي عليه السلام) وكل هذا بناء على عدم معقولية بقاء الإنسان لهذه المدة، والعياذ بالله من الخذلان في التفكير، والآن أقول لك باختصار، إذا كانت الغيبة من الله فلن نستطيع معرفة حقيقة السر والحكمة والفائدة، وإذا كانت من نفس الإمام فلن نسلم أن له القدرة من نفسه على هذا العمر والغيبة، فماذا تختار أنت؟ هل الغيبة من الله أم من الإمام؟

– فقال: بل من الله وهذا مقتضى المسيرة التي نتكلم بها.

– قلت: إذن سؤالك خطأ من أساسه!

– قال: أريد أن أصحح سؤالي، فأنا أريد هذا: بما أنكم تقولون بوجوب وجود الإمام وأن وجوده لطف، فهذا منفي في حال الغيبة فبطل دليلكم.

– قلت: هذا السؤال كله خطأ، فلا نحن نقول بوجوب وجود الإمام بل نقول بوجوب الإمامة، وأن الأمة لا تخلو من إمامة، وهذا أمر لا يختلف مسلم معنا فيه، غير أننا نقول أن الوجوب عقلي، بمعنى لا ينبغي أن يكون بدونه، ويختلف معنا قسم ممن لا يفهم الإسلام فيقول بأن الدليل شرعي وليس عقليًا، ودليل اللُّطف هو جوابنا على المعتزلة القائلين به، والذي هو دليل صحيح، ولكنه لا يمثل رأينا بالكامل، فليس فيما طرح أهل البيت أي إشارة إلى اللطف، و إنما هو من باب إلزام الخصم بما إلتزم به.

وقد بحثه علماء الشيعة فوسعوا في تحديد هذا الدليل وتصحيح طرقه بموجب قاعدة الحسن والقبح والعقليين وهو عندنا فرع لدليل (قبح العقاب بلا بيان) المنبثق من تلك القاعدة التي تؤسس للعدل والتي نتفق فيها مع المعتزلة بتطابق تام. ثم إننا لا نرى مطلقًا عدم حصول اللطف بالغيبة، لأننا نؤمن إيمانَين مُهمَين:

الأوّل هو حصول التوفيق الخفي بواسطة الإمام نفسه وهذا بحث خارج موضوعنا.

والثاني وهو المهم فكريًا، وهو إن المدار على الحجة المجعولة شرعًا وهي حاصلة قطعًا بالنص الصريح، بخلافها عند غيرنا وهذا بفضل الإمام نفسه، حيث تم تكليف المؤمن بالعمل وفق القواعد المؤسسة، سواء بجعل أو بكاشفية الصحة من النص، والصيرورة إلى جعل (صحة الحكم الظاهري)، وقد حُرم الناس وليس نحن فقط من الحكم الواقعي، الذي ننتظر حصوله بلهفة بظهور مولانا المهدي صلوات ربي عليه.

وهنا أبيّن لك الفرق بين السنة والشيعة في مقام الجعل والحكم، ببيان بسيط جدًا، وهو أن فترة البيان عندنا بحدود ٣٤٥ سنة من البعثة إلى الغيبة، بينما فترة البيان عند السنة من البعثة إلى وفاة الرسول نظريًا، وعمليًا من السنة الرابعة أو الخامسة للهجرة إلى وفاة الرسول، ثم انقلب مصدر التشريع عندهم في تذبذب بين اتباع طريق الصحابة الذي لا دليل على اتباعه إلى أدلة عقلية قاصرة عن الوصول للحجة المبرأة للذمة، فالفرق هو طول فترة البيان الحجة عندنا بما لم يدع شيئًا إلا ذكر، وقد تنّكر علينا بالإرسال عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وبوجود التعارض، جوابه: إن رواية إرسال أئمتنا غير ضار أبدًا وهذا يعرفه أهل الحقيقة، ولهذا حين يروي عنهم سني يؤكد بأنه رواية متسلسلة إلى الرسول لأنه لا يفهم القضية حقيقة، كما هو حال السكوني القاضي السني الراوي عن أئمتنا والموثق عندنا، فلو تمعنت في روايته عن الإمام الصادق عليه السلام، لوجدت أغلبها منصوص على أنه رواية عن الرسول، وأما التعارض فهذا حاصل وهو غير مضر لأنه محلول بشتى الطرق، ولم يكن التعارض في يوم من الأيام مصدر نفي لأصل الحديث وإلا لبطل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فملخص ما أريد قوله بأن الفترة التي قدرها الله للبيان هي فترة كبيرة، وقد عرفنا فيها جل القواعد مما لا يخفى على الفقيه الشيعي حل أصعب وأعقد المسائل الفقهية بواسطة قوانين أسسها أئمتنا عليهم السلام بحجة عندنا، وهي نفسها لو عمل بها غيرنا لا تخرج من كونها ضلالاً مبينًا لهم، لأنها بدون حجةٍ من حجةٍ عندهم، وما هي إلا سرقات واحتمالات ظنية مجردة لأنهم لا يؤمنون بحجة

الأئمة واقعًا، وهذا لا يقوم به حق وبراءة ذمة، ولكن على قول من يقول بسقوط التكليف بموافقة الحجة في العمل حتى بدون إرادتها فيكون من يتبع هذه القواعد ناجٍ وهذا قولُ يقول به بعض فقهائنا ومن المتأخرين السيد محمد الروحاني، فما تعتقدونه من التعارض بين دليل الإمامة عندنا ومن معارضته بالغيبة ما هو إلا عدم توفيق في إصابتكم الحقيقة، وعدم فهم كبير فيما نقول، وفي مقولاتنا العقائدية والفقهية وفي تاريخنا الإسلامي الناصع.

– فقال: كيف لي أن أثق بأن كلامك صحيح وأن ما تقوله هو التشيع فقد تخفي عني معارف بحكم التقية، ومن أين أعرف هذا؟

– قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله، يا أخي الكريم لو كنت تعلم ما تقول لما قلت قولك هذا، وعلى كل حال، فإن جميع ما قلتُه لك ميّسر ومبسط، وهو لا شيء تجاه ما هو مكتوب في كتاب «الشافي في الإمامة» للسيد الشريف المرتضى فارجع إليه ستجد ما أقول وزيادة، بل ستجد كل إشكال يطرأ على بال أحد، قد عرض في ذلك الكتاب وقد ردّ عليه، وهو بالأساس كتاب رد على الفكر المعتزلي الذي هو خصمنا الفكري الكفؤ، و أما التسنن بشكله المفهوم فهو ليس خصمنا الفكري، لأنه فكر هلامي لا يستطيع الثبات وليس له قواعد عقلية حقيقية، وأما الفكر السلفي فهو مجرد مشاغب لا قيمة له حتى في الفكر السني وهو ليس خصمًا كفؤًا له، بل لو قسنا الفكر السني للسلفي، لكان قياس الإسلام لليهودية والنصرانية، فالسلفية أقل اعتبارًا في التحقيق من طرق

اليهود والنصارى، وما هم إلا صحفيين حزبيين لا قيمة لأفكارهم التي تحمل المتناقضات وتنشر البغض والكراهية وتسوق للإرهاب الفكري والاجتماعي والسياسي، وتروج لثقافة القتل والذبح، في مجتمع مدني متطوّر، مثل المجتمع الإسلامي المحب للسلام، لغرضين مهمين وهما:

١- ضمان تخلف المسلمين

٢- ولتشويه صورتهم الجميلة في نظر شعوب العالم .

وأراك بكل أسف تميل إليهم في كلامك وكأنك تريد ترك الإسلام والتمسك باليهودية المطبوعة بطابع أموي كاذب.

المنع من التدوين والتحديث

لقد توضح أن تثبيت أركان الحكم لا يجتمع مع الحفاظ على وصايا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، فقد جاءت فترة أصبحت فيها شرعية الحاكم مهزوزة ومتساءلٌ عنها، وقد ندم من أعطى البيعة وسلم بقيادة غير المستحق لها، ولكنها القوة والسلطان، فكان لا بد من التصرف العملي، فتم ترتيب أمور أساسية:

الأول: هو تصفية رموز المجاهرين بالعداء وكان أولهم وأول من بدأ المعارضة بحدة وقوة واتهام صارخ بالخروج من الدين، هي السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، فتم قتلها وتصفيتها جسديًا بشكل بشع، كما قتل المعارض الثاني الشديد الصراحة سعد بن عبادة، وتمت التصفيات إلى زمن عثمان فكلما يجيش في قلب مسلم ندم أو مطالبة بالشرعية أو كشف للحقائق يقتل صاحبها فقد إغتيل أبي بن كعب حين أعلن انه سيكشف السر يوم الجمعة فمات يوم الخميس قبل أن يبلغ كشف السر، وحين غضب عبد الرحمن بن عوف وهدد بكشف اللعبة التي لعبها مات بعدها بأيّام (قضاءً وقدرًا)، وهكذا فالتاريخ مليئ بهذه الجرائم من قتل وتنكليل ونفي.

الثاني: منع الحديث ومنع التفكير بسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، فقد منع التحديث والاستدلال والتدوين، و قد أمر عمر رسله بأن لا يحدثوا عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، وسوف نوثق ذلك.

الثالث: منع المعارضين من تولي الولايات والتقرب من أسرار الدولة، وكان أبعدهم عن الدولة، بنو هاشم وخصوصًا علي عليه السلام وأبنائه، فقد كان جليس داره. ومن طرائفهم أنهم يقولون بأن رغبته هي الجلوس في الدار لكتابة القرآن الكريم، والحقيقة أنه اعتذر في البداية عن مشاركتهم الجريمة وعلّل امتناعه بالتفرغ لكتابة القرآن، وحتى هذا الأمر لم يلتفتوا إليه ولم يرد عنهم أنهم ألفوا لجنة برئاسة علي بن أبي طالب لجمع القرآن وتدوين أبحاثه، بل كان يخفي كل كتبه وأبحاثه عنهم، لترصدهم بكل الكتب وحرقها. فهل يعني تعلل علي بن أبي طالب بجمع القرآن أن يبعد عن كل منصب سياسي أو عسكري؟

لماذا وقد فتح جبناء المسلمين مع شذاذ العرب البلدان يُستَبعد علي بن أبي طالب وهو أبو الحروب وسيد من ينتصر ولا يعرف الهزيمة؟

بل إن سمعة الانتصار التي أرهبت الأمم تعود إلى أفعال علي بن أبي طالب في الحروب، وهذا لا ينكره إلا جاهل أحمق.

فكل انتصارات صائدي الغنائم الحرامية، هي بسبب سمعة الحرب لدى المسلمين وقد كوّنها وأسسها ليث الله الغالب علي بن أبي طالب، ولم يكونها الفارون والمتقوقعون والجبناء المجبنون لأصحابهم، فقد كانت الشعوب تهرب من المسلمين قبل وصول المسلمين إليهم.

والخلاصة: أن أعلم الناس بالحديث كانوا ممنوعين ومحبوسين طيلة فترة الخلفاء الثلاثة.

فلنأتي لبعض النصوص التي تنطق بنفسها:

حبس الخليفة عمر لصحابة رسول الله في المدينة بسبب تحديثهم، وفي النص الآتي عجائب من التبريرات منها أنّ عمر يحتاط فلم يسمح بالتحديث، وعدم انكار المحبوسين على الخليفة كما يفهم الطحاوى يعتبر دليلاً على قبول ذلك الحبس والمنع من التحديث، فانظر:

مشكل الآثار للطحاوي – (ج ١٣ / ص ٢٥٥):

٥٢٧٤ – وهو ما حدثنا موسى بن أبي موسى الأنصاري، حدثنا أبي، عن معن بن عيسى، عن مالك بن أنس، عن عبد الله بن إدريس، عن شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه: أن عمر رضي الله عنه قال لأبي مسعود، وأبي الدرداء، وأبي ذر: «ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: وأحسبه حبسهم، حتى أصيب»

فقال قائل: فما وجه هذا الذي رويتموه عن عمر، وهو إمام راشد مهدي، وأنتم تعلمون أنه لا يقف الناس على ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بما يحدثهم به أصحابه عنه، وفيما كان من عمر ما يقطعهم عن ذلك مما كان منه؟

فكان جوابنا له في ذلك: أن عمر كان مذهبه حياطة ما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كان الذين رووه عدولاً، إذ كان على الأئمة تأمل ما يشهد به عندهم، ممن قد ثبت عدله عندهم، فكان عمر فيما يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم مما لا يحفظه عنه كذلك أيضًا، وكذلك فعل بأبي موسى مع عدله عنده، فيما حدث به عنه، عن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم مما لم يكن عنده في الاستئذان مما ذكرناه فيما تقدم منا في كتابنا هذا، وقد وقف على ذلك منه أبي بن كعب، ومن سواه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الذين وقفوا على ذلك منه، ولم ينكروه عليه، ولم يخالفوه فيه، فدل ذلك على موافقتهم إياه عليه، ولما كان ذلك كذلك فعل في أمور الذين كان منه في حبسهم مما كان فعله في ذلك لهذا المعنى، لا لأن يقطعهم عن التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الناس ما قد سمعوه منه، وكذلك كان أبو بكر رضي الله عنه قبله في مثل هذا.)

أقول: أن الطحاوي يتبرع في التبريرات عن غيره، وكأنه حاضر الحدث أو يفكر بما يفكر به الفاعل للحدث، وهذا قمة عدم الاحتياط في العلم والاستهتار بالمعرفة.

المستدرك بتعليق الذهبي – (ج ١ / ص ١٩٣):

٣٧٤ – حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه ثنا محمد بن غالب ثنا عفان ثنا شعبة

و أخبرني أحمد بن يعقوب الثقفي ثنا محمد بن أيوب أنبأ أبو عمرو الحوضي ثنا شعبة عن سعيد بن إبراهيم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب قال لابن مسعود و لأبي الدرداء و لأبي ذر: ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] و سلم وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب.

تعليق الذهبي في التلخيص: رواه عفان وغيره عنه يعني عن شعبة

مصنف ابن أبي شيبة - (ج ٥ / ص ٢٩٤):

٢٦٢٢٩ - حدثنا أبو بكر قال حدثنا بن ادريس عن شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبيه قال قال بن عمر لابن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي مسعود عقبة بن عمرو أحسب ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم قال وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب .

المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي - (ج ٢ / ص ٢٨٣):

٦٧٢ - حدثنا عبيد الله بن هارون بن عيسى، ينزل جبل رامهرمز ثنا إبراهيم بن بسطام، حدثنا أبو داود، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن محمد قال: أظنه ابن يوسف قال: سمعت السائب بن يزيد يحدث قال: أرسلني عثمان بن عفان إلى أبي هريرة فقال: قل له: «يقول لك أمير المؤمنين: ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، لقد أكثرت لتنتهين أو لألحقنك بجبال دوس، وآتِ كعبًا، فقل

له: يقول لك أمير المؤمنين عثمان: ما هذا الحديث؟ قد ملأت الدنيا حديثا، لتنتهين أو لألقينك بجبال القردة»

- عمر ينهى عن التحديث.

مشكل الآثار للطحاوي - (ج ١٣ / ص ٢٥٧):

٥٢٧٦ - كما حدثنا يونس، وابن أبي عقيل قالا: حدثنا سفيان، عن بيان، عن عامر الشعبي، عن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى صرار، فتوضأ، فغسل اثنتين، فقال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نعم، نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا، قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث، فتشغلوهم، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، امضوا، وأنا شريككم، فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا، قال: نهانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه واللفظ ليونس .

عمر ينهى عن التحديث وينفي التحديث عن نفسه ويعتبر التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم صدًا عن كتاب الله:

مشكل الآثار للطحاوي - (ج ١٣ / ص ٢٥٨):

٥٢٧٧ – وكما حدثنا الكيساني قال: حدثنا عبد الرحمن بن زياد، حدثنا شعبة، وكما حدثنا إبراهيم بن محمد بن يونس البصري، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا شعبة، قالا جميعا: عن بيان، قال: سمعت الشعبي يحدث، عن قرظة بن كعب قال: شيعنا عمر بن الخطاب، فتوضأ ثم قال: أتدرون لم شيعتكم؟ قالوا: نحن الأنصار قال: «إنكم تأتون أقواما تهتز ألسنتهم بالقرآن كاهتزاز النحل، فلا تصدوهم بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا شريككم، فما حدثت عنه بشيء، وسمعت كما سمع أصحابي» واللفظ للكيساني.

- إن قياداتهم تهزأ بالسنة أصلاً فانظر.

مسند الصحابة في الكتب التسعة – (ج ٤٢ / ص ١٧٨):

١١حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ أَبُو طَالُوتَ قَالَ شَهِدْتُ أَبَا بَرْزَةَ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَحَدَّثَنِي فُلَانٌ سَمَّاهُ مُسْلِمٌ وَكَانَ فِي السِّمَاطِ فَلَمَّا رَآهُ عُبَيْدُ اللَّهِ قَالَ إِنَّ مُحَمَّدِيَّكُمْ هَذَا الدَّحْدَاحُ فَفَهِمَهَا الشَّيْخُ فَقَالَ مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي أَبْقَى فِي قَوْمٍ يُعَيِّرُونِي بِصُحْبَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ إِنَّ صُحْبَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ زَيْنٌ غَيْرُ شَيْنٍ قَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُ إِلَيْكَ لِأَسْأَلَكَ عَنْ الْحَوْضِ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا فَقَالَ لَهُ أَبُو بَرْزَةَ نَعَم لَا مَرَّةً وَلَا ثِنْتَيْنِ وَلَا ثَلَاثًا وَلَا أَرْبَعًا وَلَا خَمْسًا فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ ثُمَّ خَرَجَ مُغْضَبًا .. .

وأترك شرح هذا الحديث – الذي يدل على إنكار الوالي منقلبهم للحوض واستهزائه بصبحة محمد وبسنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم– لشرح لاميّة شيخ الإسلام:

لامية شيخ الإسلام – (ج ٣ / ص ١٧):

(عبيد الله بن زياد والي من الولاة كان ينكر الحوض فسأل عنه بعض الصحابة وأخبره بعض الصحابة ثم اعترف به، وفي حديث أبي برزة عند أبي داود، أن أبا برزة – رضي الله عنه – دخل على عبيد الله بن زياد وقال له عبيد الله بن زياد: إن محمديكم الدحداح يعني ينبذ أبا برزة بنسبته إلى النبي عليه الصلاة والسلام، ينبذه بلقب ويعيبه بعيب وما له عيب سوى صحبة النبي عليه الصلاة والسلام فطال الكلام بينهما فأخبره عن الحوض، وأحاديث الحوض متواترة ثبوتها قطعي وأجمع عليه سلف الأمة وبعد ذلك قال به.

وعلى كل حال المخالفة لا تضر إلا صاحبها، يعني افترض أن ابن زياد هذا مع أنه مخالف في أمور كثيرة يخالف لا يضر إلا نفسه، وسخريته من الصحابي بنسبته إلى النبي عليه الصلاة والسلام ونبذه إياه وتلقيبه إياه بالدحداح لا شك أن هذا دليل على الاستهتار وهذا من شؤم مخالفة السنة فمخالفة السنة تجر إلى مثل هذا، نسأل الله السلامة والعافية.)

أقول: بل هو تركَ السنة، وسخر منها لا مجرد مخالفتها. وهذا هو من يدافعون عنه، وهو عامل يزيد بن معاوية لعنهما الله، وهو المشرف المباشر على قتل الحسين عبيد الله بن زياد .

وأقول: بينما نقرأ في تراجم بعض أصحاب علي رضوان الله عليهم أنهم كانت لهم حلقات درس في زمنه يدرسون فيها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتفسير القرآن انظر في ترجمة عمرو بن شرحبيل:

التفسير و المفسرون – (ج ١٦ / ص ٧):

عمرو بن شرحبيل . أبو ميسرة الهمداني الوادعي الكوفي روى عن على عليه السلام وعبد اللّه بن مسعود، وكان من أصحابه، و من النفر الستة الذين كانوا يقرئون الناس و يعلمونهم السنة، و يصدر الناس عن رأيهم و هكذا روى عن حذيفة و سلمان وقيس بن سعد بن عبادة واشباههم من خلص الأصحاب، قال عاصم بن بهدلة عن أبي وائل: ما اشتملت همدانية على مثل أبي ميسرة كان صوامًا قوامًا، ناسكًا زاهدًا، من أفاضل أصحاب ابن مسعود و كان إمام مسجد بني وادعة بالكوفة.

كان موضع ثقة ابن مسعود، سأله يومًا قال: ما تقول يا أبا ميسرة في (الخنس، الجواري الكنس)؟ قال عمرو: قلت: لا أعلمها إلا بقر الوحش قال: و انا لا اعلم فيها إلا ما قلت، توفي سنة (٦٣) في ولاية عبيد اللّه بن زياد.

قال الشهيد الثاني ـ في درايته ـ: تابعي فاضل من أصحاب ابن مسعود.

و كانت له صحبة أو رؤية، كان ممن روى حديث الغدير، حسبما ذكره الخوارزمي.

و ذكر ابن حجر في الاصابة عن الطبراني أنه اخرج من رواية عبد العزيز بن عبد اللّه القرشي عن سعيد بن أبي عروبة عن القاسم بن عبد الغفار عن عمرو بن شرحبيل، قال: سمعت النبي صلى اللّه عليه وآله يقول: «اللهم انصر من نصر عليًّا، اللهم أكرم من أكرم عليًّا، اللهم اخذل من خذل عليًّا».

أقول: فأصحاب علي المخلصون كانوا يتجاهرون بالرواية، رغم أنف السلطة المانعة من ذلك.

فهنا يتبين لنا مدرستان.

الأولى: هي مدرسة نشر الحديث وهي مدرسة المعارضة الشيعية.

الثانية: هي مدرسة منع الحديث إلا ما يحدث به السلطان، وهي مدرسة السلطة القائلة بسنة الشيخين.

وبهذا يتبين كذب إدّعاء السبق في الاعتناء بالحديث لمدرسة السلطة، بل هي القوة المدمرة للحديث منذ البداية، وكل الاعتذارات الباردة لا تنفع مع هذه الحقيقة. فاعتذارهم إن سليقة العرب كانت ناضجة وخيريتهم واضحة لا تحتاج إلى تدوين ولا إلى تحديث، وحين فسدت الطباع احتاجوا إلى الكتابة، فهذا عذر أطفال خياليّ ليس

له أي علاقة بالواقع، بل كانوا بشر يغلب عليهم النسيان وقلة الفهم وما شابه ذلك من دواعي التدوين.

المشكلة أن الروايات تقول بمنع السلطة للتحديث والتدوين معًا، والجماعة يفرقون ما لا يتفرق، ويجمعون ما لا يجمع حسب مشتهياتهم.

النتيجة: إن السلطة كانت تمنع من التحديث والتدوين معًا، وكانت مرحلة الخلفاء الثلاثة هي مرحلة تفريغ ذهن الأمة من الحديث، ليتهيأ للسلطة إفشاء الأحاديث المكذوبة المناصرة للسلطة زورًا وبهتانًا، وقمع كل المحدثين الحقيقيين أنصار علي عليه السلام بالقوة والسيف.

وثاقة الصحابة

(أهل السنة) مع قولهم بعدالة الصحابة لا يأخذون من بعض أتباع أبي تراب عليه السلام ومن قتلة عثمان وغيرهم مع كونهم صحابة، فقد وضع البخاري أول رجل بالغ أسلم في الضعفاء وهو هند بن أبي هالة (ابن خديجة عليها السلام) وهو بدري أحدي، قتل بين يدي علي بن أبي طالب في الجمل وهو يقاتل طلحة والزبير وعائشة حين خرجوا على إمامهم بغيًا وفسقًا، ورفضوا رواية الصلحاء من أصحاب علي عليه السلام من الصحابة أمثال عمرو بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي وعبد الرحمن بن عديس البلوي، وهو ممن بايع تحت الشجرة وشملته آية الغفران، وهم أتقى من الخلفاء أنفسهم عبادة وإلتزامًا بتوصيات رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله كما وصفهم علماء الرجال والمؤرخون، وهم ليس لهم رواية كما يدعون .

كما فسّقوا الصحابة الذين وصفوا بالخوارج وتركوا حديثهم إلا من كان يقع في علي عليه السلام أمثال حرقوص بن زهير السعدي الصحابي، والصحابي ذو الثديّة نافع بن المخدع وغيرهم من صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وهم أكثر من ٦٠٠ نفر أخرجوهم عن العدالة المفترضة للصحابة، ووثقوا من تغنى بقتل علي بن أبي طالب منهم، كما فعل البخاري بروايته عن عمران بن حطان الخارجي وعكرمة الخارجي لكرههم لعلي، فإما أن تنال العدالة جميعهم أو تكون مجزأة لا قيمة لها في الإستدلال، وهذا هو العلم والدين والعدل .

والمهم أن هذه العدالة المزعومة والتي حاولوا تفسير بعض آيات الكتاب الكريم زورًا بأنها تنص على عدالة الفساق من الصحابة، مخرومة عند الصحابة أنفسهم، فهذه فاطمة الزهراء عليها السلام الشوكة في حلوق أعداء محمد صلى الله عليه وآله وسلم كذّبت أبا بكر علانية في نقله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ادعاه: (ما تركنا صدقة)، وقد وجدت عليه حتى ماتت ولم تكلمه ولم تأذن بأن يحضر جنازتها ودفنت سرًا في قبر غير معلوم حتى لا يظهر عدوها أي حيلة لإثبات حسن نيته زورًا بالشكل فقط، وهذا أبو بكر كذّب سيدة النساء وقائدة نساء الجنة فاطمة الزهراء عليها السلام وأنكر عليها دعواها بما في يدها من زمن رسول الله صلى الله عليه وآله واغتصبها منها مكذبًا إيّاها ومكذبًا لوصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام، وهذا علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب يكذبان أبا بكر وعمر بنص صحيح مسلم (فرأيتماه كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا) و (فرأيتماني كاذبًا آثمًا غادرًا خائنًا)، وهذا عمر كذّب أبا هريرة وضربه بالدرة، وهذا علي عليه السلام كذّب أبا هريرة بشدة وهذه عائشة كذّبت أبا هريرة وقالت له مرة (فإذا حدثت عن رسول اللّه صَلَّى اللّه عَلَيه وسَلَّم فانظر كيف تحدث) يعني ليس الكذب فقط، فقد اتهمته بعدم الفهم وعدم الضبط.

وهذه عائشة كذبت الصحابة الذين قالوا أن النبي أوصى لعلي وهم أغلب الصحابة، وهذا أبو هريرة نفسه روى تكذيب الصحابة له حسب مسلم في صحيحه ج٣/ص١٦٦١ ح٢٠٩٨: (قال خرج إلينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال: ألا إنكم تحدثون

أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وقد كذّب أبو ذر رضي الله عنه زيدَ بن ثابت ووصفه باليهودي ولم يعترف بدعواه الإسلام زورًا، ولا بمعلوماته عن الدين، فقال له: (يا ابن اليهوديين أتعلمنا ديننا؟). ولو ترك أدعياء علم الحديث أحاديث الصحابة بدون إتلاف وتحريق وتزوير لظهر من التفسيق والتجريح بين الصحابة ما لا يمكن لعاقل أن يقول بنظرية عدالة الصحابة ولا توثيقهم، فقد أتلفت أكثر الوثائق ولا زال الإتلاف مستمرًا لهذا اليوم حتى لآثار النبي صلى الله عليه وآله والصحابة بالإضافة للأحاديث واللعب بها، ومع ذلك فقد رشح من بين الكتب في القرون الخمسة الأولى من ذكرٍ من السنة والشيعة من ذلك، ما يشيب منه الطفل، ولولا تلك الأفعال الشنيعة لعثرنا على أصول النصوص مثل روايتهم لتقييم عمر لأبي بكر فقد كانت مخزية، وبعضها مروي عن طريق شريك بن عبد الله النخعي، عن محمد بن عمرو بن مرة، عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة عن أبي موسى الأشعري، وبطرق أخرى مثل قول عمر: (كان أبو بكر أعق قريش، ... وهو أحسد قريش كلها).

وقال عمر لابنه عبد الله: أفي غفلة أنت من تقدم أحيمق بني تيم عليّ وظلمه لي؟! ووصف عبد الرحمن بن أبي بكر بدويبة السوء وهو خير من أبيه ويقصد أبا بكر، وقد رواه الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عياش الهمداني، عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر.

وقال عمر: وا لهفاه على ضئيل بني تيم لقد تقدمني ظالمًا، وخرج إليّ منها آثمًا.

وقال: لم يخرج إليّ منها (الخلافة) إلا بعد يأس منها.

وقال عمر أيضًا: والله لو أطعت زيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلمظ (أبو بكر) من حلاوتها (الخلافة) بشيء أبدًا.

وقال عمر: إن بيعة أبي بكر فلتة.

فهل مع هذه الأقوال وثاقة أو عدالة؟

إن الصحابة في الحقيقة لا يرون أي عدالة مطلقة لصحابي، حتى لو اكتفينا بالصحيح المثبت في كتب السنة دون غيره، فكيف إذا أتينا بأمثال تلك الشتائم العجيبة في وصف الأصحاب بعضهم لبعض، لكان كلامًا غريبًا حتى أنهم وضعوا في الأمثال بعض شتائم الصحابة لبعضهم وقد أورد أبي هلال العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) في أمثاله — في كتابه جمهرة الأمثال ج ١ ص ١٣٠ و ص ٥٥٣ قوله في المثل:

(قَوْلهم شَاهد الثَّعْلَب ذَنبه:

وَهُوَ مثلٌ مبتذل فِي الْعَامَّة وَقد جَاءَ فِي الْكَلَام لأبي بكر رَضِي الله عَنهُ خطب فَقَالَ أَيهَا النَّاس مَا هَذِه الرعة مَعَ كل قالة أَيْن كَانَت هَذِه الْأَمَانِي فِي عهد رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَلا من سمع فَلْيقل وَمن شهد فَلْيَتَكَلَّمْ إِنَّمَا هُوَ ثعالة شَاهده ذَنبه مرب لكل فتْنَة هُوَ الَّذِي يَقُول كروها جَذَعَة بعد أَن هرمت يستعينون بالضعفة ويستنصرون النِّسَاء كَأُمّ طحال أحوط أَهلهَا إِلَيْهَا الْبَغي ...)

وهذا الكتاب لكاتب سني أموي ممدوح من قبل رواة بني أمية، ولولا أن هذا الحديث الفاجر كان منتشرًا كالنار في الهشيم بل كان متواترًا عندهم لما أورده العسكري لشرح المثل. و الكلام موجه لعلي بن أبي طالب ويصف فيه علي بن أبي طالب عليه السلام بالقوّاد الفاجر وعلى بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، والعياذ بالله من سوء المنقلب.

ومجمل الكلام أن من الجهل أن يدعي أحد وثاقة جميع الصحابة وعدم حاجتهم إلى التوثيق والتعديل بناءً على مبانيهم لحاجة الناس الى معرفة من يسند إليه، ولا يكفي أن يكون الإنسان صحابيًا ليعفى من هذا التأكد .

ولا معنى لوثاقة جميع الصحابة مع ثبوت الكذابين بينهم بنص القرآن في آية التبيّن من الفاسق وغيرها، وبنص الرسول صلى الله عليه وآله، وأنه (ستكثر الكذابة عليّ) ولو كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يفهم ما يفهمه بهائم الوهابية لما قال (من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار) – كما في صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح ابن حبان –، لعدم الحكمة في استثناء الكل أو القول بما لا موضوع له.

والقرآن مشحون بذكر المنافقين من أصحاب رسول الله الذين ذابوا واختفوا فورَ وفاة رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام وكأن الأرض ابتلعتهم، ولكنهم في الحقيقة كانوا يجلسون على كراسي الإدارة في الأعلى ووعاظ السلاطين كانوا ينظرون في الأرض خجلاً والمنافق هو الكذاب الذي أظهر الإسلام زورًا وكذبًا ولا يتورع من الكذب على رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبما أنه قد علمنا وجودهم في جملة الأصحاب واختفت عنّا أعيانهم، فإن هنا علمٌ إجماليٌ منجزٌ يقتضي ترك كل حديث عن أي صحابي لتنّجز العلم الإجمالي قهرًا، بشبهة محصورة وأطرافها داخل ابتلاء المكلف، لقابلية تعدادهم وفرزهم، فلا يروى عن أحدهم حتى يثبت وثاقته شرعًا، مثل العترة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بالتمسك بها بنص صحيح صريح لا ينقضه إلا من ارتد عن الإسلام.

البحث عن أبي بكر في البخاري!

دعوى امتناع فسق أو ضلال الصحابة، لا صحة لها. وإن بعض كبار الصحابة كفر، وأنكر البعث واستهزأ برسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم وبكى على قتلى بدر وعلى أبي جهل، وقد كان شعوره في بدر مع الطرف الآخر لا مع المسلمين، وكل ذلك في حال السكر الذي هو غير مبيح للكفر، وقد صفح رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله لإظهار الصحابي التوبة والتوسل به.

وبهذه الرواية الصحيحة بكل المقاييس يثبت أن امتناع الضلال على الصحابي وامتناع سقوط العدالة إنما هو وهم من أوهام السياسة التي رسمها الحكام الجائرون الفاجرون، ولا صحة لها أبدًا.

نبدأ بأصدق كتاب بعد كتاب اللّه عندهم، لنرَ مقدار الكذب المتعمد، وذلك تغطية بسبب تلك النظرية التي تلبست عقولهم بأوامر من خلفاء بني أمية وغيرهم.

صحيح البخارى - (١٥ / ١٨٨):

٤٦١٧ - حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - رضى الله عنه - مَا كَانَ لَنَا خَمْرٌ غَيْرُ فَضِيخِكُمْ هَذَا الَّذِى تُسَمُّونَهُ الْفَضِيخَ . فَإِنِّى لَقَائِمٌ أَسْقِى أَبَا طَلْحَةَ وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ وَهَلْ بَلَغَكُمُ الْخَبَرُ

فَقَالُوا وَمَا ذَاكَ قَالَ حُرِّمَتِ الْخَمْرُ . قَالُوا أَهْرِقْ هَذِهِ الْقِلاَلَ يَا أَنَسُ . قَالَ فَمَا سَأَلُوا عَنْهَا وَلاَ رَاجَعُوهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ.

الرواية تقول بصراحة:

إن جمعًا من صحابة رسول الله فيهم فلان وفلان، كانوا يشربون الخمر فابلغوا بأن الخمر حرام، فأهرقوا دنان الخمر، وكان خمرهم مصنوعًا من التمر، وليس من العنب.

جيد لا مشكلة لحد الآن، فالمكلف ما لم يعلم بالتكليف لا شيء عليه.

لكن هل هذه هي الحقيقة؟

المشكلة أن هذه ليست الحقيقة مطلقًا.

لأن المشكلة أن الصحابي حين سكر، تفتقت قريحته الشعرية وأخذ ينوح قتلى المشركين في بدر ويندب أبا جهل، ويكذّب النبي وينكر المعاد ويسخر من الإسلام ...

فهنا مربط الفرس ..

فالرواية مبتورة ومحرفة، وتحريم الخمر صريحاً نزل قبل تلك الحادثة كما قيل بأن آية فهل أنتم منتهون نزلت في آخر المطاف وفي هذه الحادثة قال عمر بن الخطاب (انتهينا انتهينا...)، والصحابة الحضور ليس مجرد فلان وفلان وإنما هما أبو بكر وعمر، وهما من أجل أجلاء الصحابة، وأن أحد الحضور سكر سكرة جميلة، فانفلت

اللاشعور منه ليكشف المشاعر الداخلية كما يفعل الناس حين يريدون استخراج اقرار الباطن فيسقون خصمهم خمرًا فيكشف ما يراد باللاشعور، وقد انفلت الصحابي ليسب النبي محمد صلى الله عليه وآله ويبكي على قتلى بدر وينكر البعث والنشور مستهزءًا بفكرتها، وأن النبي سمع بذلك فجاء بجريدة يريد تأديب ذلك الصحابي ولكنه استعاذ بالنبي وتوسل به فقبل النبي توسله وصفح عنه، والصحابي اسمه أبو بكر، وهو مع عمر بن الخطاب كانا حاضرين، ولكن لا يعرفون من هو أبو بكر هذا؟

فهو أبو بكر نشأ فجأة وذهب فجأة لا وجود له ولم يعرف إلا من هذه الرواية وذيلها، وقد اختلط أمره فأصبح بعدة أسماء وبعدة شخصيات كما سيأتي، والله العالم من يكون هذا (أبو بكر) الذي كفر وقال شعرًا كافرًا.

فأصبحت مشكلة الحديث ليست في شرب الخمر ممن لا يعلم حرمتها، وإنما في الكفر والردة من مسلم صحابي بسبب تأثير الخمر وانفلات الانفعالات.

فلهذا أصبح هذا الحديث مرتعا للتزوير والتحوير إلى درجة مدهشة.

والبخاري جزّأ الحديث وفرّقه، ثم ركبه من حديث آخر، «وقد جوّز زميلنا المجسم النسر* أن يرّكب البخاري حديث من عدة أحاديث كما قال عن حديث (عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)».

* وهو محاور كان يحاور العلامة المنار في شبكات الإنترنت.

وكل عملية من عمليات البخاري كانت لهدف نبيل حيث حافظ على كرامة الصحابة، فقد أخفى الأسماء، وفرق بين جزئين من الرواية وهما حرمة شرب الخمر ومن قال تلك الأبيات الفضيعة ونسبتها إلى مجهول، ودمج رواية أخرى مع هذه الرواية وأعطى سبب نزول آخر للدلالة على أن ما شربه الصحابة من الخمر كان هنيئًا مريئًا طعامًا سائغًا، ولله الحمد.

ثم أجمل في صفة الخمر، ولم يبيّن أن حكام المسلمين كانوا يشربون الخمر بنية أنه ليس خمرًا بل هو نبيذ .. فحتى لو كان من عنب الحيرة فهو بنية المستخرج من التمر، لأنه عندهم مخصوص بما استخرج من العنب كما يدعون، بينما هذا من الفضيخ، وهو حالة من حالات التمر، وهذه الرواية الصحيحة تبين أن الخمر الذي حرمه الله إنما هو خمر الفضيخ نفسه لا الذي من العنب فيا سبحان الله!، ولهذا فالإجمال هنا أجمل بحال الصحابة من جهة فإن بعضهم لا زال يشربه حتى في فترة ولايته، ومن جهة ثانية بحال الحكام أنصار السنة الذين يشربون الخمر باسم النبيذ وبنية عدم الخمر، بالتوفيق والهناء والسعادة، نسأل الله أن لا يحرم أبا حاتم الطهراني منهم.

فلنر الرواية من جهات أخرى وبعد ذلك نأتي إلى البخاري ونستحسن فعله في التجزئة والتركيب والإخفاء والإغفال:

الفوائد – (٢ / ١٤٩):

١٥٩٣ – حدثنا يحيى ثنا علي بن عاصم أنبا عوف عن أبي القموص، قال شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم فأخذت فيه، فأنشأ يقول:

تحيي بالسلامة أم بكر وهل لك بعد رهطك من سلام

ذريني أصطبح يا بكر أني رأيت الموت نقب عن هشام

فـود بنـو المغـيرة أن فدوه بألـف من رجال أو سـوام

فـكأين بالطوى طوى بدر من القينات والخيل الكرام

فكـأين بالطوى طـوى بدر من الشيزي تكلل بالسنام

قال فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فقام معه جريدة يجر إزاره حتى دخل عليه فلما نظر إليه قال أعوذ من سخط [الله] ومن سخط رسوله، والله لا يلج لي رأسًا أبدًا، فذهب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه وخرج ونزل عليه فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا والله ونزلت آية فيها تحريم الخمر.

أقول: كلنا يعلم أن هشامًا الذي يود أن يفتديه بألف من الرجال أو السوام هو أبو جهل لعنه الله.

ورغم أن القصة لا تدخل عقل ابن حجر لغرابتها عقائديًا ونفسيًا إلا أنه قال عن سندها نظيف يعني لا شبهة فيه وهو من الصحيح القطعي فاقرأ يرحمك الله:

فتح الباري – ابن حجر – (١٠ / ٣٧):

(ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان عن أنس أن أبا بكر وعمر كانا فيهم وهو منكر مع نظافة سنده وما أظنه إلا غلطًا)

أقول: إذن الروايات النظيفة السند تنص على أن الشارب والقائل تلك الأبيات هو الخليفة أبو بكر، ولكن هذا لا يحتمله عقل، ولهذا وجدوا أن القائل هو أبو بكر زوج أم بكر التي كانت زوجة أبي بكر، سبحان الله لا علاقة بين الجميع إلا كلمة بكر!

ولكن ابن حجر لم يقبل هذه التجزئة للشخصية لأنه لم يستطع هضم الموضوع وإزالة القرينة العجيبة وهي وجود عمر الذي قال انتهينا:

وقد علّق ابن حجر على محاولة تحريف الاسم والشخصية التي وردت، فقال أن احتمال أن يكون غير الخليفة أبي بكر إنما هو احتمال تمنعه القرينة، فانظر يرحمك الله:

فتح الباري – ابن حجر – (١٠ / ٣٧):

(ثم وجدت عند البزار من وجه آخر عن أنس قال كنت ساقي القوم وكان في القوم رجل يقال له أبو بكر فلما شرب قال تحيي بالسلامة أم بكر ..الأبيات، فدخل علينا

رجل من المسلمين فقال قد نزل تحريم الخمر الحديث وأبو بكر هذا يقال له ابن شغوب فظن بعضهم أنه أبو بكر الصديق وليس كذلك، لكن قرينة ذكر عمر تدل على عدم الغلط في وصف الصديق).

فاحتمال الخطأ غير وارد عند ابن حجر، فهل هو غير متحمس للصحابة، إذن قد يكون مدسوسًا على السنة لأنه لم يفعل ما فعله البخاري.

وقبل أن نورد ما قيل في شخصية أبي بكر، هذا الذي قال هذا الشعر، علينا أن نبين ما الذي فصله البخاري وما الذي ركبه:

ما فصله هو مضمون هذا الحديث التحريفي الذي أراد أن ينفي شخصية أبي بكر من الموضوع:

صحيح البخاري - (٩ / ٥٣٢):

٣٩٢١- حَدَّثَنَا أَصْبَغُ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ كَلْبٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ بَكْرٍ فَلَمَّا هَاجَرَ أَبُو بَكْرٍ طَلَّقَهَا فَتَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا هَذَا الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ رَثَى كُفَّارَ قُرَيْشٍ

وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ   مِنْ الشِّيزَى تُزَيَّنُ بِالسَّنَامِ

وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ   مِنْ الْقَيْنَاتِ وَالشَّرْبِ الْكِرَامِ

تُحَيِّينَا السَّلَامَةَ أُمُّ بَكْرٍ   وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامِ

يُحَدِّثُنَا الرَّسُولُ بِأَنْ سَنَحْيَا   وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ

أقول: إن ما فصله هو مضمون هذا الحديث وأتى بما ينفي فقط، وسيتبين فيما بعد أنّ النفي نفسه اثبات للمقولة، فإذن هو جزء من الحديث فصله برواية نافية ومبدلة اسم الشاعر ومخترعة لقصة طريفة هي زواج وطلاق، والكل أبو بكر وأم بكر.

أما ما ركبه فهو إدخال آية حلية الطعام فيما لا علاقة له بها لأن فرض الحديث هو العمل مع عدم بيان التكليف، فلماذا التحليل بعد بيان التكليف بالحرمة؟:

صحيح البخارى - (٩ / ١٣٧):

٢٤٦٤ - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ أَبُو يَحْيَى أَخْبَرَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - كُنْتُ سَاقِىَ الْقَوْمِ فِى مَنْزِلِ أَبِى طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْفَضِيخَ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - مُنَادِيًا يُنَادِى ؛ أَلاَ إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ ؛ . قَالَ فَقَالَ لِى أَبُو طَلْحَةَ اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا، فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِى سِكَكِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهْىَ فِى بُطُونِهِمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) الآيَةَ .

أقول: فالرواية لم يذكر فيها نزول هذه الآية، لتقديم الشكر والعذر لمن كفر بالمعاد وسب نبي الإسلام وتكذيبه، وبكى على قتلى بدر من المشركين، فهذه من تركيبات الصحيح المصحح.

فما اسم هذا الشاعر الذي هو أبو بكر زوج أم بكر التي هي زوجة الخليفة أبي بكر؟:

أولاً: اسمه عمر بن سمي الخزاعي (ابن الشغوب أو الشعوب — لم يضبط اسم امه) ففي "نوادر المخطوطات" لـ عبد السلام هارون الصفحة٢٢: (قرأت على أخي محمد قال: سمعته يقرأ على أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: قرأت على ثعلب قال: قال أبو جعفر محمد بن حبيب: ذكر من نسب إلى أمه من الشعراء: (ابن شعوب) أمه شعوب من بني خزاعة، واسمه عمرو بن سمي ابن كعب بن عبد شمس بن مالك بن جعونة بن عويرة بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة. وهو الذي يقول:

ماذا بالقليب قليب بدرٍ   من القينات والشرب الكرامِ

وماذا بالقليب قليب بدرٍ   من الشيزى تكللُ بالسنامِ

تحييّ بالسلامة أمُّ بكرٍ   ومالي بعد قومي من سلامِ

يخبرنا النبيٌ بأن سنحيا   وكيف حياة أصداءٍ وهامِ

وله شعر كثير، قاله وهو كافر، ثم أسلم بعد.)

أقول: وقوله: (قاله وهو كافر)، يعني أنه قال هذا الشعر في مكة، ولم يكن في المدينة أصلاً، فانظر إلى هذه الطامة في تبادل المكان والزمان .

ثانيًا: أصبح اسمه شدّاد بن الأسود من قبيلة كلب، وليس من قبيلة كنانة، كما في التعليقة على صحيح البخاري:

صحيح البخاري – (٣ / ١٤٢٧):

٣٧٠٦ – حدثنا أصبغ حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة: أن أبا بكر رضي الله عنه تزوج امرأة من كلب يقال لها أم بكر فلما هاجر أبو بكر طلقها فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر الذي قال هذه القصيدة رثى كفار قريش

وماذا بالقليب قليب بدر * من الشيزى تزين بالسنام

وماذا بالقليب قليب بدر * من القينات والشرب الكرام

تحيي بالسلامة أم بكر * وهل لي بعد قومي من سلام

يحدثنا الرسول بأن سنحيا * وكيف حياة أصداء وهام

[ش (كلب) اسم قبيلة . (الشاعر) هو أبو بكر شداد بن الأسود .....]

أقول: من هذا الحديث نجزم أن ابن عم (أم بكر) المفترض زواجها منه كان في مكة مع الكفار في وقت هذه المرثية، لأن أم بكر تركها أبو بكر في مكة كما هو نص الرواية، فما علاقة هذا الموضوع بما حدث في المدينة بين دنان الخمر؟

ثالثًا: أصبح هذا الشاعر من بني كلاب وليس من بني كلب! وبقدرة قادر تغيرت قبيلته! يا سبحان الله!

وبعد اكتشاف أن أبا بكر هذا هو شخص آخر تداخل صدفة مع أبي بكر في ذلك المكان رغم أن الفارق هو ٤٣٠ كم والذي تواجد فيه أبي بكر وعمر، فإن الطحاوي في "مشكل الآثار" وجد فرجًا في الرد على تهمة لم يصرح بها ولا نفهم ما هي، ولكنها من الباطل الذي ورد في هذا الموضوع فبينه الحديث الذي يقول أن أبا بكر هو رجل آخر بحمد الله، واتضحت الصورة، والله المستعان .

فانظر بتمعن:

شرح مشكل الآثار – (٧ / ٣٣٠):

حَدَّثَنَا يُونُسُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي كِلَابٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ بَكْرٍ، فَلَمَّا هَاجَرَ أَبُو بَكْرٍ

طَلَّقَهَا فَتَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا هَذَا الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ رَثَى بِهَا كُفَّارَ أَهْلِ بَدْرٍ:

[البحر الوافر]

وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ مِنَ الشِّيزَى يُزَيَّنُ بِالسَّنَامِ

وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ مِنَ الْقَيْنَاتِ، وَالشَّرْبِ الْكِرَامِ

تُحَيِّي بِالسَّلَامَةِ أُمُّ بَكْرٍ وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامِ

يُحَدِّثُنَا الرَّسُولُ بِأَنْ سَنَحْيَا وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءٍ وَهَامِ

.فَبَانَ بِحَمْدِ اللهِ وَنِعْمَتِهِ أَنْ لَا تَضَادَّ فِي شَيْءٍ مِمَّا ظَنَّ هَذَا الْجَاهِلُ أَنَّهُ قَدْ تَضَادَّ مِنْ أَقْوَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَانْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْهَامَّةِ وَمِنَ الْهَامِ الَّذِي صَرَفْنَا وَجْهَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى مَا صَرَفْنَاهُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَاللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ.

أقول: بالتوفيق، فقد وفّق الرجل في صرف المعنى على الصحيح كما يرى بشهوته، بحمد الله!

إذن قد تحرك اسمه وتحركت عشيرته وأصبح ذو النسب والحسب ينتمي لعدة شخصيات وهمية، ولكنه متغير ومتحرك، لأنك لو سألت عنه تلك العشيرة فسيقال أنه من الثانية أو الثالثة ولو طولب الرجل باسمه الأوّل لقيل بل هو الثاني والثالث والرابع، وهذه إجراءات أمنية كما لا يفوت على أهل الفن، والحمد لله رب العالمين.

وسيأتي أمر آخر يخلط الأوراق حيث يدعى أن "شدّاد بن الأسود" هو من كنانة وليس من كلاب أو كلب كما تقول الصحاح، فقد علق في الإصابة بشيء عجيب دمج بين الشخصيتين فقال:

(قال بن فتحون وهذا البيت لأبي بكر شداد بن الأسود بن شعوب من جملة قصيدة رثى بها أهل بدر فلعل أبا بكر الكناني تمثل بها في حال شربه، قلت خفي على بن فتحون أن أبا بكر بن شعوب هو أبو بكر الكناني وظن أن الكناني مسلم وأن بن شعوب لم يسلم فلذلك استدركه).

بينما مر عليك أن شداد بن الاسود هو من كلب أو كلاب، وأن ابن شعوب اسمه: (عمرو بن سمي ابن كعب بن عبد شمس بن مالك بن جعونة بن عويرة بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن كنانة) وهو مشرك كان في مكة كما يبدو ولم يكن في المدينة أصلاً، ولكن ابن فتحون دمج بين عمرو بن سمي (ابن شعوب) وبين شداد بن الأسود، فرد عليه ابن حجر أن ابن شعوب نفسه الكناني وأنه لم يسلم قط فاختلط الأمر وأصبحنا لا ندري في أي اتجاه تسير القضية.

المصيبة أنهم حين يأتون إلى مثل هذا الأمر فيذوب الأشخاص ويصبح الإنسان هلامًا لا شكل له، لا يمكن أن يعرف، فيكون في النصوص: (فلاناً) ويكون (رجلاً) ويكون (بعض المسلمين) بدون تحديد، وهكذا تنزل عليه طاقية الإخفاء فلا يُعرف، وكأنّ الله سلّط ملائكته لإخفاء كل جرم ومخالفة لفساق الصحابة، بينما لا ينسى هؤلاء الرواة أن

يصفوا بول النبي واقفًا وشربه من قبل خادمته، أو مواقعته لزوجته وهي حائض، أو صلاته بين أفخاذها وما شابه ذلك من دقة في الوصف حتى أنهم كانوا يراقبونه في خلواته وتحت فراشه، وينشرونها في روايات يعتبرها بعضهم جزءًا من الاعتقاد، مهما كانت غير مناسبة لشخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على رؤوس الأشهاد، فذلك ضروري الفضح، وأما فساق الصحابة والمنافقين منهم، فيتبخرون ولا يعرفون إلى هذا اليوم، وذلك ضروري الستر.

أليس في ذلك سر يا اخوتي؟

لعلهم أعز على الله من الأنبياء؟

قد يكون، فعند هؤلاء كل شيء جائز ..

ثم نأتي إلى معالجة السيدة عائشة لدعوى أن أباها قد سكر وكفر ثم تاب وتوسل من رسول الله، فإنها نفت وغضبت وأخذت تدعو على من ينشر ذلك، وهذا يعني أن الخبر منتشر بين الصحابة وهي باعتبارها كانت وزارة الإعلام في زمن أبيها وزمن عمر، فكانت تحاول خلق الأوهام والأكاذيب في هذه القصة، بدليل أن الصحاح تؤكد أنها هي بذاتها من اخترع قصة أبا بكر زوج أم بكر التي هي زوجة أبي بكر أبيها، وهي من سمته، وهو الكافر الذي لم يصل للمدينة في حينها كما يقولون، فالقضية محصورة بها، كما تقدم نقلنا عن صحيح البخاري.

وبمناسبة انتشار الخبر فقد كان هذا الموضوع مصدر إلهام لشعراء مثل السيّد الحِمْيَري (رحمه الله) الذي صرح بهذا فقال:

(لولا عتيق وسوء سكرته * كانت حلالاً كسائغ العسل)

فالقضية أوسع انتشارًا مما أرادت السيدة عائشة تضيقه.

والآن ننقل بعض النصوص الأخرى المكملة لهذه القصة العجيبة وفيها محاولات دفع الأمر ونفي أن يكون أبا بكر أصلاً قد شرب الخمر لا في جاهلية ولا في إسلام فيصبح قول عمر (انتهينا انتهينا) أي من أكل لحوم الدجاج، وكذلك فهم يقولون أن أبا بكر لم يقل شعرًا قط، بينما قد عد من أشعر الصحابة أو من الشعراء الخلفاء، يعني أكوس كثيف العارضين، فلنقرأ ونتمعن:

الصواعق المحرقة - (١ / ٢١٥):

الحديث السابع والستون أخرج ابن عساكر أنه قيل لأبي بكر في مجمع من الصحابة هل شربت الخمر في الجاهلية؟ فقال: أعوذ بالله. فقيل ولم قال كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي فإن من شرب الخمر كان مضيعا في عرضه ومروءته فبلغ ذلك رسول الله فقال صدق أبو بكر صدق أبو بكر. وهو مرسل غريب سندًا ومتنًا.

و أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة قالت والله ما قال أبو بكر شعرًا قط في جاهلية ولا إسلام ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية

تاريخ دمشق – (٣٠ / ٣٣٤):

أخبرنا أبو السعود بن المجلي نا أبو الحسين بن المهتدي أنبأ أبو بكر بن علي الديباجي نا علي بن عبد الله بن مبشر نا محمد بن حرب النسائي نا أبو مروان يحيى بن أبي زكريا الغساني عن هشام عن عروة عن عبد الله بن الزبير قال ما قال أبو بكر شعرا قط ولكنكم تكذبون عليه.

تاريخ الإسلام للذهبي – (١ / ٣٨٤):

وقال عنبسة بن عبد الواحد: حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أنها كانت تدعو على من زعم أن أبا بكر قال هذه الأبيات، وقالت: والله ما قال أبو بكر شعراً في جاهلية ولا في إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية.

الإصابة في تمييز الصحابة – (٧ / ٤٥):

وقد أخرجه الإسماعيلي من طريق أحمد بن صالح عن وهب عن بن يونس فلم يقل من كلب بل زاد فيه ان عائشة رضي الله عنها كانت تقول ما قال أبو بكر شعرا في جاهلية ولا إسلام وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من طريق الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تدعو على من يقول إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال هذه القصيدة ثم تقول والله ما قال أبو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الإسلام ولكن تزوج امرأة من بني كنانة ثم بنى عوف فلما هاجر طلقها

فتزوجها بن عمها هذا الشاعر فقال هذه القصيدة يرثي كفار قريش الذين قتلوا ببدر فتحامى الناس أبا بكر من أجل المرأة التي طلقها وإنما هو أبو بكر بن شعوب قلت وكانت عائشة أشارت الى الحديث الذي أخرجه الفاكهي في كتاب مكة عن يحيى بن جعفر عن علي بن عاصم عن عوف بن أبي جميلة عن أبي القموص قال شرب أبو بكر الخمر في الجاهلية فأنشأ يقول فذكر الأبيات فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقام يجر إزاره حتى دخل فتلقاه عمر وكان مع أبي بكر فلما نظر الى وجهه محمرا قال نعوذ بالله من غضب رسول الله صلى الله عليه و سلم والله لا يلج لنا رأسا أبدا فكان أول من حرمها على نفسه واعتمد نفطويه على هذه الرواية فقال شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم ورثى قتلى بدر من المشركين وأما ما أخرج البزار عن أبي كريب وجنادة عن يونس بن بكير عن مطر بن ميمون حدثنا أنس بن مالك قال كنت ساقي القوم وفيهم رجل يقال له أبو بكر من بني كنانة فلما شرب قال ... تحيى أم بكر بالسلام ... وهل لي بعد قومك من سلام ... يحدثنا الرسول بأن سنحيى ... وكيف حياة أصداء وهام قال فنزل تحريم الخمر فذكر الحديث وفيه كسر الآنية وإهراق ما فيها.

قال بن فتحون وهذا البيت لأبي بكر شداد بن الأسود بن شعوب من جملة قصيدة رثى بها أهل بدر فلعل أبا بكر الكناني تمثل بها في حال شربه قلت خفي على بن فتحون أن أبا بكر بن شعوب هو أبو بكر الكناني وظن أن الكناني مسلم وأن بن

شعوب لم يسلم فلذلك استدركه، وقد ذكر بن هشام في زيادات السيرة أن بن شعوب المذكور كان أسلم ثم ارتد والله أعلم.

......*

ولعل أبلغ التعليقات على هذه العجائب هو تعليق "الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله" (١/١٣٣):

(وقد بلغ شيوع شرب أبي بكر للخمر حداً اضطرت معه عائشة إلى التصدي للدفاع عن أبيها: فكانت تقول: (ما قال أبو بكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية)

وعنها: (لقد حرم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية).

ويظهر: أن أم المؤمنين قد فشلت في الدفاع عن أبيها، ولذلك نرى الزهري يروي عن عروة، عن عائشة: أنها كانت تدعو على من يقول: إن أبا بكر الصديق قال هذه القصيدة، ثم تقول: (والله ما قال أبو بكر شعراً في جاهلية ولا في إسلام) . ثم تنسب القضية إلى رجل آخر يُدَّعى أن اسمه أبو بكر بن شعوب.

ولكننا لا ندري ما تقول أم المؤمنين في قولهم المعروف: (كان أبو بكر شاعراً، وكان عمر شاعراً، وكان علي أشعر الثلاثة). [كنز العمال ج ١٥ ص ٩٧ عن ابن عساكر، وراجع: أنساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٥٢ و ١١٤، وترجمة الامام

علي من تاريخ ابن عساكر تحقيق المحمودي ج ٣ ص ٢٤٢، وفي هامشه عن كتاب الرجال لاحمد بن حنبل ج ١ص ٣١٣ ط ١ ..]

بل ذكر البعض: أن الخلفاء الأربعة كانوا أشعر الصحابة، وكان أبو بكر أشعر الخلفاء، وقد جمع البعض له ديواناً تعجز عن تقريضه أفواه المحابر، وألسنة الأقلام، رتبه على حروف المعجم. [التراتيب الادارية ج ١ ص ٢١١ .] انتهى.

....*

ثم ليعلم الجميع أنه بعد أن ثبت هذا بهذه الصورة، فسعى البكرية والأمويون أن ينسبوا ذلك برواية مرسلة من طرفين لتكون كذبًا مدبلجًا لا يعرف له أصل، ثم أنها مرسلة عن مفسر له تفسير، وهو السدي، وقد ثبتت كل أقواله ولكن هذا القول لم يرو عنه قط، والرواية تكذب على السدي فتقول بإرسال من السدي أيضًا: إن من شرب الخمر هو علي بن أبي طالب في تلك الواقعة، ولكنهم لم يقولوا بأنه هو من قال الشعر، من أجل أن يقولوا كلنا في الهوى سوى، فكلنا كنا سكارى، بُعدًا لهم، فإن علي عليه السلام لم يعاقر الخمر قط فهو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نعومة أظفاره وهو تلميذه الخاص، ولم يقبل النبي صلى الله عليه وآله لنفسه ولمن يحبه أن يعاقر الخمر والفاحشة، بل عليٌ معصوم عند نصف المسلمين معنويًا، وهؤلاء غير معصومين بإجماع المسلمين. فإن من تحتمل عصمته لا يدانيه من لا تحتمل

عصمته، وعلى كلٍ فالنصب والكراهية للنبي ولأهل بيته تفعل الأعاجيب، وليس هذا مبحثنا.

أقول خلاصة القول في هذه القضية: إن هذه القضية الصحيحة النقية السند، تقول بأن الصحابة يمكن أن يضلوا ويفسقوا ويكفروا، وهم بين ظهراني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما بالك بعده وقد حدث الرسول بأن الله أخبره بماذا يحدثون بعده؟ مما يوجب لهم دخول نار جهنم ..

ويصبح طلبنا صحيح في توثيق أبي بكر، فإن احتياجه إلى التوثيق قائم بنفسه خصوصًا بعد انكشاف ما في النفس نتيجة السكر (حتى لو كان مباحًا)، إلا أنّ كوامن النفس ظهرت بهذه الأبيات المشؤومة، فعليه يجب توثيقه ممن عاصره، لنعرف أن تلك الشائبة قد زالت نهائيًا، لنحكم بالوثاقة، خصوصًا وأن الزهراء عليها السلام كذبته في دعواه حديث على رسول الله صلى الله عليه وآله علنًا.

القرآن عينٌ

القرآن عين متداولة، هذه حقيقة عندنا بل حتى عند أهل السنة لو فهموا النصوص فإن العرضة التي كان يقوم بها رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله إنما هي توثيق لنص القرآن المكتوب عند الصحابة فكان يعرض عليهم الآيات آية، آية ليصححوا الخطأ فيما إذا كتبوه بشكل غير بيّن أو باشتباه النسخ.

- وأما تلف النسخ القديمة فهذا غير مهم لأن التداول هو عبارة عن النسخ المقابلة بالتدقيق على العين المتداولة العامة وأما الخاصة فهي عينٌ موجودة عند أئمتنا عليهم السلام وهناك بعض النسخ موجودة في المتاحف بخط الإمام الحسن وخط الإمام الرضا ومنها نسخة في الصحن الحيدري تتطابق تمامًا مع هذه النسخ الحالية.

- طبعًا هناك محاولات كثيرة لتحريف القرآن قام بها الخلفاء لم تنجح بسبب حفظ أهل البيت عليهم السلام للقرآن وعدم تمكين الحكومات من النسخ الأصلية للقرآن التي دونها النبي محمد صلى اللّه عليه وآله، وإن ادّعى عثمان بأنه أخذ قرآنه من نسخة حفصة التي هي نسخة النبي ولكنه اتهمها بأنها غير كاملة وبدأ هو وعمر يطلبان الشهود للآيات المنسية كما يدعون (وهذه الروايات كلها كذب) كما اتهم القرآن بأنه ملحون سيقوّمه العرب وهي دعوة للتغيير في بعد زمنه وقد فشلت الدعوة بفضل أهل البيت عليهم السلام.

علم الحديث وعلاقته بالدين

هناك أسئلة محورية وإجابات معروفة تحدد ملامح طريق أي علم، وعلم الشريعة لا يشذ عن ذلك، فهناك أسئلة محورية وأجوبة متفق عليها، وحين يكون الجواب مختلف عليه فتنشأ مساحة للحوار والأخذ والرد وبذرة للاختلاف الذي قد يؤدي إلى الخلاف، ومما لا شك فيه أنه قد وقع هذا في العلم الشريعة أشد مما وقع في علوم أخرى .

وفي المجال المتعلق بعلم الحديث وصلته بالدين فهناك أسئلة محورية وإجابات، فعلينا أن نفكر في هذه الأسئلة المحورية والإجابات عليها لنرى ما هي حقيقة الصحاح والموضوعات في علم الدين.

- السؤال الأول: ما أهمية علم الحديث في علوم الدين؟

الجواب: علم الحديث علم يتكفل نقل أقوال المعصوم وغيره ممن يحيط بالمعصوم، وهذا يعني أنه العلم الذي يتكفل لنا نقل النصوص الشرعية التي هي أحد أهم ركائز الدليل الديني، ونقل النصوص هي حركة إنسانية يشوبها الكثير من نقاط الضعف والقوة وهي تحتاج إلى ضوابط للتثبّت من الصدور ليكون النص حجة شرعية.

- السؤال الثاني: هل علم الحديث علم ذو موضوع واحد أم مواضيع متعددة؟

الجواب: علم الحديث يحتوي على مواضيع متعددة يجب تحقيق أغلبها وفق معايير محكمة ليكون ما ينتجه علم الحديث حجة شرعية، ومن مواضيع علم الحديث ضبط النص وتحقيق رجال السند ودراسة القيمة المعرفية للضبط ولوثاقة الصدور (وهذا جزء مهم من علم الأصول)، ويلحق به علوم مثل علم التاريخ وعلم العقائد والاتجاهات الفكرية والسياسية (ظروف الراوي وظروف النص) وقد يحتاج هذا العلم لعلوم أخرى مثل الرياضيات والمنطق لأنه علم مبني على الإحصاء والاستنتاج وغير ذلك مما له دخالة بعلوم عقلية مهمة مثل الرياضيات والمنطق.

- السؤال الثالث: هل درس المسلمون كل هذه المواضيع بصورة مستوفية؟

الجواب: هذا السؤال يجاب عليه بشكل مستقل وشخصي لكل مجموعة فكرية ولكل فرد فيها بموجب العمل الذي تتبعه المجموعة والفرد الذي يحاول الوصول للحقيقة فيها، وعلى كل حال هناك اتجاهات معروفة في ذلك، منها: الإتجاه القائل بأن الحديث يؤخذ عن الجماعة التي يرتضيها السلطان ولا يجب التدقيق فيها إلا بمقدار معايير الاستخبارات العسكرية للسلطان على أساس الولاء له، وهذا الاتجاه يقبل التزوير أساسًا وتحريك علم الحديث بموجب المصالح الآنية أو الاعتقادية وهذا اتجاه هلامي لا يعرف له استقرار علمي، وأبرز أصحاب هذا الاتجاه هو الاتجاه الحديثي السلفي (أصحاب الحديث والحشوية).

الإتجاه الثاني هو اتجاه تحصيل الحقيقة المجردة، ويمثله الشيعة الإمامية وبعض أنواع الشيعة وبعض أهل السنة من غير أصحاب الحديث، وهذا الإتجاه له عدة اتجاهات، فمنه ما يركز على القيمة العلمية للدليل، ومنه ما يركز على المكانة الدينية للنص، وبين المدرستين خلاف فكري حاد، ولكن حين الصفاء النفسي لا بد أن يعود الأمر إلى القيمة العلمية للدليل ثم التحول إلى مكانة النص الدينية وقوتها الإلزامية أي بالترتيب ولا يجوز تقديم المكانة الدينية لنص لم يصل إلى مرتبة الحجة من ناحية الدليل العلمي.

- السؤال الرابع: لماذا لا يقبل الشيعة انتمائهم للاتجاه الأول وهل الحركة الإخبارية تعتبر انتماء للاتجاه الأول؟

الجواب: الحركة الإخبارية ليست انتماء للاتجاه الأول بل هي على النقيض من ذلك وقد يأتي بيان ذلك، وأما لماذا لا يقبل الشيعة الانتماء للاتجاه الأول فالجواب بكل بساطة هو: لأنه اتجاه لا ديني وضد الدين بينما المسلم يجب أن يكون متدينًا، والاتجاه الأول وضع نصب عينيه الولاء للحاكم ولهذا أنتج قوائم وجداول مبنية على أساس الولاء لمعاوية وحزبه ومن جاء بعده من الحكام حتى لو ناقضوا فعل معاوية، فهذا عامر الشعبي كان يعترف بأنه كان يرفض رواية أي شخص ينتمي بالولاء لعلي بن أبي طالب وقد كان يتحرى عن كل أحباب أبي تراب ليرفض روايتهم بينما كان يعلم هو ودولته أن الحمصيين كانوا يفتحون دكاكين للرواية الكاذبة المفتعلة عن رسول

الله خدمة للسلطان ولكنهم يروون عنهم، فعامر الشعبي وغيره ممن بدأ ذلك بأوامر صريحة من معاوية ومن عبد الملك بن مروان إلى كافة عمالهم بالتحري عن أتباع علي (وهم أتباع رسول الله) وإسكات صوتهم وتشويه صورتهم بدعاوى وفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان، وهذا اتجاه سياسي عسكري لا علاقة له بالدين وبالحقيقة، بينما رجال الشيعة رفضوا حتى إدعاء الولاء لعلي أن يكون أساسًا في أخذ الحديث وإنما وضعوا معيار الصدق والإيمان الذين هما أساس وعمود الحقيقة، وعلى كل حال فمن الناحية العقلية المجردة فإن الصدق وحده كاف في صحة اعتبار النقل كما هو سيرة العقلاء في كل العلوم، فالوثاقة بالصدق والموضوعية تجعل من طالب علم الطب يأخذ معلوماته عن الأطباء المسلمين والهندوس والنصارى واليهود وغيرهم وليس في ذلك ضير في أي نقل لحقيقة أو مشاهدة أو تجربة إذا كان يوثق بصدق وإلتزام صاحب القول الأساس أو الناقلين عنه. وهذا هو مقتضى العقل ومقتضى الوصول للحقيقة، وبما أن الشريعة منحصرة بالأخذ عن رسول الله فلا مجال فيها للأخذ من الكافر (سالبة بانتفاء الموضوع)، بينما هذا مرفوض رفضًا مطلقًا عند الاتجاه الأول حيث أنه يتعمد الأخذ عن الكذابين المشهورين بسبب الولاء السياسي للحاكم وليس من أجل الوصول إلى حقيقة ما قاله أو فعله الرسول، وأبسط مثال على ذلك هو أبو هريرة حيث كان يعده الإمام علي عليه السلام أنه أكذب خلق الله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينما كان نفس هذا الشخص المجهول الأصل والهوية معتمد جيش معاوية في الحديث عن رسول الله، وهذان خطان متباينان لا يمكن الجمع بينهما. والخط الأول لا يستنكف

من هذا المشروع بل يعتبر إن أساس مشروعية الحديث هو ما كان نقلاً عن المرضيين عندهم فجملة: (يحدث عنه) أو (يروى عنه) تعبر عندهم عن الوثاقة وصحة الصدور، وهذا الوصف هو وصف متعمد لبيان الاتجاه والتقارب النفسي والعقدي بين المقيّم والراوي على أساس الولاء كما قالو يروى عن أهل السنة ولا يروى عن غيرهم إلا بشواهد. بينما قد نقلوا تقييمًا بلا حياء يقول (صدوق ديّن متروك) لعدم ولاءه للسلطة. ومن يريد المزيد عن فهم هذا الإتجاه فعليه بكتاب «العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل» للعالم الشافعي السيد ابن عقيل باعلوي اليماني.

- السؤال الخامس: ما حجة القائلين بالتركيز على المكانة الدينية؟

الجواب: يقول هؤلاء أن المؤمنين القدماء قد أخلصوا النية للّه وناقضوا طريق أهل الولاء السياسي فقاموا بالتمحيص والتدقيق بما لا مزيد عليه لتحصيل الحقائق، فحددوا الإنتاج بالشكل الذي وصلنا، فما وقع بين أيدينا هو نتيجة التمحيص الذي لا نتمكن من ردّه، ولهذا فعلينا أن نركز على مكانة عمل هؤلاء وعلى مكانة النص الديني الذي حققوه فلا يحق لنا التحري على تحريهم.

وقال قسم منهم بأن قاعدة منجزية العلم الإجمالي تفرض علينا إجراء معالجات التعارض ولا التمحيص باعتبار أن كل وسائل التحقق المتاحة للبشر ظنية لا ترقى إلى مستوى العلم الحقيقي فتكون الحقائق مبثوثة بين السطور وعلينا معالجتها معالجة

المعلوم إجمالاً وقوعه بين هذا الكم المظنون. وقال بهذا الإتجاه من الإخباريين السيد حسين الكركي ومن الأصوليين المرجع السيد محمد الروحاني قدس الله نفسيهما .

- السؤال السادس: ما رد المخالفين لهؤلاء والقائلين بتقديم القيمة العلمية؟

الجواب: يقولون أن من الصواب القول بأن القدماء عليهم رضوان الله قد محصوا الحديث وغربلوه، ولكن هذا التمحيص كان نتيجة عملية اجتهادية غير ملزمة لمجتهد بعدهم وإنما هي وفق المباني العلمية التي يتبناها المجتهد، وهذا يستدعي بقاء التمحيص، والدليل على أنها عملية اجتهادية هو النقد القديم عند نفس القدماء لبعضهم البعض في الأخذ والرد للكثير من الأحاديث ومن الرجال المعروفين . وهذا الخلاف العلمي القديم يؤكد أنها اجتهادات في نظرهم قابلة للمناقشة وإعادة التمحيص ولم يكن الأمر متأخرًا بل هو من البداية وإلى عصور متأخرة. وأما مسألة تطبيق منجزية العلم الإجمالي فقد يكون الكلام فيها صحيحًا إذا كان الظن غير حجة ولكن بناءً على أن العلم المطلوب هو الإطمئنان الذي هو الظن العالي المعتبر فيكون الكلام سابق لأوانه ويجب التمحيص لتحصيل هذا الحال لأنه متوفر وعقلائي بكل معنى الكلمة وإلا لما ثبت خبر في الأرض مطلقًا، والمسألة متعلقة بالقيمة المعرفية للشهادة.

- السؤال السابع: إذن، هناك خطأ شائع يقول بأن الشيعة لا يعتنون بعلم الحديث؟

الجواب: بكل تاكيد وقع ذلك، وإلا فإن الشيعة أكثر دقة في علم الحديث ودقتهم مبنية على أنه أمر يتعلق بحقيقة الدين وحقيقة التكليف وهو ينطلق من التدين والمسؤولية الشرعية أمام الخالق، ولهذا فإن التمحيص يعتبر تكليفاً شرعيًا بالنسبة للمجتهد وهو غير مفيد وغير مسموح له لمن لا أهلية له لعدم جواز التصدي لمن ليس أهلاً للفتوى بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا لا يختلف عليه مسلم متدين.

- السؤال الثامن: إذن، ما هي قيمة تكوين الصحاح والموضوعات على شكل جداول ودراسات؟

الجواب: لا قيمة لها من ناحية فعلية إلا من جهة الاستيناس بتحقيقات الآخرين، ولكنها تعتبر مضرة دينيًا فيما إذا أخذت طابع الإلزام كما حدث في الحديث السني حيث أصبحت الصحاح والموضوعات مصدر دجل وتهرب من الحق ومن المسؤولية الشرعية ونفي الحقيقة بالاستدلال بوجود هذه الجداول المعدة مسبقا للدجل.

- السؤال التاسع: ما علاقة ما يقوله الوهابية بأن الشيعة يأخذون عن الضعفاء ويوثقون بعض الغلاة وبعض أهل السنة وبعض الزيدية وغيرهم؟

الجواب أن كلامهم لا علاقة له بالعقل أو العلم وإنما هو مجرد كلام وسباب لا قيمة له من الناحية العلمية، فما يقولونه يثبت أن الأصل عند الشيعة هو الصدق لا الاعتقاد أو العمل ما عدا الكذب وشرب الخمر وأمور أخرى منصوصة وهي أمور بعضها تعبدي

كالخمر وبعضها ضروري عقلي ونصوص شرعي كالكذب الذي هو الفسق المقصود في الآية الشريفة. وهذا مبدأ عمل به كل العقلاء من البشر ومن يريد الحقيقة ولكن الجماعة باعتبار أنهم لا عقل لهم ولا يريدون الحقيقة إلا الولاء الحزبي لمعاوية وأنصاره من الدعاة إلى نار جهنم بنص رسول الله.

ومع ذلك أقول بصراحة أن الشيعة لا يعملون بالخبر الضعيف إلا إذا كان لقرينة، وهو ما يعبر عند السنة صحيح لغيره، أي أنه ضعيف وافق الصحيح أو وافق العمل الصحيح المشهور أو المتواتر، فلو أخبرنا ضعيف أن صلاة العصر ثلاثة لا نقول بما أن الخبر ضعيف فلا تكون صلاة العصر ثلاثة ركعات، فهذا نوع من الجنون لا نقترب منه ..

فالشيعة لا يأخذون عن الضعفاء إلا إذا كان الضعيف قد روى رواية معمول بنصها، وهذا خلاف أدعياء الصحيح من الوهابية حيث أنهم يقولون أن الحديث الصحيح هو ما كان عن الثقة ويؤخذ بالصحيح فقط ويترك الضعيف، بينما هم يروون عن الضعفاء والمجسمة الكفرة والخوارج المبغضين لعلي سيد هذه الأمة بعد رسول الله.

الواحد لا يصدر منه إلا واحد

مقولة (الواحد لا يصدر منه إلا الواحد).. مرفوضة فلسفيًا عند الكثير من المحققين فقد ألّف علماء الشيعة أكثر من ثمانية رسائل في إبطالها ذكرها الشيخ آغا بزرگ الطهراني في الذريعة، غير أن بعضهم يراها مما يمكن القول بها ولكن مع الكثير من التغيير والضبط، وهي في الحقيقة مقولة الثنوية الفرس التي أخذها أفلوطين السكندري فأسس عليها نظرية العقول العشرة وأخذها عنه بعض الصوفيين لبناء نظرية وحدة الوجود، ومع التسليم بالقول بها لكن القائلون لا يقولون بلزوم التعدد لتعدد خصائص المخلوق رغم وجود مثل هذا الإشكال من قبل بعض المحققين، لأنهم يجيبون عن هذه الشبهة التي أثارها عليهم العلماء قديمًا، ويقولون أن الواحد صدر منه صادر أول واحد وذلك الأول صدر منه ثان والثاني صدر منه ثالث إلى تمام العقول العشرة فكثرت الموجودات القابلة للمزج بينها فيصدر منها متعدد الصفات بحسب المزج إلى ما لا نهاية وليس أن التعدد صدر من الواحد أو أن هذا التعدد منفي لكون المصدر واحدًا، وهذه فكرة خيالية تتحكم في ذات الله بشكل واضح ودليلها هو العجز عن إدراك الله فيقوم الفيلسوف بخلق صورة خيالية لطبيعة خلق الله للأشياء معتقدًا أنّ هذه هي الصورة الحقيقية الوحيدة للخلق بينما البرهان والخلق نفسه يسقط مقدمات هذه النظريات في الخلق.

إن علماء الشيعة ناقشوا النظرية النسبية قبل آينشتاين بمئات السنين وكذلك أدركوا خطأ كارل ماركس في نظرية التناقض الذاتي في الحركة كما ادعى وحددوا موطن الخطأ وقد نقدوا الكثير من الأخطاء الفلسفية وأثبتوا عدم تمامها بذاتها.

وكل ذلك ببناء منظومة فكرية جهز أسسها الأئمة عليهم السلام.

لكل شيء حكم

إعلم أن الدليل دلَّ على عدم خلو واقعةٍ من حكمٍ، فعلى فرض الخلو، فإمّا يكون الله جاهلاً أو غير مريد وكلاهما باطل قطعًا (وحاشاه سبحانه)، فيثبت عدم الخلو، وكذا لا يمكن تعليق الحكم، لأنه إن كان غير موجّه للمكلف فهو ليس بحكم أصلاً، وإن كان موجّهًا وممنوعًا منه، فلا يصدر من الحكيم العقوبة من دون بيان، فيبطل القول بالتعليق من الأساس، وإلا لزم النقص على الكامل، وبهذا يلزم القول باستمرار البيان، ويلزم القول بتخطئة الفقيه بمعنى أنه يخطئ إذا لم يصب الحكم الواقعي.

بخلاف القول بخلو الوقائع من أحكام، أو قول بعض الشوافع والمعتزلة بتعليق الحكم، ومن ثم تغييره وفق ظن المجتهد . فعلى هذه النظرية يكون حكم الله تبعًا لظن الفقيه، فيلزم أن الفقيه مصيب، حتى لو خالف حكم الله الواقعي. وهذه هي نظرية غير الإمامية (من سنة وزيدية)، إلا قلة قليلة من الزيدية المتأخرين اتبعت الإمامية.

ولو تأمل فيها العارف سيجدها نظرية غير إسلامية تعتمد نسبية المعرفة وتبعية الحقائق لعلم الفقيه، وليس العكس الذي هو الحق، والقول بتبعية الحقيقة لمعرفة الإنسان وأحكامه، هو قول الحداثويين القائلون بأن المعرفة ليس لها ضوابط ولا حدود، وهي الحاكم على الواقع الخارجي، فإنك إذا كنت تظن أن السماء حمراء فظنك صحيح، بينما من يراها زرقاء صحيح أيضًا، ومن يراها خضراء صحيح أيضًا.

إن التخطئة تؤدي بلا شك للحاجة إلى البيان، بالتالي الحاجة الحقيقية للإمام الذي تم إعلانه يوم الغدير بأمر من الله، لينسجم التعليم الإلهي مع الواقع، وإلا فالمخالفة قطعية .

وأما ما أشرت إليه من الظن بكفاية الحكم الظاهري في الوظيفة، فهذا مردود، لأن كلامنا في الحكم والتأسيس أي التشريع، وليس في بيان الوظيفة، فإن بيان الوظيفة قد قلتُ أنها بطول النبوة نفسها، ولعلك لا تجهل هذا التعبير، فإن المكلف في زمن النبي صلى الله عليه وآله وزمن بيانه لحكم الله يحتاج إلى قواعد العقل في بيان الوظيفة من خلال بيان النبي صلى الله عليه وآله، كمن يشك في التكبيرات الواجبة أو الباطلة في أثناء التطبيق أو الأداء. فلا يمكن أن يلغي التعذيرُ التنجيزَ مطلقًا، كما لا يمكن أن يمنع التطبيق أصل التشريع، و من يدعي خلاف ذلك يلزمه إبطال الرسالات بعد الرسالة الأولى.

والمنجّز بالنص لا يلغيه أصل، لأنه حاكم عليه مزيل لوجوده أصلاً. وبيان ذلك في محله المتخصص كما لا يخفى.

القدر

قبل كل شيء قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام «عرفت الله بفسخ العزائم ونقض الهمم» وهذا يدل على مساحة التدخل الإلهي حتى في الاختيار الإرادي.

إن قدماء الشيعة يؤمنون بأن قضاء الله وقدره فيما هو خارج اختيار الإنسان لئلاّ يلزم نقض الحكمة، سواء من التكليف أو من الوجود للمختار قبله. وهو معضود بدليل الواقع من الإحساس بالخيار.

ولكن المتأخرين تأثّروا بفكر الملا صدر الدين الشيرازي الذي قال أن الحل الفلسفي لهذه المعضلة هو الشمول ولكن بطريقة المشاركة لأن أمر الله سبب طولي وليس عرضيًا ليستقل فنقع في الجبر المحض أو ليكون العبد شريكًا لله، وهذا هو خلاصة المنهج.

والمراجعة لكلمات الأئمة الأطهار نجد وجود دقة غابت عن الطرفين القدماء والمتأخرين.

وخلاصة ما يجب أن نؤمن به هو أننا ندرك إدراكًا حقيقيًا بحقيقة الاختيار وصحة الإرادة منّا، وتحكّم معلوماتنا الشخصية بقراراتنا مع وجود مساحة من الاختيار. ولكن هذا لا يخرج الله من قابلية التدخل الفعلي، بل يجب أن يدعو الإنسان بتدخل الله في حياته للتوفيق وتحسين قراراته. وأما ما ترتب من مشاكل فلسفية وكلامية مثل العلاقة بين علم الله ومتعلقات علمه ومثل طبيعة الكون هل هو وهم متجمع أم حقيقة

يداخلها تصوّر الوهم وما شابه ذلك فهذا مما لا يوجد فكرًا ولا يحدث حلاً وإنما يوجد مشاكل لا يمكن حلها بنفس الفكر.

ولهذا لا يجوز قبول القبائح ويجب رفضها ويجب قبول الحسنات والعمل بها تكليفًا شرعيًا وعقليًا من دون النظر الى الأسس الفلسفية لأن ما استدل به في الباب غير يقيني النتائج رغم ما يفترض يقينية نتائج الفلسفة لوجود مغالطة صعبة الكشف. ولأن فيها كلام فلا يمكن الجزم بها، والرضا بالقبيح والمحرم ليس رضًا بقضاء الله كما أن رفض الحسن ليس رضًا بقضاء الله وإنما رفض القبائح والرضا بالحسن هو قبول برضا الله وأمره.

وهذا هو جوهر القضية.

وبعض ما طرحه علمائنا الأعلام وفق الله الحاضرين ورحم الماضين يمكن مناقشته بدقة، ولكن بتفنيد المقدمات بطرق عقلية وبأسلوب فلسفي مناهض وهذا لا يليق في باب العقيدة، منها أن العلة مركبة وليست بسيطة وهي تعود الى البسيطة قطعًا، ولكن لا يمكن نفي التركيب في العلل ولهذا لا يصح البناء على جزء العلة ليكون كل العلة.

غزاوت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

نحن نرى أن الإمام يأمر بالدعوة اللسانية إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وليس من شأنه الحرب على اعتناق الإسلام فإذا أعلن الكافر العداء والعمل العسكري فمن حق الإمام الهجوم عليه ابتداءً، ويبدو لي أن الجهاد الإبتدائي يعني محاسبة الإمام للعدو من خلال استعداده للحرب والاستفزاز العدواني والجهاد الدفاعي هو الأمر بالجهاد بعد أن يكون العدو قد سار للحرب وهذا استظهار مني لمسلك الرسول صلى اللّه عليه وآله ولمسلك الإمام علي عليه السلام لأنهما الحجة في هذا الباب. ولا يخفى أن هناك مشكلة قوية وهي تسمية حروب الرسول صلى اللّه عليه وآله بالغزوات وعدم التفريق بين زيارته لعشيرة ما وبين الحرب، وقد درست غزوات الرسول دراسة مستوعبة قبل أكثر من عشر سنوات وخلصت إلى نتائج اذكر منها ما يلي:

أولاً: أن تسمية غزوة وغزاة تفرق في استعمال العرب عن تسمية وقعة، وقد استخدموا لكل رحلة للرسول للدعوة اسم غزوة بينما استعملوا كلمة وقعة للحرب. وهذا خلاف المتبادر تمامًا من كلمة غزى بمعنى أغار للسلب. ولعل الذي أعطاها صفة الغزو هو أن أغلب من ذهب إليهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله قد قدموا له الهدايا فاعتبروها غنيمة حرب بينما هناك نصوص على ترحيب بعض القبائل به وتقديم الهدايا ومع ذلك سميت غزوة، وما قلته غير مطرد فهناك رحلتين أو ثلاث للرسول يصل فيها إلى القوم ويجدهم فارين (غير متواجدين في الموقع) وتسمى غزوة أيضًا.

ثانيًا: أن الفرق بين السرية والغزوة هو فيما إذا كان الرسول نفسه موجودًا في الرحلة فتكون غزوة وإذا لم يكن هو بنفسه يقود الرحلة فاسمها سرية وتسمى باسم قائدها، وكل سرية ذكرت في التاريخ كان فيها قتل أو قتال، وكل غزوة ذكرت للرسول ليست فيها قتال ولا قتل أحد، بينما الوقعات حروب كبيرة منظمة فيها قتال وقتل.

وقد أعددت وقعات الرسول فوجدت أن حروبه مع اليهود (المصطلق، بنو النظير، بنو قينقاع، خيبر) وقع فيها قتل بالأفراد بعضها واحد وأكثرها ثلاثة أو أربعة لا اتذكر، وثلاثة حروب فقط وقع فيها قتل كبير يتراوح بين ثلاثين وسبعين. هي بدر وأُحد وحنين، وأما الخندق فلم يقع فيها من القتل إلا لإثنين أو ثلاثة رجال من الكافرين، والحقيقية أن هذه الدراسة تبيّن لنا أن الرسول انتصر على هؤلاء العتاة القتلة الأجلاف بالرعب وهو أمر من الله وليس من نفس قوة جيش الرسول صلى الله عليه وآله. لأن غالب من ينتصر بالرعب إنما ينتصر لكثرة ما يقتل ويبيد ويدمر ويعمل الجرائم، وهذا لم يكن من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثالثًا: أن الرسول لم يحارب قومًا خرج إليهم ليدعوهم إلى الإسلام، بل كل من خرج لهم مسلحًا كان قد بلغه استعداده للهجوم على المسلمين وكان محور تجميع القوة. (يستثى من ذلك حالات نقض العهد وهي حالة عدوانية، وقد دخل مكة مسلحًا بعد نقض العهد والصلح وهاجم قبائل اليهود الثلاثة في المدينة بعد نقض العهود والخيانة والتأليب لقتال المسلمين فبعضهم هو من أتى بالمشركين في معركة الخندق).

رابعًا: يبدو من المسلك النبوي ومن القرآن الكريم أنه في الحروب الأولى ليس من حق المسلم أن يأخذ من سلب العدو وإنما يُسلم للرسول ليحكم فيه حكمًا قضائيًا بأن هذا المال استيفاء لما سلبه الكفار من أموال المسلمين. وكان هذا الحال واضحًا في بدر وفي أُحد. وبالنسبة لليهود فإن المعاهدة كانت تنص على تغريم الناكث للعهد ماله واخراجه من مسكنه، فالتغريم كان عبارة عن عقد ملزم للطرفين. ولم يكن الرسول صلى الله عليه وآله هو الناكث أو الغادر أبدًا كما يدعي اليهود، بل كان العكس. فيبدو أن أحكام تقسيم الغنائم كان بعد السنة السابعة للهجرة ولم اطلع على حيثيات هذا الحكم. ولم استطع تحصيل معلومات تفصيلية له فقد اختلط في الفقه والتاريخ تصرف الرسول بتصرف واجتهادات أصحابه بما يشوش الرؤية.

هل فسّر الرسول والأئمة القرآن؟

هذا السؤال يطرح بين الحين والآخر من قبل من لم يتعمق بفهم الدراسات الإسلامية، والجهل آفة العلم.

وفي سبيل فهم الجواب علينا أن نجيب على السؤال التالي:

هل الفقه والعقيدة والنصوص الإسلامية للنبي والأئمة هي تفسير للقرآن أم لا؟

الذي لا يفهم معنى القرآن ولا معنى التفسير يقول: لا .. لا علاقة للفقه والعقيدة بتفسير القرآن، والتفسير هو ما ذكر في كتب التفاسير.

والذي يفهم يقول: نعم هما وغيرهما من المداولات العلمية الإسلامية من التفسير قطعًا.

وذلك لأن المطلوب من النبي صلى الله عليه وآله ليس تفسيره الجمل العربية وإنما حدود ما أراده الله من التشريع والعقيدة، ولأن كلمة تفسير لم تكن في السابق بمعنى شرح المعاني وإنما بمعنى بيان حقائق أوامر الله وحقائق العلم بالله.

وهذا كله قد فعله الرسول والأئمة المعصومون عليهم السلام، وعند الشيعة من هذه النصوص البيانية لأحكام الله وتعاليمه السامية ما لا يوجد عن أي مذهب أو دين من النصوص الأساسية كمًا وكيفًا، فقد انتبه الباحثون الفرنسيون إلى هذه الحقيقة حيث قال بعضهم: إنه حَسِبَ ما عند الديانات الثلاث من نصوص أساسية فوجد أن كمية النصوص عند السنة من المسلمين تفوق النصوص الأساسية عند اليهود والنصارى

مجتمعين بمرتين، وأن ما عند الشيعة من النصوص الأساسية تفوق ما عند السنة أربع أو خمس مرات، وقد صرّح جاك دبابنة (بأن ما عدده من المناجاة فقط عن أهل البيت كان يفوق ست مرات ما هو موجود في كل كتب اليهود والنصارى من مناجاة ودعاء وتقرب إلى الله وهذا يعني أن المطروح في العقيدة الإسلامية على مذهب أهل البيت يفوق ما يطرحه الدينان السماويان بعشرات المرات وذلك لغنى النص الإسلامي وكثرة إشارته) فهذا ما قاله جاك دبابنة في محاضرة له.

فهذه النصوص الهائلة الحجم هي التفسير الحقيقي لكتاب الله وأوامره واختياراته، ومن لا يعرف ذلك ليس له حظ من الدراسة في الأديان.

وسآتيكم بمثال بسيط:

حين يبيّن المعصوم أن لا تشبيه ولا تجسيم ولا مثلية، وكل نص يعارض ذلك يؤوّل، فقد وضع تفسيرًا شاملاً عامًا لكل آيات الصفات وقد أرسى دعائم فهم النص على أساس الممانعة العقلية أو النقلية الصارفة عن اتجاه المعنى البسيط الأولي.

فعشرون رواية على التقريب يمكنها أن تحدد مفهوم ثلث القرآن وخصوصًا المتعلق منه بمعرفة الله.

وحين تأتي روايات تصرّح بأن العالِم بالقرآن هو العالِم بمواقع نزول الآيات (متى وكيف وأين) يعني أنه حدد أن القرآن يفسر بأسباب النزول كما يفسر باطلاقاته وهذا يعتمد على العلم بواقعة النزول، وهل هي قضية في واقعة أم بيانًا عامًا؟

وهكذا فقد حددت عشرات ألوف روايات العترة معاني القرآن وبشرت بتفصيل التنزيل بما لم يفعله الأنبياء السابقون مع كتبهم، وهذا الوضع يفسّر لنا قول أمير المؤمنين (علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب، فتح لي كل باب منها ألف باب) فإن تعليم الرسول الخاص والمستمر أنتج هذا الكم الهائل من البيان والتفسير للنصوص الإسلامية بنصوص إسلامية أصلية وليست شروحًا تركيبية كما يفعل المفسرون الذين لا ينتهون إلى فهم معنى الآية بل إلى تشويشها. وكان علم الأئمة المتسلسل عن رسول الله له أثر واضح في بيان نكات القرآن الكريم ومواطن اللغز فيه.

ومن يريد أن يحكم فعليه بقراءة دورة فقه كاملة ودورة عقائد كاملة ونصوص تاريخية وتفسيرية كاملة فسيجد معنى هذا الكلام بوضوح.

فهذا هو الجواب، ولا أعتقد أنه يحتاج إلى توضيح.

معايير الرواية

معايير الرواية عند السنة في الحقيقة هي معايير حزبية، ولهذا فإن من اختار أن يكون من حزب معاوية فقد اختار دينه في الكذب والتدجيل أو قبوله بالكذب حتى لو كان صادقًا في نفسه. لأن معياره هو القبول بما قبله حزبه، وأنا شخصيًا لا أعتقد أن أمويًا يمكن أن تكون له صفة الثقة الشرعية، وذلك لما هو معلوم من تدارسهم أصول الكذب والتزوير بناء على نصرة السلطان وهذا يعرفه أجهل جاهل فيهم، فكيف بالعلماء؟

نعم قد يكون هو بشخصه صادقًا ولكن انتمائه لا يقبل هذا منه في مجال الخلاف، ولهذا فإن هناك قيود سرية يجب أن تراعى، منها التحقق من كونه أمويًا؟ لأن الكثير من الرواة الجيدين ينسبوهم لأنفسهم زورًا، وهم من أعدائهم. وقد كثّروا رواتهم كذبًا. وهم ليس منهم، ومنها أن لا يكون الحديث في موارد الخلاف المذهبي السياسي الحزبي. فإنه سيكون منحازًا لأكذب خلق اللّه في الموضوع.

ومنها أن يكون الحديث مما له شواهد صحيحة.

ومنها أن لا يكون الراوي مشهورًا بالوضع والتدليس بشخصه، ولكن كل هذا غير كاف في الميزان الحقيقي لأن العمدة هو قرائن الصحة وهي معقدة وتابعة لنظرية المعرفة بشكل عام.

أما بالنسبة لاعتبار قول الرجالي من باب الشهادة فهذه من أكبر الأخطاء التي ارتكبها المرحوم الشيخ حسن بن الشهيد الثاني الشيخ زين الدين العاملي قدس اللّه نفسه، فقد استعار هذه النظرية من غيرنا .. وأصبحت له مدرسة كبيرة بيننا.

فإن الكثير من المتأخرين يرون ذلك الرأي الخاطئ، والنظرية ردّ عليها تلميذ الشيخ حسن في حينه.

التنظيم الكيساني

التداخل .. بين رجال الإمامية ورجال الزيدية يدهش الباحث، كما أن التداخل بين التأسيس الزيدي للرجل وبين الوقف كبير جدًا، على أن قسمًا من الوقف يتعلق بالأموال حين يكون الواقف وكيلاً ماليًا عن الإمام، ولكن هناك ملاحظة أيضًا وهي قبول الأئمة لرجال الزيدية بين صفوف الشيعة وإن حذّروا منهم، مما يدل على أن الأئمة يعرفون أن ليس كل زيدي يعرف سر البغض لهم ولكن الحذر منهم يدل على الارتباط بهم وقدرتهم على نشر الإشاعة في العالم الإسلامي.

الحقيقة عند التأمل قد يجد الباحث أن هذه الحركة السرية كم كانت ستكون مباركة لو كانت بلا هدف سلطوي وهي فعلاً مستخدمة لخدمة أهل البيت عليهم السلام، ولكن للأسف كانت عكس ذلك من خلال مراقبة المسلك، وأفضل ما يمكن أن نصف به هذه المؤسسة السرية هو أنها نشأت لأهداف نبيلة في البداية المبكرة ولكن الأيدي التي وجدت اللذة في السطوة السرية حرفت الهدف النبيل من نصرة أهل البيت إلى السلطة السرية التي تحكمت بالأحداث مئات السنين من دون أن تقدم عطاءً فكريًا لتثبيت الإسلام. إن أهم ما انتجه الفكر الكيساني الزيدي كان يصب كليًا لصالح مؤسسة الحكم، ففقه أبي حنيفة هو الفقه الأمثل لإعطاء الحاكم الجائر سلطة الله على العباد، والفكر العدلي المزيف المسروق هو أهم بيئة لإنتاج فكر سني جديد متعصب ضد أهل البيت ومضيّع لحقوقهم، بدعوى حرية التفكير وأن لا قداسة في الإسلام لأحد وأنهم

كعلماء يفوقون أهل البيت فى القدرة الفكرية، ولكن حين الامتحان يجدهم يؤجلون القضية لما بعد الآخرة، لأنهم لا يملكون شيئًا حقيقيًا. وهذه مشكلة حقيقية من الناحية العلمية.

ولهذا فلا يمكن الركون إلى روايات الزيدية الذين لم يكونوا مصدرًا للقرار مثل أبي خالد الواسطي وغيره لأن الأمر كان بيد بني عبد الله بن الحسن وبيد بني علي بن عبد الله بن عباس، وهم من يرسلون المدسوس وهم من يشنع عليه لتثبيت دسيسته، وهي طريقة أمنية سرية معروفة عند المشتغلين بالتجسس وتخريب الأفكار في المجتمعات.

وما ورد في الصحيفة السجادية فهو يدل على أن المسكين "يحيى بن زيد" يدين بالولاء لمحمد بن المحض تبعا لأبيه، وعنده اتفاق سري معه، وأنه لا يخرج عن مشورته حتى لو كان يعرف أن عمه وابن عمه هما أحق بالأمر شرعًا وعقلاً، فهو ضعيف الشخصية تجاه تخطيطات عبد الله المحض الذي دربه أبو هاشم على كل هذه العجائب، والذي بدوره درب وربى أبناءه وأبناء عمه العباس على هذه الأمور وكانت النتيجة أن وقع فريسة لتخطيطاته السرية.

الحقيقة لقد كان أبو هاشم والمختار من عجائب الرجال على تفعيل الخيال والتنظيم السري، وقد نقل عنهما أشياءً كثيرة يفهمها من درس الحركات السرية والمافيات.

وهنا عندي ملاحظة سريعة جدًا وهي قضية نشر الدعاية على أن العلم الكامل إنما هو عند عبد الله المحض وذريته أئمة الزيدية، ولكن لم نعثر على أي دليل على علو كعبٍ في العلم ولا على أي إبداع علمي فذ، لا كمًا ولا كيفًا.

وهذا مما يحيّر العقول ويدل على أن مؤسستهم السرية متمرسة بنشر الدعايات وأنها أول مؤسسة عالمية استطاعت اسقاط دول وتكوين دول وحكام وشخصيات علمية بواسطة الدعايات ومن دون أصل حقيقي.

هناك دراسات عن إنشاء السي آي أيه (CIA) الأمريكية ملخصها، أن الروس عثروا على كتاب في الهند يعود لطريقة التنظيم السري للإسماعيلية وقد سرقوه ووقع الكتاب بيد لينين بعد انتصار ثورته فأسس مخابرات سرية على أساس هذا الكتاب، فأصبح يمتلك أهم جهاز مخابرات متطور عصريًا في حينه، فاستطاع جواسيس الغرب أو الأمريكان من تحصيل نسخة من هذه الدراسات والتنظيمات فأسسوا على أساسها السي آي إيه وأجهزة مخابرات عالمية أخرى تم تحويلها من طريقة التجسس إلى المؤسسة السرية، الحقيقة أنني قرأت هذا في سنة ثمانين ميلادية من ذلك القرن (١٩٨٠) ولا اتذكر الكتاب ولا أين وضعته في مكتبتي!

ولكن هذا خلاصة ما قرأته في ذلك الوقت. وهو يدل على متانة وتقدم هذا التنظيم السري الذي عرف في بداية القرن العشرين وتم تأسيس مؤسسات ومنظمات سرية على أساسه، وقد قيل أن الاحزاب الحديثة كلها تعتمد على كتاب (في التنظيم السري

للينين) والذي يحتوي على قسط من ذلك الكتاب الإسماعيلي وترك الباقي من الأسرار للمخابرات، ولو قلت لك من أين حصلت على هذا الكتاب؟ لتعجبت، فإنني قد أخذته في سنة ١٩٧٢ من شخص منسوب لمنظمة التحرير الفلسطينية وقد أعطي هذا الكتاب ليتعلم طريقة إنشاء أي حزب وتنظيم الخلايا وبث الدعايات وشل العدو المستهدف فكريًا بالدعايات وبطريقة الكسب.

إن الترابط بين الفكر الكيساني وبين التنظيم السري العالمي كبير جدًا، ولكن لا يطّلع على ذلك الكثير من الناس حتى الاتباع أنفسهم، وهذا يدل على أهمية وخطورة إنشاء هذه المؤسسة لنصرة أهل البيت ولكن للأسف أن عيب هذه المؤسسات هو أن يحتكرها القادة ويُفسدون من خلال السلطة والقوة التي تمنحهم إيّاها.

هل تصدق بأنني حاورت شيوعيين لم يكن عندهم علم بأن الشيوعية مؤسسة مبنية على التنظيم السري من الأساس؟ حتى اخبرته بكتاب لينين وأسسه فقرأه وبدأ يطبق على ما واجهه، ونقاط الغموض في صلته بمجاميعه، فعرف أنه ضمن مؤسسة سرية، وأدرك أن الدولة نفسها في روسيا والصين قائمة على التظيم السري، فقلت له أن الدولة الإسلامية بعد وصول العباسيين للسلطة اتبعت أسس التنظيم السري ولا يعرف للدولة والحاكم المسلم أي سر فهو يعمل ليل نهار ضد إسلامه في سبيل سلطته ولكن لأنه يتحكم بمؤسسة سرية متوارثة فلا يعرف عنها أي شيء بل حتى لو عرف فهناك معايير مبثوثة في المجتمع المسلم تجعله لا يهتم بظهور أي فضيحة لقائد مسلم إلا إذا

كان خارج المؤسسة السرية، وهذا من قوة التنظيم السري المتوارث، وقلت له بأن الغربيين كاوا يهابون المسلمين جدًا ولم يكتشفوا هشاشتهم إلابعد ثلاث مائة سنة من البحث، ولو كانوا يعلمون بوضع المسلمين لدخلوا العالم الاسلامي قبل سنة ١٨٨١ بثلاثمائة سنة.

من هم الواقفة؟

حسب تحقيقي القديم الذي أجريته قبل سنة ١٩٨٠ ميلادية أو ١٤٠٠ هجرية وجدت أن هذا البحث تفرّع عندي بشكل مخيف، وذلك لأنني درست شخصياتهم ومقولاتهم وأسباب وقفهم فوجدتها متداخلة ولكن أغلبها من مصدر خارجي وعمل شبه تجسسي، وكان الوقف مصدره الأساسي مصدران، الأول: هو الدولة، والثاني: هو الكيسانية وتفرعاتها، أي الخلاف الشيعي الداخلي ذو الطابع السياسي والمعركة على النفوذ من قبل من ليس أهلاً لها.

وكان البادئ حسب تحقيقي هو أبو هاشم بن محمد بن الحنفية، ولكن هذا ليس كامل الحقيقة وإنما هناك ظروف موضوعية قد تقتضي ذلك. وشرحها يطول، وتحقيقي فيها لم يكتمل ولم ينضج لكثرة مشاغلي. والخلاصة، أن جماعة الكيسانية كانوا يرافقون الأئمة إمامًا إمامًا، وكذا جواسيس الأمويين والعباسيين، وكانوا يستغلون ظرفين موضوعيين مهمين، الأول: هو بساطة الكثير من الشخصيات الشيعية، والثاني: هو تكتم الأئمة على الإمام اللاحق، وعدم نشر الأخبار سواء بالروايات القديمة عن رسول الله أو أوامر التنصيب، إلا لخاصة الخاصة من أجل حفظ الإمام بعده، حتى لا يتم اغتياله، وهذان هما الظرفان الأكثر شيوعًا من غيرهما من ظروف موجودة فعلاً مثل البُعد الجغرافي وخيانة الوكيل لأسباب مالية حين يخبر أهل الديار

النائية أن الإمام لم يوصَ بإمام آخر حتى يستولي هو على المال من قبل بسطاء الشيعة ولا يُطالَب بإيصال المال للإمام وغير ذلك من ظروف.

وسأتحدث عن ظاهرة داخلية مهمة، وهي أن الكيسانية والزيدية كانا يمتزجان مع الإمامية بشكل كبير جدًا في المدينة وفي الكوفة وفي بغداد، وكانت مهمتهم التشكيك بالإمام فإذا لم ينجحوا بهذا فيشككون بمن بعده ويستغلون تكتم الإمام، وقد راجعت كل من ثبت عنه الوقف فعرفت أنه لم يكن من خاصة الإمام ولم يخبره الإمام بالسر، خذ مثلا على التمازج والاختراق أن خادم الإمام الصادق المعلّى بن خنيس تبين أنه من أتباع النفس الزكية وأعدم لهذا الأمر، وأن أهم تلاميذ الصادق المنذر بن أبي الجارود كان زيديًا صاحب مذهب في الزيدية وأن أبا حنيفة النعمان إنما كان يحضر عند الإمام الصادق فلأنه زيدي عنده غرض خطير يريد أن يشرعن عملية التشريع للإمام الزيدي بدون حاجة لعلم السماء والإلهام وعلوم أهل البيت المتسلسلة فاخترع من خلال نظرية الإمام الصادق عليه السلام في التوافق بين حكم العقل وحكم الشرع نظرية إدخال حكم العقل بطريقة فنية اسماها القياس لتعميم العلة المستنبطة والاستحسان لاستنتاج علة مخترعة وحكم ذوقي واخترع مصادر للتشريع كلها من تطوير نظرية العلاقة بين حكم العقل وحكم الشرع، ولم يكن يمكن إدراك نية أبي حنيفة إلا بانكشاف الصراع الداخلي بين الكيسانية من ولد الحسن وبين العباسيين وتم اغتيال أبي حنيفة في السجن.

وهذا هو الأمر الذي كشف العلاقة بين لعبة أبي حنيفة الفقهية وبين طبيعة ما أراده الكيسانية وقياداتهم التي ادعت التلبس بالزيدية، ولكن هناك كيسانية خانوا الكيسانية أنفسهم، ودخلوا في لعبة العباسيين مثل أبي مسلم الخراساني والبرامكة والربيع وغيرهم ممن تآمر مع بني العباس على خلع بيعة إمامهم محمد النفس الزكية، ولكن حين وصل الأمر إلى قتلهم وإعدامهم ارتد جماعة عن العباسيين فقتلهم المنصور وأولهم أبو مسلم الخراساني وبعضهم بقي مع العباسيين، ولكنهم لم ينسوا طريقتهم في تفتيت الجمع عن الصادق والكاظم عليهما السلام فاقترح جعفر البرمكي تطوير مقولة الكيسانية، فقاموا بإنشاء معهد سري للعلوم فيه جماعة سرية لتجميع الفكر وروجوا أن إسماعيل ابن الإمام الصادق هو الإمام المقبل لأنهم يعلمون أن الإمام المقبل هو الكاظم وهذه هي الأوامر السرية للإمام والنصوص السرية عن علي وعن النبي تؤكد ذلك، وأخذوا ينشرون علوم وكتب منسوبة للإمام الصادق وإسماعيل تحت عنوان رسائل جابر بن حيان الجعفي الكوفي الصوفي الكيميائي تلميذ الإمام وهذا الرجل لا وجود له إطلاقًا، وانما هو اسم قريب من أهم الشخصيات المقربة من الإمام وصاحب السر وهو جابر بن يزيد الجعفي، وقد نشر بين الشيعة ظهور هذا العَلم العظيم وأن الإمام مصدر إلهام الكيمياء وغير ذلك وهو في الحقيقة كان نتيجة بحوث المختبر والمعهد السري، وقد قاموا بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام بحبس الإمام الكاظم عليه السلام حوالي ١٥ سنة ثم قتله في دار الفضل بن يحيى البرمكي أخو جعفر.

وانشأوا مذهب الإسماعيلية المتشدد على طريقة جديدة وأرادوا أن يسرقوا الدولة من العباسيين ولكن جواسيس الرشيد وَشُوا بهم فقتل البرامكة عن أخرهم ولاحق أبناء إسماعيل وكسرت رجل محمد بن إسماعيل في معركة قرب تدمر حين مطاردته وسمي الأعرج، ولكنهم جمعوا قواهم الحزبية وأسسوا دولتين واحدة قصيرة العمر شرق إيران وأخرى في تونس التي امتدت ووصلت إلى مصر (الفاطميون). وكان هؤلاء الإسماعيليين يمتازون بالمثابرة العلمية لأن تأسيسهم كان على أساس الدراسات المدعومة ماليًا وفكريًا وسياسيًا، وقد أبدعوا كثيرا.

وهؤلاء بالإضافة إلى الزيدية أعدائهم اللدودين يساهمون في اختراق صفوف الشيعة ويذكرون للشيعة أنهم لم يسمعوا بالوصية بل قد صدر من بعضهم دعوى السماع بعدم الإمامة كما فعل الإسماعيليون مع الكاظم والرضا عليهما السلام حيث نشروا دعايات بين الشيعة أن الإمام الصادق عليه السلام عيّن إسماعيل ولم يعيّن الكاظم، مع أن الإمام الصادق جمع الإسماعيلية وكشف عن كفن إسماعيل وقال ألا إن إسماعيل قد مات، ولكنهم قالوا هذا تقية واستمروا في العداء واللعن للإمام الكاظم، رغم أنهم في رسائل جابر اقترحوا أن يكون إمامًا مستودعًا لحين بلوغ الإمام المستور محمد بن إسماعيل، وقد اخترعوا أمورًا عجيبة غريبة. وقاموا بتربية ولدي إسماعيل بعيدًا عن بيتهما حتى أن علي بن إسماعيل اشتهر عنه الملاهي ومنادمة الأمراء وما يتبع ذلك من مفاسد، وقد كان هو أحد الوشاة بابن عمه الإمام الرضا عليه السلام عند المأمون وكان هو الواشي عند الرشيد على عمه الكاظم عليه السلام بطلب من جعفر والفضل

البرمكيان. وهم من نشر البلبلة حول كل أمام بعد الإمام الصادق مع الزيدية بشكل قل نضيره.

والمهم هو نوعية من يقبل هذا التشويش، فإنهم في الغالب شيعة بسطاء حتى لو كانوا رواة فإنّ البساطة الفكرية لا تتعارض مع الفقه والحديث بل رأينا أغلب المحدثين ضعفاء فكريًا ونفسيًا، وهناك ظاهرة عجيبة وهي أن أغلب من توقف فقد رجع عن توقفه بعد مدة سواء بمراجعة النفس مع النصوص أو بمراقبة سلوك الإمام الجديد واثبات صحة إمامته وتفوقه الهائل على كل من يشتغل بالعلم، ولكن أصبح الوقف طعنًا في شخصيته بشكل عجيب، وأصبح مهزوز الشخصية وهذا ناتج من قسوة الأصحاب من شخص ضعيف الشخصية يستجيب لألاعيب المنافقين، إلى درجة تجعلني أتعاطف بحزن مع هؤلاء الذين اشتهر عنهم الوقف والتردد والتحيّر. فإن بعضهم قد أحسن الوفادة على تشيعه ولكن تاريخه قد طعن ووصف بالضعف مع أنه كان غزير العلم ووافر العقل، وحديثه معترف به. فهذا أحمد بن محمد بن خالد البرقي تحيّر بعد الإمام العسكري لأسباب لا نفهمها ونحتمل منها كونه لم يكن على اتصال مباشر بالإمام ولم يبلّغه الإمام ولادة ابنه المهدي بل اشتهر أنه نفى لحفظ الإمام، فهو لم يكن من خواصه رغم أنه عالم شيعي فطحل، فأصبح وقفه وبالاً عليه رغم أنه من أجود وأدق الرواة وأكثرهم فطنة وتحقيقًا في الروايات وأسرارها. وروايته في الكافي تدل على أهميته القصوى وذلك لكونه قد ورد باسمه الصريح ٩٩٥ مرة، وقد ورد مشتركًا مع أحمد بن محمد بن عيسى وابن أبي نصر ٥٢٤٦ مرة، وابن عيسى ورد

اسمه منفردًا بحدود ١٣٠٠ فيكون الباقي بحدود ألف رواية للبرقي والمجموع بحدود ألفي رواية للتخمين العام وليس احصاءً دقيقًا.

إن هذا الحجم يعادل حجم روايات البخاري تقريبا ٢٢٠٠ رواية، وهو يشكل ١٥٪ من كتاب الكافي . ولكن لأن خلفيته زيدية وبحكم الأصدقاء والبساطة وطيب القلب جرت عليه محنة الحيرة ولهذا رووا عنه عدد الأئمة لأنه قد احتار مدة فيكون دليلاً عليه وعلى أمثاله، وأما صلته بثورة زيد فهو أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي، وكان جده محمد بن علي هذا قد حبسه يوسف بن عمر والي العراق بعد مقتل زيد بن علي عليه السلام، وكان خالد صغيرًا فهرب مع أبيه عبد الرحمن إلى قرية برق رود من قرى قم. وهذه الصورة تعطينا خريطة واضحة لعمق التداخل بين الشيعة بمختلف اتجاهاتهم. فلننظر في بعض روايات هذا الرجل الذي احترمه جدًا وقد ظلم لأنه تحير فترة. وبتحير أحمد البرقي لحقته لعنة الناس والتأريخ مع أن من الإنصاف تقدير بساطته ورضوخه لعوامل خبث شديدة تضغط عليه منها عدم كونه مقربًا من الإمام.

وهذه ثلاث روايات تعطينا صورة محددة للمداخلة بين التدخل الخارجي والبساطة الواضحة لرجل يروي مثل هذه الروايات الصحاح قبل تحيّره، ولكن مما يذكر أنه رجع عن الحيرة وقد جازاه الشيخ أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري بعد أن طرده من قم، فقد مشى حافيًا خلف جنازته احترامًا وتقديرًا له وردًا للاعتبار وهذه حركة مؤدبة ولطيفة .

على كل انظر روايات هذا الرجل ذو الأصل الزيدي كيف يروي عدد الأئمة الإثنا عشر وقد وقع في الحيرة فعلاً لفترة وكأن العرق دساس.

وما سيأتي هو نقل حرفي عن الكافي الشريف:

* ... * ... *

- الكافي، الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٢٥:

(باب) * (ما جاء في الاثنى عشر والنص عليهم، عليهم السلام) *

١ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقي، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن علي عليه السلام وهو متكئ على يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمنين، فرد عليه السلام فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن

---

* (هامش) * (١) أي لا أنقص، من الرزه بتقديم المهملة (٢) كأنه كان واليا بالعسكر وفى بعض النسخ . [بدر حسنى] (٣) في بعض النسخ [الحائر] وفى بعضها [الحيرة] . (٤) البرس بلدة بين الكوفة والحلة . [*]

/ صفحة ٥٢٦ /

ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما قضى عليهم وأن ليسوا بمأمونين في دنياهم وآخرتهم وإن تكن الاخرى علمت أنك وهم شرع سواء . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام سلني عما بدالك، قال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الاعمام والاخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن فقال: يا أبا محمد أجبه، قال: فأجابه الحسن عليه السلام فقال الرجل أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها وأشهد أن محمدا رسول الله ولم أزل أشهد بذلك وأشهد أنك وصي رسول الله صلى الله عليه وآله والقائم بحجته – وأشار إلى أمير المؤمنين – ولم أزل أشهد بها وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته – وأشار إلى الحسن عليه السلام – وأشهد أن الحسين بن علي وصي أخيه والقائم بحجته بعده وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين وأشهد على جعفر بن محمد بأنه القائم بأمر محمد وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي ابن موسى وأشهد على علي بن محمد بأنه القائم بأمر محمد بن علي وأشهد على الحسن بن علي بأنه القائم بأمر علي بن محمد وأشهد على رجل من ولد الحسن لا يكنى ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملاها عدلا كما ملئت جورا والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، ثم قام فمضى، فقال

أمير المؤمنين: يا أبا محمد اتبعه فانظر أين يقصد فخرج الحسن بن علي عليهما السلام فقال: ما كان إلا أن وضع رجله خارجا من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله، فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعلمته، فقال: يا أبا محمد أتعرفه؟ قلت: الله ورسوله وأمير المؤمنين أعلم، قال: هو الخضر عليه السلام .

٢ - وحدثني محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبي هاشم مثله سواء . قال محمد بن يحيى: فقلت لمحمد بن الحسن: يا أبا جعفر وددت أن هذا الخبر جاء من غير جهة أحمد بن أبي عبد الله (١) قال: فقال: لقد حدثني

---

* (هامش) * (١) فيه ذم لاحمد بن خالد البرقى وكان من افاخم المحدثين وثقاتهم وله تصانيف كثيرة مشهورة، لم يبق منها الا كتاب المحاسن . راجع للزيادة والنقد، مقدمة الجزء الاول من محاسن البرقى المطبوع بعناية السيد المفضال جلال الدين المحدث أدام الله تأييده . [*]

/ صفحة ٥٢٧ /

قبل الحيرة بعشر سنين .

٥ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن عبد الله بن القاسم، عن حنان بن السراج (٢)، عن داود بن سليمان الكسائي، عن أبي الطفيل

قال: شهدت جنازة أبي بكر يوم مات وشهدت عمر حين بويع وعلي عليه السلام جالس ناحية فأقبل غلام يهودي جميل [الوجه] بهئ، عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون حتى قام على رأس عمر فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلم هذه الامة بكتابهم وأمر نبيهم؟ قال: فطأطأ عمر رأسه، فقال: إياك أعني وأعاد عليه القول، فقال له عمر: لم ذاك؟ قال إني جئتك مرتادا لنفسي، شاكا في ديني، فقال: دونك هذا الشاب، قال: ومن هذا الشاب؟ قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا أبو الحسن والحسين ابني رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا زوج فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

* (هامش) * (١) شهادته عليه السلام في سنة اربعين وولادة على بن الحسين (ع) في سنة ثمان وثلاثين . (٢) كأنه تصحيف والاظهر حيان السراج بالمثناة التحتانية بدون ابن (آت) . [*]

/ صفحة ٥٣٠ /

فأقبل اليهودي على علي عليه السلام فقال: أكذاك أنت؟ قال: نعم، قال: إني اريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة، قال: فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام من غير تبسم وقال: يا هاروني ما منعك أن تقول سبعا؟ قال: أسألك عن ثلاث فإن أجبتني سألت عما بعدهن وإن لم تعلمهن علمت أنه ليس فيكم عالم، قال علي عليه السلام:

فإني أسألك بالاله الذي تعبده لئن أنا أجبتك في كل ما تريد لتدعن دينك ولتدخلن في ديني؟ قال: ما جئت إلا لذاك، قال: فسل قال: أخبرني عن أول قطرة دم قطرت على وجه الارض أي قطرة هي؟ وأول عين فاضت على وجه الارض، أي عين هي؟ وأول شئ اهتز على وجه الارض أي شئ هو؟ فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن الثلاث الاخر، أخبرني عن محمد كم له من إمام عدل؟ وفي أي جنة يكون؟ ومن ساكنه معه في جنته؟ فقال: يا هاروني إن لمحمد اثني عشر إمام عدل، لا يضرهم خذلان من خذلهم ولا يستوحشون بخلاف من خالفهم وإنهم في الدين أرسب من الجبال الرواسي في الأرض، ومسكن محمد في جنته معه اولئك الاثني عشر الامام العدل، فقال: صدقت والله الذي لا إله إلا هو إني لاجدها في كتب أبي هارون، كتبه بيده وإملاء موسى عمي عليهما السلام، قال: فأخبرني عن الواحدة، أخبرني عن وصي محمد كم يعيش من بعده؟ وهل يموت أو يقتل؟ قال: يا هاروني يعيش بعده ثلاثين سنة، لا يزيد يوما ولا ينقص يوما، ثم يضرب ضربة ههنا – يعني على قرنه – فتخضب هذه من هذا قال: فصاح الهاروني وقطع كستيجه (٢) وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأنك وصيه، ينبغي أن تفوق ولا تفاق وأن تعظم ولا تستضعف، قال: ثم مضى به علي عليه السلام إلى منزله فعلمه معالم الدين .

* ... * ... *

وأختم هذا الجواب غير المرتب بنصوص عن الاسماعيلية يتبين منها مستوى ابتلائنا بهم وهو اخوتنا ولكنهم يريدون الدنيا ويجيزون علينا الكذب والقتل فانظر لهذه الرواية :

– الكافي في الفقه للحلبي– أبو الصلاح الحلبي ص ١٨ :

٧ – الشهيد المصلوب في سبيل الله الشاهد، أبو الحسن ثابت بن أسلم بن عبد الوهاب الحلبي . قال الذهبي في تاريخ الاسلام: أحد علماء الشيعة وكان من كبار النحاة صنف كتابا في تعليل قراءة عاصم وأنها قراءة قريش . وكان من كبار تلامذة أبي الصلاح، تصدر للإفادة بعده وتولى خزانة الكتب بحلب فقال من بحلب من الاسماعيلية: إن هذا يفسد الدعوة وكان قد صنف كتابا في كشف عوارهم وابتداء دعوتهم فحمل إلى صاحب مصر فأمر بصلبه فصلب وأحرقت خزانة الكتب التي بحلب وكان فيها عشرة آلاف مجلدة من وقف سيف الدولة بن حمدان . إنتهى

وكان صلبه في حدود ٤٦٠هـ .

خلاصة القول في خلق الأفعال عند المخالفين

هنا سأبيّن نظرية السنة الحالية في مسألة خلق الأفعال، .. ليعرف القرّاء الفضلاء ممن لا يعرف سر هذه الأمور المدفونة بين الكتب وفي مجالس الدرس الخاصة.

أقول:

أولاً: إن الوهابية ليس لهم كلام ثابت في أغلب القضايا الفكرية، ولكن في هذه القضية اختاروا أن يكونوا كالأشاعرة يقولون بالكسب ويبتعدون عن الجبرية القديمة اللازمة لهم، مع أنهم ينتقدون نظريات الأشاعرة وأساس اختيارهم لنظرية الكسب، ويسخرون منها، وهذا من المفارقات.

فهذا أحد الوهابية الحاليين والذي هذه صفته (وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، حفيد مفتي الديار السعودية، وسليل شجرةٍ مباركة حَمَلَت راية التوحيد والدعوة ابتداءً من أصلها المبارك الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب) يقول في كتابه: «إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل» شرح صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ص ٣٤٣:

(فقد قلنا: إنَّ الإنسان عَمَلُهُ من خير أو شر يضاف إليه حقيقة، فهو الذي عَمِلَ الخير حقيقة وهو الذي عَمِلَ الشر حقيقة. ومع ذلك لا يقال: إنه خَلَقَ فعله، بل هو

عَمِلَهُ ويُضَافُ إليه لأنه كَسَبَهُ وعَمِلَه. وأما خَلْقُ الفِعْلِ فاللّه،جل وعلى، هو الذي خَلَقَ سبحانه وتعالى) انتهى كلام صالح آل الشيخ.

وهو كلام واضح بأنه يقول بالكسب، ويوافق الأشاعرة في تفسير ظاهرة خلق الأفعال.

ثانيًا: فما معنى الكسب؟

سوف نختار أقرب كتاب للغة العرب الحالية هو كتاب تهذيب شرح السنوسية، لأنه شرح لكتاب موثوق ومهم في الفكر الأشعري، القائل بالكسب، ولأنه يعتمد على أكثر من خمس شروح مهمة.

الكسب مبني على مقدمات معقدة:

أحدها: نفي السببية الحقيقية، واثبات ما يسمى عندهم السببية العادية، وهو ما يسمى علميا بـ (الإقتران)، أي مصادفة أن يحصل شيء عند حصول شيء آخر ويسمى هذا الإقتران سببًا، وقد عبّروا عنه بجري العادة بأمر اللّه، فقد قالوا عن خلق الفعل من الناحية السببية كما في ص١٧: (وإنما أجرى اللّه العادة أن يخلق الفعل عندها لا بها).

وهذا واضح في نفي السببية بخلق الفعل حين اجتماع أسباب الفعل، وإنما يجري الفعل مع هذه الأسباب، ونفي السببية يصرحون بأنه من باب النفي الكلّي لأي سبب في التأثير بغيره في الكون، وسيأتي نص البيجوري على كفر من يقول بالسببية.

ثانيها: أنه لا يوجد فاعل إلا الله في الكون. ومن جملة فعله أن خلق فينا الإرادة، بمعنى أنه جعلنا نريد كذا، وليس بأن خلق لنا القدرة على الإرادة كما يقول الشيعة، فالله هو من (يريد) فعلنا وهو من يخلق ما يريده كإرادة لنا في عقولنا، وهو من يحرك عضلاتنا لتحقيق تلك الإرادة.

ثالثها: تخصيص الله للممكن (ويقصدون الإيجاد كما ينصون عليه)، إنما يكون وفق علمه الأزلي. وليس هناك إمكان لأن يقع أي فعل في الكون إلا بما علمه الله من الأزل ولو خرج عن ذلك لإنقلب علمه جهلاً، فإن الخلق فرع من علم الله الأزلي، فلا مجال لأن يكون أي مخلوق خالق بأي شكل من الأشكال، فقد قال العلامة الشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني في شرحه للسنوسية: (أي أن تخصيص الله تعالى للممكن على وفق تعلق علمه تعالى به لأنه جل وعز لا يخصص بإرادته إلا ما علم من الممكنات خيرًا كان أو شرًا، فكل ممكن علم الله تعالى أنه يكون أو لا يكون فذلك مراده، وبذلك تعلم أن تعلق الإرادة فرع عن تعلق العلم أي تابع له ومتأخر عنه في التعقل).

وهذا الدليل هو بعينه دليل كل المجبرة، فهو دليل ملزم لكل من يقول به بأن لا شيء يقع في الكون إلا وهو واقع منذ الأزل ولا يوجد أي اختيار أو إرادة وإنما هي وهم كما يقتضيه هذا الدليل. والعجيب إن الأشاعرة يقولون به، ومع ذلك يدعون أن هناك اختيار ظاهري فقط، بينما هذا الدليل يقول بأنه حتى الاختيار إنما هو أمر مجبورون على الإعتقاد به من الله، فإنه لا يوجد شيء غير ما قدره الله منذ الأزل. ولا

يستطيعون التخلص من هذا، بل إنني أدّعي بأنني قرأت أغلب فلسفات العالم، فلم أجد من يحل هذا الموضوع، إلا أهل البيت عليهم السلام بما علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من علم خاص بهم.

رابعها: يستحيل اشتراك العبد مع الله في التأثير في الفعل، فلهذا فإن إيجاد الفعل من المخلوق إنما هو ظاهري لاستحالة الشراكة، لأنه شرك صريح عندهم. فقد قال في شرح السنوسية كما هو تهذيب شرح الصاوي على السنوسية ص ٥١: (ويستحيل على الله تعالى أن يكون معه شريك في الأفعال بأن يكون غيره يفعل كفعله، وهذا هو الكم المنفصل في الأفعال. وإذا عرفت هذا فلا تأثير لشيء من الكائنات في الأسباب العادية وغيرها لا بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها . وأما الكم المتصل فلا ينفى لأن الفعل كله مخلوق لله تعالى.)

وقد علّق العلامة البيجوري على هذا النص قائلاً: (فلا تأثير للأسباب العادية في مسبباتها فلا تأثير للنار في الحرق ولا للطعام في الشبع ولا للسكين في القطع، وهكذا فمن اعتقد أن شيئا منها يؤثر بنفسه فلا نزاع في كفره، ومن اعتقد أن شيئا منها يؤثر بقوة أودعها الله فيه فهو فاسق مبتدع، وفي كفره قولان والراجح عدم كفره، كمن اعتقد أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه، ومن اعتقد أنه لا تأثير لشيء منها وإنما المؤثر هو الله تعالى لكن بينها وبين مسبباتها تلازم عقلي فمتى وجدت النار مثلاً وجد الحرق، فهو جاهل بحقيقة الحكم وربما جره ذلك إلى الكفر،

لأنه يؤديه إلى إنكار الأمور الخارقة للعادة كمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكبعث الأجسام، فلا ينجو إلا من اعتقد أنه لا تأثير لشيء منها وأنه لا تلازم بينها وبين مسبباتها بأن اعتقد صحة التخلف فيمكن أن يوجد السبب ولا يوجد المسبب، والله هو الموفق.) انتهى تعليق البيجوري . وهو واضح في نفي السببية ونفي الاشتراك في الفعل حتى على نحو سلسلة العلل الطولية كما لا يفهمون هذا المعنى.

خامسها: إن دور المخلوق، هو الاتصاف بالفعل، ونسبته إليه نسبة خبرية صادقة، كما يوصف الجدار بالبياض، فإنه ينسب إليه ولكن الجدار لم يختر بياضه ويخلقه، إنما طرأ عليه بدون إرادته. وهذا هو معنى الكسب.

فقد شرح الكسب العلامة الصاوي بقوله (وذلك التعلّق أعني تعلّق القدرة الحادثة بالفعل الاختياري أي ارتباطها واقترانها به هو المسمى بالكسب، ولأجله يضاف الفعل الاختياري إلى الحي وينسب إليه كما تضاف وتنسب إليه أعضاؤه كرأسه ويده رجله مع أنها مخلوقة لله وحده. فالفعل الاختياري ينسب إلى الله خلقًا وللحي كسبًا، ويصح نسبة شيء واحد لفاعلين مختلفين بجهتين مختلفتين كالدار المستأجرة تنسب لمالكها بجهة الملك ولمستأجرها بجهة الانتفاع.) انتهى .

وهكذا هو فعلنا، فإننا نوصف بأننا فعلنا على الحقيقة، ولكن في الحقيقة ليس من خلقنا وفعلنا على الحقيقة إنما هو فعل الله وخلقه، وفرق الأشاعرة عن الجبرية الجهمية، هو هذا الخيط الرفيع. أي أن المخلوق الفاعل متصف بالفعل، كاسب لصفته

على الحقيقة، ولكنه لم يخلق فعله على الحقيقة، و مجبور عليه بخلق الإرادة فيه رغم إرادته.

وقد عبّر عن ذلك العلامة المارغني، حيث شرح معنى الفعل الاختياري فقال: (وعليه فليس للحي كالعبد في الأفعال الاختيارية إلا الاختيار في الظاهر والكسب، وإنما قلنا في الظاهر لأنه في الباطن مجبور لأن الله تعالى هو الذي خلق فيه الاختيار كما خلق الفعل والقدرة المقارنة له فهو مجبور في صورة مختار كالقلم في يد الكاتب، وقد رتب الله تعالى على الاختيار في الظاهر وعلى الكسب التكليف والثواب والعقاب ولله التصرف في خلقه كيف شاء لا رادَّ لحكمه ولا معقب لقضائه ولا يسأل عما يفعل فلله الحجة البالغة) تهذيب شرح السنوسية ص: ٥٤.

وها أنت ترى أنه قد تحرز من اشكال الظلم بناء على هذه النظرية فأتى بنظرية أن الله لا يسأل عمّا يفعل وجوابه يعني الإقرار بظلمه ولكن لا يُسأل.

وهنا يشرح شارح السنوسية العلامة الصاوي معنى فعلنا الاختياري ومعنى الاختيار: (وأما الأفعال الاختيارية فهي التي يخلقها الله في الحي كالعبد ويكون له فيها اختيار ويخلق الله معها قدرة، وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أراد خلق فعل اختياري في العبد مثلا كالقيام والقعود والمشي فإنه جل وعلا يخطره ببال العبد ويجعل لخلقه سببا وهو اختياره لذلك الفعل، أي إرادته له وميله إليه، فإذا اختاره وتوجه إليه خلقه الله فيه، وخلق له معه قدرة، وهي صفة وجودية تتعلق بالفعل الاختياري أي ترتبط

وتقترن به من غير أن يكون لها فيه تأثير، فهي كالأسباب العادية يخلق الله الفعل عندها أي معها لا بها، ولا يلزم من تعلقها بالفعل الاختياري تأثيرها فيه، لأن الصفة قد تتعلق ولا تؤثر كالعلم فإنه من الصفات المتعلقة ولا تأثير له فيما يتعلق به) انتهى.

وقد علّق على هذا الكلام سعيد فودة قائلاً: (معنى ذلك أنه إذا قلنا بأن قدرة العبد لها تعلق بالفعل الاختياري، فلا يلزم من ذلك أن هذه القدرة هي التي أوجدت الفعل، لأن هذا الأمر إنما يكون قياسًا على قدرة الله تعالى، ومعلوم أن هذا لا يجوز، أي التمثيل بين الله تعالى وبين العباد في شيء من الأمور. إذن ما دام نسبة الخلق والتأثير لقدرة العباد تستلزم التشبيه، ونحن جزمنا أنها متعلقة بالفعل فلا بد إذن أن يكون تعلقها على وجه غير الخلق والتأثير، وهذا الوجه هو الذي سماه أهل السنة بالكسب.
ولا يجوز أن يقال إن قولنا بتغاير حقيقة تعلق قدرة العبد وتعلق قدرة الله تعالى، هو أمر مخالف للعقول، بحجة أن تعلق القدرة لا بد أن يكون على سبيل التأثير. لأننا نقول: إن زعمكم أن تعلق القدرة مطلقًا يجب أن يكون على سبيل التأثير إنما جاء من قياسكم قدرة العبد على قدرة الله، وهذا باطل، فالأصل عدم القياس وعدم وجود أي وجه مشترك بين القدرتين وبالتالي بين تعلقي القدرتين. وذلك كما نقول في العلم الذي يتصف به الله تعالى فإنه يتعلق بالمعلومات تعلقًا يغاير تعلق العلم الحادث بالمعلومات.
فتعلق العلم الحادث قد يكون تأثرًا أو كيفية، وقد يكون انطباع صورة في النفس، وغير ذلك،وقد يكون على سبيل الضرورة وقد يكون بعد نظر إلى آخر وجوه الافتراق بين العلمين،ومعلوم أن علم الله تعالى لا يجوز نسبة أي مفهوم من هذه المفاهيم إليه. ومع

هذا فإننا نطلق على الحاصل فينا أنه علم، ونطلق على الصفة القائمة بالله تعالى أنها علم. فمع قولنا بالتغاير بين الحقيقتين إلا أننا أجزنا إطلاق نفس الاسم عليهما، وهذا ليس مستبعدًا لغة، فوجود الله تعالى لا يساويه وجود آخر، ومع ذلك فإنك ترى أننا نطلق على أنفسنا الوجود ونطلق على الله تعالى الوجود، وهكذا البقاء، ونحن نقطع أن جميع هذه الصفات في الله مخالفة لما هي عليه فينا. فتعلم من هذا أن ما ادعيناه في القدرة الحادثة أمر غير مستغرب، وهو جار على نسق واحد مع باقي الصفات، كما ترى. والمخالف يلزمه التشبيه بلا ريب. فمن ذلك تعلم أن مخالفة كثير من الفرق للسادة الأشاعرة والماتريدية في كون القدرة الحادثة إنما هي على سبيل الكسب، مخالفة باطلة، وادعاؤهم أن هذا أمر غير مفهوم كلام متناقض مع ما يقررونه هم –أي سائر الفرق المخالفة– في سائر الصفات، من مخالفة الله تعالى لسائر الحوادث. ويشذ عن هذا القول المجسمة من الحنابلة والمنتسبين إلى السلف الصالح وهم منهم براء، لأنهم يماثلون في الحقيقة بين الخالق والمخلوق في حقائق سائر الأمور، ويميزون بينهما في الشكل والكيفية فقط. فهؤلاء ربما لا ينفون أن تكون قدرة العبد خالقة، وربما ينسبون ذلك كعادتهم إلى الفطرة والبداهة، وهم في ذلك مخالفون لسائر الفرق والعقلاء. فتأمل في هذا فإنه يحل إشكالات عديدة،ويوضح قول أهل السنة) انتهى تعليق سعيد فودة .

سادسًا: إن الشر والظلم هو من خلق الله ولا يجوز نفيه عن الله ولكن لا يحسن نسبته الى الله أدبًا فإن القبائح والظلم والشر مكروهة عند الإنسان فلا ينبغي أن يوصف الله

بما يكرهه الإنسان، وهذا هو نص تهذيب شرح السنوسية: (ومع أن الشر مخلوق لله تعالى على فرض أنه وجودي، لكن الأدب أن لا ينسب لله تعالى إلا الحسن فينسب الخير لله والشر للنفس وإن كان منسوبًا خلقا لله، وذلك لأن نسبة الشر يتبادر منها عادة اكتسابه والرضى به، ومعلوم أن الله تعالى لا يرضى بالشرِّ.) انتهى.

وقد علق عليها الشارح سعيد فودة قائلاً: (المنع من نسبة الشر إلى الله تعالى إنما هو بسبب أن البعض قد يتوهم أن نسبة الشر إليه تعالى تقتضي أن يكون شريرًا، ومع أن هذا باطل، لأن الشرير هو من اكتسب الشر لا من خلقه، والكسب فيه جهة اتصاف، والخلق مجرد فعل في الحقيقة لا صفة كما بينا قبل ذلك في صفات الأفعال، وقلنا إن قولنا "صفات الأفعال" إنما هو على سبيل التجاوز لأن الفعل في الحقيقية ليس صفة، فالصفة تقتضي أن تكون قائمة بالموصوف، والفعل لا يقوم بالله، لحدوثه. فلذلك فإننا نقول بمنع نسبة الشر إلى الله تعالى دفعًا لما يتوهمه الناس من اقتضاء ذلك كونه تعالى شريرًا، ومع بطلان هذا إلا أن الإحتياط في مثل ذلك ألزم، والمنع على سبيل الأدب، فيصرح في مقام التعليم أن الله خالق الشر والخير، ويبين عدم اقتضاء ذلك لكونه تعالى شريرًا. وأعلم أن بعض العلماء حقق أن الشر أمر لا وجود له، لأنه يرجع في الحاصل إلى عدم أمر ما. وبالتالي فليس مخلوقًا أصلاً، لأن المخلوق لا يكون عدميًا. وبالتالي يتم الخروج مطلقًا من الإشكال المشهور وهو أن الله إذا كان خالقًا للشر فهو شرير. هذا مع أننا بينا أعلاه أن خالق الشر لا يقال عنه شرير بل مكتسب الشر هو الشرير وفي مسألة الشر كلام دقيق مبين في المطولات.)

وقد اختصر العلامة ابن باديس في كتاب «العقائد الإسلامية» بوضوح اعتقاده بخلق أفعال العباد، فقال: ٥٣ — (ومن توحيده تعالى في ربوبيته، اعتقاد ان العبد لا يخلق أفعال نفسه فهو كما لم يخلق ذاته ولم يخلق صفات ذاته كذلك لم يخلق أفعاله فهو كله مخلوق لله ذاته وصفاته وأفعاله، غير أنه له مباشرة لأفعاله باختياره، فبذلك كانت أعمالاً له وكان مسؤولاً عنها ومجازى عليها، وتلك المباشرة هي كسبه واكتسابه، فيسمى العبد عاملاً وكاسبًا ومكتسبًا ولا يسمى خالقًا، لعموم قوله تعالى: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ} {لها ما كسبت وما عليها ما اكتسبت} {فمَن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}.

أقول: وقد بينوا معنى الكسب كما قلنا .

أقول: فخلاصة القراءة في الفكر الوهابي هي أنه يوافق الفكر الأشعري بالقول بالكسب ولهذا علينا أن نفهم معنى الكسب عند القائلين به .

وخلاصة قراءة فكر الأشاعرة وقولهم بالكسب، يعني أنه لا يصح القول أن المخلوق يخلق فعله، وإلا فقد أشرك وكفر، وإنما يوصف الإنسان بالاختيار وعدم الجبرية ظاهرًا، وإنما هو يتصف ويكتسب الفعل ويحاسب على الاكتساب، فهو مجبر باطنًا مختار ظاهرًا، ولا يقال لله لماذا تعاقب من خلقت فعله فيه، وقد قال أحد السلفيين (وإذا قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم؟! كان بمنزلة أن يقال خلق أكل السم ثم

حصول الموت به ظلم! فكما أن هذا سبب للموت، فهذا سبب للعقوبة، ولا ظلم فيهما) فهل يرى الإنسان اعترافًا أكبر من هذا؟

وهذا خلاصة قولهم.

إسلام العصمة وإسلام الجائرين

إسلام العصمة هو الإسلام الكامل المكتمل الذي لا فجوة فيه في كيفية الخروج عن عهدة التكليف، بخلاف إسلام الجائرين والخطاة الذي لا يوجد فيه طريقة شرعية للخروج من عهدة التكليف إلا في ضروريات الإسلام.

وحين نقول أنه لا يوجد طريقة للخروج من عهدة التكليف نعني ذلك لأنه حتى لو قيل بوجوب من يحتاط من الفقهاء الذين يقلدهم العامة فإن نفس الفقيه السلطاني لا يوجد دليل شرعي على صحة إتباعه بل لا دليل على أتباعه هو لما توصل إليه ظنه. فالمصيبة أعظم بكثير مما يتخيله عامة المسلمين، فلم يستطع أحد من كل فقهاء مدرسة الخلفاء أن يثبت أي دليل على صحة التعبد بطريقه، وأنه هو طريق اللّه، بينما بنفس الوقت نراهم يكفّرون المسلمين ويكفرون بعضهم، وكأنهم يملكون الحقيقة التي لا يعرفون ما هي، ويقتلون الناس على اتباع مذاهبهم، ويقصون الآخرين، وخصوصًا شيعة أهل البيت وشيعة المهدي الذين يمتلكون الحجة الشرعية الناصعة التي تمكنهم من القول بالحجة والدليل بان حكمهم مبرأٌ للذمة ومخرج عن عهدة التكليف شرعًا.

هناك نظريتان في التصويب هما:

أولاً: خلو الوقائع والأحداث عن الأحكام الواقعية، وهي تابعة لنظر المجتهد، فالحكم الإلهي يدور مدار نظر المجتهد.

قال الإمام أبو حامد الغزالي في المستصفى ٢ / ٣٦٣: (فالذي عيه محققوا المصوبة أنه: ليس في الواقعة التي لا نص فيها حكم معين يطلب بالظن، بل الحكم يتبع الظن، وحكم الله تعالى على مجتهد ما غلب على ظنه، وهو المختار وإليه ذهب القاضي) . انتهى

أقول: وهذا القسم هو اختيار الشافعي والشافعية وهو اختيار أبي حنيفة أيضًا كما يظهر من مجمل المذهب، وقد سميت هذه النظرية بنظرية (التصويب الأشعري)، ولا أعرف سبب هذه التسمية فهي قبل الأشعري قطعًا.

ثانيًا: النظرية الثانية في التصويب، وهي حصول الحكم في الواقع ولكنه معطل بسبب مصلحة متولدة من ظن المجتهد وفعلية الأحكام تابعة لظن المجتهد وفق المصالح والمفاسد التي يشخّصها المجتهد، وأما الأحكام الواقعية فلا فعلية لها، وهي في مرحلة الشأن بلا تكليف، والتكليف على المجتهد قبل المكلف إنما هو في إعمال ظنه لا طلب حكم الله الواقعي! :

قال الإمام أبو حامد الغزالي في المستصفى ٢ / ٣٦٦: (وذهب قوم من المصوبة إلى أن فيه حكمًا معينًا يتوجه إليه الطلب إذ لابد للطلب من مطلوب، لكن لم يكلف المجتهد إصابته فلذلك كان مصيبًا وإن أخطأ ذلك الحكم المعين الذي لم يؤمر بإصابته، بمعنى أنه أدى ما كلف فأصاب ما عليه) انتهى .

وقد نسب هذا القول إلى الشافعي ونسبه آخرون إلى المعتزلة ومن الصعب البتُّ في ذلك.

أقول: لا يخفى أن القول الثاني عجيب جدًا لأن الحكم مساوق للتكليف، وإلا فلا معنى له وهذا القول يقول بوجود حكم ولكنه لا تكليف به، فما معنى الحكم إذا لم يكن مكلف به؟ وهل هو مجرد رأي يطير في الفضاء؟ والواقع في مآل هذا القول هو خلو الواقعة من حكم لأنه لم يقل بعدم تنجيز الحكم وإنما قال بعدم التكليف به وأن التكليف كان (بسعي المجتهد) فهو بحسب ظاهر الكلام التكليف الواقعي، وأما غيره من تفصيلات فلا تكليف بها. انظر قوله: (بمعنى أنه أدى ما كلف فأصاب ما عليه).

وهذا نوع من اللف والدوران حول أمر واحد ذي مؤدى واحد، بقي أن نقول أن التكليف بالحكم الظاهري لا ينفي التكليف بالحكم الواقعي، ولكن كما هو معلوم فإن التنجيز تابع للعلم فإذا حجب الحكم الواقعي تعين التكليف بالحكم الظاهري عذرًا لا تحقيقًا كما لا يخفى، لذلك فنحن نقول بأن المجتهد مخطئ إذا لم يصب الحكم الواقعي، ولكنه معذور إذا لم يقصر في تحصيل الحكم الشرعي.

– المنخول في تعليقات الأصول للإمام الغزالي ج١ ص٥٠٣ قال متحدثًا عن مخالفات أبي حنيفة للشرع الإسلامي: (ثم أردف جميع قواعد الشريعة بأصل هدم به شرع محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم قطعاً، حيث قال: شهود الزور إذا شهدوا كاذبين على نكاح زوجة الغير وقضى به القاضي مخطئًا حلت الزوجة للمشهود له وإن كان

عالمًا بالتزوير وحرمت على الأول بينه وبين الله) انتهى ما قاله الإمام الغزالي في المنخول .

أقول: هذه الفتوى من أبي حنيفة منسجمة مع نظرية التصويب، وهي نظرية يؤمن بها الشافعي والغزالي نفسه كشافعي، وقد صرح بأنها صحيحة وحقيقية، فلا يعلم لماذا ينتقد هذا الأصل المبني على نظرية أساسية في طبيعة التشريع؟ فالقاضي يعلم أن حكم الله هو ما غلب على ظن القاضي أو ما حكم به القاضي، فحكمه سيكون حكم الله قطعًا، ولهذا أرى أن مشكلة الغزالي لا تحل بسهولة، بمجرد نقده وتخليه عن هذه الفتوى. نعم قد يناقش ويقول إن المقبول عندنا أنه يوافق ظن المجتهد، وهنا حكم القاضي بخلاف علمه وظنه! فنقول: وما يدريه فلعله ظن أن البيّنة شكلاً كافية في تكوين الحكم لدى القاضي فحكم على الصيغة الشكلية لتأسيس الحكم، أو أنه يرى مطلق متابعة الله لحكم المجتهد. ولهذا فالخطأ عليه أجر عند المصوبة بخلاف المخطّئة كالشيعة. ومن خلال نفس الفتوى يتبين أن الإجزاء عنده معتمد على حكم المجتهد، وليس على ظنه أو علمه، ولهذا صحح الصورة الشكلية من المقاضاة واعتبر العلاقة الزوجية قد تبدلت عند الله نتيجة هذه الصورة الشكلية من التقاضي بواسطة الصورة الشكلية من البينة وهذا واضح من الفتوى ولا يحتاج إلى جدال.

ولعل خير المصادر في هذا الباب هي المستصفى والمنخول للإمام الغزالي، كما أنه يجب أن نشير إلى أن الزيدية يقولون بالتصويب فقد ذكر العلامة الزيدى صارم الدين

بن محمد الوزير فى كتابه «الفصول اللؤلؤية فى أصول فقه العترة الزكية» أن مذهب متأخري أئمة الزيدية و جمهورهم: "أن لا حكم في الاجتهاديات لله تعالى معين قبل الاجتهاد، بل كلها حق. و أنه لا أشبه فيها عند الله تعالى، وإنما مراده تابع لظن كل مجتهد" وهذا نص كلامه:

الفصول اللؤلؤية فى أصول فقه العترة الزكية ص ٢٩١:

[حكم الله في الاجتهاديات]

(٢٧٣)

فصل واختلف في المسائل الشرعية الظنية، فقيل:

لله تعالى فيها حكم معين قبل الاجتهاد، فالحق فيها واحد، وهو قول: (الناصر في رواية، وأبي العباس، وقديم قولي المؤيّد بالله).

ثم اختلفوا، فعند (الأصم، والمريسي، وابن عليَّة، ونفاة القياس): أن عليه دليلاً قاطعاً . واختلفوا في مخالفه، فقيل: معذور، وقيل: مأزور. (الأصم): وينقض حكمه بمخالفته . (بعض الفقهاء، والأصوليين): بل ظني، ومخالفه معذور مأجور، مخطئ بالإضافة إلى ما طلب لا بالإضافة إلى ما وجب . (بعض الفقهاء، والمتكلمين): لا دليل عليه قطعي ولا ظني، وإنما هو كدفين يصاب، فلمصيبه أجران ولمخطئه أجر.

وقيل: لا حكم فيها لله تعالى معين قبل الاجتهاد، بل كلها حق. ثم اختلفوا فعند (متأخري أئمتنا، والجمهور): أنه لا أشبه فيها عند الله تعالى، وإنما مراده تابع لظن كل مجتهد، وكل منها أشبه بالنظر إلى قائله. (بعض الحنفية، والشافعية): بل الأشبه منها عند الله هو مراده منها، ولقبوه: الأصوب، والصواب، والأشبه عند الله تعالى، وقد يصيبه المجتهد وقد يخطئه، ولذلك قالوا: أصاب اجتهاداً لا حكماً. واختلفوا في تفسيره، فقيل: ما قويت أماراته، وقيل: الحكم الذي لو نص الشارع لم ينص إلا عليه، وقيل: الأكثر ثواباً، وقيل: لا يفسر إلاَّ بأنه أشبه فقط.

ونقل عن (الفقهاء الأربعة) التصويب والتخطئة. وقول (قدماء أئمتنا) وفعلهم يقتضي التصويب، كمتأخريهم، وقد يقع في كلام بعضهم ما يقتضي التخطئة، وهو رأي (بعض شيعتهم)، ولذلك كانت (القاسمية) من الديلم و(الناصرية) من الجيل يخطئ بعضهم بعضاً إلى زمن (المهدي أبي عبد الله بن الداعي)، فأوضح لهم أن كل مجتهد مصيب، وكذلك كان (جمهور اليحيوية) باليمن يخطئون مخالف (يحيى) إلى زمن المتوكل أحمد بن سليمان.

وما ورد عن الوصي وغيره من الصحابة وغيرهم مما يقتضي خلاف التصويب، فمتأول..

......*

أقول: إن أغرب شيء هو مخالفة الوصي وتأويل كلامه لاجتهادٍ باطل قطعًا يمحق الدين.

من الملاحظ أن القرآن الكريم عد التشريع بدون إذن من الله من الموبقات التي توعد الله عليها العذاب، وبالتأمل بالآيات القرآنية نجد أن القرآن وصف من يفتي مشرّعًا لا مستكشفًا للحكم الشرعي بأنه ضال ومشرك ويعبد غير الله وله عذاب أليم .. إلخ، وهذا الحال لا يشك فيه بالنسبة للنصوص، ولكن قد يدعي البعض أنه لا يشمله باعتباره نطق بالشهادتين، الا أن النصوص عامة، وصحة إسلام المرء هي حكم على التعامل البشري ولا علاقة لها بالجزاء الأخروي بمعنى أن النسبة إلى الإسلام لا تمنع من الجزاء الأخروي، فالعقوبة هي على المخالفة، وليست على العنوان. وعلى كل حال نحتاج إلى نفس صافية للتأمل في الآيات الشريفة. وهل تدل على نبذ المرتكب لمثلها؟ وهل ينطبق على المشرع دون الكاشف عن الحكم؟ وعن المؤصّل دون المعذّر؟

فهذا متروك لضمير وعلم القارئ الكريم، قال تعالى: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النحل/١١٦ – ١١٧). وقال تعالى: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلاَدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمْ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} (الأنعام/١٤٠). وقال تعالى: {وَمِنْ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنْ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الأنعام/١٤٤). وقال تعالى: {وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (لقمان/٦). وقال تعالى فيمن يحرّم حين لا يجد نصا: {وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ} (الأنعام/١١٩). وقال تعالى: {وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (الأنعام/١٣٨). وقال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الشورى/٢١). وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (الأعراف/٣٣). والشرك نوعان: الأول شرك الإلوهية والثاني شرك التشريع والاية كما الآيات التالية تشمل النوعين والسياق هو لشرك التشريع لأنه في سياق التحريم والتحليل وهو التشريع. وقال تعالى: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} (الحج/٧١). وقال تعالى: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمْ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} (آل عمران/١٥١). {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا

لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (التوبة/٣٧).

وهذه الآيات محل تدبر وتفهم واجتهاد في التوجيه والله العالم.

ومن الجميل أن نقرأ ما قاله الشهيد السيد محمد باقر الصدر في وصف نظرية التصويب، وأنها تجعل من الاجتهاد عملية تشريع ظاهر، وليس استكشافًا لحكم الله، لأنه لا حكم لله في الوقائع:

الشهيد السيد محمد باقر الصدر في كتابه (المعالم الجديدة للأصول) ٣٩:

(فكرة النقص في الشريعة التي قام على أساسها القول بالتصويب تجعل عمل الفقيه في مجالات الاجتهاد عملاً تشريعيًا لا اكتشافيًا، فالعقل بمعناه المنفتح أو الاجتهاد في مصطلح الاتجاه العقلي المتطرف لم يعد – على أساس فكرة النقص في الشريعة – كاشفًا عن الحكم الشرعي، إذ لا يوجد حكم شرعي ثابت في مجالات الاجتهاد ليكشف عنه الاجتهاد، وإنما هو أساس لتشريع الحكم من قبل المجتهد وفقًا لما يؤدي إليه رأيه ..

وإنما نستهدف الكشف عن خطورة الاتجاه العقلي المتطرف وأهمية المعركة التي خاضتها مدرسة أهل البيت ضد هذا الاتجاه، إذ لم تكن معركة ضد اتجاه أصولي فحسب بل هي في حقيقتها معركة للدفاع عن الشريعة وتأكيد كمالها واستيعابها

وشمولها لمختلف مجالات الحياة، ولهذا استفاضت الاحاديث عن أئمة أهل البيت في عصر تلك المعركة تؤكد اشتمال الشريعة على كل ما تحتاج إليه الانسانية من أحكام وتنظيم في شتى مناحي حياتها).

أقول: ليس فكرة النقص هي التي قام على أساسها التصويب وإنما هي شماعة تعلق عليها المعالجة التبرعية لتغيير الشريعة وفق ظن الحاكم، وقد بدا واضحًا أن دعوى سد النقص بالتصويب هي محاولة إلتفافية على أساس الشريعة.

ويجب أن نضيف أن تلك المعركة هي معركة تثبيت الإسلام مقابل دعاوى التشريع قبالة الله، وأن الله تابع للمشرع الأرضي في أحكامه، وهذه المعركة واضحة في سيرها وفي دوافعها، إنها مختلقة من إجل اعطاء صلاحيات إلهية للفقيه الذي يعمل تحت إمرة الحاكم من أجل تسهيل أموره باعتباره مشرعًا حاكمًا على الله. فالقضية لم تكن مجرد اتهام الشريعة بالنقص من الأصل أي من الله، وإنما خرجوا بحل بسيط جدًا وهو كون المجتهد مشرّع وأن حكم الله تابع لظن المجتهد!

وبعد كل هذا ينتقدون قول الشيعة بعصمة أئمتهم بمعنى إلتزامهم بالشرع الرباني وعدم زيغهم من مراد الله بأوامره ونواهييه، وهذا هو معنى العصمة التي يقصدها الشيعة، فأين هذا من ذاك؟

للقضاء على التشرذم

التشرذم في العالم الإسلامي واقع لا محالة من عدة جهات، (طائفية، إقليمية، سياسية، عشائرية، اقتصادية، قومية، واتجاهات فكرية معاصرة متضاربة، ..إلخ) وهذا واقع نعيشه للأسف، ويجب على كل مسلم غيور أن يسعى لإيجاد حل ولإيقاف هذا التشرذم، فبعضه نتيجة أفكار وبعضه نتيجة أحقاد تاريخية عريقة وبعضه نتيجة مصالح، وكل سبب من هذه الأسباب وغيرها يمكن معالجتها في الحقيقة وليست هي من المستحيلات.

فهذه أوروبا على سبيل المثال كانت لألف سنة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، تخوض صراعات دامية، أشد من صراعات المسلمين فتكًا، وأسبابها متعددة كأسباب تشرذم المسلمين الآن (أحقاد تاريخية، حروب قومية، أفكار متضاربة، مصالح متعارضة، ديانات مختلفة، لغات مختلفة، مذاهب متصارعة، .. إلخ)، ولكن فجأة بعد الحرب العالمية الثانية تحول الصراع إلى تعاون واتحاد رغم وجود كل تلك الأسباب لحد هذا اليوم.

طيّب، إذا كانت الأسباب موجودة لحد هذا اليوم، فلماذا اتفقوا بعد أن قاموا بحروب إبادة لأكثر من ألف عام فيما بينهم؟ فقد وصلت مخلفات الكراهية والحقد إلى درجة رهيبة فإذا قال الفرنسي خنزير فهو يقصد الإيطاليين (لا ننسى أنه قبل كم سنة وقع اشتباك بين شبان إيطاليين وبريطانيين في ساحة لعب لكرة القدم حين وصف

البريطانيون الإيطاليين بالخنازير)، مع كون إيطاليا هي مصدر أكبر ديانة ومذهب، وفي إيطاليا مقر ذلك المذهب الكبير عالميًا وهو الفاتيكان، الذي يدين له أغلب الأوروبيين، وهذا يدل على أن أسباب النزاع قائمة ولكن نرى التعاون الكبير بين أوروبا منذ ستين عامًا بموجب صلح اجتماعي وسياسي كبير .

طبعا تم حل وتفكيك كل أسباب الصراع، فوجدت خطوط حمراء بسيطة لكل سبب، على أن لا يكون سبب اعتداء وإنما يكون سبب نمو محلي فقط، وأما النمو الكلي فهو يصب في أمةٍ من مجموع قوميات تجمعها قارة.

هذا الأمر يمكن أن يحصل لنا وبكل سهولة، فيمكن أن يكون المسلمون أمة من مجموعة أمم ومذاهب، مختلفة يجمعهم عنوانهم ومصالحهم في العيش الكريم وفي التقدم.

ولكن هناك أسباب خارجية كبيرة جدًا تمنعها من ذلك، فالقوى المسيطرة لا يعجبها هذا الكلام قطعًا.

وتريد منا أن يقتل بعضنا بعضًا ويسلب بعضنا بعضًا، فنتأخر جميعنا عن ركب الإنسانية ونتحول إلى مثال سيئ لفشل ديننا في قيادتنا، وخصوصًا وهناك اتجاه جديد أنشأه الغرب وهو الاختلاف على أساس تطبيق الإسلام، وهذا الوضع الذي نحن فيه إذا كان يمثل تطبيق الإسلام في بلداننا، فالإسلام هو مصدر البلاء، وهو مصدر سقم المسلمين وتخلفهم، وهذا هو المطلوب من قبل القوى الخارجية.

ولكن هل هناك قوى داخلية تعمل على تنفيذ هذا الاتجاه؟

بالطبع نعم.

وإلا لما كنّا كذلك، ولا أريد أن ندخل في حوار عقيم فيمن هو السبب، ولكن أقول كلمة بسيطة وهي: إن أي فكر أو مفكّر مستعد للحكم على باقي المسلمين بالقتل والفناء، فهو أول منفذ لمثل هذا القرار الخطير على بلاد المسلمين، وهو أول مطية ستركب بلا شك وليس له أن يعتب على من لحقه من الأغبياء أو المقهورين المقادين بالجبر.

إذن ماذا علينا أن نفعل؟

الأمر بكل بساطة (ولو على نحو الحلم)

نأتي إلى أسباب خلافنا ونحللها ونجد حلولاً لها، لكي لا نصل إلى الصراع والتشرذم.

طبعًا هذا يحتاج إلى قرار قادة المسلمين، وهذا حلم لا يمكن تحقيقه، لأنهم يسيرون في مشروع رهيب لتدمير بلدانهم، من أجل شهوات بطونهم وفروجهم، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

فيمكن أن نقوم بوصف الحالة العامة، وعلينا كشعوب ومثقفين الإلتزام بما يجب أن يكون حلاً جذريًا لهذه الحالة السيئة.

والوصفة السحرية هي:

أولاً: يجب أن نعلن مبدأ أساسيًا بيننا وهو سلميّة خلافاتنا.

ثانيًا: يجب أن نعلن وجوب تعايشنا.

ثالثًا: أن نعلم أن الخلافات جميعها حتى لو كانت جوهرية لا يمكن أن تؤدي إلى تنافرنا، بل يمكن أن تصنع منا مجتمعًا يحترم بعضه رغم اختلاف الاتجاهات بشكل متعاكس.

بهذا فقط يمكن أن نبدأ وننطلق في تحقيق ما رغبه "النسر"* واكتشفه من قباحة التشرذم، طبعًا هذا ليس فيه حوار مذهبي ناعم ولا نقاش قومي متفاهم ولا تقارب مصالح؟

أقول: نعم، يمكن أن يحدث بدون هذه كلها، كما حدث في روسيا الآن وهي دولة قوميات متضاربة وكما يحدث في الولايات المتحدة الأمريكية وهي دولة مختلف الأديان والقوميات والمصالح الرهيبة وكما يحدث في أوروبا كما ألمعنا.

فنحن لا نحتاج إلى بحث مذهبي ونبش في الكتب وسب بعضنا بالغمز واللمز وغير ذلك.

* والمقصود به أحد المتحاورين مع العلاّمة المنار في الانترنت، كما مرّ سابقًا.

كل ما نحتاجه هو العمل الفعلي بهذه المبادئ الثلاث فلن نختلف مهما أرادت القوى الخارجية نشر الصراع بيننا.

وأما إذا لم نقبل بها، فيمكن لأبسط فتيل أن تشب بسببه كبريات الحروب المدمرة.

سواء تفاهمنا اقتصاديًا ومذهبيًا وقوميًا أم لم نتفاهم، فالجو متكهرب دائما لأننا لا نؤمن كشعوب إسلامية بسلمية خلافاتنا، وإنما نؤمن بمنطق القوة في جر النار لقرصنا، ونؤمن بعدم إمكان تعايشنا الحقيقي، ونؤمن بأن مذاهبنا وقوميتنا دائمًا في خطر من أعدائنا الأخوة الجيران بجنب حائط بيتنا، فحتى إن جيراناً من قوميتين أو مذهبين يسكنون بحائط جنب الحائط في بغداد وفي بيروت وفي دمشق لمدة مائتي عام وأكثر، لم يعطي أي منهما إمكانية التعايش، حتى أن احدهم لا يحب الآخر ولا يدري ماذا يجري في بيت الآخر، بل لو سألته عن مذهب أو قومية الآخر لسمعت أساطير عجيبة، كما لو كان الفرق بينهما قارة شاسعة، مع كونهما متعايشين منذ طفولة الآباء والأجداد ويلعبون سوية ويعملون سوية، وقد وجدت عجبًا في بيروت وفي بغداد، تقاتل الجيران في أوقات الأزمات الطائفية لنفس الأسر على مدى ألف عام، فأنا أعرف أسرتين من مذهبين في بغداد متجاورتين تاريخيًا منذ الزمن العباسي، وقد حدثت أكثر من ستة فتن ومذابح طائفية اشتركت فيها العائلتان! ومرة سألت صبيًا سنيًا في بغداد عن جارهم الشيعي فقلت له: ماذا يعمل هؤلاء الشيعة في دينهم؟ فقال لي (عمو الشيعة يقولون في الصلاة خان الأمين)! ومرة سألت صبيًا في بيروت عن جارهم

الشيعي؟ فقال (ذول متاولة بو ذنب) يعني شيعة لهم ذنب كذنب القرد، فقد لا يصدّق من لا احتكاك له هذا الكلام، ولكن هذه حقيقة وأنا استقيتها من أسر متعايشة مئات السنين، وليس عشرات السنين، كما قد يتخيل البعض، وهذا يعني أن التشرذم لم يمحه الدهر، وهو بقابلية ذاتية في المجتمع الإسلامي، لوجود القناعات الثلاث التي ذكرتها وأساسها: الإيمان بالقوة في الحل، وعدم الثقة في الآخرين ونواياهم، وعدم الرغبة في التعايش تبعًا لذلك.

ولكن هل هذا يستدعي عدم فتح الحوار الهادئ للتقارب الفكري وتحديد نقاط الخلاف الأساسية؟

الجواب: كلا أبدًا.

ولكن هنا نسأل: هل هناك أمل بالوصول إلى نتيجة ملزمة حين يكون منطق الحق والحقيقة ومنطق المصالح المشتركة والأخوة فارضًا نفسه؟

أقول: وبكل أسف بحسب تجربتي أن النتيجة سلبية غالبًا، فمن يصل إلى حد وجوب الإعلان عن تغيير قناعاته تجاه الآخر . عندها سيتوقف الحوار لينسحب من لا يعجبه ذلك. نعم قد يحاور الشريف ذاته فيما بعد، ويتراجع عن عصبيته، ثم يتبنى رأي خصمه الذي عارضه بشدة، و حين حوصر انفلت من الحوار .

ولكن هل يجب أن نتوقف؟

لا.

لأن العالم توسعت فيه المعارف وأصبحت دائرة المعرفة تفرض نفسها على الجميع، ليطّلع كل على الآخر، ومن ثم يتخذ كل إنسان قراره بحرية تامة.

وهنا علينا .. بالأخذ بالقدر الجامع، وأضيف إليه المتيقن والذي لا خلاف فيه كتفسير جيد للقدر الجامع .

أولاً:

في مجال التعايش: بالنسبة للشيعي فهو يرى بكل صراحة وجوب التعايش مع كل المسلمين مطلقًا، ومع كل غير المسلمين إذا أوفوا بشروطهم. وهذا هو الفقه الشيعي الصريح:

وقد أدرك ذلك النسر*، حتى أنه فهم معنى التقية المداراتية أي عدم خدش مشاعر الآخرين، وهذا ما نوجبه في مذهبنا، (ولكن ماذا نفعل حين يتم التحارش بأبنائنا بالقتل والسلب والإقصاء والتحقير بما يزيل كل كرامة إنسانية، فليس بمقدورنا أن نضبط ردود أفعال شبان يخالفون مذهبهم)، وعلى كل حال فالمذهب الشيعي يصف بالخروج كل من يخالف هذه المبادئ السلمية ومن يرفض التعايش مع المسلمين، فهو مخالف لجوهر المذهب حتى لو ادعى التدّين بالمذهب وهذا أمر صريح وشفاف عندنا.

---

* إشارة لمحاوره.

فإن أئمتنا عليهم السلام تعايشوا مع قتلتهم ومع الفساق فقد كان الخليفة يبعث على الإمام وهو سكران ويطلب منه شرب الخمر وينشأ له الإمام قصيدة وعظية من أجل أن يصحو الخليفة من سكره، وقد لعن أئمتنا مؤمنين بالمذهب متعصبين له حين خالفوا قوانين التعايش السلمي .

فماذا يُطلب منا أكثر من هذا؟

فهذه بضاعتنا الثابتة في عرضها دائمًا منذ أن نشأ مذهبنا على يد رسول الله وبأمره صلى الله عليه وآله وسلم حين أشار لعلي وشيعته بالتكوين: (يا علي أنت وشيعتك هم الفائزون) بل حين أنشأ التشيع بحديث الثقلين وغيره من منشئات أسس التشيع فكرًا ومجتمعًا، (التمسك بالعترة مع القرآن بلا افتراق) وهذا هو عمود خيمة الاجتماع الشيعي.

فنحن في جانب التمسك بهذه المبادئ الثلاث نعلنها للناس علنًا: (إننا ملتزمون بها دائمًا وعلى الأطراف الأخرى أن تقبلها وتلتزم بها، وحتى لو خالفوا فنحن نلتزم .. ولن نتحجج بأنكم خالفتم، فإلتزامنا مستمر دائمًا، لأنها مبادئ دينية عندنا، ونحن نرى أن الإسلام المحمدي مبني على هذا ولم يُبنَ على السيف أبدًا، وهذا رأينا الديني والفكري، وهو جزء من تفسيرنا لموضوع الجهاد، فنحن لا نقاتل مسلمًا مطلقًا، وإنما نقاتل معتديا يعرّض المسلمين للخطر فقط ثم فقط)

فهل هناك التزام أوضح من هذا؟

إذن، هذا الجانب متوفر من جهتنا ولا يحتاج إلى حوار وتفاهم حوله، إنما على الأطراف الأخرى أن تبيّن كيف ستلتزم، خصوصًا، وأن ديانتها قائمة على السيف والقوة واغتصاب الحقوق، فالكرة في ملعبهم، كيف يوازنون مبادئهم الدموية مع مصلحة اجتماع كلمة المسلمين؟

ما هو الخلاف الحقيقي بين السنة والشيعة؟

لو دققنا النظر بكل المسائل فسنجدها غير مختلفة، كما وجد النسر* فإن البداء هو نفسه المحو والإثبات وأن التقية هي نفسها باب الإكراه في الفقه، وهكذا كل الخلافات لا تعدو أن تكون كذلك، ولكن الخلاف الحقيقي يتعلق بشرعية أشخاص محددين للأخذ منهم والتمسك بهم، فهذا هو جوهر القضية بكل بساطة. و يمكن القول أنه خلاف على مصدرية الأخذ من أشخاص محددين، أو القول أنه الخلاف في حجية أشخاص ناقلين للرسالة ويتحملون المسؤولية عنا، ويجب التمسك بهم، وكل هذا في معنى واحد.

هذا هو جوهر الخلاف الحقيقي والعقدة المستعصية، والبقية كله قابل للحل وإيجاد المخرج .

طيب هل هناك أشخاص متفق على وجوب التمسك بهم بيننا جميعًا؟

نحن ندعي نعم والواقع يؤيدنا، وقد أيَدَنَا الآن النسر حين تأمل بأهم حديث صحيح وهو حديث الثقلين: إنهما القرآن والعترة الطاهرة.

إذن، هذا طريق مقبول بيننا جميعًا سنة وشيعة، للوصول إلى شرع الله وهو طريق منج وعاصم من الضلالة؟

---

* محاورٌ للعلامة المنار سبق ذكره.

بينما الأشخاص الآخرين مختلف فيهم، وغير مقبولين عندنا البتة، وعندكم الكلام فيهم لا يصل إلى حد الإلزام وإنما حكمهم التخيير، والمخيّر لو خير مع المِلزم فلا مجال إلا الإلزام والإلتزام به.

فأنت اختصرت الطريق جدًا يا "نسر" في هذا التوافق بارك الله في جهدك هذا.

فما علينا إلا أن نلتزم فيمن أمرنا الله ورسوله بالإلتزام بهم، والبقية يبقون على التخيير، ونحن لا نرى حجية لمكن مع وجود الواجب.

وإذا كنتم تقبلون ترك الواجب فهذا ليس من شأننا وإنما هو إنكفاء على المبدأ وتدمير لأسس العقل، وليس علينا نقده أو التعرض له فالحرية مكفولة، وأين، أين نفر من احترام عقولنا ونصوصنا الأساسية مثل حديث الثقلين؟

ولكن هل عندكم مانع على موافقتنا في الإلتزام بالعترة؟

لا أظن ذلك بعد كلام النسر.

طبعًا أهم لازم لهذا هو الحكم بأن جماعة العترة ومن تمسك بها ليسوا على باطل وليسوا ممن يجب تركهم لكونهم شيعتهم، ولا يجب ترك فعل لمجرد كونه شعارًا للرافضة أنصار العترة، حتى لو كان عين فعل رسول الله وهو السنة الحقيقية.

فإذا قبلنا بها فقد انحلت المشكلة ووقع التقارب والتفاهم والتواد.

فقد كانت المشكلة المعقدة هي ترك العترة المأمورين بالتمسك بها، ونسبة أي متمسك بها إلى الكذب والطعن فيه، وفي روايته وفي دينه باعتباره متمسكًا بالعترة.

فهذا جانب كبير من الحاجز النفسي سيزول، فإذا لم يقبل هذا فيعني أن لا جامع مشترك مطلقًا، وأن لا قبول لمبدأ الإذعان للحقيقة ولطلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الرسمي.

ولكن بالنسبة لك فأنت آمنت بسبع مبادئ رغم إنها ناقصة جدًا من جهتنا، مثل تحديد الثقلية وتحديد وصف المتمسك بهم بأثر رجعي، لأن أساس المشكلة هي هذه، وهي أن كل متمسك بالعترة متهم بكونه مبتدعًا مجرمًا لا يؤخذ منه الحديث، ولا يكون صلة وصل بالعترة ولا حتى بغيرهم، فهم مرفوضون، وعلى هذا تكون العترة لا إنتاج لها فيكون التمسك بها من باب سالبة بإنتفاء الموضوع أي أن العترة منتفية لإنتفاء إنتاجها. وهذا مخالف للوجدان ومخالف للمبدأ التوافقي ومبدأ الالتزام بصحة التمسك بهم.

فالقضية محلولة وبسيطة جدًا ومقبولة دينيًا وعقليًا، أي نتفق على أن نتمسك بالواجب ولا نطالب بالتمسك بالمختلف به حتى لو كان يراه أحد الأطراف يمكن التمسك به مع وجود واجب التمسك.

القومية والعنصرية في مقابل الإسلام

١- لا يجوز التنازل عن الثوابت الحقيقية (وليست المفتعلة)، فما يسمى بالإنصهار الحضاري أو الوطني أو الثقافي ليس له محل في أي فكر يحترم نفسه ويحترم حدود الآخرين.

٢- كل مسلم عليه أن يفرق بين التمايز الإسلامي الذي عليه مدار الأخوّة الحقيقية وهو التقوى، بين التمايز على أساس احترام العلماء والمتقدمين في الإصلاح والصلاح العام، وهذا يقدره المسلم باعتبار تقدير المعاني الثانوية المقدرة شرعًا وعقلاً كتقدير العلم والإصلاح في المجتمعات.

٣- فقه أهل البيت يمتلك المرونة التي تجعل المكلف يتعايش مع عالمه مهما خالفه ذلك العالم في الإتجاه والهدف، بل حتى لو كان ظالمًا له، فعلى المسلم أن يطلّع جيدًا على فقه أهل البيت ليتمتع بهذه المرونة.

٤- حين فقد الدولة الاسلامية يتمسك الفقيه بالمجتمع الإسلامي، وحين فقد المجتمع الإسلامي الحقيقي ويبقى المجتمع الصوري، فالأمر له معالجة واسعة، ولكن لو فرضنا انتفاء المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية معًا، كما يرى بعض التكفيريين، فيكون العالم كله على حد سواء من جواز العيش فيه واحترام جميع مكوناته، ولهذا فإن إشكالنا على حزب التحرير وغيره ممن يقول بإنتفاء الإسلام دولة ومجتمعًا، فإنهم يقولون نحن في عصر جاهلي يجب أن نحارب، بينما الفقه الإسلامي للسنة والشيعة

يرى أنه في هذه الحالة يجب مسالمة الجميع ويجب الاشتراك في جميع الحكومات عملاً وتفاعلاً لحفظ حقوق المسلمين بدل أن يطغى عليهم الطغاة، فأين هذا الحكم المجمع عليه من تلك الأفكار الرديئة التي يتبناها تكفيريون ينفون عن نفسهم تهمة التكفير؟ وعنصريون ينفون العنصرية عن أنفسهم كذبًا وزورًا؟

٥- علينا أن نفرق بين (حب الوطن من الإيمان) وبين اعتبار الإقليم مبدأ تمييز، فكم نرى القوميين ينفعلون لخدش اسم وطني عندهم كما يهيج الفرس من تسمية الخليج العربي ويهيج العرب من اسم خليج فارس الذي هو أصل تسميته، فتثور الثورات وتهيج المجتمعات لكلمة هنا وكلمة هناك بحجة الإنتماء للوطن والوطنية، بينما يقتضي حب الوطن تجميله وتطويره وتقديمه أحسن تقديم من كل فرد مواطن، بدل هذه الترهات.

٦- علينا أن نفرق بين الإنتماء للقوم وحب المجموعة البشرية التي ننتمي إليها، وبين الدعوة إلى كراهية الآخرين بحجة القومية، وقد اختصر علينا الإمام سلام الله عليه القول بقوله: (ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم) . وفي نص آخر مشابه ولكنه في اتجاه اخر قوله عليه السلام: (ليس من العصبية أن تحب قومك ولكن من العصبية أن تجعل شرار قومك خيرًا من خيار غيرهم)، وهذا فارق أساسي ومهم جدًا.

٧- أساس الحضارة الإسلامية أخلاقي حقوقي، وأساس الحضارات الأخرى مختلف بين نظرية القوة وبين نظرية السلطة، ولهذا فإن الحضارة الإسلامية لم تر النور إلا في فترات قصيرة جدًا، تعتبر لمحات خاطفة. فلا تعتبر تجربة الدولة الاسلامية السلطوية تمثل الحضارة الإسلامية الحقيقية، فهي في الغالب سلطوية ولكن في فترات معينة كانت تعتني بالقوة مثل فترة المأمون حيث طوّر العلوم وفترة الناصر لدين الله وفي فترته بداية الارتقاء بالعلوم الطبيعية، والفترة الإلخانية التي زخرت بالعلوم الطبيعية والرياضية لخدمة الحضارة وهي قوة كبرى وهناك فترات قصيرة أخرى لا تذكر، فهي فترات قوة واستجماع مصادر للحضارة، لكنها لا تمثل الحضارة الإسلامية المبنية على الاخلاق وعلى رأسها حفظ الحقوق. ومن وجهة نظرنا فإن فترات البناء الحضاري هي فترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبناء الحضارة الأخلاقية الحقوقية، وفترة علي عليه السلام الذي علّم المسلمين فقه إدارة الخلاف وفترة الإمام الحسن عليه السلام الذي علمهم الخيارات الفقهية الحقيقية حين يضعف المجتمع عن التمسك بمبادئ الأخلاق وحفظ الحقوق، وحين يكون المجتمع سمّاع لكل شبهة أو فتنة ولا يميز بين الحقيقة والخطأ .

وهناك الكثير من المقدمات العلمية والقواعد الأساسية التي تحيط بقرار المسلم الحقيقي، فلهذا حين نقول بأننا نرفض العنصرية والعصبية الجاهلية، لا يعني أننا نتبنى خطأً آخر، وإنما علينا أن نتأمل في كل حدث وقول وشخصية وننسبها للحق والصواب، فإن وافقتهما فهي حق، وإن خالفتهما فهي مخالفة، ولا ينبغي الإلتفاف

حولها، حتى لو كانت الفكرة أو الشخصية براقة المظهر أو تستخدم ما يرغبه الناس ويثقون به، مثل الدين والتقوى والعلم وغير ذلك، فهذا لا قيمة له إذا ثبت عند العاقل وجود مخالفة قطعية للصواب .

وهنا نركز على خطأ الدعوات للإلتفاف على أساس قومي من أجل دفع النفوس نحو التوحد ضد العدو الوهمي الذي قد يكون مظلومًا وليس عدوًا أصلاً.

إن من يقرأ قصة توجه جنكيز خان إلى بلاد المسلمين يرى العجب من سوء التقدير عند القوميين والظلمة المسلمين، فقد كان جنكيز خان يكره الصين ويُعد الحروب لها، وفي نفس الوقت يحب المسلمين ويعتبرهم القدوة في التقدم والقوة (بشهادة ابن أبي الحديد المعاصر للحدث)، ولهذا وجه قوافله للمتاجرة الكبرى مع المسلمين ولكن حماقة حكام المسلمين دفعتهم لقتل التجار والغدر بهم وسرقة أموالهم في قلب السوق الإسلامي بقوة الجند، وبعث الحاكم المسلم اثنين من تجار المغول رسلاً لتبليغ الإهانة لجنكيز خان الذي كان محبًا للمسلمين ولم يكن عدوًا لهم، وكان يخاف منهم ويهابهم، فكشفت الحادثة خسة أفعال المسلمين على ضعفهم وعدم انضباطهم وسهولة اختراقهم لأنهم لا يلتزمون بدين ولا خلق ولا حقوق للآخرين، فقام جنكيز خان باصطناع حرب سريعة اختبارية لقوة الحضارة، فتبين له أنها دولة نخرة ومنهارة وهشة جدًا، فغيّر مساره من بلاد الصين إلى أخذ بلاد الثراء والتجارة والسلطة الغاشمة.

فكما ترى فإن التحركات القومية تصنع من الصديق عدوًا مدمرًا، وهكذا نراها دائمًا تفعل ذلك.

في إحدى الندوات في بيروت تساءلت: لماذا نحارب إسرائيل على أساس قومي، وهم يحاربونا على أساس ديني؟ مع أن شعبنا متدين بطبيعته.

فإذا بالجواب باننا لا نفهم في تلك الحرب ونفهم بهذا النوع من الحروب.

وبعد مدة أصبحت هناك مقاومة فتساءلت في مجلس ضم المقاومين الكبار: لماذا نحارب إسرائيل على أساس حقوقي بينما تحارينا على أساس ديني؟

فكان الجواب: بأن هذا القدر هو ما يفهمه الناس، فقلت إذن علّموا الناس غير هذا، فاعترض أحد الأصدقاء بأن الحرب مع إسرائيل على أساس ديني قد يجلب لنا تهمة معاداة السامية، فقلت أاقول: إذن، حينما تحاربنا إسرائيل على أساس ديني يكون مسموحًا لها؟ وممنوعًا علينا؟

المهم أن بوصلة الصراعات تاهت في مجتمع رُبيَّ تربية معوجة، فهو لا يعرف أين مصدر الصراع الحقيقي.

فهذه الدول العربية حتى الدينية منها تطالب بحقوق العرب، بينما اليهود يطالبون بحقوق الدولة اليهودية، وفي مثل هذا الإختلاف في المنطق لا يمكن أن يكون هناك

تحكيم عقلائي في القضية، فالعرب يطالبون بحقوق السكن في فلسطين وبالكرامة العربية، بينما اليهود يطالبون بالحق الإلهي في أرض فلسطين لبني إسرائيل.

وهذا لم يتم الرد عليه دينيًا وحقوقيًا في المجتمع العربي نفسه، قبل أن يتم عرضه على المجتمعات الدولية، فإن الحق الإلهي المزعوم لا أصل له ولا يمكنهم اثباته، ثم أنه لو سلّمنا جدلاً بدعواهم المزيفة فإنه من الناحية الدينية لا ينطبق على المسلمين ولا المسيحيين، وقد ينطبق على الوثنيين، وهم لا وجود لهم في أرض فلسطين، فإن احتلال يهودي بولندي لأرضي في فلسطين بحجة صحة نبوة موسى، منطق مفلوج، ولا يمكنه أن يزيل ملكيتي لا شرعًا في دين موسى نفسه ولا في القوانين التي تعارض اليهودية (سماوية كانت أو وضعية).

إن من ينظر في تصرفات القوميين العرب، والتضاد بين حماسهم ضد إسرائيل وبين عدم تقديم أي حل فعال وناجح ضد إسرائيل، يجعل الإنسان إما متحيرًا في أمرهم أو متهمًا لهم بالتعمد لاختيار الطريق الخطأ لمعالجة قضية فلسطين واحتلال اليهود الأجانب لها.

وقد بدا على كثير من الدارسين اتهام الفكر القومي العربي المعاصر، بأنه وسيلة لإيقاف نمو الشعوب العربية لصالح إسرائيل والغرب، ولهذا فإن المسلم غير ملزم بالتمسك بمعيار لا وجود له في الواقع، وهو يعمل ضد بناء حضارة المسلمين وقيمهم السامية.

والحركات العنصرية هي حلول خطأ لقضايا الشعوب، وهي لعب بدماء الإنسان المحترم، ودعوى التقدم بالحركات العنصرية مثل النازية وغيرها، غير صحيحة، والعبرة بالنتيجة والمآل لا في الحال.

سرُّ ابن تيمية

سر ابن تيمية، ما هو ومن هو إبليس؟

إبليس عند الوهابية لغز لا يمكن معرفته بسهولة، ولكن بعد تجميع صفاته سيكون واضحًا أنه نفس ربهم الأمرد، وإليك صفاته.

إبليس كان بحجم آدم وهو بطول رب الوهابية ستين ذراعًا، ويمكنه أن يكون شابًا أمردًا والأصل أنه أمرد، كما يقولون، له قدرة تكوينية في الكون، وهو معنى أن يقول: للشيء كن فيكون، ويعلم الغيب ويخبر به، وله قدرة على قلب حقائق الأشياء بل يعطي هذا لأوليائه بكل سهولة، وهو يهدي الناس – كما في موضوعنا – ويضلهم بدعوتهم للباطل وإتباع الشهوات.

وأنت ترى أن هذه هي صفات الرب عندهم، فإذا كان هو نفسه أمردًا بل جميلاً وقد دعا قوم لوط للتعلق بالفعل القبيح حين واقعوه لجماله.

إذن، ما يختلقه لنا الوهابية وسلفهم من تشويش، هو لعدم تمكين المسلم من تجميع صفات معبودهم مع صفات إبليس، تغطية على حقيقة دينهم، ولكن بعد التجميع يكون الأمر واضحًا والبيان جليًا، ويمكن تفسير رسالة ابن تيمية إلى عباد الشيطان اليزيدية وتسميتهم (ممن أعظم الله عليهم المنة) وفق هذه المعادلة الجلية المخفية بالتشويش.

رسالة ابن تيمية إلى اليزيدية ذات مغزى كبير في هذا الموضوع:

«من أحمد بن تيمية إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين المنتسبين إلى السنة والجماعة، والمنتمين إلى «جماعة الشيخ العارف القدوة أبي البركات عدي بن مسافر الأموي (رحمه الله)»، ومن نحا نحوهم، وفقهم الله لسلوك سبيله، وأعانهم على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم وجعلهم معتصمين بحبله المتين، مهتدين لصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وجنبهم طريق أهل الظلال والأعوجاج، الخارجين عما بعث الله به رسوله صلى الله عليه [وآله] وسلم من الشرعة والمنهاج، حتى يكونوا ممن أعظم الله عليهم المنة، بمتابعة الكتاب والسنة، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته»*.

ومن أجل بيان علاقة هؤلاء الذين أعظم الله عليهم المنة بإبليس، نقرأ ما كتب أهل السنة في موضوع (التعريف الشامل لليزيديه عبدة الشيطان) وهم كتّاب ليسوا من الشيعة قطعًا وإنما هم جهة سنية غير مرتبطة بالوهابية، فقالوا:

(.. وقفوا أمام مشكلة لعن إبليس في القرآن فاستنكروا ذلك أيضاً وعكفوا على كتاب الله يطمسون بالشمع كل كلمة فيها لعن أو لعنة أو شيطان أو استعاذة بحجة أن ذلك لم يكن موجوداً في أصل القرآن وأن ذلك زيادة من صنع المسلمين.

---

* الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٧ ط.١ مكتبة الصديق في الطائف، (ثم يسترسل في بيان الالتزام بالشريعة وفي الختام يبين أن جوهر الالتزام بالشريعة هو عداوة أهل البيت عليهم السلام وتحصيل القدرة على مقارعتهم الذين يسميهم الرافضة من اجل التلبيس).

ثم أخذوا يقدسون إبليس الملعون في القرآن، وترجع فلسفة هذا التقديس لديهم إلى أمور هي:

ـ لأنه لم يسجد لآدم فإنه بذلك ـ في نظرهم ـ يعتبر الموحد الأول الذي لم ينس وصية الرب بعدم السجود لغيره في حين نسيها الملائكة فسجدوا، إن أمر السجود لآدم كان مجرد اختبار، وقد نجح إبليس في هذا الاختبار فهو بذلك أول الموحدين، وقد كافأه الله على ذلك بأن جعله طاووس الملائكة، ورئيساً عليهم!

ـ ويقدسونه كذلك خوفاً منه لأنه قوي إلى درجة أنه تصدى للإله وتجرأ على رفض أوامره!

ـ ويقدسونه كذلك تمجيداً لبطولته في العصيان والتمرد!

• أغوى إبليس آدم بأن يأكل من الشجرة المحرمة فانتفخت بطنه فأخرجه الله من الجنة.

• إن إبليس لم يطرد من الجنة، بل إنه نزل من أجل رعاية الطائفة اليزيدية على وجه الأرض!) انتهى

وعبادة الأصنام هي عبادة الشياطين عند ابن تيمية بانيًا على أقوال غير موثوقة:

مجموع فتاوى ابن تيمية – (ج ٦ / ص ٢٨٢)

(قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي كُلِّ صَنَمٍ شَيْطَانٌ يَتَرَاءَى لِلسَّدَنَةِ وَيُكَلِّمُهُمْ . وَقَالَ أبي بْنُ كَعْبٍ: مَعَ كُلِّ صَنَمٍ جِنِّيَّةٌ .) انتهى

إذن من يعبد الشاب الأمرد الصنم الوهابي إنما يعبد إبليس ليس إلا، فأرجو أن تتفتح صور الخيال الجميل في هذا الاتجاه.

هل إبليس أمرد؟

- الشيطان المريد أي الأملس من كل شيء من الفضائل والشعر ومنه الأمرد:

التبيان تفسير غريب القرآن - شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري - (ج ١/ ص ١٧٤):

(شيطانا مريدًا ماردًا أي عاتيًا ومعناه أنه قد عري من الخير وظهر شره من قولهم شجرة مرداء إذا سقط ورقها فظهرت عيدانها ومنه غلام أمرد إذا لم يكن في وجهه شعر - زه - قال ابن عيسى أصله التملس) انتهى

الكشف والبيان ـ للثعلبى - (ج ٤ / ص ٣٧):

(فإن يدعون وما تعبدون إلاّ شيطاناً مريداً والمريد المارد فقيل: بمعنى فاعل. نحو قدير وقادر وهو الشديد العاتي الخارج من الطاعة. يقال: مرد الرجل يمرد مروداً ومراده إذا عتى وخرج من الطاعة وأصل المريد من قول العرب: حدثنا ممرد أي مملس).

النكت والعيون – (ج ٢ / ص ١٣٨):

{وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ} فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أقاموا عليه ولم يتوبوا منه، قاله عبد الرحمن بن زيد .

الثاني: مردوا عليه أي عتوا فيه، ومنه قوله عز وجل {وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً} [النساء: ١١٧] .

الثالث: تجردوا فيه فظاهروا، مأخوذ منه تجرد خد الأمرد لظهوره وهو محتمل .

وهكذا قال أغلب المفسرين .

– الأصل في إبليس أنه أمرد، ولا يُعلم أن له شعرًا:

روضة الطالبين – محيى الدين النووي – ج ٦ – ص: ٩٤

(فرع قال: أنت طالق بعدد كل شعرة على جسد إبليس، قال إسماعيل البوشنجي: قياس مذهبنا: أنه لا يقع طلاق أصلا، لأنا لا ندري أعليه شعر أم لا؟ والأصل العدم) انتهى

شرح زاد المستقنع للشنقيطي الحنبلي – (ج ٢٩٧ / ص ٦):

(ومن عجيب ما ذكره بعض العلماء –رحمهم الله– أنه لو قال: أنت طالق بعدد شعر إبليس –وهذا ذكره الإمام النووي رحمه الله– قال بعض العلماء: إنها لا تطلق؛ لأننا لا نعلم هل لإبليس شعر أو لا! والأصل: أنها زوجه، لكن قال بعض العلماء وهو أصح: قوله: أنت طالق، إثبات للطلاق، وقوله بعد ذلك: بعدد شعر إبليس زيادة على الواحدة، يعني: أنه يريد أكثر من واحدة، فنبقى على الأصل من أنه طلق، والزائد ملغي وهذا هو الصحيح.) انتهى

أقول: قال الحنبلي الشنقيطي (والزائد ملغي) لأن ابليس عنده أمرد ليس له شعر كما هو الصحيح وفيه رواية قوم لوط حين أصابوا إبليس وهو أمرد قطط جميل جعد.

- إبليس معلم كشف العورات وفعل الفاحشة وهو شاب أمرد .

الكشف والبيان ـ للثعلبى – (ج ٥ / ص ٤٠١):

وقال الحسن: كانوا لا ينكحون (إلاّ الرجال) وقال الكلبي: أوّل مَنْ عمِلَ عمَل قوم لوط إبليس الخبيث لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان فتمثّل لهم إبليس في صورة شاب ثمّ دعا (في) دبره فنُكح في دبره ثمّ عتوا بذلك العمل فأكثر فيهم ذلك فعجّت الأرض إلى ربّها فسمعت السماء فعجّت إلى ربّها فسمع العرش فعجّ إلى ربّه فأمر الله السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ} إذا قال لهم ذلك {إِلا أَن قَالُوا} قال بعضهم لبعض {أَخْرِجُوهُم} لوطاً وأهل دينه {مِّن

قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} يتنزّهون ويتحرّجون عن أتيان أدبار الرجال وأدبار النساء يعني لوطاً {وَأَهْلَهُ} المؤمنين به،

وقيل: وأهله بنتاه: نعوذا وديثا.

تفسير البحر المحيط – (ج ٥ / ص ٣٨٧):

قال عمر بن دينار: ما رؤي ذكر على ذكر قبل قوم لوط روي أنهم كان يأتي بعضهم بعضاً، وقال الحسن: كانوا يأتون الغرباء كانت بلادهم الأردن تؤتى من كل جانب لخصبها فقال لهم إبليس هو في صورة غلام إن أردتم دفع الغرباء فافعلوا بهم هكذا فمكنهم من نفسه تعليماً ثم فشا واستحلوا ما استحلوا.

تفسير البغوي – (ج ٣ / ص ٢٥٥):

(قال محمد بن إسحاق: كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، فقال: إن فعلتم بهم كذا نجوتم، فأبوا فلما ألح عليهم الناس قصدوهم فأصابوهم غلمانا صباحا، فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم. قال الحسن: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء.

وقال الكلبي: إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس، لأن بلادهم أخصبت فانتجعها أهل البلدان، أي: فتمثل لهم إبليس في صورة شاب، ثم دعا إلى دبره، فنكح في دبره، فأمر الله تعالى السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تخسف بهم.)

فتح القدير – (ج ٣ / ص ٦٠):

(وأخرج ابن عساكر، عن ابن عباس، قال: إنما كان بدء عمل قوم لوط: أن إبليس جاءهم في هيئة صبيّ، أجمل صبيّ رآه الناس، فدعاهم إلى نفسه، فنكحوه ثم جسروا على ذلك).

تفسير القرطبي – (ج ٧ / ص ٢١٧):

(وحكى النقاش أن إبليس كان أصل عملهم بأن دعاهم إلى نفسه لعنه الله)

- إبليس قادر عندهم على عمل الخوارق أي يقول للشيء كن فيكون:

قال ابن تيمية عن الولي:

(....ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالي وتكون من الشيطان لبسها عليه لنقص درجته، ولا يعرف أنها من الشيطان .....) الفتاوى (٢٠٢/١١) والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ج١ بعنوان: هل يعصم الأولياء؟.

مجموع الفتاوى –جزء ١١ – صفحة ٢٣٩:

(وهذه الأرواح الشيطانية هي الروح الذى يزعم صاحب الفتوحات أنه ألقى إليه ذلك الكتاب ولهذا يذكر أنواعًا من الخلوات بطعام معين وشىء معين وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن والشياطين فيظنون ذلك من كرامات الأولياء وإنما هو من الأحوال الشيطانية واعرف من هؤلاء عددًا ومنهم من كان يحمل فى الهواء إلى مكان بعيد ويعود ومنهم من كانت يؤتى بمال مسروق تسرقه الشياطين وتأتيه به ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من الناس أو بعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك).

- إبليس يعلم الغيب ويعلمه لأولياءه

وفي هذا الرابط تجد موضوعا يثبت أن علوم تعبير الرؤيا وعلم الغيب عند الصوفية هو من علم الشياطين .

http://islamtoday.net/bohooth/artshow-86-1080.htm#1

وهو بعنوان: تعابير منامية أم أخبار شيطانية؟ لعبد الله بن مرزوق القرشي

بدأه:

قال شيخ الإسلام: (الشياطين تظهر عند كل قوم بما لا ينكرونه) النبوات (٨٣١/٢).

وتطرق لاثبات قدرة الشياطين على إيصال المعلومات الغيبية التفصيلية الدقيقة.

أقول: إذا كان إبليس أمردًا جميلاً، وهو يقول للشيء كن فيكون ويهب ذلك لأولياءه، وهو يعلم الغيب ويعلمه لأولياءه، فقد انكشف من هو الأمرد؟

- توثيق عقيدة الأمرد

قال الشيخ السلفى منصور السمارى فى تحقيقه لكتاب (نقض الدارمى) – طبعة دار أضواء السلف /الرياض عام ١٤١٩صفحة (٤٣٨ –٤٤٥):

(روى احمد فى مسنده ٢٨٥/١ وابن ابى عاصم فى السنة ح ٤٤٠ وعبد الله بن احمد فى السنة ح ٥٦٣ والطبرانى فى السنة كما فى الالالىء المصنوعة ٢٩/١ والدارقطنى فى الرؤية ح ٢٦٤,٢٦٦ وابن عدى فى الكامل ٢٦٠/٢ فى ترجمة حماد بن سلمة وغلام الخلال فى جزئه فى الصفات لـ٧/ب واللالكائى فى شرح الاعتقاد ح ٨٩٧ وابو يعلى الفراء فى ابطال التاويلات ١٣٣,١٣٥,١٣٦,١٤٣/١ والبيهقى فى الاسماء والصفات ح٩٣٨ من طرق عن اسود بن عامر شاذان عن حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم:

(رأيت ربى عزوجل فى صورة شاب أمرد له وفرة جعد قطط عليه حلة خضراء) كذا مطولاً وبعضهم يختصره

ورواه احمد فى مسنده ٢٩٠/١ وابن ابى عاصم فى السنة ح ٤٣٣ والطبرانى فى السنة كما فى اللالئ ٢٩/١ والدارقطنى فى الرؤية ح ٢٦٥ وابن عدى فى الكامل ٢٦١/٢ واللالكائى فى شرح اصول الاعتقاد ح ٨٩٨ والخطيب فى تاريخه ٢١٤/١١

من طرق عن عفان بن مسلم عن عبد الصمد بن كيسان عن حماد بن سلمة به بنحوه مطولا وبعضهم يختصره .

وفى طبقات الحنابلة ٤٥/٢-٤٦ ساق ابن ابى يعلى باسناده الى ابى بكر الموذى انه قال: قرات على ابى عبد الله - احمد بن حنبل - حدثكم شاذان حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ص " رايت ربى عزوجل شاب امرد جعد قطط عليه حلة حمراء "

قال المروذى: قلت لابى عبد الله: انهم يقولون ما رواه الا شاذان

فغضب وقال: من قال هذا؟

ثم قال: اخبرنى عفان حدثنا عبد الصمد بن كيسان حدثنا حماد بن سلمة ..، فقلت: يا ابا عبد الله انهم يقولون ما روى قتادة عن عكرمة شيئا

فقال: من قال هذا؟ واخرج خمسة او ستة احاديث او سبعة عن قتادة عن عكرمة ..

وروى هذا ابن عدى فى الكامل ٢٦١/٢: فقال حدثنا ابن شهريار حدثنا ابو بكر المروذى قلت لاحمد بن حنبل: يقولون انه لم يرو هذا الحديث الا شاذان؟

فقال: حدثنا عفان حدثنا عبد الصمد عن حماد بن سلمة

قلت: يقولون لم يسمع قتادة من عكرمة؟

فغضب واخرج كتابا فيه سماع قتادة من عكرمة ستة احاديث

وفى طبقات الحنابلة لابن ابى يعلى ١/١١٨-١١٩ روى بسنده الى ابى بكر المروذى قال حدثنا عبد الصمد بن يحيى قال: سمعت شاذان يقول:

ارسلت الى ابى عبد الله استاذنه فى ان يحدث بحديث حماد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى "رايت ربى عزوجل "

فقال: قل له قد حدث به العلماء حدث به

ونقل شيخ الاسلام ابن تيمية فى نقض تاسيس الجهمية (٣/ل٢١٦/ب-ل٢١٧/ب) عن الخلال عن المروذى انه قال عقب روايته للحديث السابق:

(قلت لابى عبد الله: فشاذان كيف هو؟ قال: ثقة وجعل يثبته

وقال: فى هذا يشنع به علينا؟

قلت: افليس العلماء تلقته بالقبول؟

قال: بلى)

وقال ابن تيمية ايضا فى (٣/ل٢٤١/أ):

كما فى الحديث الصحيح المرفوع عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال:

قال رسول الله ص " رايت ربى فى صورة امرد له وفرة جعد قطط فى روضة خضراء ..".

قال ابو يعلى فى ابطال التاويلات ١٤٠/١: (وهذا من احمد تصحيح لحديث ابن عباس وتثبيت له)

وفى ١٤٣/١: نقل عن الطبرانى انه قال (حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى ص فى الرؤية صحيح من زعم انى رجعت عن هذا الحديث بعدما حدثت به فقد كذب)

وروى ايضا بسنده الى الطبرانى انه قال:

(سمعت ابن صدقة الحافظ يقول: من لم يؤمن بحديث عكرمة فهو زنديق)

ثم روى بسنده الى البرذعى قال:

(سمعت ابا زرعة الرازى يقول: من انكر حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ص ((رايت ربى عزوجل)) فهو معتزلى)

وفى اللالئ للسيوطى ٢٩/١ عن (السنة) للطبرانى انه قال:

(سمعت ابا بكر بن صدقة يقول: سمعت ابا زرعة الرازى يقول:

حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس فى الرؤية صحيح رواه شاذان وعبد الصمد بن كيسان وابراهيم بن ابى سويد

لا ينكره الا معتزلى)

وفى طبقات الحنابلة ٢/٥٩ (سئل ابو الحسن بن بشار عن حديث ام الطفيل وحديث ابن عباس فى الرؤية فقال (صحيحان)

فقال رجل: هذه الاحاديث لا تذكر فى مثل هذا الوقت

فقال ابن بشار (فيدرس الاسلام) منكرا على من منع السؤال عن الخبرين)

وقوى الخبرين ابو الطالب العشارى كما فى طبقات الحنتابلة ٢/١٩٢)

ثم قال السمارى:

"قلت: فالحديث صحيح صححه احمد وابو زرعة الرازى وابن صدقة والخلال وابو الحسن بن بشار وابو طالب العشارى والطبرانى وابو يعلى وابن تيمية وابن كثير واحمد شاكر والالبانى وغيرهم

وله شاهد من حديث ام طفيل امراة ابى بن كعب انها سمعت رسول الله ص يذكر انه راى ربه عزوجل فى النوم فى صورة شاب ذى وفرة قدماه فى الخضرة عليه نعلان من ذهب على وجهه فراش من ذهب "

و نقل منصور السمارى عن ابن تيمية تصحيحه لحديث ام الطفيل ايضا !، قال السمارى:

" قال ابن تيمية فى نقض التأسيس (٣/ل٢٥٥/ب):

واما حديث ام طفيل فانكار احمد له لكونه لا يعرف بعض رواته لا يمنع ان يكون عرفه بعد ذلك

ومع هذا فامره بتحديثه به لكون معناه موافقا لسائر الاحاديث كحديث معاذ وابن عباس وغيرهما

وهذا معنى قول الخلال: انما يروى هذا الحديث وان كان فى اسناده شيء

تصحيحا لغيره ولان الجهمية تنكر الفاظه التى قد رويت فى غيره ثابتة فروى ليبين ان الذى انكروه تظاهرت به الاخبار واستفاضت "

و عقب السمارى: "والذى يظهر لى ان الامام احمد انما انكر من الحديث –اى حديث ام طفيل – قوله (انه راى ربه فى المنام) فانه يصحح حديث ابن عباس كما تقدم وليس فيه ذكر المنام ".

بمن يرتبط السنة والشيعة؟

الزعم بأن الخلاف في التلقي بين السنة والشيعة هو أن أهل سنة معاوية مرتبطون بالنبي المعصوم بالإتفاق بينما شيعة العترة يرتبطون بمن هو مختلف في عصمته وهم العترة بدون الارتباط المباشر بالرسول.

وهي تنحل إلى ثلاث قضايا:

١.السنة يأخذون من النبي المسلّم عصمته مباشرة .

٢.الشيعة يأخذون ممن لم يسلم عصمته وهو علي بن أبي طالب وآله وطريقتهم ليس الارتباط بالرسول.

٣.من يأخذ من المعصوم مباشرة لا حاجة له للأخذ عمن لم يسلم عصمته.

الجواب حسب علم الميزان:

أولاً: هذه الدعوى خلف لقوله السابق أن أهل السنة يؤمنون بعصمة العترة، والذي هو مفاد نص حديث الثقلين، مهما كان معنى العصمة عندهم، فهنا تصريح بأن الأمر مختلف بين الشيعة القائلين بعصمة العترة والسنة القائلين بعدم عصمتهم، وهذا خلف باطل.

ثانياً: القضية الأولى كاذبة عكسًا ومنقوضة:

١- فلا ينحصر تلقي السنة عندهم عن النبي إنما فتواهم على عمل الصحابة والتابعين وأئمة المذاهب حتى لو خالف سنة رسول الله وخير شاهد هو متعة الحج التي يسلمون بأنها مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- ولا النبي عندهم معصوم كليًا بالتسليم بل هم مختلفون في عصمته وحدودها وأهل الحشو من سنة معاوية المحض يقولون بعدم عصمته حتى في التبليغ وإنما العصمة هي بيان الله لخطأ النبي، كما صرح النسر* عدة مرات.

القضية الثانية: كاذبة لصحة نقض المحمول، ولعدم الحصر بل الحقيقة هي التساوي في الأخذ من مصدر العصمة فهو طريق واحد وعلمهم واحد ليس فيه تمايز، ولو كان هناك تمايز لانتفت العصمة . وهو خلف. ومع ذلك فإن الإرتباط بالنبي حاصل لإضمار السند لشدة وضوحه.

القضية الثالثة: مغالطة واضحة، ووجهها أنها تصح فيما لو دار الأمر في التلقي بين المعصوم وغيره، وليس بين المعصومين. فهي تصح على إدعاء سنة معاوية صحة الأخذ بطريق معاوية وجماعته مع وجود علي المعصوم وأبنائه المعصومين كالحسن والحسين والسجاد عليهم السلام، لأنه بوجود المعصوم لا يصح الأخذ منهم بما يخالفه. ولا وجه للمقارنة بين النبي المعصوم وعلي المعصوم . ففرض العصمة يستدعي التساوي في الأخذ

---

* محاورٌ للعلامة المنار، مرّ ذكره.

لعدم مخالفة التابع للمتبوع. والمتبوع هو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بكل تأكيد، ولكن الطريق واحد تماماً، دون وجود شعرة من الاختلاف.

......*

إن أهل سنة معاوية ينفون عصمة علي وأهل بيته بل يرونهم مخالفين لسنة معاوية فهم في نار معاوية الحامية التي يتصورنها. كيف وهم ينسفون عصمة رسول الله نفسه ومن يدقق في أقوالهم وتطبيقاتهم يراهم لا يرون العصمة حتى في التبليغ ومن لم يصدق عليه أن يقرأ ما ورد في البخاري في تفسير قوله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ....}(الحج/٥٢). وعنده سيعرف أنه ليس معصومًا حتى في التبليغ فهو وعاء لوحي الشيطان وإلقائه كما يفهمون من هذه الآية بعكس معناها.

ولكن النسر ادعى أن أهل السنة يوافقون على عصمة علي والخمسة، فهنا نكوص واضح. وهو يدل على صحة كلامنا بأن هذه الإلماعات المذكورة إنما هي من فهم النسر شخصيًا وليس كما يدعي أنه من أهل السنة، أو جاريًا مجراهم.

ثم نأتي إلى قضية أن الشيعة يأخذون ممن لا يسلم عصمتهم فنقول:

إذا كان الأخذ بمعنى الرواية فان من العجب أن يقبل النسر الأخذ برواية أكذب الخلق على رسول الله كأبي هريرة ويترك رواية علي عن رسول الله، فلو كان أهل السنة لا يؤمنون بعصمة علي فهل لهم أن يفضلوا عليهم رواة الثريد؟

وأساس النقد لهذه القضية عدم تسليم الشيعة بأنهم فقط يأخذون عن العترة موقوفًا، وإنما هم يأخذون ما أخذته العترة عن النبي مسندًا بسند العترة عن النبي.

فإذا كان الأخذ بمعنى الموقوف عليهم، فنحن ندعي أن الموقوف على علي إنما هو لعلم علي الخاص من رسول الله ونحن نعتقد أن رسول الله علّم عليًّا ما لم يعلم باقي المسلمين بالأدلة الخاصة منها كما قال هو عن تعليم رسول الله له أسرار العلوم: (علمني ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب ولم يعلم ذلك أحدًا غيري) .

ثم إن أئمة الشيعة اعلموا شيعتهم بأن كل كلامهم هو حصيلة الرواية عن الرسول (حدثني أبي عن جدي عن أبيه ...) فالسند موجود من ناحية روائية وان أضمر ولكن معرفته واضحة وهو من أبده البدهيات لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام، فإدعاء عدم الوصل بالرسول هو دعوى دليلها الجهل، وما كان هذا دليله فحري به أن لا يُلتفت إليه.

هل هناك مكافئ لنص حديث الثقلين؟

كرر النسر* ادعاءه بأن هناك نصوصًا مكافئة لنص الثقلين، تنص على أن آحادًا من المسلمين بمنزلة العترة في الهدى والعصمة والنجاة من النار وعدل كتاب الله، وهذا كذب سواء بالنصوص بنفسها أم بقوة معارضتها لحديث الثقلين، على أنها نصوص يكذبها الواقع قبل أن يصنعها أكابر الكذابين من أزلام الفئة الضالة والداعية إلى نار جهنم.

التفصيل:

الجواب بعلم الميزان: (ولعلّي سأمتنع عن الجواب بعلم الميزان لأن من الواضح جدًا أن زميلنا النسر لم يفهم ولا نقطة واحدة من جوابنا السابق حسب علم الميزان رغم فائدة مثل هذا الجواب علميًا):

من المسلّم به أن القضية الكاذبة لا تنتج قضية صادقة إلا بنقضها وهو خلف. والمقدمة الظنية لا تنتج نتيجة يقينية، ثم إن الجزئي لا ينتج كليًا لاحتمال أن يكون الأوسط غير متطابق بين الصغرى والكبرى. فبطل إنتاج قضية كلية يقينية صادقة. فالقضية الناتجة باطلة في المفهوم وفي المصداق لعدم الحصر، لأن كبرى الشكل الأول جزئية فلا يحكم بواسطتها بالإنطباق الخارجي، فلا مصداق بناء على الدليل الجدلي بصحة الحكم، وهو باطل أساسًا لأنه مبني على الكذب.

---

* محاور للعلامة المنار من الوهابية، سبقت الإشارة له.

الجواب المشروح:

لقد صرح زميلنا النسر بوجود معارض لحديث الثقلين وأتى بالمعارض آية شريفة وحديثين وصف أحدهما بإسناد صحيح والأخر سكت عنه، فلنأت أولا لما قال وهو ما قال في المشاركة رقم١٤٩:

(ونحن نقول: أن إمامتهم لا تنفي إمامة غيرهم إن ورد في إمامة غيرهم دليل صحيح صريح، فيكون الاختلاف من اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد المؤدي إلى الترجيح أو التساقط، نعم لو وجد تعارض بين منهجهم ومنهج غيرهم لا بد من الترجيح أو التساقط، ولا يوجد لا في حديث الثقلين ولا في غيره من الأحاديث ما يشهد بهذا التباين والتضاد، بل على العكس فالأدلة شاهدة على أن الإمامة الممنوحة لهم منحت لغيرهم إما بالجعل التكويني أو بالجعل الشرعي، بل وتكاثرت النصوص بهداية غيرهم .

قال تعالى " وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"

فالشهادة لمتّبعي السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بأن الله رضي عنه هي شهادة لهم بأنهم أئمة هدى ورشاد، ومؤداها متوافق مع حديث الثقلين بل أنها

(الآية) أقوى ثبوتًا من حديث الثقلين، وما يرد عليها من تأويل يرد على حديث الثقلين لأنه صنوها.

وورد في مسند الإمام أحمد ومسلم واللفظ لأحمد " وَإِنْ يُطِعْ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا قَالَهَا ثَلَاثًا " وهو إسناد صحيح .

وورد في سنن الترمذي " إِنِّي لَا أَدْرِي مَا قَدْرُ بَقَائِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَصَدِّقُوهُ "

ويمكن أن يستنتج من هذا التقرير أن هداية غيرهم كانت متطابقة مع هداية العترة أو جارية على طبقها لأن الحقيقة الكُمْلَى عند الله واحدةً فإن شهد لقوم بأنهم هادين وأنّ اتباعهم منجٍ من الضلال وشهد لآخرين بالهداية دل ذلك على أن ماعند هؤلاء الآخرين موافق لما عند أولئك .)

انتهى ما اقتطعناه من قول زميلنا المحترم النسر .

إذن النسر المحترم أتانا بآية شريفة وبحديثين يدلان على هداية غير العترة .

سنؤجل البحث في الآية ولكن جوابها واضح: أنها لا تدل على ما يريد لا من بعيد ولا من قريب، وكل ما قام به من ربط إنما هو وهم، وتفسير باطل للآية، فالآية لا تشير إلى كون اتباع الأولين يعني أنهم أئمة هدى، وإنما تصف الاتباع للسابقين المؤمنين بالرضا والفوز بالجنة، وفرق كبير بين أئمة هدى وبين فوز بالجنة، ومع ذلك

فإن الآية ناظرة إلى الطريق، وليس إلى الأفراد. فيكون هذا تحول من المفهوم إلى المصداق بلا دليل، والمصداق هو المختلف فيه تمامًا، فالآية أجنبية تمامًا عن معارضة حديث الثقلين، ولو كانت معارضة كما يدعي جدلاً، فهي عام يخصص بحديث الثقلين. وحديث الثقلين يخصص كل عام في هذا الشأن لأنه شارح وحاصر للمصاديق. فعلاج المعارض هو الجمع العرفي الأولي، وهو عطف العام على الخاص وتخصيصه، ولا يوجد في علم الأصول المعترف به علميًا أن العام يرفع دلالة الخاص إذا تعارض معه!

فإما أن يبقى العام على عمومه والخاص على خصوصه فيكون بينهما عدم وحدة موضوع وإما وجب نفي أحد الأمرين أي العموم أو الخصوص وهو خلف، وكل هذه الفروض تعني عدم المعارضة أصلاً فلا معالجة ويبقى كل شيء على ما هو عليه.

وعلى كل حال هذا البيان الأولي في الآية وسنأتي إلى توضيح آخر فيما بعد إذا شاء الله ذلك.

فلنأت إلى الروايتين:

قلنا إن من أصول الاستدلال أن تكون مقدمات المقدمات صادقة وصحيحة وإلا فالأمر مغالطة، ولكن زميلنا النسر أتانا بروايتين مشكلتين ولا يمكن وصفهما بالصحة وادعى أنهما بقوة حديث الثقلين ووعارضان له، فيجعلان حديث الثقلين غير حصري، ويقبل تعدد الاتباع لغير أهل البيت عليهم السلام . فيتعدد الأئمة في آن واحد بلا إشكال.

طبعًا سنقول بكل صراحة أن هذا الاستدلال رغم كونه باطلاً شكلاً ومضمونًا، إلا أن فيه فائدة لا بأس بها، وهي صحة طريق الشيعة الذين يستشكل صاحبنا من السلام عليهم إلا أن يكون كرهًا وعداوة إلى درجةالغليان وتمني الإبادة لهم، كما هي الحال عند كثر ممن يصرحون بهذا الحقد والغليان من شيوخ الوهابية كالخارجي ناصر العمر وليس هو ببعيد عن أتباع القاعدة ومفجري الأبرياء في العراق وباكستان والأفغان، وآمل ألا يكون النسر منهم، فحتى الكافر يجوز السلام عليه ابتداءً أو جوابًا على خلافٍ بين الفقهاء.

فما أتى به من نتيجة يدل على صحة طريق أهل البيت ومعذورية اتباعهم .

فإذا كان يعتقد النسر بهذه النتيجة، فلماذا لا يعذر الشيعة؟ ولماذا لا يعتبرهم مهديين على الطريقة الصحيحة؟ وإذا كان وسعهم ما وسع السنة فلماذا يناقش بالأساس؟

لكن مفاد مناقشته أن الاقتناع بطريق أهل البيت عليهم السلام يوجب الظلمة، وأنه طريق مظلم لأن بعض رجال الشيعة الأشداء من أهل الله وأرباب التقوى لا يقبل بهم السلاطين وأتباعهم من الخمارين واللواطين الموثقين والأئمة عندهم أمثال الموسيقار إبراهيم بن سعد بن عوف والسكير وكيع بن الجراح والسكير اللوطي يحيى بن أكثم والسكير ابن أبي شيبة والسكير حفص بن غياث واللوطي ابن خلكان ومن الزنادقة والخوارج كعمران بن حطان وعكرمة الصفري ومحمد بن سعيد الدمشقي الزنديق ومن الشرطة كالزهري وعبد الله بن احمد ومن المجرمين السفاحين كالحجاج الثقفي وعمر

بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وعبد الملك بن عمير وغيرهم وغيرهم فهؤلاء المجللون يرون كذب كل من يقول بفضائل علي عليه السلام وأهل البيت الكرام عليهم السلام، فلهذا يرون أن الرواة عن أهل البيت عليهم السلام كذابون، وعليه فإن النسر يرى أن اتباع الحق هو الظلمة بعينها وركوب الضلال أفضل من ركوب الظلمة المدعاة، لأنه لا يألف الحق بأي شكل من الأشكال، ولا يهتم مطلقًا بما سيسأله الله؟ ويقول بأن سلوكه في طريق أهل البيت لن يضيف إليه شيئًا! طبعًا لن يضيف أيّة متعة وهوى، وإنما هو البلاء والتمحيص والطهر والنقاء والفوز بالجنة، والجماعة تبرعوا بها لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وبقوا مع الداعية إلى نار جهنم بصحيح صريح نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولو كان صادقًا في اكتشافه قلة الفروق بين السنة والشيعة (ونحن نقول أن الفروق محدودة وأن المشتركات أكبر بكثير مما يتصور) فلماذا يصر على موقفه من إثبات بطلان مذهب الشيعة مع انه أثبت أن الفروق قليلة وأن الشيعة لهم طريق معذورن به حسب طريقتهم كما يقول (لا حسب الواقع) ويدعي أن أهل السنة معذورون حسب طريقتهم (لا حسب الواقع)؟

والواقع يشهد بأن الدليل مع الشيعة، وأن مع أهل السنة الشبهات على الدليل وركوبهم للشبهات، وخير دليل هو تركهم لحديث الثقلين جملة وتفصيلاً واتباعهم للشبهات والأكاذيب جملة وتفصيلاً.

على أنني أكرر رأيي بأن السلفية ليسوا من السنة، وإنما هم مجسمة مشركون عند السنة ونجسون نجاسة عينية، عند من يقول بنجاسة المشرك منهم، وهم نواصب أقحاح يكرهون أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فحتى لو وجد العذر لهم والطريق السليم، فلا يحبونهم، ويقولون أن إتباعهم لا يضيف شيئًا، بل هو ظلمة، من جهة عدم معرفة طريق الوصول إليهم بينما يعرفون طريق الوصول إلى النبي عن طريق النواصب الذين كانوا يلعنون عليًّا دبر كل صلاة سبعين مرة ويعرفون الوصول إليه عن طريق السكارى والمرتشين واللواطين والسراق ومن يفتي بالأخوة من لبن شاة وهو يصرف الأموال بينما هو بلا عمل. فهؤلاء طريق واضح وضّاء، وأما أهل التقوى والمشردين بسبب عقيدتهم وتقواهم وعدم رضاهم على الأمراء الزناة اللواطين السكارى، فهم ظُلمة شديدة قاتمة السواد!

والآن نأتي إلى مناقشة الحديثين المدعى معارضتهما لحديث الثقلين:

هل الحديث الأول صحيح؟

أولاً: النص الذي أتى به مزيد، ولم يرد في بقية النصوص – على غير هذه الرواية من الحديث –، ثم إن هذا الحديث على العموم مما لا يمكن الاستدلال بها لأنه نص عن غفلة النبي وهي طاعنة بعصمته وغير مقبولة عند المسلمين. والمشكلة الأساسية في النص الذي ذكره هو أن الاقتطاع من مجمل الرواية يعزله عن المعنى، فيكون في الحقيقة في اتجاه ثان بلا أدنى شك، وليس له أي دلالة على الإتباع لهما في الدين وفي القيادة

للأمة الإسلامية. بل هو بلحاظ الرواية دال على اتجاه آخر من الإتباع وهو الإتباع لهم في معرفة عين الماء التي قصدوها. والرواية لا تدل على أن رسول الله قال هذه الكلمة وإنما قالها إمّا عمر أو أبو بكر أو أحد المسلمين، فأين الحجة فيها؟

وهنا فرق بين أن لا تكون دالة وبين أن تكون دالة على غير المدعى، وهذه الرواية دالة على غير المدعى من الأساس. فهي خارجة تخصصًا لا تخصيصًا.

وثانيًا: الرواية ضعيفة لضعف رواتها وجرحهم عند أهل السنة.

وهل الحديث الثاني صحيح؟

إنه من الأحاديث الموضوعة المنصوصة على الوضع ومن الموضوعات المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيأتي تفصيل الكلام فيه. ولا دلالة فيها على مطلوبهم.

فإذا كان هذا، أعني أن الروايات الأولى لا دلالة فيها مطلقًا على المطلوب والثانية موضوعة ولا دلالة فيها، فهل يصلح مثل هذا أن يبنى عليه بناء؟ وأن تكون حجة داحضة لصحيح صريح حديث الثقلين المبارك عن سيد الخلق الواضح الدلالة والمعالم؟

ثم لو فرضنا (وفرض المستحيل ليس بمستحيل) أن هذه الروايات صحيحة أو حسنة وأنها دالة على حجية قول أبي بكر وعمر، فهل تعارض المتواتر؟

لا يجوز أن يعارض حديث الآحاد الحديث المتواتر، وحديث الثقلين بلغ حد الشهرة بعد التواتر. ولهذا فإن منكره يعتبر من عديمي العلم، كما استنكر حتى أقرب المقربين من ابن تيمية حين شكك به وبغيره من الأحاديث المتواترة تعصبًا للرد على أعدائه أهل البيت عليهم السلام، كما قال الألباني في السلسلة الصحيحة: ٢٤٩/٤: مشيرًا إلى ما ورد في "مجموع الفتاوى" (٤ / ٤١٧ – ٤١٨). وتواتر حديث الثقلين وحديث الغدير الذين قد يكونان حديثًا واحدًا أو حديثين منفصلين، مما لا ينكره متعلم وعارف بطريقة الحديث، واللعب في رد هذا التواتر إنما هو قلة ذوق قبل أن يكون قلة علم ودين، لأن منكر المتواترات بهذا الشكل لا ذوق له ولا يستحق أن يخالط العلماء، ومخالطته لهم إنما هو تطفل دال على قلة اللياقة وضعف في الشخصية وهزال في الكرامة.

ثم إن المضمون هل هو قابل للمعارضة؟

الجواب: كلا، فمضمون هذه الأحاديث إذا اعتقد الناصبي أنها دالة على صحة اتباع الشيخين وأراد ناصبي جمعها مع حديث الثقلين فيكون معناها أنه يمكن الأخذ بقول عمر وأبي بكر بشرط عدم مفارقتهما العترة لأن حديث الثقلين هو قيد لازم، فيكون حديث الثقلين مقيد لحديث الاقتداء لقوته وصراحته وتواتره.

ولو قيل بعدم كونه قيدًا لازمًا، فستكون كل الأحاديث المدعاة متعارضة تعارض عدم اجتماع وتضارب، حيث بموجب هذه الأحاديث الملفقة ينبغي على أهل البيت عليهم

السلام طاعة عمر وأبي بكر وهم لم يطيعوا بل خالفوا وجهروا بالمخالفة، وماتت فاطمة وهي واجدة على أبي بكر وعمر، وعلي كان يكره حتى محضر عمر وكان يراهما خائنين غادرين آثمين، بنصوص صحيحة في الصحيحين، وبموجب حديث الثقلين وغيره كان ينبغي على عمر وأبي بكر أن يطيعا أهل البيت وهم علي وفاطمة والحسن والحسين ولكن أبا بكر وعمر لم يطيعا بل جاهرا بالعداء والإقصاء إلى درجة أنهما أتيا بزعماء الشرك أبي سفيان وأبنائه وعمر بن العاص وزملاءه واتباع مسيلمة الكذاب كالأشعث بن قيس وأقرانه ورعاع القتلة ليؤسسوا بهم الدولة ويجلسوا عليًّا في بيته. فكلاهما قد خالف النص الآخر، فإذا كنا لا نعرف النص الحقيقي فإما أن يسقط اعتبار النصوص ونبحث فيها من جديد لمعرفة من المخالف الحقيقي؟ أو أن نقول بضلال الجميع وهو خلف. فعلى كونهما متعارضين يجب حل التعارض بإثبات طريق واحد وترك الثاني فهل نترك حديث الثقلين المتواتر ونتمسك بأحاديث موضوعة؟

هذه مسألة دينية لا مجال للمزاح فيها .

لكن أهل الباطل يقولون: نعم، نترك المتواتر ونتمسك بالكذب من أجل المذهب.

وأما أهل الديانة فلا يقبلون إلا ترك الموضوع المكذوب من الأحاديث، واعتماد المتواتر واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم إن أهل السنة أنفسهم قالوا أن حديث الإقتداء غير موجه للمجتهدين وإنما موجه للمقلدين، تهربًا من مشكلة التعارض بين الطرفين وبين النصين، فهذا ينفي تعارض

هذه الأحاديث مع حديث الثقلين، وهو حاكم عليهما لأنه متوجه للمجتهدين والمقلدين على حد سواء، ثم هل هناك نص من الرسول صلى الله عليه وآله لا ينطبق على المجتهدين من الصحابة؟ وأين مثل هذا النص المختلق؟ وما هو الدليل على أن أبا بكر وعمر مجتهدون في حين أن الآخرين من العشرة المبشرة ومن أصحاب الشجرة ومن السابقين الأولين مقلدون؟ من أين لهم هذا؟

انظر فواتح الرحموت في مسلّم الثبوت ٢ / ٢٣١:

(قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر . رواه أحمد، فمخالفتهما حرام . . .)

قلنا: هذا خطاب للمقلدين، فلا يكون حجة على المجتهدين، وبيان لأهلية الاتباع، لا حصر الاتباع فيهم، وعلى هذا فالأمر للإباحة أو للندب، وأحد هذين التأويلين ضروري، لأن المجتهدين كانوا يخالفونهم، والمقلدون كانوا قد يقلدون غيرهم ولم ينكر عليهم أحد، لا الخلفاء أنفسهم ولا غيرهم، (فعدم حجية قولهم كان معتقدهم) . وكذا اندفع ما قيل إن الايجاب ينافي هذا التأويل . . .

أقول: مجمل ما أردناه من النص هو عدم صحة معارضته لحديث الثقلين من أساسه وفي دلالته واعتقاد المسلمين عدم حجية قولهم، باعتباره غير موجه لعلي وأهل البيت عليهم السلام لأنهم مجتهدون، كما يقول هذا الشارح، وأما قولهم أنه يدل على الندب أو الإباحة وما شابه ذلك فهذا يحتاج إلى إثبات العرش ثم النقش، فالحديث أصلاً

موضوع ولا صحة له، والكلام في الحديث الأول كذلك بلا خلاف. ولا أدري كيف يرد مثل هذا الحديث الموضوع في مسلّم الثبوت؟

إنه لعجب.

المعذورية في عدم اتباع أهل البيت عليهم السلام

زميلنا عرض عرضا ملحميًا فادعى بأنه معذور إذا لم يُصبْ معرفة أهل البيت عليهم السلام ولم يتبعهم لأنه يجهل طريق الوصول إليهم باعتباره اتبع الكذابين الذين قالوا عن بعض رواة الشيعة بأنهم مرفوضون لتشيعهم فادعى بأنهم كذابون أي وضاعون، بينما أتباع السلطة إنما يتهموهم بالغلو في التشيع والرأي وما شابه ذلك غالبًا ومن يصفهم بالكذب هو كذاب ولا ترجمة حقيقية له ولا توثيق له من أهل جلدته، وهؤلاء إنما اتهموا بعض علماء الشيعة بالكذب نتيجة كونهم علماء مؤثرين يقفون في وجوه أهل الباطل وأعداء محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من السكارى والسفلة واتباع النساء والغلمان.

فهؤلاء شوشوا على زميلنا وتاهت عليه البوصلة وأصبح لا يستطيع الوصول لأهل البيت عليهم السلام فأخذ يتزاور ويتقلب في الرأي والنتيجة: إن جهله للطريق يستدعيه ترك أهل البيت عليهم السلام، ولو قرأ الإنسان كلامه لشعر أن بين شفرات الحروف قرصًا بأهل البيت عليهم السلام واتهامًا لهم، فقد امتعض بأن التحول للحق يستدعي أن يفسق الفاسقين من الصحابة وهذا جريمة في نظره وأهل البيت صريحون في تفسيق الفاسقين من الصحابة، وأن عليًّا كان يلعن الفاسقين منهم في صلاته، والنسر* يعلم ذلك علم اليقين (ولكنه يدعي أنه لم يعثر على الخلاف ويبدو أنه بحث

---

* محاورٌ وهابي، مرّ ذكره سابقًا.

عن القاضي في المحكمة يوم الجمعة)، وزميلنا يريد من أهل البيت عليهم السلام أن يتبعوه لأنه يؤمن بغفران ذنوب الفسقة من جهته فلماذا لا يقبل أهل البيت عليهم السلام مثل علي وفاطمة بما غفره النسر؟

طبعًا سيقال هذا الكلام استنتاج! فأقول: بل هو شبه تصريح بل في بعض ما قلته وأخص منهم دليله على أن جهل طريق أهل البيت عليهم السلام يوجب عليه تركهم قد صرح به تمامًا فاقرأ ما قال بتمعن واقرأ ما بين السطور من كراهية لعلي سيد المؤمنين عليه السلام ولفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

ولعلَّ أطرف ما قرأناه رأيه أنه إذا كان رأي أهل البيت استنباطيًا فهو في سعة من اتباعهم لأنه مجتهد بمنزلة علي وفاطة وجعفر الصادق عليهم السلام وإذا كان تكليفًا فهو نبوّة وهو كفر في نظره، فلا يتبع الكافرين وأغلق المسألة على خير. يا سبحان الله! لقد أصبح بدو الصحراء البوالون على أعقابهم يعلّمون علي بن أبي طالب عليه السلام ويستغنون عنه، نعم ليستغنوا عنه يوم القيامة فهذا أفضل لهم، لأنه لن يجوز الصراط من لا يتبع عليًّا، وهذا بصحيح النص وصريحه.

وهذا ما قاله زميلنا المحب للمشهد المتوقف لعمرو بن العاص:

(حسنًا ...

كيف سيتسنى لي الوصول إلى أهل البيت أنا كشيعي رضيع؟

الجواب: عن طريق التراث الذي نقله أتباع أهل البيت .

والسؤال: كيف لي أن أتأكد من صدقية هذه التبعية واقعا؟

الجواب: تنظر في الكتب الأكثر نقلا عن أهل البيت فهي تدل على التبعية؟

الإشكال: نفس هذه القضية قال بها أهل السنة فكذبتموهم فما مزيتكم عنهم؟

الجواب: ؟

حسنًا أيضًا ..

أهل السنة يزعمون أن تراثهم منسوب إلى رسول الله وهو أصل الإتباع، فكيف سأستبدل الأصل بالفرع؟

وجوابكم: أن أهل السنة لم يتمسكوا بحديث رسول الله حقيقة لأننا متفقون معهم على آصالته في الإتباع، إلا أنّ النسخة الحقيقة لسنة رسول الله أشار إليها الرسول في حديث الثقلين وإن كان على سبيل الألغاز .

السؤال يتكرّر: نعود إلى ما سبق في السؤال السابق، أنّى لي بهدي أهل البيت؟

بالنظر في كتب الإمامية المنسوبة إلى أهل البيت (والمُكذّب رواتها من قبل السنة) .

وهكذا يصل الحوار إلى طريق ملغوم بنقلة التراث (أيهم الكاذب وأيهم الصادق)؟

فإن كان أهل السنة استجازوا الكذب على رسول الله، فما يمنع أن يستجيز الشيعة الكذب على آل بيته فمخرج الشبهة واحد .

وأيضا ترد معضلة أخرى على فرض التوافق على تراث أهل البيت لدى الفريقين وهي :

من المعلوم أنّ أهل البيت لم يكونوا سوى حملةً لسنة جدهم رسول الله مع مزيد علم وفهم آتاهم الله؟

وجوابكم: هذا صحيح.

إذن: هل هذا العلم الزائد الذي مع أهل البيت تكليفي أم أنه كمالي استنباطي؟

الجواب: ؟

إذن، إن كان كماليًا استنباطيًا فأنا في سعة عن امتثاله ولن أَسقط في الضلال ما دمتُ قد أتيت بالقدر الحدي والذي لابد منه وهو الرواية عن رسول الله سواء بطريق أهل البيت أو بطريق غيرهم من ثقات الأمة، وإن كان تكليفيًا فهم أنبياء لا بشك فالبينونة بينهم وبين النبي لم تعد إلا ظاهرية و مدّعاة حتى لا نصطدم بآيات قرآنية لا مناص من تحريفها، بل لازم هذا القول عدم تمامية هذه الشريعة على يد النبي صلى الله عليه وسلم .)

انتهى قول النسر عليه الرضوان (!)

طيّب يا زميلنا النسر لماذا هذا التطويل والبهرجة والكلام الفارغ الطويل بلا معنى حقيقي، وكل ما تريد قوله هو: أنه حتى لو ثبت صحة طريق أهل البيت، فلن نستطيع الوصل إليهم لأن الشك في الطريق يجعلنا نتحير في الوصول، فيسقط التكليف في الوصول إليهم.

وهذا الذي تقوله ليس ردًا على اتباع أهل البيت وإنما هو رد على الإسلام وعلى كل ديانة إلا ديانة الشهوات واتباع البطن والفرج فهذا متيقن بالنسبة لك واضح البرهان غير مجهول الطريق.

فطريق أهل السنة لايقارن في ظلمته بأي طريق آخر، وأنت تعلم أن كتابًا كصحيح البخاري يظهر بعد موت البخاري بستين عامًا عند رجل مجهول لم يُعرف إلا من خلال ادعائه العثور على كتاب البخاري، والكتاب أوراق مفرقة فيقوم الناس بالتصرف فيه ويقولون هذا كتاب البخاري، ومسند أحمد لا يعرف إلا من قبل ابنه ولا يعلم هل صحيح ما يدعيه بأنه أملاه عليه أم أنه رتب وركب الأسانيد بطريقته لكونه شرطيًا عند المتوكل مع أبيه وهذا انتاج دائرة مخابرات العباسيين (هو مزيج غريب بين التشيع لمعاوية والتشيع لعلي على طريقة العباسيين).

ومن المفارقة أن التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ممنوعًا عندهم من البداية ولكنهم بعد فترة رووا بكثرة وكأنه حصل عندهم إسهال في التحديث، وكانوا قد منعوا من كتابة الحديث حتى تمشي الأكاذيب والأساطير المصنوعة في حمص

ودمشق ومكة وبلاد العجم، ولكنهم بعد ١٤٢ سنة بدؤوا بالتأليف بكثرة وكثافة وحصل انفلات في القلم، وكل يدعي أنه جمع ستمائة ألف حديث واستخرج منه بضعة آلاف من الأحاديث والروايات، ومعهم السيف والسلطة ثم يقولون ضاعت تآليفنا! وهم يحرقون تآليف الشيعة ويقطعون رؤوسهم ثم يطالبون الشيعة بحفظ تراثهم، فمذهب هذا تاريخه أحق أن يكون مشكوك الطريق، خصوصًا وأن أهم الرواة عندهم وهم أبو هريرة وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وعائشة وكلهم متهمون أمّا بالكذب بأشخاصهم كابن الزبير وابن عمر وأبي هريرة وإما متهمون بالكذب عليهم كابن عباس وعائشة (على أن الأخيرة حدثت بأمور لا يمكن تصديقها فإذا ثبت أن هذه أحاديثها فقد وقعت في دائرة الضوء)، وأحاديث هؤلاء تشكل أكثر من ٦٠٪ من التراث السني الأساسي فإذا نزلنا إلى الطبقات الأخرى في زمن بني أمية وبني العباس فتحولت أعداد الكذابين إلى جيوش كجيوش الإعلام العربي الحالي، وكل علماء رجالهم كذابون فابن معين كذاب أشر وعامر الشعبي الكذاب المجرم وابن المبارك كذلك وعبد الله بن احمد بن حنبل فحدث ولا حرج و.. و.. إلخ، وكلهم مجموعة من الكذابين وأئمة الكذب والدجل، يقيّمون الناس ويكذّبون هذا ويصدّقون ذاك، وهم بأنفسهم من أهل الضلال والكذب وأتباع السلطان، وكل واحد من هؤلاء الكذابين يوجد عليه عشرات الأدلة لإثبات كذبه وانعدام ديانته واتباعه لدين الهوى والضلال فهو طريق مظلم لا يوجد أظلم منه في التاريخ .

وأما لو جئنا لبقية الديانات لكان حالها كحال أهل السنة في التحريف والتزييف والكذب والرشاوى وارتباطهم بالسلاطين والجمعيات السرية.

فهذا الذي تقوله إذا كنت تؤمن به، فليس عليك أن تتبع دينًا أصلاً فضلاً عن التمذهب، فإذا كان تيهك وفقدانك بوصلة الوصول إلى الحق دليلاً على عدم الاتباع فمن باب أولى أن تترك الإسلام بل تترك الديانات جميعها، فلماذا تكلف نفسك لتثبت مذهبا يجب العزوف عنه بمعيارك نفسه؟

طبعًا سوف لن تفهم دليلك، ولن تجده يدل على ترك التوهّب والإسلام عمومًا والديانات بعامة، لكنك لا تدري ما تقول؟ وإنما تبتهج لكل فكرة ترد بها على الشيعة من دون الإلتفات للوازمها. وهذا هو ديدن من رباهم معاوية على عدم التفريق بين الناقة والجمل. فدليلك أن الحيرة والشك يوجب الإسقاط، هو بعينه دليل على إسقاط الديانات، لوجود غموض في كثير من الجوانب التي لا يمكن حلها.

المستوى العقلي في أخذ الشريعة!

هناك فريقان هما المسلمون من السنة الأشاعرة ويقابلهم الحشوية المجسمة عبدة الأمرد.

فأما الحشوية فلا يعقلون حجة أصلاً، لأنهم ضد حكم العقل أساسًا، فإذا صرح أحدهم بحجة حكم العقل فذلك من نفاقهم وهذيانهم كما برر ابن تيمية، وليس لهم أي علاقة بحكم العقل وحجته. وقد كفّروا الأشاعرة لقولهم بحجة حكم العقل، فإذا كان حكم العقل غير حجة فكيف يثبت لديهم حجة

وأما الأشاعرة فهم منعوا السببية في الكون، وهي الواسطة الحقيقية في إثبات الحجة، فكيف تكون لديهم حجة لله على خلقه، وشرح ذلك يناسب المبتدئين.

بالإضافة إلى تفاصيل دقيقة في نفي موارد الحجة نرى أن نؤجل بحثها لحين الحاجة إليها، بالإضافة إلى المناقشات التي صدرت من عموم أهل السنة في تفنيد كل حالات الحجة، للتهرب من إلزامهم بالحق. وكذلك من الحشوية المشركين مثلها وزيادة.

وأما قولك: وانظر في هذا الفجور ما أقبحه في قولك (لأننا نشهد ونشهد الله أنكم لا تقبلون حجة لله على خلقه وتردونها) والله يشهد أنك كاذب فيما تنقله وتعزوه بل لعلك لا تفقه إلا الكذب على الله وعلى رسوله وخيار خلقه)

أقول: الفاجر الكاذب هو من يقول خلاف قولي، وينسب للمذاهب ما لم تقل، فآتني بقول معتمد للأشاعرة يقول بثبوت السببية، وأن من يقول بأن النار تحرق، هو غير

كافر . فآتني من كتبهم الأساسية لا من كتب الصحفيين أو أعدائهم حيث أسألك عن أهل السنة فتأتيني بكلام المجسم ابن تيمية الذي يعتبر أهل السنة كفرة، وهم يعتبرونه مشركًا في قعر جهنم.

.. قولك: (فإن كان أهل السنة يستحلون الدماء فبم يستحلونها؟ .. بالتأكيد أنهم يرون أن البلاغ حجة تامة ترتب عليها الآثار والنتائج)

هذا يعني أنك تعتقد بأمر مهم، وهو أن مبدأ استحلال دماء المسلمين يستند إلى حجة شرعية، وهذا بحث مهم، وخلاصة الكلام: أن أهل السنة لا يحتاجون للشرع ولا للحجة الشرعية في قتل المسلمين، فإنهم متساهلون في الدماء، ويبررون نزوة الطغاة أرباب نعمهم، فقد جوزوا القتل بالتهمة بل فعلوها طيلة التاريخ، وزادوا جواز ذبح المبتدعة، فإذا جاعوا جاز لهم أكلهم للضرورة، فهذا هو تحرجهم في الدماء .

وأما استنتاجك بأنهم يعتقدون لزوم الحجة في البلاغ. فلا ندري هل البلاغ هو بلاغ سلاطين الجور والمنافقين؟ أم بلاغ البوالين على أعقابهم الذين يسمون أنفسهم فقهاء؟ أم بلاغ الكذابين والنواصب؟

إن الجملة التي نقلناها من كلامك، صدرت من معدن قلة الحياء.

* . . . * . . . *

... أنت اخترعت شيئًا جديدًا وهو أن الضروريات من الفقه عقيدة، فأنت لم تفرّق بين وجوب التسليم للضروري، وبين الإعتقاد، فموضوع الإعتقاد غير موضوع العمل، والفقه موضوعه العمل، فقولكم بأن المسح على الخف واحد من عشرة أجزاء العقيدة، إنما هو اعتقاد بالخف والنعال، وليس مسألة مجرد العمل بمسحهما، وهذا أول الغلط، والغلط الثاني أو لنقل التمويه الثاني هو إدعاؤك أن المسح على الخف والحذاء هو من ضروريات الدين؟ ففي أي بنك نصرف هذه الكذبة؟ أنها رأي أموي عسكري، غير مقبول بظاهر القرآن ولا بنص السنة ولا بعمل أهل المعرفة والراسخين في العلم، وليس في الأكل كمن لا أشبع الله له بطنًا، أي معاوية. فظاهر القرآن هو المسح على بشرة الإنسان بدون حائل، والخف حائل. وكلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام يصرح بذلك، فمن أين كانت فتوى المسح على الخف من ضروريات الإسلام التي تريد أن تلويها وتجعلها عقيدة؟ يعني هل يجوز عندك أن تجعل كل ضروري من ضروريات الإسلام عقيدة؟ بل كل ضروري مذهبًا ولو خالف الرسول فهو عقيدة؟

هذا هو مستواكم الديني العقلي حيث يأبى أن يتلبسه البهائم.

هناك أحد أولادنا كان يدافع عنكم بشهية، ويعترض على قولي بأنكم تحولون الفقه إلى عقيدة، فليتفضل الآن ويرى قولك العتيد بأن عقيدة المسح على النعال سببها أنها

من ضروريات الإسلام مثل الصوم والصلاة، مع أنه ليس كل ضروريات الإسلام عقيدة وإنما ما كان موضوعها الاعتقاد القلبي.

نأتي إلى استشهادك بقولين أحدهما لابن حجر والثاني لابن تيمية.

فأما ابن حجر فيقول بأن نصوص صلاة عيسى خلف المهدي تدل على صحة نظرية: (لا تخلو الأرض من قائم بالحجة)، وهذا هو قولنا، ومنه يلزم الإيمان بالمهدي عليه السلام، ومن قبله لعدم خلو الأرض من حجة. ومن عمل خلاف قوله لزمته الحجة، وباء بغضب من الله حين المخالفة.

لو حاكمنا ابن حجر في كل أفكاره فسنراه لا يقبل فكرة عدم خلو الأرض من قائم بالحجة، ولو كان مؤمنًا بهذه المقولة فعلاً، فعليه أن يوضح من هو القائم بالحجة في زمانه؟ فهو يعرف بأنه إنسان يأتيه بيان الله، فلهذا هو قائم بحجة الله على خلقه، وليس كتابًا أو مؤسسة حاكمة، ولكنه ينكر ذلك ويتجه مع المنكرين، فهذه من الفلتات التي يحاسب عليها مذهبيًا، وسيحاسب عليها أمام الله فإنه بعد أن أمضى بقلمه هذا، فقد أقام الحجة على نفسه.

ولكن ما علاقة هذا الكلام كله، بآليات الحجة التي طالبناك بها؟

بل بأصل الإيمان بالحجة؟

فلازم القول بصلاة المسيح خلف المهدي لا يعد صياغة نظرية للحجة والالتزام بها.

ثم لماذا تذهب للعلماء؟ فقد أوردت لك قول الحشوية بعدم اعتماد حكم العقل، وأوردت لك قول الأشاعرة بنفي السببية، فهل تستطيع أن تنفي ذلك مثل أكاذيب ابن تيمية حين نفى مخالفة الحشوية لسائر البشر، ثم أيدهم بنفس منهجهم النافي للعقل.

وأما قول الببغاء الذي كان يشتغل بدل 'الكوبي مشين' المسمى ابن تيمية فهو كالريح لا لون ولا طعم ولا رائحة، فهو عقلي فلسفي متمنطق حشوي رافضي ناصبي مسيحي مسلم زنديق متدين، ومن يقرأ كتبه يجد العجب العجاب، فتارة تراه يدافع عن العقل، وتارة يذم من يعتمد عليه، وتارة له نظريات مضحكة في التعارض بين العقل والشرع، وتارة يرى أن العقل لا يحكم في إثبات وجود الله بينما يصرح في مكان آخر أنه لا يمكن إثبات وجود الله إلا عن طرق العقل. ويناقش الأشاعرة بقول الشيعة ويناقش الإمامية بقول المعتزلة ويناقش الحشوية بقول الفلاسفة ويناقش المتكلمين بقول الصوفية ويذم الصوفية بمقالات الحشوية. وهناك انقلابات واضطرابات لو أردنا نقلها لاحتجنا إلى نقل كمية هائلة من النصوص، لأن جميع نصوصه متضاربة فهو يفتي حسب حاجته في ذلك الموضع.

ومثل هذا المتلون لا يصلح دليلاً من جهة كونه غير حجة في الموضوع، ولن نتفق عليه، ولن يكون ممثلا للسنة مطلقًا، وسوف اتحفك ببعض ما يمكن وضعه كدليل على مقولاته المتضاربة في الأمر.

ولكن هل آمن فعلاً ابن تيمية بالقائم بالحجة، وعدم خلو الأرض من حجة؟

قطعًا هذا غير موجود، ولو سألناه فسيقول بنفس مقالات النسر، فهو سيبرر أن القائم بالحجة هو الكتاب أو الفقيه أو السلطان الذي هو ظل الله، وأن الحجة هي وجود الشعب المسلم، وهذا هو ما سيحتج الله به، أو هي الدليل المنطقي وهي موجودة في علم المنطق أو الدليل الأصولي وهي ما يحتج الله به على خلق وهي موجودة حتى في الآفاق و.. و.. إلخ. إلى آخر الترهات التي هي خارجة موضوعًا وحكمًا عن مقولة عدم خلو الأرض من قائم بحجة الله، وكل ذلك من أجل الحيدة عن الحق، وعدم التمسك بالثقلين.

ثم أين هذا القائم بالحجة؟ بيّنه لنا واكشف لنا عن مكنون علم ابن تيمية باعتبارك أحد فضلاته، ثم إن قول ابن تيمية شبيه بقول ابن حجر، لا يرتبط بالموضوع الذي نبحثه ونطالب به.

لهذا أنصحك أن تترك البحث في الكومبيوتر والنت، وقل لنا ما هي الوسيلة التي يثبت الله به حجته على عباده؟ حسب قولكم دون أقوال غيركم، وابدأ بما أنت حقيق به بنفسك وبالسلفية الساقطة، أم إنكم لا تملكون وسيلة واحدة تثبتون فيها حجة الله على خلقه؟

إنه سيسرني أن يكون بيننا جامع مشترك، وهو لزوم حجة الله علينا، حتى يمكننا أن ننتهي إلى حقيقة النزاع بيننا . فإننا ندعي بأن حجة الله قائمة علينا بلزوم إتباع أهل البيت عليهم السلام، وترك ما خالفهم، بينما تدعون (ولا ندري من أنتم؟) بأن

هناك مندوحة في تركهم والأخذ عمن خالفهم لعلو حجتهم عند الله على حجة أهل بيت النبوة، فلهذا ينبغي أن نصل إلى نتيجة في هذا البحث.

أنت تتهمني زورًا بعدم طلب الحق، طيب أنا أطالبك بأن تبيّن لي هل يجوز للمسلم، أن يترك التمسك بأهل البيت واتباع مخالفيهم، ولسنا في صدد أنهم يحبونهم أو يشربون دمائهم، ولسنا في سبيل القول أن الطريق إليهم مسدود وغير ذلك من ترهات، فهذا بحث خارج عن الموضوع، إنما نبحث هل الحجة في الأخذ عن أهل البيت عليهم السلام (وعلى الأخص علي بن ابي طالب عليه السلام) أم الحجة في الأخذ من مخالفيهم؟

وهذه بعض النصوص الطريفة لابن تيمية التي تثبت تقلبه وتثبت صحة قول الأشاعرة فيه بأنه يوناني الهوى والمسلك:

مخالفة حكم صرائح العقل ليس كفرًا (ونحن لا نقول عمن يخالف صرائح العقول كافرًا بل معتوه):

مختصر الفتاوي المصرية لابن تيمية - (ج ٢ / ص ٥٣):

(وليس كل من خالف ما علم بطريق العقل كان كافرًا ولو قدر أنه جحد بعض صرائح العقل لم يحكم بكفره حتى يكون كفرًا في الشريعة.)

معرفة الله تعرف بالشرع، بخلاف المكلمين كالأشاعرة الذين قالوا أنه بالعقل:

مختصر الفتاوي المصرية لابن تيمية – (ج ٢ / ص ١١٢):

(فصارت الأقسام في الإيمان باليوم الآخر وفي العمل الصالح هل هو معلوم بالشرع وحده أو بالعقل وحده أو يعلم بكل منهما فيه هذا الخلاف بين أهل الأرض وإن كان الصواب أن ذلك معلوم جميعه بالشرع قطعا وقد يعلم بعضه بل مثل هذا الخلاف ثابت في معرفة الله تعالى لكن التجاء المتكلمين هناك إلى العقل اكثر وكثير من المتكلمين كأكثر المعتزلة وكثير من الأشعرية لا يعلم عندهم وجود الرب وصفاته إلا بالعقل كما يزعمه الفلاسفة مع اضطراب هؤلاء وآخرين في مقابلتهم)

محاولة تحريف قول الحشوية وتبرير قولهم بطرق ملتوية:

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – (ج ١ / ص ٢٣٠):

(أما الفرقة التي تدعى بالحشوية فإنهم قالوا إن طريق معرفة وجود الله تعالى هو السمع لا العقل أعني أن الإيمان بوجود الذي كلف الناس التصديق به يكفي فيه السمع أن يتلقى من صاحب الشرع كما يتلقى منه أحوال العبادة وغير ذلك مما لا مدخل للعقل فيه)

ثم ذكر بعدها جملة غير مستقيمة المعنى أوردها كما هي:

(وهذه الفرقة الظاهر من أمرها أنها مقصرة عن مقصود الشرع في الطريق التي نصبها للجميع مفضية إلى معرفة وجود الله تعالى وتقدس ودعاهم من قبلها إلى الإقرار به وذلك أنه يظهر من غير ما آية)

أقول: لعل وصفه بالمقصرة يقصد به أنهم قاصرون عن مخاطبة مخالفيهم وافحامهم، وهو من سيعلّمهم ماذا يقولون.

ابن تيمية يكذب على الحشوية ويدعي أنهم يقدمون حكم العقل، بينما هو قد نقل أنهم لا يقدمون حكم العقل ولا يؤمنون به:

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية - (ج ١ / ص ٢٣٤):

(فإن أحدًا من هؤلاء لم يقل إن الله تعالى لا يعرف إلا بمجرد خبر الشارع الخبر المجرد فإن هذا لا يقوله عاقل فإن تصديق المخبر قبل المعرفة بصدقه في قوله إنه رسول الله بدون المعرفة بأنه رسول ممتنع ومعرفة أنه رسول الله ممن لا يعرف أن الله موجود ممتنع فنقل مثل هذا القول عن طائفة توجد في الأمة أو عن عالم معروف في الأمة من الكذب البين)

ويؤكد ابن تيمية كذبه على الحشويين ويدعي أنهم قاصرون في الجواب وهو يجيب عنهم، ودليله أن القران فيه استدلال بالعقل، فكيف يمنع الحشوية الاستدلال بالعقل، فهم لا يدرون بكلامهم وهو يعرفهم به:

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – (ج ١ / ص ٢٣٥):

(فكيف يكون أهل الكتاب والسنة والإيمان يقولون إن الله تعالى إنما يعرف وجوده بمجرد خبر الشارع المجرد.

وأما ما قد يقولونه من أن العقل لا مجال له في ذلك أو ينهون عن الكلام أو عن ما سمي معقولات ونظرا ونحو ذلك فهذا له وجوه صحيحة ثابتة بالكتاب والسنة بل وبالعقل أيضا . وبعضهم قد لا يفرق بين ما يدخل في ذلك من حق وباطل وبعضهم قد يقصر عن الحق الذي يدل عليه الكتاب والسنة كما ذكره هذا الرجل ولا ريب أن التقصير ظاهر على أكثر المنتسبين إلى الكتاب والسنة من جهة عدم معرفتهم بما دل عليه الكتاب والسنة ولوازم ذلك)

ابن تيمية يصف الأشاعرة وإخوانهم المتكلمين بأن حالهم حال الكفار والمنافقين:

بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – (ج ١ / ص ٢٣٥):

(ونحن قد بينا في غير هذا الموضع أن القرآن بين فيه أصول الدين في المسائل والدلائل على غاية الأحكام ونهاية التمام وأن خلاصة ما يذكره أهل الكلام والفلسفة إنما هو بعض ما بينه القرآن والحديث مع سلامة ذلك عما في كلامهم من التناقض والاختلاف واشتماله على ما تقصر عنه نهاية عقولهم ومالا يطمعون أن يكون من مدلولهم وبينا أن تعريف الشارع ودلالة الشرع ليس بمجرد الإخبار كما يظنه من يظن ذلك من أهل

الكلام والفلسفة فإن مثل هذا الظن بالشارع هو الذي أوجب أن يلمزوا المؤمنين بما هم به أولى وأحرى والذين يلمزون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا وهذا حال الكفار والمنافقين الذين قال الله تعالى فيهم وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون وقال إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين.)

فالشيخ ابن تيمية يلمز الأشاعرة وأهل السنة بالكفر والنفاق، وحزبه يبرأه من التكفير، ثم جل ما يقوله إن القرآن يعتمد الأدلة العقلية، فيقتضي أن يكون الحشويين عقليين.

بربكم أيوجد عاقل يقول مثل هذا؟ حيث يستدل بالمحتملات على الوقائع بخلافها؟ الحشويين هم ملة يقولون لا للعقل بل الشرع، وصاحبنا يقول بما أن القرآن فيه استدلال عقلي فهؤلاء يؤمنون بحكم العقل. وهذا عين السفسطة.

ولو أردنا أن نتابع كل هفواته وسقطاته لوجدنا كتابًا كاملاً في تناقضات ابن تيمية.

فهو تارة يقول بحكم العقل وتارة يرى مبررًا لعدم اعتماد حكم العقل، ولا نعرف ميزان أحكامه فيه، لأنه هو لا يدري ما القضية، ويوجد تفصيلات مضحكة لا يعرفها

أهل العلم، بل يخترعها ليظهر أمام الجهال أنه عالم كبير يفهم في الفلسفة وعلم الكلام والحديث والفقه والعقيدة وهم خلو منها جميعًا تمامًا.

فكلامه ساقط، وهو دليل عليه لا له .

الحجة و التقية

زميلنا المؤدب جدًا النسر[*]، يقوم بتكثير الادعاءات بدون دليل، ولا يلتفت للأدلة، ويحاول بعض الأحيان، أن يطعن بالدليل بادعاءات مجردة ليس لها أي واقع عملي أو علمي، فبدلاً أن يثبت — ولو بالكذب – عدم استخدام الأنبياء للتقية مثلاً، كرر قوله: عدم استخدامهم للتقية بشكل مجرد.

ويريد من الناس أن يصدقوا قوله المجرد من الدليل. وهذا أفضل قليلاً من تصرفه بعدم قبول أي مناقشة للمعايير — كما طالبناه – ليتخلص من ورطته. وقد يأسنا من أي اتجاه علمي في سلوكه.

والآن لنحلل جوابه الأخير:

أجاب بطريقة كوميدية على اعتراضيين أساسيين:

الأول: هل اتقى الأنبياءُ المجرمين والمخالفين لهم؟ فأجاب بأن النبي محمد لم يتق، بدليل أنه عذب في الطائف ولم يتوقف عن دعوته؟ وهذا من قبيل أن السكر لا يؤذي مريض السكري بدليل أن لويس الرابع عشر كان يأكل الكيك!

الثاني: عن إرتداد تعريفه عليه، حيث يلزمه صحة اتباع أي ديانة صحيحة باقية بمعتنقيها لحد الآن، وقد مثلت له باليهودية، فأجاب، بأن اليهودية خاصة لبني

---

[*] محاور وهابي، مرّ ذكره.

إسرائيل بينما الإسلام عام للبشر فيصح ترك اليهودية، ونسي أننا لو مثلنا له بالمسيحية لما صح جوابه الحماسي المخجل، وحيث يقتضي جوابه عدم شمول دعوة الإسلام لليهود وفق تعريفه. ثم إن جوابه ليس من جنس السؤال، لأن السؤال عن صحة الديانة اليهودية في الوقت الحاضر لتوفر شرط بقاء معتنقيها كما يقول هو، بينما جوابه أن الإسلام رسالة لغير بني إسرائيل أيضًا، فما علاقة ادعائه بأن حجة الله على خلقه هي بالإرسال وبقاء المعتنقين بقوله بأن الرسالة عامة أو خاصة؟

إن هذا الجواب أبعد ما يكون عن المنطق العقلي. فالسؤال عن بقاء الحجة، بينما الجواب عن اتساع نطاق الرسالة، وقد يجيب اليهودي بأنه حتى لو كان نطاق دعوة النبي محمد واسعة، فإن حجة الله علينا بالدين اليهودي لم تتغير بسبب توفر شرط بقاء الحجة حسب ادعاء النسر، خصوصًا وأن النسر يدعي تعدد الحق وتلونه كما هو حال اختلاف أصحاب النبي وقتالهم على خلافهم، وهذا يجب أن لا ننساه.

فجوابه ليس بجواب عن كل من السؤالين المحرجين.

الآن نجيبه على إثبات دعوانا ومناقشة بعض أقاويله ودعاويه الخالية من البرهان:

١- لقد أثبت زميلنا المكرم بأنه من أشد السطحيين في قراءة التاريخ والوقائع والأفكار، فهل هو سطحي إلى هذه الدرجة؟ أم هو يكذب عن عمد لمجرد أن يشتم؟ فهو يدعي أن النبي والأئمة لم يبشروا بالإمامة، وادعى سبئية الشيعة (وهذا أمر لا يقول به عاقل قط)، وادعى عدم تقية المعصوم وامتناعها، ثم إنه يتكلم عن أمور لا

يعرف معناها فادعى بأن التقية عند السنة غير التقية عند الشيعة، وبثّ ما يدل على تصورات خلفية لا علاقة لها بالواقع، وهو لا يعرف معنى الإمامة التي يقول بها الإمامية، ولا العصمة ولا التكليف ولا الحجة ولا البلاغ، ولا يعرف الفرق عند السنة بين التواتر والإجماع فهم يدعون إجماعهم على عقائدهم وهو يدعي التواتر، ويناقش فيما لا يعرف من جهة ما لا يعرفه. وهذا منتهى السطحية ومنتهى التساهل في التعاطي الثقافي، مما يدل على عدم احترام الذات، ولا يشعر بأن أمامه قرّاء مميزون يستطيعون أن يميزوا بين الحق والباطل، وبين الخطأ والصواب، وهو يعتقد أنه يستطيع تمرير الأكاذيب على الخلق بكل سهولة لأن، الحكام غالبا والأمراء يظنون أن المجتمعات غبية باعتبارهم لا يعترضون على أكاذيبهم ودجلهم، فاستعار هذه الخاطرة من أصحابه وأخذ يمارس ما يمارسونه بين مثقفين.

٢- قال عابد الصنم: (إقامة الحجة والبلاغ ينافي التقية بالمعنى الشيعي فقط أي: التقية المطلقة لا مطلق التقية، فقيدها عندك حتى لا تنساها مجددًا)

أقول: لا نعرف معنى التقية المطلقة؟ التي يدعيها زميلنا المتحير في فهم مذهبنا فيدعي أمورًا كثيرة لا علاقة لها بنا .

نحن نؤمن بأن التقية عملية إجرائية، وهي مورست في زمن الضغط على الشيعة بالقتل والتشريد بطريقة السكوت عن مجابهة الظالمين وليس لها أي علاقة بسكوت الأئمة عن إعلان إمامتهم، فهم دائما كانوا يبلغون بحقهم وأنهم حجة الله على خلقه

فإذا كان المقصود بالتقية التي قد يلمح لها زميلنا عابد الأمرد هو أمر الإمام الصادق والكاظم عليهما السلام بعدم إظهار الارتباط بالإمام فهذا كان في فترة قصيرة هي في زمن المنصور والرشيد حيث طلب الأئمة عدم إظهار الارتباط بالإمام لأن هذا يؤدي إلى قتل الشيعة والإمام نفسه، ومع ذلك فقد تم سم الإمام الصادق وقتل الإمام الكاظم في السجن، نتيجة انتشار إمامتهم. ولكن كم كان تلاميذهم وناشرو العلم عنهم، إن الإمام الصادق تلاميذه بالألوف والإمام الكاظم يقارب ذلك، وكلهم قد نشر العلم عنه، بينما من يدعي النسر أخذ العلم عنه فإنهم كمثل الزهري شرطي يجمع بعض أفراد الشرطة ليحدثهم وهم بعدد الأصابع، فكل من ينتسب لهم النسر لا يمثلون وزنًا علميًا لا في الكم ولا في الكيف، بينما هو يعتدي ويدعي عدم نشر العلم من قبل الأئمة عليهم السلام بسبب التقية كما يدعي.

وهنا للمناسبة ننقل ما قاله النسر في العام الماضي لنبين كيف أنه رجل يقول قولاً ثم ينقضه:

(أيضا من المباحث التي واجهتني " التقيّة " فوجدت أنها مخرجة تخريجًا صحيحًا حسب مباني الإمامية وقولهم بظلامية أهل البيت، ولا يوجد ما يستنكر فيها . نعم تستنكر لو كان المتقِي والمُتّقَى منه سنيًا أو إماميًا، أما وقد أبيح دم الرافضي فلا غضاضة في أن يتقي ويكتم دينه، وكذلك عند أهل السنة هي جائزة إذا ما كانت الشوكة والغلبة للإمامية)

فهو يقول بأن معنى التقية عند الشيعة لا غضاضة فيه، والآن ترى شتمه بهذا الشكل.

٣- قال عابد الأمرد: (فإثني عشر إمامًا يتقون ويتسترون أمام المكلف بموافقة نبي الرحمة في الظاهر وفي الباطن يسرون للسبئي بموافقة أهل الكتاب (حسب مبناكم في التقية) أيُّ حجة هذه؟! فإن كانت هذه هي الحجج فالثعالب حجج بالغة على الدجاج)

وقال المشرك نفسه: (والأضحك والأبكى أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى الأئمة بالصمت والصبر والسكوت والتقية كجزء من مهمتهم التبليغية فعلى عقول الأنعام ألف سلام)

أقول: قولنا أن النبي والأئمة صلوات الله عليهم قد بينوا الشريعة وأحكام الله وقد بينوا كيفية استمرار الشريعة بإمامة المعصومين، بما قطع حجة أي محتج عند الله، ولم يتقوا في هذا، وإنما سكتوا عن طلب المنصب العام، وأمروا شيعتهم بالتقية بعدم تهييج القتلة، لئلاّ يرصدونهم ويفنونهم فإنهم بلا ذمة ولا ضمير وأرخص شيء عندهم دماء المسلمين فكأن الله أمرهم بإبادة المسلمين الأتقياء، فهذه دعوانا، فأين ما يقوله النسر مما ندعيه، فهو يرتب أحكامًا على صيغة وهمية هو يقترحها من خياله الخاص نتيجة السطحية في القراءة وعدم معرفة قول خصمه.

ثم إننا لم نقل أن النبي أمرهم بعدم بيان حقهم وإمامتهم، وإنما أمرهم بالسكوت في حال اغتصاب حقهم وهذا يتعلق بالتصدي للمنصب العام، فيكون ردّه مجرد شتم عن جهل.

وأخيرًا نقول له إذا كنت - كإخوانك الوهابية- تعتبرون أمر النبي صلى الله عليه وآله بالسكوت عارًا، فكيف تجيب جماعتكم حين الدفاع عن عثمان، لكونه لم يرد على من اعتدى على زوجته، ولمس عجيزتها متغزلاً أمامه (راجع ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧/ ص ٢١٠ وغيره)، وقد طعن المؤرخون في كرامته وغيرته، فقلتم بأنه موصى من قبل الرسول أن يسكت! فإمامكم موصى بأن يسكت حين لمس عجيزة زوجته، وإمام المتقين لا يجوز أن يوصى بالسكوت على الظالمين بأمر الله؟ إنها قسمة ضيزى.

٤- قال المشرك عابد الأمرد: (أما تركه للبيت على بناء قريش فليس من التقية في شيىء وإنما هي من مراعاة الأكمل والأتم ويندرج تحت قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)

أقول: لا يدري الإنسان أيضحك أم يبكي من هذا الكلام؟

فإن الرواية تقول أن رفع الباب عملٌ باطل، فعلوه من أجل أن لا يسمحوا إلا لمن شاؤوا أن يدخل البيت، وهو من عمل الفراعنة، وصاحبنا يقول: إن سكوت النبي عنه من مراعاة الأكمل ودرء المفاسد، مع أنهما قاعدتان مختلفتان ولكنها لا ينطبقان بتاتًا

على ما ورد في الرواية، وهذا التبرع من تابع الداعي إلى نار جهنم إنما هو للتشويش فقط وليقال بأن عنده عمل، والعياذ بالله من الانتصار للنفس بالباطل.

قبل أن أورد الرواية أحب أن اعتذر عن خطأ ارتكبته في قولي سابقًا، حيث قلت أن الرسول قال أن أهلك حديثو عهد بالإسلام، بينما الواقع أنه قال (حديثو عهد بالجاهلية)، فاعتذر من هذا بسبب سوء الذاكرة وأنا اكتب غالبًا من الذاكرة الضعيفة.

ليتفضل الأخوة ويطابقوا بين توجيه النسر الحديث وبين نص الحديث الذي فيه: (أنّ قومك حديثو عهد بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم) وهو تقيّة قطعًا، وفي مورد تشريعي، والتقية من باب التقية المداراتية، التي هي ليست بقوة تقية حفظ النفس فأين قول النسر أن النبي لم يتقِ وإنما من باب مراعاة الأكمل؟

أخرج البخاري في صحيحه بسنده، عن الأسود بن يزيد، عن عائشة قالت: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم، عن الجَدْرِ أمِن البيت هو؟ قال: نعم . فقلت: فما لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: إنّ قومك قصرت بهم النفقة . قلت: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أنّ قومك حديثو عهد بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أُدخِلَ الجَدْرَ في البيت وأن الصق بابه في الأرض) . صحيح البخاري / ٢: ١٩٠/ ١٥٨٤ /كتاب الحج / باب فضل مكة وبنيانها / ط١ / دار الفكر

قال تابع الداعي إلى نار جهنم وعابد إبليس الأمرد عليه لعنة الله: (ألا تستطيع التفريق بين الإسرار بالدعوة والتقية أم تراهما وجهان لعملة واحدة؟! فمن أين ينقل أنّ التقيّة بمعنى الإسرار لا لغة ولا اصطلاحًا ولا عرفًا لا عند الإمامية ولا عند غيرهم)

أقول: لم نقل بأن التقية تعني الإسرار بالدعوة دائمًا، ولكن قد يضطر إليها الداعي، فأنت نفسك بعد هذا الكلام بسطور تقول متناقضًا بحمد الله: (وماكان الإسرار في أول الإسلام إلا رخصة لأهل الإسلام لقلّتهم وقوة شوكة عدوهم)

فالحمد لله أنت تعترف أن الرسالة قد تضطر إلى الإسرار في الدعوة لفترة، وهذا ما نقوله، فلماذا تستنكر ذلك إذن يا متهافت؟

ثم إننا لا نقول أن التقية معناها الإسرار، ولا ندعي أن الأئمةأاسروا علمهم ومنعوه من الناس، فهذا كذب علينا وعلى أهل البيت، فكيف وقد جهر الأئمة الطاهرون لتلاميذهم الألوف المؤلفة صادحين بالحق والصدق، وأما أنتم فبينكم وبين العلم عداوة وكأن العلم عندكم هو إما علوم العسكرية وذبح الناس، أو علوم الحديث المزور، وكيفية إخفاء أحاديث رسول الله لورود أشياء فيها لا تليق بكم، ومراقبة الكتب وإحراق المكتبات.

ثم إن النسر يرى أن رخصة التقية محصورة بفترة مكة، بينما البخاري يروي في الجزء الرابع / كتاب الإكراه خلاف ذلك فإن الحسن البصري يرى التقية إلى يوم

القيامة وابن عباس يرى الطلاق تقية ليس بشيء وأن التقية تجيز ترك ما أمر الله به فانظر ما قاله البخاري:

(قول الله تعالى: [إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] [النحل: ١٠٦] . وقال: [إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً] [آل عمران: ٢٨] . وهي تقيَّة . وقال: [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ] – إلى قوله – [عفوًّا غفوراً] [النساء: ٩٧ — ٩٩] . وقال: [وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا] [النساء: ٧٥] . فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله به، والمكره لا يكون إلا مستضعفاً، غير ممتنع من فعل ما أمر به . وقال الحسن: " التقيَّة إلى يوم القيامة " . وقال ابن عباس – فيمن يكرهه اللصوص فيطلِّق –: " ليس بشيء " . وبه قال ابن عمر وابن الزبير والشعبي والحسن . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " الأعمال بالنيَّة ")

فما قاله البخاري منسوب للسلف الصالح، وهو يناسب ما نقوله عمومًا، ولا يناسب ما ادعاه النسر من توقيت الرخصة، وهو من اختراعاته التي لا أصل لها في الإسلام.

قال النسر: (قد آذت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكثر من هذا ولم يتق ولا هم يحزنون فهو مبشر ومنذر ولأنّ وظيفته تضاد التقية على الأقل بالاصطلاح الشيعي)

وقد كرر كثيرًا نفي أن يكون النبي وبقية الأنبياء أنهم قد اتقوا من قومهم أو من المشركين، ولم أكن أتصور أن يصدر هذا الكلام من رجل منشغل في قراءة الأوراق والكتب، فتبين أنها قراءة بدون فهم، وبقصد شيطاني محض وليس لطلب العلم، خصوصا إذا أضفنا إلى الشواهد تصديق قصة ابن سبأ الأموية.

ونحن نقول أن القرآن الكريم مليء بالإشارات والتصريح، لمداراة الأنبياء للكفار والظالمين، وخوفهم منهم، فإبراهيم عليه السلام، قال للصنم: هذا ربي، ولكن أمثال النسر لا يريدون أن يفهموا مثل هذا، وهو يريد التشويش والنفي عسى أن يصدقه الناس، فإذا آتاه أحد بدليل يبدأ يطعن به كما يطعن المغالط بضوء الشمس في رابعة النهار في يوم صاحٍ، ولكن لنركز على قضية إبراهيم عليه السلام في كذبه المزعوم حسب أبي هريرة ناقلاً أقوال أهل الكتاب وينسبه لرسول الله، فإن الصيداوي قال وصف سماح إبراهيم لأخذ زوجته ليزني بها، باعتبار أنه يعلم أنها زوجته، فلا يكون زواج الملك منها إلا سفاحًا، ولكن في نص أبي هريرة أنه كذب وقال هذه أختي فأخذها الملك ليدخل بها، والنتيجة واحدة تقريبًا، ولكن انظر إلى أدب النسر حيث يقول: (أرسل زوجته ليزني بها الملك = بهت سبئي).

وهو يقصد بأن القائل شيعي وهو من أتباع ابن سبأ، الذي لا يعرفه الشيعة وهو جاسوس معاوية على علي بن ابي طالب عليه السلام، وهو ممن كفره الشيعة، ولهذا

ترى أخباره التفصيلية عند مؤرخي معاوية وليس له ذكر عندنا إلا في حادثتين غامضتين.

فلنقرأ ما ورد في رواية ابي هريرة وما ورد في التوراة ونعلق برأي الشيعة في المسألة:

صحيح البخاري / للإمام البخاري / الجزء الثاني / ٦٤ / كتاب الأنبياء / ١١ / باب: قول الله تعالى: [وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا] / النساء: ١٢٥ / الحديث رقم ٣١٧٩:

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ تَلِيدٍ الرُّعَيْنِيُّ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَمْ يَكْذِبْ إبراهيم إِلا ثَلاثًا . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَحْبُوبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ لَمْ يَكْذِبْ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلام إِلا ثَلاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلُهُ إِنِّي سَقِيمٌ وَقَوْلُهُ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا . وَقَالَ بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنْ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هَا هُنَا رَجُلا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ مَنْ هَذِهِ قَالَ أُخْتِي فَأَتَى سَارَةَ قَالَ يَا سَارَةُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي فَلا تُكَذِّبِينِي فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ ، فَأُخِذَ فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ لِي وَلا أَضُرُّكِ ، فَدَعَتْ اللَّهَ فَأُطْلِقَ ، ثُمَّ تنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ ، فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ ، فَقَالَ ادْعِي اللَّهَ لِي وَلا أَضُرُّكِ ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ ، فَدَعَا بَعْضَ

حَجَبَتِهِ فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ ، فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ مَهْيَم . قَالَتْ رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الْكَافِرِ أَوْ الْفَاجِرِ فِي نَحْرِهِ ، وَأَخْدَمَ هَاجَرَ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ .

سفر التكوين – ٢٠ :

٢ و قال إبراهيم عن سارة امراته: هي اختي ، فارسل ابيمالك ملك جرار واخذ سارة. ٣ فجاء الله الى ابيمالك في حلم الليل ، وقال له ها انت ميت من اجل المراة التي اخذتها ؛ فانها متزوجة ببعل. ٤ و لكن لم يكن ابيمالك قد اقترب اليها ، فقال يا سيدأأمة بارة تقتل. ٥ ألم يقل هو لي أنها اختي و هي أيضًا نفسها قالت هو أخي بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا.

انتهى.

فهذا هو قول السبئية التي يدعي النسر، وهو التطابق بين محدث الداعي إلى نار جهنم وبين التوراة .

وأما نحن فنقول بأن إبراهيم قال أنها زوجته، فأخذها الملك غصبًا فأرسل الله عليه ملكا يستنقذها منه كرامة لإبراهيم.

وهذا يكفي في كشف جهله واعتدائه .

وأما تقية النبي محمد صلى الله عليه وآله فالكلام كثير وسوف ننقل ما في كتبهم بشكل عام، ولا ننقل رأينا فإن لنا تحفظًا على بعض آرائهم:

لن أتقصى تقية النبي في موارد كثيرة مثل قوله للأعرابي (نحن من ماء) موهما أنه من عشيرة ماء السماء ليخلص منه، وهناك موارد كثيرة.

ولكنني سأركز على تقيته المداراتية والموافقة لأهل الشرك بل سأنتقل إلى قوله بأنه سحر وجن فترة طويلة من الزمن، فأين الحجة في مسحور مجنون لا يدري ما يقول أشهرًا؟

نعوذ بالله من العداوة مع رسول الله:

النبي يجيز لنفسه أن يجيب بالإيجاب كما في ظرف سجن يوسف، كما ينقل البخاري:

صحيح البخاري / الجزء الرابع / كتاب التعبير / باب: رؤيا أهل السجون والفساد والشرك / الحديث رقم (٦٥٩١):

)حدثنا عبد الله: حدثنا جويرية، عن مالك، عن الزُّهري: أن سعيد بن المسيب وأبا عبيد أخبراه، عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لو لبثت في السجن ما لبث يوسف، ثم أتاني الداعي لأجبته).

النبي يلين لمن يصرح بأنه (بئس ابن العشيرة):

وقد أخرج البخاري من طريق قتيبة بن سعيد، عن عروة بن الزبير، أن عائشة أخبرته أن رجلاً استأذن في الدخول إلى منزل النبي فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إئذنوا له فبئس ابن العشيرة، أو بئس أخو العشيرة، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله ! قلت ما قلت ثم أَلِنتَ له في القول؟ فقال: أي عائشة، إنّ شرَّ الناس منزلة عند الله من تركه أو وَدَعَهُ الناس اتقاء فحشه).

صحيح البخاري / ٨: ٣٨ / كتاب الإكراه / باب المداراة مع الناس . وسنن أبي داود / ٤: ٢٥١ / ٤٧٩١ / و٤٧٩٢ / و٤٧٩٣ . وسنن الترمذي / ٤: ٣٥٩ / ١٩٩٦ / باب ٥٩ / وقال: (هذا حديث حسن صحيح) . ومسند أحمد / ٧: ٥٩ / ٢٣٨٥٦ / والطبعة الأولى ٦: ٣٨ . وانُظر: أصول الكافي / ٢: ٢٤٥ / ١ / كتاب الإيمان والكفر / باب من يتقى شرّه .

التقية عند العظماء أبي بكر والنبي نص فكيف تترك؟:

الجامع لأحكام القرآن / للإمام القرطبي / الجزء ٨ / سورة التوبة / الآية ٤٠:

قال ابن العربي: قالت الإمامية قبحها الله: حزن أبي بكر في الغار دليل على جهله ونقصه وضعف قلبه وخرقه.

وأجاب علماؤنا عن ذلك بأن إضافة الحزن إليه ليس بنقص، كما لم ينقص إبراهيم حين قال عنه: [نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ] [هود: ٧٠]، ولم ينقص

موسى قوله: [فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لا تَخَفْ] [طه: ٦٧، ٦٨] . وفى لوط: [وَلا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ] [العنكبوت:٣٣] . فهؤلاء العظماء صلوات الله عليهم قد وجدت عندهم التقية نصا ولم يكن ذلك طعنا عليهم ووصفا لهم بالنقص، وكذلك في أبي بكر . ثم هي عند الصدّيق احتمال، فإنه قال: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا.

جواب ثان: إن حزن الصديق إنما كان خوفا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصل إليه ضرر، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت معصوما وإنما نزل عليه: [وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ] [المائدة: ٦٧] بالمدينة) . (انتهى) .

النبي يتريث في تبليغ أمر الله خوفًا، ونزول تهديد له:

الدر المنثور في التفسير بالمأثور / للإمام جلال الدين السيوطي / المجلد الثالث / ٥ – سورة المائدة مدنية وآياتها عشرون ومائة:

(وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد . قال: لما نزلت: [بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ] قال: يا رب، إنما أنا واحد كيف أصنع ليجتمع علي الناس؟ . فنزلت: [وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ] .

جامع البيان عن تأويل آي القرآن / للإمام الطبري / الجزء السادس / سورة المائدة:

٩٥٧٧ – حدثني الحارث بن محمد قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا سفيان الثوري، عن رجل، عن مجاهد . قال: لما نزلت: [بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ] قال: " إنما أنا واحد، كيف أصنع؟ تجتمع علي الناس ! " ، فنزلت: [وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ] . . . الآية).

مختصر تفسير ابن كثير / اختصار الصابوني / المجلد الأول / ٥ – سورة المائدة:

(وعن مجاهد . قال: لما نزلت: [يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ] ، قال: يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون علي؟ فنزلت: [وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ]) (انتهى) .

النبي يسجد ويسجد معه المشركون للأصنام وينطق بتمجيد الأصنام:

اختلفت الروايات في قصة الغرانيق، وقد رفضها أغلبهم لما فيها من فداحة ولكنهم في نفس الوقت يستدل بها الرافضون، والتحقيق فيها طويل جدًا، ملّخصه أن (النبي قرأ سورة النجم وكان المشركون يجالسونه فإذا وصل إلى قوله تعالى [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى] قال: " تلك الغرانيق العلا وشفاعتهم ترتجى ").

فوصف الأصنام بالغرانيق العلا كما يقول الوثنيون، ثم سجد وسجد معه المشركون مستبشرون، وهنا يرون أن الله بعث جبرائيل يعاتبه، فاضطربت الروايات ففي بعضها أنه قال لجبريل أنت قرأتها علي هكذا فنفى جبريل وفي روايات أنكر أنه قرأها هكذا

فقيل له بل قرأتها فحزن ونزلت آية تسليه وتخبره بأن كل الأنبياء مثلك كان يداخل الشيطان في أقوالهم وعلى لسانهم، وهكذا إشكال الاضطرابات.

في صحيح البخاري يروي فقط أنه قرأ النجم فسجد وسجد معه المشركون بدون أي مناسبة، وفي الروايات الأخرى تفصيل، وأغلبها قيل عنها أنها مرسلة وغير معتمدة إلا واحدة رواتها ثقاة حجة، فتكون الرواية محبوكة، والبخاري حذف ما يراه غير مناسب وأبقى القسم المبتور، والرواية بنفسها فضيحة عالمية، وأسس على أساسها سلمان رشدي قصة الآيات الشيطانية وهو يقول بأن رسول الإسلام لا يعرف الفرق بين جبريل والشيطان ومرة يستلم من هذا ومرة من ذاك.

وشاهدنا في القصة كلها يقولون: أن النبي خشي أن تنزل آية تسب آلهتهم، فذكر ذلك، أي تقية مداراتية، هذا إذا كان النسر يفهم لغة العرب والعلم، ونشير إلى قوله الوقح في هذا الباب: (ومتى اتـّقى النبي من الكافرين يا لُكع؟!)

وسنرى من هو اللكع؟

نبدأ من البخاري لإثبات سجود النبي والمشركين للأصنام تقية مداراتية، وسيتبين أن البخاري بتر ودلّس في الحديث:

صحيح البخاري ج: ١ ص: ٣٦٤ باب سجود المسلمين مع المشركين والمشرك نجس ليس له وضوء:

١٠٢١ حدثنا مسدد . قال حدثنا عبد الوارث . قال حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ورواه بن طهمان عن أيوب

صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٨٤٢

حدثنا أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا أيوب عن عكرمة عن بن عباس رضي الله عنهما . قال: ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ، تابعه بن طهمان عن أيوب ولم يذكر بن علية ابن عباس

صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٨٤٢

حدثنا نصر بن علي أخبرني أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه . قال: ثم أول سورة أنزلت فيها سجدة [وَالنَّجْمِ] . قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد مَن خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف .

بيان أن السجود كان للغرانيق وهي أصنام الكفار:

الأحاديث المختارة ج: ١٠ ص: ٨٩

وأخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني أن فاطمة بنت عبد الله أخبرتهم ابنا محمد بن عبد الله ابنا سليمان بن أحمد الطبراني ، ثنا الحسين بن اسحاق التستري

وعبدان بن أحمد قالا: ثنا يوسف بن حماد المعني ، ثنا أمية بن خالد ، ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير لا أعلمه الا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ النجم فلما بلغ: [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى] ألقى الشيطان على لسانه: " تلك الغرانيق العلا وشفاعتهم ترتجى " فلما بلغ آخرها ، سجد وسجد المسلمون والمشركون ، فأنزل الله عز وجل: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ] ، الى قوله: [عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ] يوم بدر.

في رواية ابن مردويه: " وشفاعتها ترتجى " وفي آخر قال: يوم بدر والباقي سواء آخر ٨٥ وبه أخبرنا أحمد بن مردويه ، ثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم ، ثنا أحمد بن محمد بن عاصم ثنا يوسف بن حماد ثنا أمية بن خالد ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير . لا أعلمه الا عن ابن عباس [يَوْمٍ عَقِيمٍ]: يوم بدر . روى البخاري من رواية أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس .

الأحاديث المختارة ج: ١٠ ص: ٢٣٤

٢٤٧ أخبرنا أبو القاسم بن أحمد بن أبي القاسم الخباز أن أبا الخير محمد بن رجاء بن ابراهيم أخبرهم ابنا أحمد بن عبد الرحمن ابنا أحمد بن موسى بن مردويه ، حدثني ابراهيم بن محمد ، حدثني أبو بكر محمد بن علي المقرىء البغدادي ، ثنا جعفر بن محمد الطيالسي ، ثنا ابراهيم بن محمد بن عرعرة ، ثنا أبو عاصم النبيل ،

ثنا عثمان بن الأسود عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ: [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى] تلك الغرانيق العلا وشفاعتهن ترتجى ففرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر آلهتنا فجاءه جبريل فقال اقرأ علي ما جئتك به . قال فقرأ: [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى] تلك الغرانيق العلا وشفاعتهن ترتجى ، فقال: ما أتيتك بهذا هذا عن الشيطان أو قال: هذا من الشيطان لم آتك بها فأنزل الله [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ] إلى آخر الآية .

تفسير ابن كثير / ج ٣ / ص ٢٣٠ وما بعدها:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير . قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى] قال فألقى الشيطان على لسانه: " تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن ترتجى " قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة به بنحوه وهو مرسل وقد رواه البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في

الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى: [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى] وذكر بقيته [ثم قال البزار: لا نعلمه يروى متصلا إلا بهذا الإسناد تفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور] .

أقول: فالبزار كما يقول ابن كثير صحح الرواية بحمد الله، وهنيئًا لاتباع الداعية إلى نار جهنم .

تفسير ابن كثير / ج ٣ / ص ٢٣٠ وما بعدها:

قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم . قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير . قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى] قال فألقى الشيطان على لسانه: " تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن ترتجى " قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة به [هكذا] بنحوه وهو مرسل وقد رواه البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن

جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى: [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى] وذكر بقيته [ثم قال البزار: لا نعلمه يروى متصلا إلا بهذا الإسناد تفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور] ، وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ثم رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية وعن السدي مرسلا ، وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس مرسلا أيضا . وقال قتادة: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عند المقام إذ نعس فألقى الشيطان على لسانه: " وإن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلا " فحفظها المشركون ، واجترأ الشيطان أن النبي قد قرأها ، فذلت بها ألسنتهم ، فأنزل الله: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ] الآية فدحر الله الشيطان ، ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي ، حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي ، حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب . قال: أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم وأحزنه ضلالهم فكان يتمنى هداهم فلما أنزل الله سورة النجم: [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى * أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى] ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال: " وإنهن لهن الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لهي التي ترتجى " وكان ذلك من سجع

الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها ألسنتهم ، وتباشروا بها ، وقالوا: إن محمدا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه . فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلا كبيرا فرفع ملء كفه ترابا فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأما المسلمون ، فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين . ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين ، فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثهم به الشيطان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قرأها في السورة ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة في الناس ، وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه ، وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه ، وحدثوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة فأقبلوا سراعا وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان ، وأحكم الله آياته ، وحفظه من الفرية ، وقال الله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ] فلما بين الله قضاءه ، وبرأه من سجع الشيطان ، انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم المسلمين ، واشتدوا عليهم . وهذا أيضا مرسل .

وفي تفسير ابن جرير عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة فلم يجز به موسى بن عقبة ساقه في مغازيه بنحوه . قال: وقد روينا عن أبي إسحاق هذه القصة . قلت: وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا وكلها مرسلات ومنقطعات . والله أعلم . وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما بنحو من ذلك ، ثم سأل هاهنا سؤالا كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه؟ ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ وليس كذلك في الأمر نفسه ، بل إنما كان من صنيع الشيطان لا عن رسول الرحمان والله أعلم . وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته . وقد تعرض القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفاء لهذا [وأجاب بما حاصله: وقوله: [إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ] هذا فيه تسلية من الله لرسوله صلوات الله وسلامه عليه أي لا يهمنك فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء] ، قال البخاري بعد تعليقا: قال ابن عباس: [فِي أُمْنِيَّتِهِ] إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان [ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: [إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ] يقول: [إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه (!)] ، وقال مجاهد: [إِذَا تَمَنَّى] يعني إذا قال . ويقال: [أُمْنِيَّتِهِ] قراءته [إِلا أَمَانِيَّ] يقولون ولا يكتبون . قال البغوي: وأكثر المفسرين قالوا:

معنى قوله: [تَمَنَّى] أي تلا وقرأ كتاب الله [أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ] أي في تلاوته . قال الشاعر في عثمان حين قتل:

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

وقال الضحاك: [إِذَا تَمَنَّى] إذا تلا . قال ابن جرير: هذا القول أشبه بتأويل الكلام وقوله: [فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ] حقيقة النسخ لغة: الإزالة والرفع . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي فيبطل الله سبحانه تعالى ما ألقى الشيطان ، وقال الضحاك: نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته . وقوله: [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] أي بما يكون من الأمور والحوادث لا تخفى عليه خافية [حَكِيمٌ] أي في تقديره وخلقه وأمره له الحكمة التامة والحجة البالغة ولهذا قال: [لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] أي شك وشرك وكفر ونفاق كالمشركين حين فرحوا بذلك واعتقدوا أنه صحيح من عند الله وإنما كان من الشيطان . قال ابن جريج: الذين [فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] هم المنافقون [وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ] هم المشركون ، وقال مقاتل بن حيان: هم اليهود [وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ] أي في ضلال ومخالفة وعناد بعيد أي من الحق والصواب [وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ] أي وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل والمؤمنون بالله ورسوله أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره ، بل هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد وقوله: [فَيُؤْمِنُوا بِهِ] أي يصدقوه وينقادوا له [فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ] أي تخضع وتذل له قلوبهم [وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا ، فيرشدهم إلى الحق وإتباعه ، ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه ، وفي الآخرة يهديهم الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنات ، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات .

تفسير القرطبي / ج ١٢ / ص ٨٠:

[ولا خلاف أن إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة] ، ثم اختلف الناس في صورة هذا الإلقاء ، فالذي في التفاسير هو مشهور القول أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بتلك الألفاظ على لسانه . وحدثني أبي رضي الله عنه أنه لقي بالمشرق من شيوخ العلماء والمتكلمين من قال: هذا لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم في التبليغ ، وإنما الأمر أن الشيطان نطق بلفظ أسمعه الكفار عند قول النبي صلى الله عليه وسلم: [أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى] وقرّب صوته من النبي صلى الله عليه وسلم حتى التبس الأمر على المشركين ، وقالوا: محمد قرأها . وقد روى نحو هذا التأويل عن الإمام أبي المعالي .

وقال:

[فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكنات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها]

تفسير القرطبي / ج ١٣ / ص ٣٢٢:

[وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ] أي إلى التوحيد وهذا يتضمن المهادنة والموادعة . وهذا كله منسوخ بآية السيف [وسبب هذه الآية ما كانت قريش تدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تعظيم أوثانهم وعند ذلك ألقى الشيطان في أمنيته أمر الغرانيق على ما تقدم] ، والله أعلم .

تفسير القرطبي / ج ١٥ / ص ٢٦٤:

وكان المشركون إذا قيل لهم: لا إله إلا الله ، نفروا وكفروا ، وإذا ذكر الذين من دونه يعني الأوثان حين ألقى الشيطان في أمنية النبي صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة والنجم: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهم ترتجى . قاله جماعة المفسرين [إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] أي يظهر في وجوههم البشر والسرور .

أقول: تبين من هذا ان هناك عدة صور، فمرة إن النبي لا يدري ما يقول، ومرة أنه لم يقل أصلا وإنما قاله الشيطان بصوته وبحضرته والنبي غافل يقرأ الآن ولا يدري ما القضية، ومرة هو أراد ذلك مداراة لزعماء لمشركين فأشرك مدارة لهم، وكلها تبريرات مقبولة عندهم . فانظر ما قيل سابقا وتعجب من هذا الكفر والفجور.

النبي يسحر ولا يدري ما يقول فهل هناك حجة فيمن لا يدري ما يقول حسب صحاحكم:

الجامع لأحكام القرآن / للإمام القرطبي / الجزء ٢٠ / من الطبعة / سورة الفلق / الآية ١ – ٥ ؛ [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ]:

ثبت في الصحيحين من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه سحره يهودي من يهود بني زريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، «حتى يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء ولا يفعله»، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث – في غير الصحيح: سنة – ثم قال: (يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه . أتاني ملكان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي: ما شأن الرجل؟ قال: مطبوب . قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم . قال في ماذا؟ قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، تحت راعوفة في بئر ذي أوران) ، فجاء البئر واستخرجه . انتهى الصحيح .

وقال ابن عباس: (أما شعرت يا عائشة أن الله تعالى أخبرني بدائي) . ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وهي الراعوفة – صخرة تترك أسفل البئر يقوم عليها المائح – وأخرجوا الجف، فإذا مشاطة رأس إنسان، وأسنان من مشط، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة

بالإبر، فأنزل الله تعالى هاتين السورتين، وهما إحدى عشرة آية على عدد تلك العقد، وأمر أن يتعوذ بهما ؛ فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة، حتى انحلت العقدة الأخيرة، فكأنما أنشط من عقال، وقال: ليس به بأس . وجعل جبريل يرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: (باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين، والله يشفيك) . فقالوا: يا رسول الله، ألا نقتل الخبيث . فقال: (أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شرا) . وذكر القشيري في تفسيره أنه ورد في الصحاح: أن غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فدست إليه اليهود، ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم . والمشاطة بضم الميم: ما يسقط من الشعر عند المشط . وأخذ عدة من أسنان مشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الأعصم اليهودي . وذكر نحو ما تقدم عن ابن عباس . وقد تقدم في " البقرة " القول في السحر وحقيقته، وما ينشأ عنه من الآلام والمفاسد، وحكم الساحر ؛ فلا معنى لإعادته.

انتهى.

أقـــــول: إذا كان النبي يسحر وهو لا يدري ما يقول فكيف يكون حجة الله على خلقه يا نسر؟

وهذا في الصحاح وليس في كتب القصاصين.

أزمة الرأسمالية

علميًا سقطت الرأسمالية منذ أن سقط قانون (ساي) القائل (أن العرض يخلق الطلب المساوي له) وذلك في عام ١٩٢٩ حين حدثت الأزمة الشهيرة التي بدأت بوادرها في سنة ١٩٢٨، وقد تبدل جوهر الرأسمالية حين طرح (كينز) نظريته عام ١٩٣٦ لحل وتفسير أزمة عام ١٩٢٩، وقد أطاحت هذه النظرية تمامًا بمبدأ (أترك الأسواق تضبط نفسها) وفق قانون (ساى) للأسواق، فقد بيّن (كينز) أن العرض لا يخلق الطلب، وأن الإنتاج لا يأتي لتلبية رغبات البشر وإنما استجابة للقوة الشرائية، والبطالة ليست اختيارية أو احتكاكية (البطالة الاحتكاكية هي الفترة بين ترك العمل والبحث عن عمل جديد) كما كان يقول سميث وساي بل أن النسبة الأكبر من البطالة هي إجبارية لسقوط مؤسسات العمل نفسها، ولهذا فإن تدخل الدولة واجب في ظل الأزمات التي يتعرض لها الاقتصاد وتتعرض لها الأسواق، وهذا يبطل أهم أسس وجواهر الرأسمالية.

وبعد نظرية (كينز) جاءت نظريات متعددة تحاول الموازنة بين عمل الأسواق بنفسها وبين ضبطها ومحاولة إيجاد حلول للخلل الناتج عن ذلك أو الخلل المتعمد الناتج عن إساءة استخدام الحرية الاقتصادية.

غير أن الرئيس (روزفلت) قرر قرارًا أنقذ فيه الرأسمالية بنظريته المعروفة بـ (New Deal) حيث قام بخطة إنقاذ تتستر على واقع المشكلة، وخطته تتمثل بضخ كمية

هائلة من الأموال في مشاريع البنى التحتية من أجل تنمية الإقتصاد في القاعدة، وترك القمة تأكل نفسها وتصحح أمرها بنفسها.

والنظام الرأسمالي مدين لهذه الخطة في بقائه، ولكن جاء اليوم الذي يجب إعادة التفكير إلى نظرية (كينز) وهي نظرية تتواءم إلى حد كبير مع الفكر الإسلامي، فالإمام علي عليه السلام حين أحدث نظام (الشرطة الاقتصادية) شرطة الخميس لمراقبة الأسواق، لم يكن يريد مطلقاً كبت حرية السوق في التعامل، وإنما الضبط والتدخل لمنع حدوث الأزمات، فإن الإمام عليه السلام يعلم بواقعيته أن الإنسان جشع للغاية، ولا يوقفه شيء عن طلب الربح حتى لو تم تدمير كل الاقتصاد، فهذا لا يعنيه ما دام يربح في عملياته، فلهذا وقف بحزم وكان ينادي في الأسواق كل يوم خميس (وهو يوم التسوق الكبير في الكوفة) وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ... وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ.. وكان يقرأ قوله تعالى بكامله {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ} (المطففين/١ – ٩).

إن قراءة هذه الآيات الكريمة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام يعطي عدة انطباعات.

أولاً: أن ما يقوم به المطفف هو إهلاك للناس وهو جريمة حقيقية وإن كان لا يعلم

ويعتقد أنه يستخدم حريته التي لا تصطدم ظاهرًا ببقية الحريات، ولكنه في الحقيقة يقتل الناس جوعًا وأذى.

ثانيًا: يعطي بعدًا عقائديًا وفقهيًا لعمليات السوق، وأن السوق لا يمكن أن يترك بدون ضوابط توقف نمو القيمة والتعامل المجحف (التطفيف).

ثالثًا: إعطاء صفة المصداقية للسوق بحيث يطمئن كل التجار للتعامل معه فيزدهر السوق نتيجة السمعة الطيبة فمردود الإلتزام هو الانفتاح التجاري على أسواق مغلقة. وقد كان الإمام علي عليه السلام في نفس الوقت يصرف جميع أموال الدولة على المشاريع فورًا وكان يكنس بيت المال بعد فترة وجيزة من امتلائه، فحقق بذلك تشغيلاً إجباريًا للأيدي العاملة وساهم في رفع مستوى القدرة الشرائية لدى المسلمين مما أنعش الأسواق بشكل كبير.

فهل ستعمد الرأسمالية إلى تقنين حركة السوق بطريقة فنية؟

ليس أمامها إلا ذلك حتى لو فقدت جوهرها وبقيت رأسمالية بالاسم فقط.

الإسلام حسم هذا الأمر عمليًا ونظريًا منذ زمن أمير المؤمنين عليه السلام حيث بيّن للناس أنه لا يسمح بنمو السوق بدون ضوابط، ولهذا قنن الاحتكار وقنن البيع الغرري وأثار مسألة (المطففين) عمليًا حيث إن السوق والفكر الإسلامي في ذلك الوقت نسي

قضية المطففين حتى طرحها بقوة الإمام علي عليه السلام كثقافة ممانعة لضبط السوق من الانهيار.

ولكن حين تُركت سياسة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فكم انهارت الأسواق الإسلامية نتيجة الترابح الفاحش والإساءة البالغة لمعايير العدل والحق.

إن هذه الأزمة العالمية اقترح لها الرئيس بوش قانون (إنقاذ) فرفض الكونجرس ذلك،وطالب بقانون (حل) ... وتوافقوا أخيرًا على أن يكون (الإنقاذ) في البداية ثم (الحل) يتلوه، ولكن كأن إدارة الرئيس بوش لم تمل إلى نظرية (روزفلت) الخطيرة التي رفعت من شأن الولايات المتحدة الأمريكية في الاقتصاد والانتشار الأمريكي ثقافيًا وماليًا وسلطنةً، لأن ما قام به روزفلت أحيا الرأسمالية من جهة وساهم في نسيان الأزمة وأسبابها، ولكنه لم يحل الأزمة وإنما جهّز بلده لأزمة مقبلة وقد اقتربنا منها الآن.

معايير الرأسمالية يجب أن تتبدل، ويجب أن تتوافق مع الحقائق حتى لو أدى إلى مسخها فليس الإشكال في المصطلحات والأفكار المجردة وإنما القضية متعلقة بواقع الحال.

أعتقد أن حرية التفكير في الغرب تمنح الفرصة لطرح نظرية (كينز) من جديد وإجراء تعديلات عليها قابلة للتطبيق وكفوءة وغير قاصرة في منع الانهيار.

وها نحن نكرر أن الأزمة نابعة من أساس القانون الذي يسمح بالنمو غير المقنن ويسمح بنمو القيمة بلا أساس بدلي لها، وهذا باطل عقلاً وشرعًا عندنا.

هذا من وجهة نظر إسلامية، ويمكن أن يكون هناك حلول يقترحها الإخوة لا تتعارض مع الفقه الإسلامي المبني على أسس مهمة منها ضمان الحريات وضمان حفظ القيمة وضمان الحقوق الكلية للمجموع وللأفراد.

الإعجاب بالثقافة الغربية

هناك ظاهرة لا يمكن نكرانها، وهي ظاهرة اعجاب الكثير من المثقفين وغير المثقفين المسلمين بالحضارة الغربية، وهذا الاعجاب بدأ يتحول إلى ولاء للحضارات الأخرى ونظرة دونية للإسلام والمجتمع الاسلامي، باعتباره محور حضارتنا، وبدأ الموالون للغرب يخطون خطى واضحة لتهديم بنية المجتمع الاسلامي، وبالتالي فك الارتباط بين المجتمع وبين الدين الإسلامي، كدين يربطنا بالله، وأصبح مجرد فلكلور غير قابل للتعايش مع الحياة كما يحس هذا الانسان المعجب بالغرب داخليًا.

إن هذه الحالة بدأت تفتح ثغرات كبيرة لسيطرة الأعداء على قرارنا وحياتنا، وهذه الظاهرة بدأت من أوائل القرن التاسع عشر أي منذ ١٨٠ سنة تقريبًا ولم تجري أي محاولات ناجحة للمعالجة بشكل حقيقي، حتى مع محاولة كل من وزير الخارجية الأندونيسي في ستينات القرن العشرين أو الرئيس الباكستاني ذو الفقار علي بوتو أو الرئيس المصري جمال عبد الناصر، فإنها محاولات فاشلة، وكل له سبب مختلف، فالأول نقل تجربة مشروع ماريشال وهو موجه لمجتمع متعلم تقنيًا وهو المجتمع الألماني فلم يستوعبه المجتمع الاندونيسي، والثاني استخدم الحيلة على الظروف ولكن الانقلاب عليه أوقف مشروعه في باكستان، والثالث انطلق من منطق الصدام والصراع، فتم القضاء على مشروعه داخليًا وخارجيًا.

فبالجملة لم نعمل كمسلمين لحل مشكلة عمرها أكثر من ١٨٠ سنة، وهذا أمر مريب جدًا، ولعل وقوع هذه المشكلة في عهد تحلل واضمحلال الدولة العثمانية يبرر هذا التأخر باعتبار أن المسلمين بعد تقاسم الدولة العثمانية لم يستطيعوا النهوض لحد هذا اليوم بحكم وقوعهم بيد المستعمرين بمساعدة المنحرفين داخليًا، فهم قبل السقوط مقهورون وبعد السقوط عاجزون.

الحل لهذه المشكلة كما أراه:

هو وجوب سعي كل المثقفين للتبشير بضرورة التقدم التقني في البلاد الإسلامية وإقناع كل الشباب بذلك، بحيث يمكن أن يصعد الشباب الذين يحملون هذه النظرية للحكم ويقومون بالتغيير، وهو عمل سهل ثبت سهولته وواقعيته من تجارب أمم سبقتنا، وهي ليس لها سابقة بالتقدم العلمي، بينما نحن قد مرت علينا عدة حضارات ودورات تقدم سبقنا فيها الآخرين وأحرزنا التقدم على الأمم وكنا في طليعة التقدم الإنساني تقنيًا واجتماعيًا وقانونيًا.

جنة آدم والعوالم الموازية والوحي

إن مسألة آدم فيها قضية مهمة للباحث المسلم قد تفسر وجود عالم مواز وهي تسير بنفس قضية الإمام المهدي.

وهي مسألة (الجنة) التي كان فيها آدم فهذه قضية مهمة جدا، يجب على الباحثين المسلمين أن يبحثوها بحثًا علميًا، وأن يجدوا لها تفسيرًا علميًا، وأعتقد أن خير تفسير الآن هو العالم الموازي أو العالم المتداخل.

جنة آدم أرضية مادية.

جنة آدم فيها صفات بكل تأكيد غير مادية (مقابلة الشيطان، الحديث مع الملائكة مشافهة، فيها البقاء والأبدية والخروج منها هو القابلية للفناء).

وهنا يجب أن نفكر بأن الجمع بين القضيتين لا يصح علميًا فإما أن تكون الجنة أرضية وهي حديقة جميلة (غابة مثلاُ) فهذه لا يمكن أن تتصف بتلك الصفات، وإما أن تتصف بتلك الصفات ولا تكون أرضية.

فيبقى هناك احتمال مهم يجمع بين الصورتين وهو كون آدم ابتدأ خلقه في العالم الموازي ثم انتقل إلى هذا العالم.

وهذا حل خطير لمشكلة خطيرة، تبعد الفكر الإسلامي عن تهمة الخرافة. فقد تصور حتى بعض المسلمين بأن قصة جنة آدم رمزية من أجل أن يبتعد عن الخرافة، كما

أشيع عن الدكتور طه حسين مستنبطين ذلك من كتابه في الشعر الجاهلي (ولعلي أحس بأن الدكتور عبد الصبور شاهين يميل لذلك ولكنه ليس صريحاً)، والحقيقة إنني أرى بأن ذكر قصة آدم في القرآن لم تكن لمجرد بيان أصل الإنسان أو لمجرد التاريخ والعبرة، بل هو موضوع مثير لقضايا خطيرة تتعلق بتفسير ظاهرة الوحي بشكل أساسي وبمشاكل أخرى.

وسأطرح الآن هذه القضية باختصار، فإن ظاهرة الوحي هي مشكلة عويصة من ناحية علمية.

فمشكلة إمكانية نزول مَلَك من عالمه أو صعود الإنسان إلى عالم الملك، هي صورة غير واردة حسب المفاهيم العلمية الظاهرة، ولهذا فإن المؤمنين يتصورون الأمر بصورة مجسمة وهي تشكّل الملك بصورة إنسانية والتكلم بكلام إنساني، وهذا فيه مشكلات:

منها أن المتشكل لا بد أن يكون ليس الملك نفسه لعظيم خلقته وإنما هي صورة مطبوعة إما في الهواء أو في الذهن، ومنها أن هذا التشكّل لو كان في الهواء أو في الخارج ماديًا لكان ظاهرًا للجميع، وهذا غير وارد عمليًا، فلو صرنا إلى أنه صورة ذهنية في ذهن المرسل إليه لدخلنا في مشكلة عويصة.

فما الحل عند الباحث المسلم الكسول؟

الحل عنده في الغالب التصديق والاكتفاء بالنص، ولكن هذا لا يرضي أهل التحقيق والإيمان بعلم ويقين، فقضية آدم تضع بداية الحل للمسألة.

وهي أن الإنسان له القدرة على الربط بين عالمين أو أكثر، ولكن هذه القدرة لم تثبت للجميع، إلا إنها قدرة فعلية، عند الكثير من البشر (أنبياء، أولياء.... إلخ)، فمن كون آدم في جنة أرضية لها صفة سماوية يستطيع الوصل فيها بالشيطان والملائكة الكرام، نفهم بأن هناك أكثر من عالم يستطع أن يتخلله الإنسان الخارق، وبه تكون القوانين مختلفة، فهو يرى الملك ويسمعه سماع حس ومعرفة يقينية، ولكنه خارج العالم المألوف الذي نعيشه ولهذا لا نراه ونحن بجنب النبي وإنما نلحظ تغيرات عليه، قد تكون نتيجة الفصل بين عالمين داخل جسد النبي، وسفره السريع إلى العالم الموازي، وهذا التصور لا يكون ممكنًا ما لم نصحح فرض علاقة الإنسان بعالم حسي مادي موازٍ لا يتعلق بهذا العالم المادي وليس له نفس قوانينه.

فبهذا التوظيف لقضية جنة آدم، يمكن الاقتراب من تفسير (ظاهرة الوحي) تفسيرًا لا يدع مجالاً لشك المشككين من دعاة تفسير ظاهرة الوحي بأنها ظاهرة نفسية تتعلق بخلل ما قد يكون عبقريًا وقد يكون جنونيًا.

فهنا تنكشف سطحيتهم وعدم بعدهم في النظر.

لأنهم قاسوا الأمور كلها بقوانين فيزيائية أرضية معروفة، ولم يتخيلوا أن أصل وجود الإنسان منذ آدم إنما كان بتداخل عالمين أو اكثر.

وأن ظاهرة الوحي هي ظاهرة كونية راقية يرتقي فيها الموحى إليه إلى درجة الاطلاع على العالم الموازي والاتصال به، والإطلاع على ما وراء هذه المادة العادية.

وبهذا فإن من يمتلك هذه الظاهرة يعرف أن هناك عوالم حسية وعوالم غير حسية، تختلف عن عالمنا هذا، فشهادة الإمام الصادق و الأئمة الطاهرين عليهم السلام بوجود هذه العوالم هي شهادة مطّلع، وفائدة الإخبار بها هي تصحيح تفسير ظاهرة الوحي والتلقي والإمداد الإلهي لبعض دون بعض من بني البشر.

فظاهرة الوحي مزيج بين المادة الظاهرة والمادة الموازية وعدم المادة، فهذا المزيج لا يمكن تفسيره بعلوم طبيعية بين أيدينا، وإنما يجب أن ندعو لارتقاء العلم لأن يصل إلى ما نؤمن به من حقيقة، شاهدها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، وهي بنفسها وبدرجات أقل ومتفاوتة عند أئمتنا عليهم السلام، ولهذا هم يتحدثون عن هذه العوالم كمن عاين، فرغم ضعف سند الرواية إلا أنني قلت بأن هذه الروايات مجبورة بغيرها، ولعل البحوث الفيزيائية الحديثة بتعدد الأبعاد ووجود العالم الموازي تجبر الرواية بشكل خطير، فهذا كشف لحقيقة علمية موجودة في الرواية فهو تصديق حسي للرواية ولا تحتاج إلى سند أصلاً.

أؤكد على الباحثين المسلمين أن مثل بحث تعدد الأبعاد، يخدم قضيتنا الإسلامية بشكل هائل، فهو موضوع كما قدمت يحل مشكلات ذكرت بعضها إجمالاً تتعلق بظاهرة الوحي وبتالي يتعلق بالظاهرة القرآنية بخلاف ما يفهمه مالك بن نبي في كتابه

(الظاهرة القرآنية) ومترجمه د. عبد الصبور شاهين المعتمدة بشكل أساس على العبقرية اللغوية والقابلية الهائلة للوحي من دون تفسير لنفس ظاهرة الوحي تفسيرًا علميًا.

إن الخيط الرابط بين جنة آدم وظاهرة الوحي وظاهرة إدريس والمسيح والمهدي وغيبتهم هو هذه الظاهرة العلمية. وهي تعدد الأبعاد ووجود عوالم متداخلة يمكن التنقل بينها عند بشر مخصوصين بقدرات خاصة، وما بدأ به العلم من إثبات هذه الظاهرة يجب أن نسارع إليه، ونستغله، بدل أن يَستغل هذه الظاهرة أهل الضلال، فقد حدث أمر رهيب في الغرب وهو أنه خلال عشر سنوات اعتنق عُشر الشعب الفرنسي أو أقل قليلاً البوذية وتركوا المسيحية، لما تدعيه البوذية من تزاوج بين الروحية والتفسير العلمي ودعوة للأخلاق والحصول على الخوارق بدون حاجة إلى التفكير بالإله.

إن من يتمعن في هذه الدعوى يجد أنه استغلال رخيص لمنجزات العلم الإنساني بشكل عام. وقلب الطاولة على أهل الحقيقة بإخفاء جزء خطير من الحقيقة وإظهار ما يريدون إظهاره، فهنا أدعو كل باحث غيور على إسلامه أن يستوعب هذه الفكرة وأن يستغلها لصالح إسلامه بشكل مهم بدل توقف عقارب الزمن والعقل عند حدود القرون الماضية وعند حد الحس ليستغل أوهامه وجهله في التهجم على الإمام المهدي عليه السلام بينما التهجم عليه هو تهجم على أسس الإسلام، ونكرانه نكران للعقل وإنتاجه، واستبعاده يفتح الطريق لاستبعاد ظاهرة الوحي. فهذه ظواهر مترابطة،

استبعاد أحدها هو استبعاد للآخر، والبحث الحقيقي هو في الوقوع لا في الإمكان، والوقوع له طرق علمية للثبوت لا يمكن أن يتلاعب بها شخص نتيجة هواه ومعتقده الوهمي سلبًا أو إيجابًا.

وبهذا يتبيّن أن الأيادي الخفية التي تقف وراء حملات التشكيك ليس قصدها الطعن بالمهدي وبقابليات أئمة أهل البيت عليهم السلام، و إنما هي للطعن بأسس الإسلام، بطرق ملتوية.

تشويه صورة النبي صلى الله عليه وآله

الأخ أبا محمّد العاملي وفقك الله ..،

.. إن نقلك للنص من كتاب الإسلام والغرب للباحث نورمان دانيال الصادر سنة ١٩٧٨ في أمريكا والذي يقول فيه: (لقد بدا للمهتمين أن الهجوم المسيحي يجب أن يوجه برمته إلى تعرية رسول المسلمين فإذا أمكن إظهاره على حقيقته أي تجريده من صفات النبوة فإن ذلك سيؤدي إلى إنهيار صرح الإسلام كله).

هذا النص في غاية الأهمية، وهو في الحقيقة مفتاح ما يفعله الطائفيون في الكنيسة بالوقت الحاضر، بل حتى الهندوس اتبعوا نفس النظرية فراقبهم في الانترنت باللغة الإنجليزية، فمن يراقب بدقة ما تقوم به قناة الحياة الفضائية ومنتديات الانترنت سواء بصورة مسيحية مكشوفة أو بصفة اللادينيين والعلمانيين فإنها تطبيق عملي لهذه الخلاصة المهمة جدًا.

علينا أن نعلن وبصورة علنية لا مواربة فيها أن البذور الفاسدة الموجودة في الفكر الحشوي الذي فرضته الحكومات والسلاطين الخونة للإسلام لتشويه صورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي بذور مرفوضة ولا يمكن التسليم بها، ولا يمكن مناقشتنا كمسلمين بمثل هذه الترهات التي لا نعتقدها ولا نبني عليها ديننا، وهي كذب قطعي على جناب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

إن من يريد أن يحاورنا كمسلمين عليه أن يقبل بقواسم مشتركة تحدد مسار الحوار، ويناقشنا بما نؤمن به، لا أن يفرض علينا اختياراته لما لا نؤمن به، بل نؤمن بخيانته وطعنه بنبينا وبإسلامنا بصورة متعمدة نتيجة الأحقاد الجاهلية التي ورثوها منذ هزيمتهم في بدر وأُحد والأحزاب، وقد سيطروا على الإسلام بالسيف وأخذوا يدّعون بخبث شديد بأن الإسلام هو دين السيف وأن النبي محمد صلى الله عليه وآله هو رجل عادي لا ميزة له إلا تلقي الوحي ونسجوا حوله القصص والحكايات المدفوعة الثمن، من أجل إسقاط هيبة النبي وتمكين هيبة السلطان الجائر أمام المسلمين، وهذا السلوك لا يمكن أن يكون هو الدليل على صيغة الإسلام، فإن اعتماد القسس الطائفيين على مثل هؤلاء، وتراثهم المشحون بالعداء للنبي محمد صلى الله عليه وآله هو اعتماد على عدو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يعني سقوط مسعاهم لعدم الموضوعية والعدالة في الحكم، لأن شاهدهم هم من قادة بدر وأُحد والأحزاب وخيبر .

فهل يعقل أن قيادات هذه الجيوش المقاتلة للنبي محمد صلى الله عليه وآله تكون مصدرًا من مصادر تقييم النبي محمد والإسلام عمومًا؟

ولا ينفعهم دفاع الحشويين من دعوى حسن إسلامهم بعد ذلك، فهذا ضحك على الذقون، وأكبر دليل على بطلان هذه الدعوى هو هذا الكم الهائل والفكر الباطل، لتثبيت عصيان وأخطاء الرسل، بل تثبيت صغائرية الرسول الأعظم، بروايات خبيثة

تهز صورته، وتلتقي مع الحقيقة التي بدت للكنيسة وهي أن تدمير صورة الرسول، هو تدمير ومحق للإسلام.

لإدراك أن الإسلام قائم على الثقة الملموسة بالرسول، وعلى عظمته. ودليل علو المرتبة يرتبط كليًا بشخصية الرسول وطبيعة محيطه الاجتماعي والثقافي، فالاستقامة وفقر البيئة المحيطة بكل شيء وعلو المنتج الفكري والثقافي الهائل تقرر إن من المستحيل عقلا أن يكون الإسلام من غير الله.

بينما لو أخذنا الصورة الحشوية عن الإسلام فالرسول شخص غير مستقيم بكل المقاييس، والمنتج الثقافي مسروق من أقوال العرب أو الصحابة أو الديانات الأخرى، كالتوراة والإنجيل، وهو يحتوي على أخطاء، وأن الشريعة التي جاء بها النبي ناقصة تكملها عقول أهل الرأي، وما شابه ذلك من فكر إنساني ناقص. فهذه الصورة تنفي سماوية الرسالة الإسلامية، وينهار الإسلام من أساسه، وهو ما أراده قادة المشركين في بدر وأُحد والأحزاب بعد أن لبسوا مسوحًا إسلامية، واستغّلوا الثغرات الموجودة في القيادة الإسلامية بعد أن رُفضت نظرية الرسول في القيادة، فأصبحوا هم من يدير دفة سياسة وفكر الإسلام، وأصبح الإسلام بين أيدهم لعبة يتقاذفها صبيانهم، وأصبحت صورة الرسول المهزلة هي الصورة التي يجب أن يؤمن بها الشعب الإسلامي.

وهنا ملاحظة عجيبة وهي أنه رغم هذه الصورة وتركيزها في ذهن الناس، ولكنها فشلت فشلاً ذريعًا في إخراج الناس من الإسلام، وفشلت نبوءة من حاجج الحجاج

الثقفي حين قرأ عليه (ورأيت الناس [يخرجون] من دين الله أفواجًا) فاعترض عليه الحجاج بقوله بل [يدخلون] فأجابه بأن ذلك قبل زمن الحجاج، والآن تحوّل الأمر إلى الخروج عن دين الله.

والحقيقة أنها لفتة لطيفة من المحاجج فقد أدرك أن سلوك قادة المشركين في بدر وأُحد والأحزاب هو الطعن في الإسلام، وتحويله إلى دين يجب الخروج منه لا الدخول فيه.

فيبقى السر أن نصر الله للصورة الحقيقية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وللإسلام أقوى من هذا الفعل التشويهي، فلهذا بقى الإسلام محفوظًا على مدى الدهور.

ولم تستطع كل قوى الشر أن تدمر الإسلام ولو شكلاً، فقد بقي اسم الإسلام وشكل الإسلام حتى عند اتباع المشوهين بالكسر، وبقي الإسلام محفوظًا عند آل محمد وأتباعهم رغم المجازر، ورغم حملات التشويه ورغم الدسائس وحرق الكتب وقتل العلماء، وهذا من المعجزات التي لا يمكن نسبتها لغير الله سبحانه وتعالى.

علينا أن نعلن كشيعة بكل فخر واعتزاز أن نظرية العصمة هي نظرية تثبيت الإسلام، وهي الصورة الحقيقة للنبي ولباقي الأنبياء، الذين أرسلهم الله باصطفاء وانتخاب خاص يعلمه الله، بما لهم من القابليات الفذة التي لا شك في عدم وصول الآخرين إليها. وأن النظريات المناهضة للعصمة هي نظريات تقصد تدمير الإسلام من الداخل، والتخادم مع أعداء الإسلام من الخارج لتدميره.

وأن نعلن بلا خوف أو خجل أن هذه الأحاديث والصور عن الإسلام هي من صنع أعداء الإسلام، الذين تلبسوه بعد هزيمتهم المتكررة على أيدينا بقيادة نبينا نبي الرحمة، واستغلوا طيبة وسلمية الإسلام، وحوّلوه إلى دين وحشي لأكلة لحوم البشر، وقاموا بتشويه الإسلام وزرع الأدلة على انهياره في داخله.

وأن نعلن أن الإسلام الحقيقي القائم على تنزيه صورة الرسول من الخلل هو إسلام موجود فعلاً ومقرر بصورة علمية (نظريًا وعمليًا) يتمثل بفكر أهل البيت، الذي يصمد أمام كل هذه التشويهات المفتعلة.

وعلى جميع المسلمين أن يتحدوا حول فكرة نزاهة النبي محمد من كل ما ألصق به من تهم وصور مهينة عبر أحاديث منسوبة عليه كذبًا وزورًا. ولا نكتفي بأن نقول بأنها(تسربت إلى الصحاح) كما يفعل الآن بعض الأزهريين وفقهم الله فهذا قول على استحياء يفتقر إلى الشجاعة.

والشجاعة أن نقول أن هذه الأحاديث الصحيحة بمقاييس بني أمية، صدرت من مدرسةٍ كانت تقود الجيوش ضدنا حتى هزمها الله على أيدينا بقيادة نبينا الكريم، ثم اعتنقت الإسلام كرهًا نتيجة الهزيمة الحتمية، فأطلقهم رسول الرحمة بقوله اذهبوا فأنتم الطلقاء، فأخذت تكيل له من الداخل بتشويه الصورة، وببث الدعايات على شكل أحاديث عن الرسول وسيرته، وقدموا بذلك أعظم خدمة لأعداء الله وأعداء الإسلام.

الهدى القرآني

موضوع الهدى الذي جاء به القرآن يجب أن يقارن مع الهدى الذي جاء في كتب من ينتقدون الإسلام، فإن القرآن يفوق الهدى الذي في الكتب قبله بأبسط ملاحظة في المقارنة بين الكتب والقرآن.

فالقرآن الذي يطرح العلاقة مع الله مباشرة ويطرح نظرية التكليف والمسؤولية يختلف جوهريًا عن الهداية في الإنجيل والتوراة التي تركز على الإنسان الوسيط بين الله المطلق وبين الإنسان، وفي الإنجيل نفي المسؤولية التكليفية واعتبار أن الحب هو المنجي لا العمل، بينما في التوراة هناك خليط غير متجانس من المسؤوليات المتضادة فهناك الزنا المحرم وهناك الزنا المقدس الواجب كزنا استير وهناك القتل المحرم وهناك القتل المباح والمستحب لغير بني إسرائيل، فهذه الصور للتكليف لا تساعد على تكوين هدى يقابل هدى القرآن الداعي إلى العدالة التامة والانسجام التام في الأحكام.

وقد نلحظ في التوراة تجسيمًا لله في غاية الغرابة كقصة المصارعة بين الله ويعقوب وكسر رجل الله وجعله أعرج، فهذه صورة كوميدية لله لا يمكن أن تنسجم مع الهدى الحقيقي.

إن حديث المقارنة حديث طويل يحتاج إلى كتب كبيرة لبسط كل القضايا المختلف فيها في التصوير وفي الفكرة، ولكن على العموم إن من يقرأ القرآن يجد فرقًا كبيرًا مع الكتب الموجودة حاليًا في الكنيسة والكنيس في مجال الدعوة إلى الله.

وقد لا يدرك العامي اليهودي أو المسيحي بأن حكمه على الله نابع من حكم مسبق بأن المسيح أو العزير هو الله وأن النجاة لا تكون إلا به، وهذا حكم مسبق لا يعتمد على نفس هدى الله، وإنما هو تحديد من قبل الكنيسة لفكره، فالمسيحي لا يفكر خارج تفكير الكنيسة. والكنيسة تقول أن الهدى هو الإيمان بالمسيح الإله المتجسد، فلو تجرد المسيحي من التقليد للكنيسة في الفهم لوجد فرقًا شاسعًا بين أن نقول إن الهدى هو هدى الله المطلق وبين أن نقول أن محورية الهدى تتمحور حول شخص الإنسان المسيح الذي هو إله متجسد.

فهنا فرق كبير بين الوساطة وبين عدمها، الوساطة بنفسها لا مانع منها، ولكن لا بد أن لا تبتعد عن مفهوم الوساطة إلى العبادة الحقيقية، و فكرة الإله المتجسد تبتعد عن فكرة الوساطة أبعد مما ينبغي في الهدى.

وبالتالي فالأمر بدل أن يكون دائرًا حول الله يكون دائرًا حول وسيط الله، وينسى الله بالفعل، بل قد ينحصر الإيمان بالأيقونة بدل المسيح نفسه، فتحوّل الدين النصراني إلى عبادة أيقونات وثنية واضحة للعيان، وأصبح التمثال والرسم هو المجسد الحقيقي للفكر الإيماني، وهو المعبود الحقيقي، وهذا منفي أساسًا في القرآن.

وهنا فارق كبير بين التوسل والشفاعة الإسلامية، وبين عبادة الأيقونة المسيحية، فالعبادة للأيقونة تمثل توجّه المتعبد للأيقونة على أنها هي الله أو تمثل الله، بينما التوسل الإسلامي هو توجّه لعبد مخلوق لله بعنوان أنه وسيط مقبول عند الله، وهو عبد

لله مقرب إليه، وليس هو الله أو يمثل الله. فالفارق كبير بين توجه المسلم للنبي محمد صلى الله عليه وآله في قضاء الحوائج وبين توجه المسيحي للأيقونة، وهذا التوجه للأيقونة إنما كان وليد تطورات في الفكر المسيحي جعل هدى الإنجيل محدودًا ومخدوشًا في أهم جوانبه وهو عبادة الله الواحد الأحد وتنظيم العلاقة مع الله، وليس معنى هذا أن ليس في المسيحية حب لله وعلاقة به، ولكن الفارق في الهدى كبير كما بينا، والشروح تطول.

إذن، أهم ما يجب أن نركز عليه في عرض القرآن، هو الشمول والهدى فأما الشمول فهو للعلماء والمتخصصين و لذوي الفكر النير، وأما الهدى فهو للعامة ولكل البشر بمختلف أجناسهم وأفكارهم ودياناتهم ولغاتهم، ويتحقق موضوع الهدى العظيم في القرآن بشكل جلي حين إجراء المقارنات مع الكتب والصحائف التي يبني عليها المتلقي المحاور ديانته، ففي هذه الحالة سيجد المتلقي المحاور للإسلام بأن فرقًا شاسعًا بين ما يؤمن به وبين ما يراه في القرآن الكريم. وهذا نتيجة دراسة شاملة للديانات ودراسة لطبيعة الحوارات العالمية حول الدين والهدى وليس مجرد تمني أو فكرة خيالية.

من مظاهر التخنث الفكري*

من مظاهر التخنث عدم الإلتزام بما هو ملزم.

وهذه ظاهرة عامة عند المخنثين الفكريين، وتراهم لا يستحون ولا يخجلون من عدم الإلتزام بشكل يدعو للدهشة، وسوف نأتي ببعض الأمثلة الإضافية على التخنث الفكري في باب – عدم الالتزام بما هو ملزم– .

المثال الأول:

الكل يعلم بأن الخلاف الحقيقي بين المسلمين إنما هو حول معاوية وحكم بني أمية العضوض.

وأما الخلاف حول الشيخين أو غيرهم فهو مما يعتبر خلافًا على تفسير السلوك وقبول المبررات، وهذا يختلف عن الإختلاف حول معاوية بالخروج عن ربقة المسلمين.

فالإختلاف حول الشيخين أو الثلاثة يمكن الأخذ فيه والرد وسنأتي إلى موضوع ثان فيه، ولكن الخلاف حول معاوية إنما تحدده النصوص الصحيحة عند من يدعي الإلتزام بالصحيح، بأنه خلاف بين الإسلام والكفر ولا علينا من رأي الشيعة في ذلك.

بل لنأتي إلى موضوع الإلزام باللوازم اللازمة المحكمة.

---

* هذا الجزء مقتطف من مقالة مطول تحمل عنوان (التخنث الفكري) منشورة في كتاب المنار (القليل المختار)

ونأتي بمثال على موضوع الإلزام بضلال معاوية الذي تمسكوا بولايته ومسألة حرب الإمام علي عليه السلام. يدعون أنهم يتبعون صحاح الأحاديث كما يلتزمون أو يدعون الالتزام به، وصحيح الحديث يقول أن عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، وهذه صراحة ما بعدها صراحة، ودعوتهم إلى النار هي الدعوة الى الكفر كما قال مفسروهم في قوله تعالى {وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ} (غافر:٤١)

قالوا أن الدعوة الى النار هي الدعوة إلى الكفر.

وهذا قولهم لا قولنا.

فانظر أولاً إلى النصوص وبعد ذلك فكر في تخنث المخنثين الفكريين وعدم إلتزامهم بما يلزمون به أنفسهم.

- صحيح البخارى - البخاري ج ١ ص ١١٥:

حدثنا مسدد قال حدثنا عبد العزيز بن مختار قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه على انطلقا إلى ابى سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم انشأ يحدثنا حتى اتى ذكره بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض

التراب عنه ويقول ((ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)) قال يقول عمار اعوذ بالله من الفتن

- صحيح البخارى - البخاري ج ٣ ص ٢٠٧:

حدثنا إبراهيم ابن موسى أخبرنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة أن ابن عباس قال له ولعلي بن عبد الله ائتيا أبا سعيد فاسمعا من حديثه فأتيناه وهو وأخوه في حائط لهما يسقيانه فلما رآنا جاء فاحتبى وجلس فقال كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين فمر به النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عن رأسه الغبار وقال ((ويح عمار تقتله الفئة الباغية عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار))

وهذا من كتاب البرهان للزركلي في تفسير يدعونه إلى النار.

- البرهان - الزركشي ج ٢ ص ٢٦٠:

وقوله تعالى مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار وهم لم يدعوه إلى النار إنما دعوه إلى الكفر بدليل قوله تدعونني لأكفر بالله لكن لما كانت النار مسببة عنه أطلقها عليه وقوله تعالى فاتقوا النار أي العناد المستلزم للنار.

يا مخنثي الفكر المعوج هذا صريح قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بأن عمار يدعو قاتليه إلى الجنة وهو الإيمان ويدعوهم إلى النار وهو الكفر ومقولته.

فهل تلتزمون بهذه الصحة والصراحة؟

أم يعمل التخنث فيكم عمله الشديد فتأخذون بالضحك وتوزيع أيقونات الابتسامات.

شكرًا لكم على الابتسامة الصفراء.

وهكذا تنظرون إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيح نظرة المخنث الذي لا يلتزم بما لا يعجبه، وأي التزام هو هذا ؟

فهو تركُ طريق بني أمية الضال والانتكاس الكلي وتبديل المذهب الفاسد.

فهل تستطيعون أن تحددوا موقفكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فموقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العدائي تجاه من يدعو إلى النار واضح جدا فما موقفكم يا أنصار من يدعو إلى النار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ عدو اتجاهكم.

سيكون موقفهم مثل موقف من طلبنا منه أن يتبرأ من أعداء رسول الله فطلب التبرؤ من أعداء الصحابة ويقصد بهم أعداء معاوية الصحابي الجليل عنده.

فقد بان تخنثه لأنه يدعي الإسلام وهو يتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه يعلم علم اليقين وبصحيح الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدو معاوية كما هو صريح بصحيح حديث عمار كما يرويه البخاري .

فهل من الضروري أن يعالج هذا الإلزام؟

وموقف عمار يشكل معضلة حقيقية.

فهو قد بيّن أن وقوفه إلى جانب الإمام علي، هو وقوف مع الله وشريعته ومن يحارب الإمام علي إنما هو حرب لله وشريعته .

ولهذا فعمار رض حين أقدم على اقتحام الحرب رغم عمره الذي لا يسمح له بقتال، فسلوا أي مخنث لعله يجيبكم هل يحسن أن يخرج شاب لقتال شخ عمره يناهز التسعين عامًا؟ فأي تخنث هذا؟ وأين الذوق العربي والإسلامي؟

المهم لنتأمل نقل البخاري في الصحيح في من يقاتل علي بن أبي طالب ونرى مدى إلتزام المخنثين بالصحيح.

تأمل:

– صحيح البخارى – البخاري ج ٤ ص ٢٢٠:

حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن الحكم سمعت أبا وائل قال لما بعث على عمارًا والحسن إلى الكوفة ليستنفر هم خطب عمار فقال إنى لا علم أنها زوجنه في الدنيا والآخرة «ولكن الله ابتلا كم لتتبعوه أو إياها»

هذا ما يرويه في الأثر الصحيح، رغم إقحام كلمة (والآخرة) التي تجعل من كلام عمار متناقضا كما هي أمانة بني أمية وحزبهم ولكننا سنغض الطرف عنها ونلزمهم بالتزامهم بالصحيح عندهم.

والحديث يدل بلا أدنى شك بأن عمار يرى أن اتّباع علي إنما هو اتّباع لله وهذا امتحان من الله بين أن يطاع هو جل جلاله وبين طاعة السيدة عائشة كطاعة ضد الله.

فما يقول أخوة الخناثى؟

فعمار يزج نفسه بالحرب ويضع نفسه في المقدمة لأنه يعلم أين طاعة الله و أين الكفر وطاعة أضداد الله.

وبشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا بالحديث الصحيح الملزم

فهل ترون تخنثًا أعمق من هذا يا أخوتي؟

المثال الثاني:

يعرّفون عصمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنها الامتناع عن الكذب والمعاصي، ولا يشملون بذلك الخطأ ولا الجهل ولا المعصية الصغيرة ولا حتى الكبيرة مع الاستغفار، وبعضهم يجامل الرسول فيقول يمتنع عليه الكبائر، ويستميتون في الاستدلال بعتاب الله وتوعده بالعذاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبقية الأنبياء بطريقة لي عنق الكلام.

وبالنتيجة تكون العصمة هي العصمة في التبليغ والعصمة من الكذب في أداء الرسالة، وما عداه ممكن.

هل يلتزمون بهذا المعنى ؟

لننظر ؟

عدالة الصحابة ما هي ؟ هل يكذب الصحابة ؟

الجواب: لا، مطلقًا وحديثهم يؤخذ به به وهم من رتبة فوق رتبة التوثيق.

هل يعمل الصحابة الكبائر ؟

الجواب: بالنسبة للثلاثة لا مطلقًا وبالنسبة لغيرهم سكوت وعدم جواب.

هل يمكن أن يعملوا الصغائر او الكبائر مع الاستغفار؟

الجواب: نعم

هذا رأيهم وقولهم على الإطلاق.

هل يلتزمون بالقولين ؟

الجواب: يستحيل الإلتزام .

فلا يلتزمون بتعريف عصمة الرسول حين يطلب منهم الإلتزام بلوازمه فقول رسول الله لعمار يحدد معالم الطريق أن بني أمية ودولتهم إنما هم كفرة ودولة كافرة بتحديد ما صح عن رسول الله عندهم. ولا يلتزمون بكل لوازم العصمة من وجب اتباع قول المعصوم

الذي لا يبلغ كذبًا في أمر الدين ومستقبله، ويجيزون الاجتهاد مدعين إنما صدر من السابقين لعدم إتعاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورأفة به.

لكن هل يلتزمون بمعنى عدالة الصحابة ومطابقتها الكلية للعصمة عندهم؟

الجواب: لا.

لأن لفظ عصمة مما يشتموه فكيف يقولون به؟

ولكنها العصمة بحذافيرها عندهم و بأدق التفصيلات.

فأين أعداء العصمة والقائلين بكفر من يقول بعصمة علي بن أبي طالب وباقي المعصومين؟

فنحن نقبل تعريفكم للعصمة، وعليه فكل الصحابة ومن على منوالهم من المعصومين.

فلماذا (الحيدة)؟

فهل رأيتم تخنثًا أعظم من هذا.

المنع من التدوين وحرق الكتب

عن عائشة أنها قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله وكانت خمس مائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيرا . قالت: فغمني . فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشئ بلغك ؟ فلما أصبح، قال: أي بنية، هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها . فقلت: لم أحرقتها ؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت [به] ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك (تذكرة الحفاظ ١ / ٥، الاعتصام بحبل الله المتين ١ / ٣٠، حجية السنة: ٣٩٤).

أقول: فهل احراق الأحاديث هو احراق لصوتها ؟ أم للورق الذي كتب بها، وهو التدوين ؟ ثم ان التبرير اسوء من الفعل، فانه خوّن المؤتمن من الصحابة كما يعلل.

وقد علق الذهبي على مرسلة ابن أبي مليكة، فقال: (إن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري، لا سد باب الرواية) (تذكرة الحفاظ ١ / ٣٢)، وهذا دجل واضح، فإن من يريد التحري لا يحرق الجميع أو يمنع من الجميع.

والمرسلة تؤكد رأي الخليفة بترك حديث رسول الله والاكتفاء بالقرآن الكريم بشكل عام، وهذا لفظها: (أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه) (تذكرة الحفاظ ١ / ٣٢، حجية السنة: ٣٩٤) وهذا الموقف بالاكتفاء بكتاب الله كان

بعينه قد صدر من صديقه الحميم المتخادم معه، يوم رزية الخميس حين قال أنه ليهجر، كفانا كتاب الله .

وظاهر تعليل الخطبة، إن المنع إنما هو لاختلاف النقل الذي يؤدي لاختلاف الأمة، وهذا واضح أنه في قضايا شديدة الحساسية مثل الاختلاف في تعيين الولي، وأمثاله ممّا قد يهز ركن الخلافة المغتصبة، أو لأنه كان ينحرج كثيرًا مع الصحابة حيث يخطئونه ويكذبونه فيما يحدث عن رسول الله وهم قد حضروا الحدث ويعرفون تفاصيله، فأراد أن يسد على نفسه هذه الثغرة، أو لنقل بأنه مجرد الإختلاف بالنقل بين الصحابة، وهذا يعني الطعن في جميع الصحابة والطعن في كل السنة وأنها غير ثابتة عنده بحسب التعليل، مهما كان الرواة عدولاً، لاحتمال الخلاف المجرد. لأنه عدل عن كلي الحديث الى القرآن الكريم رأسًا، ولم يقل فليتثبت أحدهم ويأخذها من عين صافية، وهو لم يستأمن حتى أهل البيت فيستثنيهم. بينما بين ذلك رسول الله حين أمر بالتحديث والكتابة ولكن بدون كذب عليه، كما روى رافع بن خديج قال: مر علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوما ونحن نتحدث، فقال: ما تحدثون؟ فقلنا: ما سمعنا منك يا رسول الله. قال: تحدثوا، وليتبوأ مقعده من كذب علي من جهنم! ومضى لحاجته، وسكت القوم، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما شأنهم لا يتحدثون ؟ ! قالوا: الذي سمعناه منك يا رسول الله! قال: إني لم أرد ذلك، إنما أردت من تعمد ذلك، فتحدثنا. قال: قلت: يا رسول الله! إنا نسمع منك أشياء، أفنكتبها ؟ قال: اكتبوا، ولا حرج. (تقييد العلم: ٧٣).

عمر يستخير ثم ينمع من الكتابة نتيجة استخارة موفقة جدًا:

عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فأشاروا عليه بأن يكتبنها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبدا . (جامع بيان العلم وفضله — ابن عبد البر: ١: ٦٥)

جمع الكتب من المسلمين وحرقها ولو بالغدر، انظر جيدًا:

٥٧٩٣ – قال أخبرنا زيد بن يحيى بن عبيد الدمشقي قال أخبرنا عبد الله بن العلاء قال سألت القاسم يملي علي أحاديث فقال إن الاحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها ثم قال مثناة كمثناة أهل الكتاب، قال فمنعني القاسم يومئذ أن أكتب حديثا . (محمد إبن سعد – الطبقات الكبرى: ٥: ١٨٨، سير أعلام النبلاء – الذهبي: ٥: ٥٩)

وعن يحيى بن جعدة قال أراد عمر ان يكتب السنة، ثم بدا له ان لا يكتبها،ثم كتب في الأمصار: من كان عنده شئ فليمحه (١٨٨الطبقات)

أبي سعيد لا يقبل التدوين أيضًا:

٤٧١ أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا الجريري، عن ابي، نضرة قال قلت لأبي سعيد الخدري ألا تكتبنا فإنا لا نحفظ فقال لا إنا لن نكتبكم ولن نجعله قرآنا ولكن احفظوا عنا كما حفظنا نحن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنن الدارمي.

كذبوا على ابن مسعود ليعمموا قضية مسح الأحاديث ومنع التدوين:

الخطيب البغدادي عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: جاء علقمة بكتاب من مكة أو اليمن، صحيفة فيها أحاديث في أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستأذنا على عبد الله [بن مسعود] فدخلنا عليه، قال: فدفعنا إليه الصحيفة، قال: فدعا الجارية ثم دعا بطست فيه ماء، فقلنا له: يا أبا عبد الرحمن أنظر فيها فإن فيها أحاديث حسانا، قال: فجعل يميثها فيها ويقول (نحن نقص عليك أحسن القصص . . .) [يوسف: ٣] (تقييد العلم: ٥٤)

وأخيرًا فإن حرق الكتب سواء كانت الاسلامية وعلى رأسها القرآن أو غير الاسلامية، فهي سيرة بدأت مع أبي بكر، وتطورت إلى ظاهرة عامة للفكر الموالي لسنة الحارقين، فقد أحرقت اغلب مكتبات العالم التي تم السيطرة عليها بحجج واهية مثل ما ذكر في سبب إحراق مكتاب الفرس الهائلة الحجم والمتنوعة العلوم بقول عمر لسعد بن أبي وقاص: " إن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه وإن يكن ضلالاً فقد كفانا الله "

وقد روى المقريزي في كتابه [المواعظ والآثار] رسالة من عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص لتبرير حرق مكتبة الاسكندرية: قال فيها: " إذا كانت هذه الكتب لا تحتوى على شيء غير المسطور في القرآن فهي كعدمها وإذا كانت هذه الكتب تنافى ما جاء بالقرآن فهي ضارة ومؤذيه لا يجب حفظها إذًا ففي كلتا الحالتين يجب حرقها وإبادتها من الوجود" (لمواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزى طبع بولاق ١٢٧٢هجريه ج١ص١٥٩).

وأمر عمرو بن العاص باستعمال هذه الذخائر والنفائس كوقود في حمامات الإسكندرية فقد روى ابن النديم: "ظلت الحمامات تستخدمها كوقود لمده ستة أشهر كاملة"، الفهرس لابن النديم ص ٣٣٤.

(مع العلم بأنني اعتقد أن حرق مكتبة الاسكندرية الذي في زمن عمر هو الحرق الثاني أو الثالث فقبله قد حرقتها الكنيسة بحجة أن فيها تجديفًا، وقد كانت الكنيسة الملهم الأساسي لعمليات حرق الكتب، وقيل أنها فكرة جاهلية بإبادة كل تراث المهزوم)

وقد استمرت العمليات حتى أن حادثة وقعت فيها غرابة شديدة، ومقدمتها أن الخليفة عثمان استنسخ نسخة من قرآن السيدة حفصة وبعد التمام أمر بجمع المصاحف الأخرى وحرقها (وقيل أنه أحرق مصحف ابن مسعود الذي قال لو كان الأمر بيده لأحرق مصحف عثمان، وهو من ستة مصاحف أساسية أحرقها غير الثلاثين ألف مصحف) وكان عددها عدة ألوف، والتبرير مقبول وهو الأخطاء، واختلاف النسخ عما

ورد في القرآن الكريم، ولكن الغريب أن مروان بن الحكم حين تولى المدينة طلب مصحف حفصة من أخيها المتملق للجبارين عبد الله بن عمر فناوله اياه فاخذه مراون ومزقه وحرقه، "فلما كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حفصة يسألها عن الصحف ليحرقها وخشي أن يخالف بعض الكتاب بعضًا فمنعته إيّاه. قال ابن شهاب فحدثني سالم بن عبد الله قال فلما توفيت حفصة أرسل إلى عبد الله بعزيمة ليرسلنّ بها، فساعة رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها عبد الله بن عمر إلى مروان ففشاها [وفي رواية أخرى: فشُقِّقت] وحرقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك اختلاف لما نسخ عثمان رحمة الله عليه" (كتاب المصاحف ص ٢١)

فهنا نسائل ما القضية؟ حاكم يقضي على المصاحف بحجة أن عنده الصحيح، ولكن حاكمًا آخر يحرق نفس مستند الصحيح عند ابن عمه وممهد دولته خشية أن يخالف كتاب ابن عمه، فهنا سياسة عجيبة تراهم هم أنفسهم يجمعون الكتب في مكتبات كبيرة بينما يحرقون أخرى، إنه المنع الثقافي والحصار الكامل للأمة من وصول الكلمة الحقة إليها.

قد يأتنيا عابد الأمرد فيشكك في صحة الصدور، وعندها نقول له فورًا، إن هذا الأمر ليس بيدك، وعليك أن تثبت لنا رواية واحدة صحيحة في صحيح البخاري حتى نصدق أنك تهتم بالأحاديث الصحيحة، فإن سلسلة أكاذيبكم هي التي جعلتك تستمرء الكذب.

تحريف المعاني

عزيزي القارئ إذا وقفت على ما يتناوله «النسر»* بدقة فستجد العجب، فمثلاً إذا تناولنا ما أقر به الزميل النسر فيما يخص إمامة أهل البيت من كونهم أئمة، وأن إمامتهم بجعل إلهي، وأن في التمسك بإمامتهم واتباعهم أمانًا من الضلال من جهة، ثم تفلّته من لوازمها التي تجعل كلامه يضرب آخره أوله، ليكون الجعل الإلهي، والنجاة من الضلال ... ألفاظًا مفرقة المضمون، والحديث كلامًا لا طائل حقيقيًا منه من جهة أخرى، فلا بد ـ والحال هذه ـ من ربط هذه بتلك، فلا مفر من ربطها بصاحبها، ووصفه بالتهرب ممّا أمسى حجة بالغة عليه، لأن نفس هذه العملية هي تهرب حقيقي من الحق.

والآن إلى بيان بعض الملاحظات:

١- لقد كررت جملة (أصحاب السبت) في تعقيباتي السابقة، للتدليل على التحايل على الله، وأقصد به طريقة اليهود في معالجة النصوص الإلهية، ففي القرآن الكريم قصتان لهم، هما قصة أصحاب السبت وقصة البقرة، وكل واحدة تعالج جانبًا من التحايل على الحكم الشرعي وعلى النص، وهما تحايلان مرفوضان، وقد جعلتُ جملة أصحاب السبت للتدليل عليهما اختصارًا، فلا ينبغي لمؤمن أن يغفل عن هذا، حتى يجتنبه وينتبه لفعل أتباع الشيطان.

---

* محاور وهابي للعلامة المنار، سبقت الإشارة له.

ولمن لا يعرف حقيقة التطبيق لهما سأبين ذلك اختصارًا:

أما قصة أصحاب السبت فهي قصة تحايل واضح على الأمر الإلهي، وقد أشار الله تعالى إلى تحريفهم للكلِم عن مواضعه، وقد هدد اليهود في زمن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأن يلعنهم كما لعن أصحاب السبت، الذين حرفوا الأمر الإلهي مُدَّعِين أنه يتعلق بكلمة (السبت) فرموا شباكهم قبل السبت وسحبوها يوم الأحد؛ ظنًا منهم أن هذا التحايل على لفظة (السبت) أو (يوم السبت) سوف ينجيهم من العقوبة الإلهية التي توعد بها من يصطاد يوم السبت، والإشارة لهذه الحادثة وردت في الآيات التالية:

{مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً} (النساء/٤٦).

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً} (النساء/٤٧).

{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً

إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [الأعراف: ١٦٣ – ١٦٦].

وقد أتت في القرآن الكريم قصة أصحاب السبت و قصة أصحاب البقرة في سياق واحد في سورة البقرة للدلالة على حادثتين مرتبطتين بتحريف المعاني والتحايل على الأمر الإلهي.

وقصة أصحاب البقرة كما هو مشهور متعلقة بحدوث جريمة ارتكبوها ويريدون إخفاءها، ولكشف هذه الجريمة أمرهم الله بذبح بقرة، فإذا ببني إسرائيل يطالبون بتحديد البقرة، وكأنهم لا يفهمون معنى (بقرة)!، فلا زالوا يسألون و يسألون والله يبيّن، ذلك بأنهم يحرفون المعاني ويفرغونها من معناها وقولون: إن البقر تشابه علينا!، فلا يذبحون ما دام البقر كثيرًا!

وهذه هي الآيات الناطقة آمَلُ من كل مسلم أن يقرأها جيدًا ويطابق بين هذه الحالة وبين حال زميلنا النسر، وطريقة انتهاج هذا المسلك الغريب الذي يبطل به الدين:

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ *

وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِين * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} (البقرة/٦٣ – ٧٩).

لو تفطّن العاقل لما في هذه الآيات، وقارنها بما يفعله النسر الذي يتفاخر بأنه فلّين لا يغرق، ويقصد أنه لا يمكن أن يُلزَم بلفظ أو معنى، وأن عنده جميع حيل الدنيا، للتخلص من أي لغة وأي مقصد، ونحن قد فهمنا قصده ووصفناه بالفلينة الفارغة التي لا توزن بشيء في ماء الحقيقة.

إن كل موضوعه هذا، هو تطبيق عملي لقصة أصحاب السبت الذين مسخهم الله، وهو تطبيق نصف عملي لأصحاب البقرة، لأن أصحاب البقرة في الأخير أذعنوا لأمر الله بعد تهديد الله لهم، ولكن بعض منتحلي الإسلام لو رأى مستقره نار جهنم أمامه لما تراجع أبدًا عن هذه اللذة في تحريف الكلام، وتفريغ كلام الرسول عن معناه.

وهناك شيء استوقفني، هو أن الروايات تقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل شعار المسلمين يوم مسيلمة الكذاب (يا أصحاب البقرة) وأنه أمر العباس أن ينادي المنهزمين في حنين (يا أصحاب البقرة). ولم أعثر على شرح مبرهن لهذا الشعار، إلا ما سيأتي من احتمال بعض كتّاب أهل السنة المتأخرين عصرًا عن عصر الرسالة.

والذي ينقدح في الذهن احتمالان:

الأول: أنه قصد يا أصحاب سورة البقرة التي تحذر من تحريف الكلم عن مواضعه والتزيف والخيانة للشريعة ومعصية الله، كما أشارت إلى أصحاب السبت والبقرة، فهو

لإثارة الحمية والبعث على العزم، وهذا المعنى موجود جزئيًا في بعض التفسيرات، كما عند السيوطي وابن كثير.

والثاني: التوبيخ لمن يقابل الرسول بوصفهم من (أصحاب البقرة) الذين تاهت عليهم السبل، ففي يوم مسيلمة كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقابل مسيلمة الكذاب، وفي يوم أحد كان يقابل الفارين والعصاة لله ورسوله.

وعلى كلا التفسيرين يكون الرسول قد دعا إلى العبرة بقصة البقرة في موقعين مهمين من حياة المسلمين. ولا يهمنا تقديم أي من الاحتمالين وإن كانت الظروف ترجح الاحتمال الأول. خصوصا مع وجود رواية لا يعلم دقتها لاحتمال النقل بالمعنى: (يا أصحاب سورة البقرة، وبقرينة يا أصحاب بيعة الشجرة) فتعين المعنى الأول حين ذاك، والله أعلم .

والمستفاد من قصتي أصحاب السبت وأصحاب البقرة هي أن مقابلة أمر الله بالتحايل وتفريغ الألفاظ جريمة كبرى أمام الله، وأساليب السفسطائية في تجريد المعنى بذكر الاحتمالات وترك المأمور به بالانشغال بالنزاع في مراده، هو من الجرائم التي يستحق عليها العباد الغضب الإلهي في الدنيا والآخرة.

ومن الطريف أنك تجد أن أصوليي بعض المذاهب السنية يستدل بقصة البقرة على الأخذ الفوري بالعموم والإطلاق من دون الفحص عن المخصص، وهذا بنفسه جزء من المغالطة التي ينطبق عليها نفس فعل أهل السبت والبقرة، فإن الدلالة عملية عقلية

متوازنة، وهبها الله لكل عقل سليم خال من القصد للتزييف، فهذه كلها أعمال تزييف للنص ولأمر الله، فبربك ما الفرق بين التحايل على كلمة (السبت)، والتظاهر بعدم معرفة معنى البقرة وتشخيصها، وبين التحايل على تعيين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للولي بعده، فأصبحوا لا يعرفون ما هو الولي؟ ولم يفهموا معنى العترة المخصوصة بمخصص العصمة من الضلال!، ولم يفهموا معنى المتابعة والتولي، فكلها أمور غير مفهومة، فيجب تركها كما أرادوا ترك ذبح البقرة، وكما أرادوا التحايل على يوم السبت. ومن الغريب أن يذّكر الرسول بأصحاب السبت وآية لعنهم في خطبة الغدير وحديث الثقلين كما يرويه علماء الزيدية عن طريق زيد بن أرقم برواية أبي المفضل الشيباني الزيدي مذهبًا، وهذا من معاجز الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث يشير إلى ارتكاب ما يرتكبه أصحاب السبت والمتحيرون في البقرة!، فقد ورد فيه: (معاشر الناس قد أشهدني الله و أبلغتكم وَما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ معاشر الناس اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

معاشر الناس آمنوا بالله و رسوله و النور الذي أنزلناه مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّها عَلى أَدْبارِها أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَما لَعَنَّا أَصْحابَ السَّبْتِ.

معاشر الناس النور من الله تعالى فيّ ثم مسلوك في علي ثم في النسل منه إلى القائم المهدي الذي يأخذ بحق و بكل حق هو لنا بقتل المقصرين و الغادرين و المخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين.

معاشر الناس إني أنذر لكم أني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل فإن مت أو قتلت انقلبتم على أعقابكم وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ، ألا إن عليا الموصوف بالصبر و الشكر ثم من بعده ولدّي من صلبه ..).

وهي رواية طويلة جدًا في ذكر الولاية والثقلين وغير ذلك من الأمور المهمة، وهذه الرواية الزيدية مقاربة جدا لما روي عن الباقر عليه السلام عن آبائه. والحديث طويل يخشى أصحاب السلطة ووعاظهم من ذكره بكامله أو الميل إليه؛ لأنه نص صحيح صريح، بل فوق الصحة، إنه متواتر! . [يمكن مراجعة الحديث بطوله في كتاب التحصين لابن طاووس – ج ١ . وكذا كتاب اليقين لابن طاووس وهو في النص على أمير المؤمنين بمختلف الروايات المتضافرة التي فاقت الحد الأوسط من التواتر].

فالخلاصة: إن الله سبحانه أعطانا صورة متكاملة، لتفكير أهل الضلال من داخل المجتمع الديني، وهو ضلال التفسير الخاطئ وتمييع المعاني والتحايل على الحكم الشرعي، وهذا النوع من الضلال عاقب الله أهله بأشد حالات العذاب وأخزاها وهو المسخ والإبتلاء في الدنيا كما هو في الآخرة. وما يقوم به النواصب وقتلة أهل البيت عليهم السلام لا يبعد عن صورة هذا الضلال البتة، فهو ممارسة يومية لهذا الضلال، فإذا كان بنو إسرائيل قد مارسوا ذلك في مواقع متعددة محدودة، فهؤلاء جميع أيامهم ومواقعهم ممارسة لهذا اللعب، والافتخار به كما يفتخر زميلنا النسر أنه فلينة لن تغرق أبدًا، أي لا يستطيع أن يقنعه أحد بشيء أو يغلبه بشيء؛ لأنه يفرّغ أي نص من

معناه بطريقة سهلة يستطيع أن يستعملها أي شخص ليس له دين. (مع العلم أنه في كل مرة يفلج ولكنه يكذب ويدعي الانتصار وكأنه لم يخسر شيئًا، بينما قد خسر دينه وعقله بتصريحاته ومعاييره التي يختلقها كذبًا على العلم).

٢- الثاني من المقدمة: أن زميلنا النسر في التعقيبين: ٤٥٢ و ٥١٤ قد اعترف اعترافات كثيرة جدًا وأساء للإسلام وألصق بالتسنن ملصقات — حسب اختراعاته – لا يقبل بها التسنن، كما أنه تغاضى عن أمور كثيرة ذكرناها، منها أن مفهوم التسنن نفسه – أي ظهور مذهب اسمه مذهب أهل السنة — تأخر كثيرا ليتبلور بجسد مرقّع بين (سنة معاوية وسنة علي وسنة الشيخين) في زمن مقارب لفترة أحمد بن حنبل أو قبله قليلا (الزمن العباسي الوسيط)، ولم يكن هناك مذهبٌ معيّن بهذا الاسم، ثم إنه أخذ عشرات الاتجاهات المتناقضة فيما بينها، إلى درجة الحكم بالكفر بين بعضها، ولعل الباحث لا يجد صورة مشتركة بين من يسمون أنفسهم أهل السنة بما يميزهم عن شيء اسمه خارج نطاق أهل السنة، ففي كل حكم أو اعتقاد تجدهم مختلفين، فمرة يوافق بعضهم الإمامية، ومرة يوافق الزيدية، ومرة ينفرد هذا عن ذاك، فليس هناك قاسم مشترك، إلا مسألة واحدة قد يتفقون عليها جزئيًا، و يختلفون فيها عن الإمامية فقط، ولكنها لا تناقض الزيدية ولا الخوارج، وهي مسألة شرعية من يقوم بالسيف ويسيطر على مقدرات المسلمين .

فهذه مسألة اتفاقية بينهم، فإذا كانت هي القاسم المشترك والمميز لأهل السنة، فإذن سيدخل في مفهوم أهل السنة الزيدية والخوارج شاؤوا أم أبوا.

فزميلنا النسر يكرر الكلام بلسان أهل السنة، بينما أهل السنة ليس لهم مفهوم واحد، ولا لسان واحد، وهم مختلفون في أغلب القضايا، ثم إن أهل السنة يرون السلفية الحشوية مجسمة مشركين، وبعضهم يراه شركًا خفيا والآخر يراه شركًا جليًا، وإن عبادتهم هي لوثن وليست لله تعالى {ولكن لا يشعرون}، فالنسر ليس من أهل السنة عند أهل السنة وقد بيّنا ذلك بالتفصيل في موضوعه الولاية الوظيفية، ثم إن مذهبه حنبلي وهو مذهب لا وجود له بين المسلمين إلا عند شرذمة قليلة من البدو الجفاة الحفاة وقد أشارت مراكز دراسات بأن معتنقي هذا المذهب بين السنة لا تتجاوز نسبتهم ٣٪، ولولا البترول لما كان لهم ذكر إلا السلب والنهب في الصحراء، فحوالي ٨٠٪ من أهل السنة أحناف والبقية بين شوافع ومالكية، وأما الحنابلة فهم أقلية قليلة جدًا (كما قلنا وكما تشير مراكز دراسات للانتشار بالنظر لطبيعة انتشار المذاهب وأعدادها الموزعة على الخارطة وهذا يعلمه النسر)، وهم أهل بدعة بنظر الشوافع والمالكية وأهل ضلال بنظر الأحناف.

أما في العقيدة فإن أغلب أهل السنة الحاليين هم صوفية أشاعرة من الأحناف والشوافع والمالكيين، وهم يرون هؤلاء المجسمة أهل ضلال ومشركين، وهذه النظرة

متبادلة فإن الوهابية يرون الصوفية و الأشاعرة والأحناف على الخصوص كفارًا مشركين يعبدون القبور، وسنأتي إلى بعض التفصيل في ذلك.

فالنسر يدعي أنه يمثل السنة بينما يتكلم بكلام لا يقبله سني، إنما هو اعتداء على مذهب التسنن من قبل المستقذرين بوساخة البترول المسروق من تحت أرجل المسلمين وهم عملاء الأجانب ليكونوا حراسًا لهم على النفط. ولهذا فهم يحاولون سرقة مساجد أهل السنة بالمال وتجنيد ذوي العضلات المفتولة والعقول الذابلة ليكونوا مقيمين في مساجد أهل السنة ليسيطروا عليهم ويهزموهم من الداخل، وهذا ما حدث في المدن والقرى الفقيرة في أنحاء العالم السني.

والتسنن يعاني من هزيمة كبرى أمام هؤلاء الوحوش المدعومين المولين بمال البترول ودسائس الغربيين والكنيسة باستعمال هؤلاء السلفيين، في التسلط على بعض جوامع ومجامع أهل السنة . وكأن الأيام عادت لأيام تسلط الحنابلة على بغداد ودمشق فنشروا الإرهاب والخراب ودمروا المدن واحرقوا الضياع وقتلوا النفوس المحترمة ونشروا الفساد الخُلُقي، ومكنوا الغرب الكافر من بلاد المسلمين وعجزت دولة المسلمين عن إصلاح حالها، بسبب هؤلاء الحنابلة في تلك الفترات، وأما في هذه الفترة الراهنة، فإن من لم ير ذلك فهو لم يعش هذا العصر؛ فالإرهاب والضلال والزيغ عن جادة الشريعة وجادة مفهوم الإنسان هي من منتجات هذا الفكر الدخيل على الدين المتسور على التسنن.

فمن جملة اعترافاته في هذا التعقيب انه اعتبر صحيح البخاري يروي المركبات ونسخه مختلفة ومزورة!

فماذا قلنا لك يا نسر؟

انظروا ماذا قال النسر عن رواية مركبة ومزورة يدعي أنها لم تذكر في بعض النسخ بهذه الصورة، هذا ما يقوله هو للتخلص من الحق، فإن لم يكن هذا تحريفًا فما هو التحريف إذن ؟

فهل هذا كلام أهل السنة ؟، وهل تكذيب البخاري من صناعتهم ؟، أم من صناعة الوهابية أهل الدجل؟

قال زميلنا النسر: (وأما ما ذكره حول حديث " تقتل عمار الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار " فقد رأيت كلاما لبعض أهل العلم مفاده أن هذا المتن مركب من متنين فالأول منه في الفتن، حتى قيل أنه ليس في بعض نسخ الصحيح الجامع كما ذكر الحميدي، والثاني في المشركين حينما كانوا يعذبونه في مكة، فلعل بعض الرواة دمجهما في حديث واحد فحصل الوهم في التعيين).

فإذن البخاري يروي حديثًا مركبًا ولا يروي حديثًا صحيحًا سليمًا !

وهو حديث يسقط دين الأمويين ودين كل من يسمي نفسه سنيًا؛ لأنه يبيّن أنه دين الدعاة إلى النار، والحديث صحيح تمام الصحة ودعوى التركيب دجل محض فأين المهرب؟

وتبين لدى الزميل النسر أيضًا أنه مدسوس فهو لم يرد في بعض النسخ! ، وكأن وروده في النسخ غير المعتمدة يصحح النسخ المعتمدة، فهل هذا من العلم؟

وعلى كل حال فإن النسر احتمل الوهم في الحديث ومحتمل الوهم لا حجة فيه، فالبخاري فقد الحجية تمامًا، وتبخر كل دفاع الشيخ النسر عن كتاب البخاري الذي اختفى ستين عامًا بعد وفاة البخاري وظهر على شكل أوراق مبعثرة.

إن من يطعن في صحيحه ليس من حقه أن يرد ويناقش من يذهب إلى أن الحديث قابل للنقاش، وللجرح والتعديل، وليس عنده قالب خاص اسمه الصحيح. بل قام زميلنا النسر بجناية عظيمة في تعقيباته بمناقشة الشيعة بما لا يصح عندهم، ولا عند السنة أنفسهم، كما أتى بالحديثين السنيين الذين كشفنا عوارهما السندي والدلالي ببحوث سنية ومعايير سنية، بل نفس المعايير التي يتبعها السنة.

فإذا قال بأن مناقشة الحديث السني يجب أن يكون وفق ما يقرره الوهابية السلفية الحشوية فنقول له: هذا ليس لك أولاً، وثانيًا أنت تؤكد تخليط صحيح البخاري وإتيانه بالمركبات، فهل تقرر شيئا بعد الآن؟

ثم إذا كنت ترى أن الحجة لا تصح إلا بما يحدده الخصم، فكيف تستدل بحديث لا يقرك أهل السنة على صحته أو دلالته؟، ولا يوجد عاقل يفهم يقرك على ذلك، وإنما يتعمد أصحاب الأهواء والنواصب تلفيق ذلك، وتفرضه دليلاً على الشيعة الذين لا يؤمنون أصلاً بهذه الأحاديث المكذوبة.

وبعد أن بينا انه لا يصح الاستدلال وفق معايير يحددها الخصم بدل إيجاد القواسم المشترك نقول أيضًا: كيف تستدل على الشيعة بأحاديث في كتب شيعية لا يؤمنون بها ويردونها كليًا أو جزئيًا؟ فهل هي طريقة انتقائية، تنتقي ما يوافق الهوى؟ وتريد أن تفرض معاييرك على غيرك بالإضافة إلى معاييرك على تراث أهل السنة الذين لا يوافقون عليها أو لا يتفقون على أقل تقدير.

مع أن أصول الحوار مبنية على إيجاد قواسم مشتركة والانطلاق منها، ولكن الزميل النسر لم يقبل ولا أي من محاورينا السلفيين بقواسم مشتركة، وبخاصة زميلنا النسر فقد دعوته عدة مرات لقواسم المشتركة، فرفض وقفز إلى المطاحنة والسفسطة.

ثم إننا إذا أردنا أن نحتج فإنما نحتج على أهل العقل والملتزمين بتراثهم أما أنتم يا شيخ نسر فليس لكم تراث ولا إلتزام بمعنى معيّن، فبماذا نحتج عليك؟

أ بحديث الرسول؟ وهو باطل عندك كالمطاط تمسحه كما تشاء وتلغيه بما تشاء وتلتزم بما تشاء ثم تتنازل عنه بجرة قلم؟، وهل نلزمك بقرآن وأنت تراه غامضًا، وتركب منه مركبات ما أنزل الله بها من سلطان!، أم نحتج عليه بالعقل؟!

فوي وي! ، هل تؤمن يا نسر بعقل؟! ، وأنت من قال: إن العقل غير ثابت، ولا يمكن الاعتماد عليه! .

ومن جملة اعترافات زميلنا النسر الخطيرة في تعليقه الأخير أنه لا يفهم معنى الإمامة ولا النبوة ويعترض على ما لا يفهم. وهذه من أعظم مصائب الشيخ النسر، إنه يشكل وينتقد ويناقش بما لا يعرفه من جهة ومن جهة ثانية لا يقر به خصمه بل يشكل على ما يؤمن به حتى زعماء مذهبه، وهذا من أتعس ما يراه البشر من نتيجة.

فهو يقول بأن مفهوم الإمامة غير واضح وهو عام غير محدد وما شابه ذلك. ثم يشكل ويسب الإمامة عند الشيعة.

فإن مفهوم الإمام الذي يستشكل عليه لا يعرفه الشيعة وهو ليس محل الخلاف بيننا، بينما هو يسب الشيعة ويلعنهم لهذه الإمامة التي نخرت عقولهم كما يقول، وهو لا يعرف هذه الإمامة أصلاً، فإليك عزيزي القارئ هذا المقطع الذي يدل على أنه لا يعرف شيئا عن النبوة والإمامة ويدعي انه اكتشف أن النزاع بين السنة والشيعة على النبوة، وهذا من وهمه وقلة معلوماته وجرأته في الخوض فيما لا يفهم، فإقرأ وتعجب مما قال، قال زميلنا النسر:

(فالخلاف الحقيقي هو خلاف حول النبوة فلم يرتض الإمامية بختم هذه النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم وابتدعوا نظرية الإمامة كبديل امتدادي لهذه النبوة وأهدافها، لذلك فمن الطبيعي أن يكون لازم قولهم ردة الصحابة وأن يتطلبوا الأدلة

على هذه الردة، فقرعوا أبواب القضاء والخصومات والمشاجرات التي تحدث بين الناس ووجدوا فيها مرتعا خصبا، وماء زلالا لتدعيم شبهاتهم ومؤازرتها).

وهذا الكلام لا ينبغي أن أنزل إلى مستواه وأناقشه، لولا أنني أعرف أن الكثير من أبنائنا أهل السنة لا يعرفون الموضوع من أساسه، ولهذا فهو يحتاج إلى توضيح وسأوضحه في محل التعرض إليه، ولكن قد يأتي أحد الإخوة من المحصلين فيبيّن للجميع مدى جهل صاحبنا النسر، حيث قلب الأمر إذ أن النبوة تتأكد ببيان الإمام المعصوم لا أنها تنفيها كما زعم، كيف تنفي الإمامة النبوة وهي الداعم القوي المضمون لنهجها القويم بحيث تضمن تطبيق الرسالة الربانية وعليه تظل الإمامة امتدادًا لرسالة النبي في التطبيق والبيان، وليس بديلا امتداديًا كما يدعي النسر.

ثم إن الشيعة لا يقولون بردة الصحابة، وإنما يقولون بعصيان بعضهم لأمر النبي الصريح، بالدليل والبرهان، و أما هذه الدعوى فهي من جيب صاحبنا النسر.

على أن لفظ الردة لفظ حَمَّال، قد يُقصد به المخالفة بعض الأحيان، كما هي الحال في كلمة الكفر، ففي الحديث الذي يرويه أهل السنة في حجة الوداع:

(لا ترجعنَّ بعدي كُفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض)، وقالوا: (إنه كفر دون كفر...) فهل زميلنا النسر ينتقي ما يوافق عقيدته انتصارًا لها وليس للحقيقة، فتراه يقصد هنا أن الشيعة يقولون بكفر الصحابة، وهذا إدعاءٌ باطل.

ثم إن زميلنا النسر نسي أن وعاظ السلاطين قالوا بتخصيص القرآن بالرأي، وفسروا القرآن بالرأي، وقالوا بصحة نسخ الصحابة للقرآن!، وكذا عمل أهل المدينة، وقالوا بأن الوقائع خالية من الإحكام، وان الله يجري حكمه وفق ظن الحاكم!، وقد نسي النسر قولهم: بأن النبي حامل وناقلٌ، وليس مؤسسًا وراعيًا للحكم، بينما يرون أن المجتهد مؤسس للحكم!، وقد جعلوا له أدلة تأسيسية مثل المصالح المرسلة والاستحسان ويتبعهما القياس إلى حد ما، فأين النبوة التي يدّعون؟ هل بقيت نبوة مع هذا؟، بل أين دين الله أصلاً مع هذه الأقوال؟، فلا الله تعالى ولا نبيه لهما حرمة مصونة عند التحقيق في مذهب أتباع الداعية إلى نار جهنم.

المهم عندنا ظهور النسر معترفًا بعدم الفهم لمصطلح الإمامة والنبوة، ثم يشكل بما لا يفهم، وسنأتي بتوضيح حقيقة جهله حين نتعرض لمقولته في الإمامة في عدة نقاط تطرق إليها وسنتطرق إليها عند أول تعليقة منه.

ومن جملة اعترافاته حصره للخلاف معنا بثلاث نقاط بينما يناقشنا بمئات النقاط، وقد مر عليك أن الخلاف الحقيقي حول النبوة، فانظر وتعجب مما تقرأ وترى من فعله:

قال النسر: (وبينتُ بأن نزاعي مع الإمامية سينحصر في حدود هذه الإمامة، وفعلاً إنحصر النزاع في ثلاثة حدود (حدود الإمامة، العصمة، لوازم الإمامة) وكانت عندي أضيق مما هي عليه عندكم ليس أكثر .

قلتم أنها جعل من الله، قلنا: جعل من الله !

قلتم أنها بنصب من الله، قلنا: بنصب من الله !

قلتم أنها باختيار من الله، قلنا: باختيار من الله !

قلتم أنه يتفرع عليها اقتداء للمكلف بمصاديقها، قلنا: نشد على أيديكم في هذا المعنى!)

وفي هذا المقطع عدة اعترافات خطيرة كما فيه عدة أمور جانبت الحقيقة.

فقد قال سابقًا: إن الخلاف هو خلاف بين السنة والشيعة وليس بين السلفية من أتباع ابن عبد الوهاب وغيره وبيننا فقط! ، فمرة يقول: الاختلاف سندي، ومرة يقول: الخلاف في من روى عن أهل البيت، ومرة يضعف أهل البيت أنفسهم ويتهمهم بالكذب خصوصًا الصادق والباقر لأنهم يروون روايات كثيرة، ومرة الخلاف في معنى الألفاظ، ومرة في كون الشيعة يسوِّدون تاريخ الخلفاء بنسبة العداوة لأهل البيت بينما هم متصافون إلى درجة شرب دمائهم بلذة، وكل مرة شكل من أشكال التلون وابتداع الخلافات، وكل مرة يختلق اختزالاً يخالف أوضح قراءة للتاريخ ولحديث الرسول ولمبادئ الإسلام!

وهنا يقول: إن خلافه في حديث الغدير ينحصر في ثلاثة اتجاهات وهي (حدود الإمامة، العصمة، لوازم الإمامة) .

وقد قدمنا المناقشة التي أغمض عنها كليًا، وكرر إدعاء خلافه من دون دليل حقيقي، وإنما هي تهويشات يدعي أنها علم! :

فالإمامة عنده لا تعني قيادة الدنيا ولا قيادة الدين، فما هي إذن يا نسر ؟ إن حاصل كلامه ونتيجته هو أنها إمامة من دون إمامة أو بمعنى شيخ قرية، بينما حديث الغدير والثقلين نصّان جليان في أنها إمامة دين ودنيا وخلافة رسول الله في الهداية الوصول إلى الحق فالإمامة ليست فقط إراءة طريق، بل إيصال للحق، وتطبيق الإسلام، فأين هذا من ذاك؟

لعله يعتقد أن البشر مجانين ليصدقوا تعريفه للإمامة والولاية وقائد الهداية.

إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن التمسك ومتابعة أفراد العترة المخصوصة التي خصصها في نفس الموقع ومواقع أخرى، توجب الهداية والبعد عن الضلال واستمرار الهدى الإسلامي، فهذا يعني عنده أنه لا شيء وإنما يعني المحبة للعترة!، وإعطاءهم المال والعطايا فإذا لم يوافقوا فيجب إقصاؤهم أو قتلهم!

هذه هي الإمامة التي أتحفنا بها.

وأما العصمة فهي التثقيل بأنواع الخطايا ومنها الكذب ولكن على الله أن يبيّن كذب المعصوم!، ولا ندري كيف يبيّن الكذب؟! هل هو عن طريق نفس المعصوم الكاذب؟، أم عن طريق معصوم كاذب آخر؟، والعياذ بالله من هذا التفكير.

وأما لوازم الحديث فهو لا يلتزم بلازم، فقول الرسول: (ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا)، يرى النسر أنه يجوز التمسك بمن خالفهم، لدليل خاص، وهو روايتان كاذبتان مكذوبتان موضوعتان لا دلالة فيهما على ما يقول ... وكذا كل لوازم الحديث فإنه ينفيها بطريقة لا تمت للعلم بصلة ولا للواقع في مواجهة الحكم الشرعي.

ثم نسي صاحبنا أنه أشكل أهم اشكالاته التي طرحها سابقًا، منها:

١. عدم معرفة أهل البيت فيجب تركهم لعدم المعرفة!

٢. ظلمة الطريق إليهم فيجب تركهم!

٣. نورانية وهداية مخالفيهم، أو غيرهم ممن خالفهم فيجب اتباعهم وترك أهل البيت!

فهذه الأمور نسيها، وهو من نافح عنها طويلاً، وهذا الموضوع شاهد ويمكن مراجعته لمعرفة كل هذه الترهات التي يتحفنا بها النسر.

فالرسول يحدد عليًّا وفاطمة والحسن والحسين المثال الأوحد للعترة، بينما النسر يحتمل أن أبا لهب والعباس وغيرهما هم أيضًا من العترة حتى النساء اللاتي لا يدخلن لغة في العترة أدخلها من باب أهل بيت الرجل!، ولكن حتى أهل البيت حددهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونفى عنه بناتًا ونساءً ورجالاً من أقاربه وحدد ابن

عمه وصهره مع زوجه وابنيهما فقط، وقال لزوجه أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها أنتِ إلى خير، ولم يقبل دخولها في مفهوم أهل البيت عليهم السلام.

فالنسر ينكر كل تحديد وكأنه أصم أبكم لا يفهم كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحددهم وينص على هدايتهم وأنهم نور، ونجاة من اتبعهم من الضلال، ثم يأتي النسر ليقول: إن المتمسكين بهم أهل ضلال وظلمة، فلا يؤخذ من أهل البيت عليهم السلام، لأن من تمسك بهم ضل، ومن كان الطريق إليه مظلما كما يرى، يجب ترك اتباعه، نعوذ بالله من عاقبة السوء.

إن الرسول حدد هداية من اتبعهم، ولكن النسر يرى أن نور غيرهم أولى بالاتباع!، فكلام النسر مقدم على كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب ظاهر العقل السلفي.

وقد خذل الله النسر فاعترف بخلاف ما يريد فزميلنا النسر اعترف بأهم عقائد الشيعة في أهل البيت عليهم السلام، واعترافاته تنقض مخالفته لهم وما يناقشهم فيه فيما بعد، مثل كون الإمامة جعلا إلهيًا، وليس بتنصيب البشر كما يقول أهل السنة، فهل يصح المناقشة ونفي أمرٍ هو جعل إلهي ؟!، وهل هذه هي الديانة الحقة التي يتحفنا بها النسر؟

اقرأ ما يقول النسر:

(قلتم أنها جعل من الله، قلنا: جعل من الله !

قلتم أنها بنصب من الله، قلنا: بنصب من الله !

قلتم أنها باختيار من الله، قلنا: باختيار من الله !

قلتم أنه يتفرع عليها اقتداء للمكلف بمصاديقها، قلنا: نشد على أيديكم في هذا المعنى!)

إذا كانت الولاية الإمامة والتمسك بهم بجعل ونصب واختيار من الله، فهل ينبغي تركهم، بل هل يجوز تركهم أساسًا؛ بحجة أن مجموعة من الكذابين والدجالين والمنافقين أمثال معاوية وأتباعه يقولون عن أهل البيت عليهم السلام: إنهم كذابون وأن اتباعهم كذابون مثلهم؟

أبهذا ينبغي مقابلة الجعل الإلهي؟

هل سيقول بأن اتباع أعدائهم أو مخالفيهم على أقل تقدير هو بجعل إلهي كما هي الحال في أهل البيت؟

إن هذا الادعاء لم يدعِه أحد، فحتى البكريون يدعون أن أبا بكر مأذون ولا يدعون له الجعل الإلهي.

٣- الوجه الثالث من المقدمة: أن في موضوعه من بدايته اعترافًا بمعانٍ عامة تناسب حديث الثقلين، ولكنه نكص بالتلاعب في تعريف موضوعات الحكم في كل قضية قدمها، في مسار الموضوع.

وما قام به ليس جديدًا ولكنه مركب من عدة موضوعات قدمها المجادلون بالباطل خلال فترات من تاريخ الظلم والإجرام.

وقد حرّف موضوعه، وبدأ بسيل من التهم، ويريد منا أن نناقشه في قضايا هي خارج حدود قضيته!، حين كشفنا أن قضيته فاشلة و ميتة وأن مجادلته خلاف العلم وخلاف طبيعة البشر في فهم النصوص، وأنه لا يمكن مطلقا ترك النص بسبب الاشتراك اللفظي، وأنه وقع في مغالطة واضحة، وبيّنا الكثير من المغالطات في كلامه، فأخذ ينزل التهم متتالية ونسي أصل قضيته.

فقد اضطرني أن أتوقف عن بيان كل مغالطاته، التي يجب أن نعود إليها، ونفصل ما أجملناه في رده، وهذا أسلوب أهل الباطل كما هو معتاد منهم حيث يشغل المحاور باتهامات متلاحقة ولا يركز أصل دعواه، ولكننا بحمد الله لم ندع دعواه دون تعليق وبيان علمي مقتضب، لكن مشكلتنا هي في شرح الجمل القصيرة والأدلة التي لا يعرف طرق براهينها.

لفهم الجواب على سؤال مهم وهو: لماذا طرح النسر موضوعه بهذا الشكل؟

فأقول: إن النسر يعلم علم اليقين أن جميع التهم التي يوجهها الوهابية إلى التشيع غير صحيحة في ثبوتها على الشيعة لا في وقوعها منهم ولا في صحة المعيار فيها أصلاً. فهم سيفشلون في تشويه صورة التشيع مستقبلاً، وقد بان كذب وفشل أغلب التهم التي يتذرعون بها ضد الشيعة مثل تهمة اتهام السيدة عائشة بالفاحشة والعياذ بالله، وتحريف القرآن وسب الشيخين، والعدالة المفتعلة للصحابة، وما شابه ذلك ولكن هذه أساسيات التهم عندهم، وهي فاشلة وكاذبة.

فإن اتهام السيد عائشة بتهمة أخلاقية والعياذ بالله غير صحيح، ولا يثبت على علماء الشيعة بل مناقض لما عليه شيعة أهل البيت وعلماؤهم، وهذه التهمة لو لصقت بتراث غيرهم كانت ألزم، فإن الشيعة لا يقبلون تهمة السيدتين عائشة أو مارية بالإفك، ولكنهم يقولون بكل وضوح أن السيدة عائشة أخطأت في موارد كثيرة منها تحديثها عن فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا هو مما يليق بامرأة ولاسيما في مثل موقع السيدة عائشة، ولا هو من التبليغ في شيء، ومنها مخالفتها لإمامها وحربها عليه وقتل المسلمين وسرقة أموالهم، وهي من كبار الذنوب في الفقه الإسلامي عموماً ولا ينفع معها التبرير . فإذا كان عند السلفية رد مقبول بالدليل والبرهان على مثل هذا فليردوا، ويعلم النسر أن هذا لا يمكن رده إلا بالتبرير المفضوح أو إذا مسخ التراث السلفي أو بالمغالطة فتنقلب الحقائق، كما أتحفنا النسر بأن الداعي إلى النار لا يدخل النار! ، وأظن أن الراقص عنده لا يرقص.

ومن التهم التي يروجونها تحريف القرآن، وهي تهمة أليق بالتراث السني القائل بالنقص والزيادة على القرآن، وقد عجز النسر نفسه في حوارات كثيرة أن يبرر النقيصة والزيادة، بشكل معقول، وخاصة حذف ترقيم البسملة من مصاحفنا الحالية في اشارة إلى فتواهم بعدم لزوم قراءتها لعدم قرآنيتها إلا في آيتين، كما أنه لم يستطع أن يثبت أن القراءات كلها نزلت من السماء، فلا بد أن بعضها تحريف، وهذا كله بناء على قولهم، وإلا فان الشيعة لا يصححون كل القراءات خصوصًا الشاذة، ولا يقبلون القول بالحذف والإضافة، وقد تركوا ما ورد في ذلك، ويرون صيانة القرآن من التحريف قطعًا، والعمل الفعلي على ما بين الدفتين، والقرآن المتداول بين المسلمين هو رواية شيعية لرواة شيعة مطعونين عند أهل الحديث السنة، ويكفيك مراجعة تراجمهم.

فالذي يصر على التحريف هم علماء السنة دون أن يسموه تحريفًا، وهذا مضحك؛ لأنه من مصاديق التحريف ولاسيما على مبناهم، ثم إنهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها على هذه القضية، ولكنهم لا يدرون أن القول بأن القرآن محرف لا يستدعي التكفير، بل هو إخبار عن حدث، فإن كان صادقًا فالمشكلة فيمن حرّف، لا فيمن وصف عمل المحرّف، وإن كان كاذبًا فهو مجرد خطأ في الإخبار مردود على قائله، وليس عليه أي حكم شرعي، ونتحداهم أن يثبتوا حكمًا شرعيًا في ذلك بنص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وقد رأيناهم إنما يأتون بمبهمات واستدلالات سفسطائية يثبتون بها كفر وجريمة من يصف عمل المحرفين، وهذا عمل المخرفين، فلا القرآن محرّف، ولا القول بمحاولة بعض المسلمين التحريف يخرج من الملة.

وأما تهمتهم بسب الشيخين: فهذه من أسخف التهم، لأن أئمة الشيعة بنصوص واضحة يحرمون ذلك، ثم أنه لا يوجد شتم علني للشيخين كما يدعون في أرض الواقع، إلا أن يأتي سلفي ليتعلق بأسماء مستعارة في الإنترنت لايُعلم مَن خلفها ـ ورُبّ اسم مستعار يسب ليأتي اسم مستعار ثان يصفق له، واسم مستعار ثالث يرد عليهما .. إلخ وربما كانت الأسماء الثلاثة خلفها رجل واحد!؛ إنه نت، حيث المجهول، ولا قيمة فيه إلا لمادة علمية شاهدها فيها، أو أن يتعلق بمَن لايعرفه الشيعة، أو بمن لايعترفون به ممن لايعلم أي طرفيه أطول وعلى كل فكل ما يحاولون إلصاقه لا يثبت على الشيعة كفكر منضبط (وأغلب الطائفيين يغشون الناس فيحولون النقد الشيعي للشيخين إلى سب وشتم!)، فلم هذه الضجة المفتعلة . نعم الشيعة يقولونها وبكل فخر أن الشيخين قد خالفا رسول الله ووصيه وابتزاه الخلافة وأوذي أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا الكلام لن يخجل منه الشيعي، وعلى الوهابي أن يثبت خلاف ذلك. ثم إن مشكلة المشاكل أنه لا يوجد نص من الرسول يمنع شتم الشيخين قط، كل ما أوجودوه من نصوص واجتهادات فهي كاذبة وغير صحيحة، بخلاف النصوص الصحيحة الصريحة في المنع عن شتم علي بن أبي طالب عليه السلام فضلاً عن لعنه، بينما هم شتموه سنين طويلة ولا زالوا يشتمونه غمزًا ولمزًا، ولم يحكموا بكفر من شتم عليًّا أو فسقه، وهو سيد المؤمنين وقائد المتقين الذي من سبه فقد سب الله، فهذا النسر في تعقيبه هذا قد شتم عليًّا وعابه دون حياء ثم أخذ يتنازل ويقول إنما هو شتم وتقليل شأن على فرض صدور ذلك من علي. وهذا التبرير لا يتطابق مع نصه

الواضح جدًا من جهة، ومع ذلك فهو مما لا ينبغي أن يصدر من مسلم لأن الحق مع علي بالنص، فكيف يقول لو أن عليًّا فعل ذلك لكان كذا، ثم إن نصوصًا عديدة تدل على شتم النبي للشيخين، وعلى رضاه أو سكوته على أقل تقدير لشتم الشيخين وخصوصا أبا بكر، فهل النبي كافر بناء على معيارهم الذي يحاكمون به الشيعة؟ والنسر يعلم أن النص الصحيح الصريح عن النبي يأذن بشتم أبي بكر ولا يقيم على الشاتم أي حكم شرعي. والنسر يعلم بحديث من شتم أبا بكر وتبسم النبي حين الشتم، فرد أبو بكر على الشاتم فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والاستدلال ليس في رضا النبي بشتم أبي بكر – وإن كان ظاهرًا من الحديث – وإنما في عدم الحكم بشيء على الشاتم، بخلاف أقواله المتكررة في لعن وكفر من يشتم عليًّا. وهذا يثبت أن هذا المعيار الذي اختلقوه في أذهان العوام والجهلة ليس له أصل أصلاً.

وأما معيارية عدالة الصحابة وعدم التعرض لهم، فقد قلنا بأن المعلوم عن الشيعة امتناعهم عن الإعتداء على الصحابة، ولكنهم يبينون الأقوال في الصحابة على حقيقتها، ولا يقبلون بنظرية عدالة الصحابة المخالفة للقرآن الكريم، وإنما يقولون بنظرية عدالة الصحابة حسب طرح القرآن الكريم، وهي عدالة أهل الإيمان منهم، فلا يوجد عدالة الصحابة بما يطابق تعريف أهل السنة وهي عدالة التقوى والدين عندهم، ولا حسب نظر النسر وهو القول بصحة تحمل الحديث (كما سرقها من أحد المحاورين)، فهذه كلها أكاذيب ليس لها دليل ولا عليها برهان ولا يقول بها الشيعة؛ لأنهم عقلاء وأشراف وهذه أقوال وعاظ السلاطين، فإن الصحابة فيهم

الكذابون الذين نزل بكذبهم القرآن كأهل الإفك وحديث الفاسق، وفيهم من كذبه الرسول وفيهم من كذبه الصحابة وفيهم من كذبه الواقع والتاريخ. ثم إن تمحيص الصحابة ضروري من وجهة النظر الدينية الشيعية لأن الصحابة بشكل عام هم الطريق إلى بيان أحكام الله، شأنهم شأن أي راو، فإنهم رواة كما أن من بعدهم رواة، فلا بد من التمحيص في الطريق إليه صلى الله عليه وآله وسلم، واتباع متيقن إبراء الذمة، وقد وجد الشيعة أنه طريق العترة، ومن شهدت لهم العترة بالأمانة وصدق الحديث واعتماد النقل عن الرسول أو من وافق قوله قول العترة. فهذا كل ما يعنينا من قضية الصحابة، فلإن من لم يثبت لنا أنه طريق حجة إلى الله لم نعتن به، بينما رأى غير الشيعة أن فساق الصحابة هم الطريق الأمثل رغم ثبوت اتصافهم بالعصيان والمخالفة وهم يرتكبون ما يرتكبون، وهذا منطق سياسي وليس منطقًا دينيًا.

وأما بقية الاشكالات مما يتشدقون به مثل القبور والاستغاثة والتوسل وما شابه ذلك فهو بعينه موجود عند الأشاعرة الذين هم أغلبية السنة فلا يمكنهم أن يفوزوا بهذا المطلب الكاذب والمزور.

كل هذا يعلمه النسر و قد يعلم أن الهجوم على الشيعة في الأخير يكون لصالح الشيعة لانكشاف الكذب أخيرًا خصوصًا مع بلاء العولمة ووصول المعلومات بيسر وسهولة إلى كل من يريد الحقيقة، ولم يعر عقله للجهلاء والمدعين بلا دليل، فإن العصر التالي هو

عصر وصول المعلومات إلى الجميع، وهذا سيكشف جميع الدجل وسيفتح الملفات إلى جميع العقلاء.

فأراد النسر أن يجرب طريقة قديمة في تضليل من ستُفتح أمامه الملفات، وهي الإعتراف بالواقع ولكن مع تحريف النصوص واللعب بالمصطلحات، وهو يعتقد أن مشكلة المشاكل والقلق الحقيقي هو حديث الثقلين، لأنه بالمعايير السلفية حديث صحيح عند الجميع، كما أنه هو صريح جدًا في وجوب اتباع أهل البيت عليهم السلام، وهذا بالتالي يوجب ترك مخالفتهم قطعًا مع فسح المجال للاقتداء بمن وافقهم لأن الترك اللازم هو ترك المخالفة لأهل البيت وللكتاب الكريم، وهذا هو الخطر الحقيقي المستقبلي الذي يريد أن يتدرب النسر على التخلص منه ومن مخاطره، ولكنه فشل كما يرى القارئ الكريم.

الطريقة الجديدة التي لجأ إليها النسر وضحت أخيرًا للجميع، وهي أنه يدعي التسليم بكل الحقائق ولكنه يحاول أن يضيّع الحقيقة بالتشكيك في معاني المصطلحات، وكلمات الحديث، فهو ادعى الإيمان بالإمامة ووجوب متابعة العترة، ولكنه لا يعرف معنى الإمامة ولا معنى المتابعة، ويرى أن متابعة مخالفهم مباحة!، ويقرُّ مُسلِّمًا بأن اتِّباع العترة عاصم من الضلال، ولكن المسكين لا يعرف معنى الضلال؟ فحصره في الشرك، وأما غيره فغير معلوم دخوله في الحديث، وكأن نصاعة عصمتهم من الشرك غير كافية لدفع شبهة الشرك عنهم.

الرسول يقول إن توليهم منج من الضلال الذي يفسره النسر بالشرك بينما هو الخروج عن جادة الإسلام بعامة فقط، بينما حديث الثقلين قرن العترة بالقرآن الكريم، فهل التمسك بالقرآن الكريم فقط فائدته النجاة من الشرك أو من الخروج عن جادة الإسلام بعامة؟!

فهل نعجب بعد ذلك من أفعال من يعبدون صنمًا أمردًا مدعين أنه الله والله لا يعرفه قط؟ {أم تنبئونه بما لايعلم} .

وحين رأى الفشل حليفه في هذه التجربة بدأ يخلط الأكاذيب كما ترون.

هناك الكثير من الملاحظات التي لا تفوت النبيه، لا ينبغي تكرار ذكرها مثل تغافل زميلنا النسر عن كل ما قدمناه، والتلهى بأمور جزئية بسيطة وبقراءة يعلم بها اأنها غير مسلمة إطلاقًا عند السنة والشيعة.

إن أسلوب تكرار الكلام واغفال المناقشة العلمية، وإدعاء عدم وجود رد علمي أمامه، يعني ممارسة المغالطة الخارجية، وهذا يعني أن مشكلته قد تعقدت وفقد السيطرة على المغالطة الداخلية.

اقرأ ما قاله ابن تيمية عن الإمامة بعنوان الولاية والامارة وهي نفسها التي يقول بها الشيعة!

قال في كتابه السياسة الشرعية: (يجب أن يعرف أن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها ، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم "، رواه أبو داود، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة)

وقال كذلك: (وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة ولهذا روي: "إن السلطان ظل الله في الأرض" ويقال: "ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان". والتجربة تبين ذلك؛ ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: " لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان" وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى لكم ثلاثة: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاة الله أمركم "، رواه مسلم) .

المنار يقول: إن قولنا هو أن كل هذه الواجبات تتوقف على الولاية والإمامة، فما الفرق بين القولين يا نسر*؟، الفلين لا يغرق أليس كذلك؟

وقال شيخهم المجسم ابن تيمية مفتيًا ومستخلصًا لبحثه: (فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها، بطاعته وطاعة رسوله من أفضل

---

* النسر اسم لمحاور وهابي، سبق ذكره.

القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها). السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية / الفصل الثامن وجوب اتخاذ الإمارة / ابن تيمية .

إذن ما الفرق يا سيد نسر؟!...

فهذا إمامك المجسم الأكبر والقاتل الأمثل، والمدمر للمسلمين والمحكوم بالكفر المبين من قبل علماء السنة، يقول بمقولة الشيعة حذو القذة بالقذة .

فقد انكشف جهلك الفظيع وسبك لمرض الإمامة (العاهة مستديمة، ومتلازمة مرض وخيم، تقوم بتدمير الجهاز الإيماني والقضاء عليه بشكل مريع مخلفة وراءه قيحًا لا ينضب من السفاهة والكذب والتدليس المستشفّ من الأقوال والأفعال)

فهل تعرف من تشتم يا سيد نسر؟

يبقى موضوع معنى الوجوب عند الشيعة فهو مختلف عمّا يفهمه متكلمو السنة فإنه عندهم الإلزام الخارجي، بينما عند الشيعة هو الإلتزام بالكمال، بمعنى أنه لا يصدر من الكامل ما يجعله ناقصًا، وهذا هو الوجوب على الله، المعبر عنه في كتب الكلام الشيعية، وهو معنى لا يستطيع إدراكه علماء أهل السنة، للفرق في أصول منهج التفكير بين المنهج العقلي والمنهج النقلي.

وأما من هو الإمام؟ وما صفاته؟ وما هو علمه؟ وما هو الدليل عليه؟

فهذا بحث آخر.

خلاصة الكلام: اسمنا الشيعة الإمامية الإثنا عشرية.

لأننا نشايع النبي وأهل بيته المعصومين ونتابعهم فيما أمروا به، فنحن شيعة.

ونحن نؤمن بوجوب الإمامة عقلاً قبل الشرع، فنحن إمامية.

وإن مصداق الإمامة الأتم والأصل في الحجة هم المعصومون الإثنا عشر من آل البيت عليهم السلام الذين أوصى الله بهم وجعل ولاءهم أجر الرسالة، فنحن اثنا عشرية.

بمعنى أن الحجة الشرعية قائمة على اتباع النبي وأهل بيته، فالإمامة عند الشيعة دليلها عقلي.

وقد تبين من خلال النصوص التي نقلناها أن أهل السنة يستدلون بالدليل العقلي أيضًا وهم يدعون أنه دليل نقلي!، وهما دليل ملاحظة مبادرة الصحابة لتعيين الحاكم وهذا دليل استنباطي عقلي، ودليلهم الثاني دفع الضرر عن الأمة وهو دليل عقلي لا يصح إلا بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين.

فأين دليلهم النقلي المدعى؟!

ولماذا يكفّرون الإمامية ويستبعدون كلامهم ويستسخفونهم إذن؟!

ثم ما علاقة الإمامة بما قاله النسر من كون الإمامة بديلاً امتداديًا؟!

ومن قال بذلك أو تبرع به؟!

والشيعة يقولون إن استمرار البيان أمر ضروري لحين الإمتلاء، ولم يثبت أنه في زمن النبي حصل اكتفاء بالبيان، وإلا فلماذا قالوا: إن النصوص لا تفي بواحد من الألف من حاجة الفقيه، ولهذا احتاج فقهاؤهم إلى القياس والأدلة المخترعة الأخرى حتى قال ابن القيم في إعلام الموقعين: ٣٣٣/١: (فالحاجة إلى القياس فوق الحاجة إلى النصوص) فانظر بعين العقل لقول هذا المجسم العتيد تلميذ ابن تيمية.

فلا يمكنه تبرير شتم الشيعة على قولهم بالإمامة، والعصمة.

وقد يدعي أنه قصد علم الولي المعصوم ومعرفته بالشريعة سواء بالوراثة العلمية أو بالإلهام، فلعله يعتقد بأن علم الإمام عليه السلام يلغي النبوة وقوله ينسخ الرسالة! وهذا من قلة فهمه وعدم معرفته لخصائص النبوة ومعناها، وخصائص الإمامة ومبناها.

فإذن عليه أن يجيب السني عن علم (المحدَّث) من قبل السماء وتطبيقاتها مثل (يا سارية، الجبل)، وعلم الأولياء على كثرتهم التي لا تحصى واستقائهم من عالم الغيب، وهم منتشرون بين ظهراني المجتمع السني كالنمل، بل عليه أن يجيب الوهابية عن علم ابن تيمية بالغيب وثبوت ذلك بالقطع واليقين عند ابن القيم وأشباهه.

ثم إذا كنت يا نسر تؤمن بأن ابن تيمية شيخ الإسلام العدل، وهو يؤمن بقدرة الساحر على كل شيء حتى العلم بالمغيبات، بإخبار إبليس عن غيب السماء، فكيف ستعالج هذه القضية العلمية.

أرنا الفلين كيف يطفو أمام الجميع؟ وأما إذا كنت تقصد مجرد تفريغ الحقد والكراهية للنبي وأهل بيته عليهم السلام، فهذا شأنك.

وقد يعترض زميلنا النسر على توصيفنا لفعله وكلامه ضد أهل البيت فيقول: (هل يُعقل أني أكره النبي وأهل بيته؟).

فنجيبه: قد يكون ذلك وأنت لا تشعر، بل تظن أنك بهذا محب غاية الحب، ويقول جلّ من قائل:

{قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا}

هذا لأننا نحملك على الجهل المركب، وإلا فمن يعلم يقينًا بحقيقة وضعه، ثم يأتي ويمارس مثل هذه الهواية فهو دجال إذا لم يكن جاهل مركب، وعليه ننصح مثل هكذا هاوٍ للاعتداء والكذب أن يمارس هوايته في سوق العاطلين والعيارين لا في مجالس أهل الإيمان، فإنهم يفضحونه بإيمانهم وما وهبهم الله من عقول تعي فعلَ من يضارع أصحاب البقرة وأصحاب السبت.

وبمناسبة اشارتنا إلى تعريف الشيعة فنقول استطرادًا أنه يبدو أنه في القرن الأول احتاج بعض أفاضل الشيعة إلى تعريف الناس بالشيعة، كما نحتاج نحن في هذا الزمن

فالجهل هو الجهل والكذب والحقد نفسه نفسه، فهذا أبّان بن تغلب قد عرّف الشيعي أمام من تكلم بكلام بذيء فتفضل:

تهذيب المقال – السيد محمد على الأبطحى – (ج ١ / ص ٢١٥):

أخبرنا أحمد بن عبد الواحد، قال: حدثنا علي بن محمد القرشي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وفيها مات، قال: حدثنا على بن الحسن بن فضال عن محمد بن عبد الله بن زرارة، عن محمد بن أبي عمير، عن عبد الرحمان بن الحجاج، قال: كنا في مجلس أبان بن تغلب، فجاءه شاب، فقال: يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

قال: فقال له أبّان: كأنك تريد أن تعرف فضل علي (عليه السلام) بمن تبعه من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

قال: فقال الرجل: هو ذاك.

فقال: والله ما عرفنا فضلهم إلا باتباعهم إياه.

قال: فقال أبو البلاد: عض ببظر أمه رجل من الشيعة في أقصى الأرض وأدناها، يموت أبان لا يدخل مصيبته عليه.

قال: فقال أبان له: يا أبا البلاد تدري من الشيعة؟ الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذوا بقول علي عليه السلام، وإذا اختلف الناس عن علي عليه السلام أخذوا بقول جعفر بن محمد عليه السلام.

انتهت الرواية.

وقد عابوا أبّان بن تغلب من الرواية عن جعفر بن محمد عليه السلام فأجابهم أنه أعلم أهل زمانه بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

تهذيب المقال – السيد محمد على الأبطحى – (ج ١ / ص ٢١٨):

يونس بن يعقوب، عن عبد الله بن خفقة، قال: قال لي أبان بن تغلب: مررت بقوم يعيبون على روايتي عن جعفر (عليه السلام). قال: فقلت: كيف تلومونى في روايتي عن رجل ما سألته عن شئ إلا قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

لقد أوردت هذه الرواية ليتذكر النسر أن فهمه الخاطئ كان من زمن قديم وأنهم كانوا لا يعرفون حقيقة اتصال أهل البيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يدل على أنهم أبعد الناس عن رسول الله واهل بيته عليهم السلام.

قال زميلنا النسر: (والمتصيد بعد الفحص والتدقيق الأولي أن أكثر المسائل التي أنكرها على أهل السنة تؤول روحا إلى المنهج المتبع لدى الفريقين في قبول ورد الأخبار والمرويات بل ووسائل وكيفيات قبول التراث الإنساني)

أقول: هذا الكلام لا يستحق الوقوف طويلاً، فقد تبيّن أنك (ونأسف لهذا) لا تفهم أبسط البدهيات، وجعلت تفصل بناءً على الوهم.

الحقيقة أن معايير الفريقين ومقاييسهم في قبول الروايات مختلفة جدًا، ولا يمكن أن ينسحب الرد لمعايير السلاطين الإنتقائية الكاذبة على معايير أهل الصدق والحقيقة، وكلام النسر كلام من لا يفهم المعايير السنية أو أنه يتغافل عنها مثل (هو الثقة شرب أو لم يشرب) وكون رواتهم الحقيقيين هم الأقرب للسلطة والأكثر عداءً لأهل البيت، وأما البقية فمجرد تطعيم ويؤخذ بقولهم فيما لا يعارض منظومتهم الإعتقادية وحالتهم النفسية من الكراهية والحقد على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .. إن المعيار الحقيقي للحديث عند من يقلدهم زميلنا الشيخ النسر هو الإتجاه الأموي كيفما كان! وهو كره أهل البيت ونبذهم، وليس هناك معيار عند المحدثين الأوائل، فقد حاروا في شروط الشيخين وبدؤوا يخترعون شروطًا من جيوبهم بعد مئات السنين من الصحيحين، ولكن للأسف لم تنطبق على كامل الكتاب، وحين طبق الألباني شروطه على الصحيحين فكان أكثر من ١٨٪ منهما لا توصف بالصحة، وأصبح الصحيح يعني أنه يحتوي على الصحيح وغير الصحيح، فأين الشروط؟ وحسنًا فعل الحاكم النيسابوري حين استدرك عليهما بشروطهما، (وأعتقد أنه قصد بشروطهما وثاقة الراوي في بعض وجوه التوثيق أو الإتيان بما أتوا به من سلاسل روائية أو قبول صفات في الرواي مطابقة لمن رووا ففضح الفكر الإنتقائي، وتبيّن أن ما تُرك كثير، وفيه كلام خطير يهز أساس السلفية، فقيل عن الحاكم إنه: شيعي وقيل عنه ضعيف عقل وقيل

عنه متساهل، ولكن لم يقولوا إنه لا يوجد عند الشيخين شرط معلوم، وقد استنبط الحاكم شروطهما من فعلهما ومن قبولهما لأمثال عمران بن حطان (الذي أنشأ قصيدة في مدح ضربة ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين علي) فصاعدًا من جميع طبقات الصادقين والكاذبين بشرطين هما أساس أولهما الموافقة في الاتجاه، وثانيهما أن الحديث يخدم بدعتهم، فهنا تساهل الحاكم في ذكر ما يؤيد أو ينفي البدعة واعتمد على شرط وثاقة الرجال الذين رووا في الصحيحين، فعندهم حتى لو كان الراوي أكذب الكاذبين والحديث يخدم بدعتهم فهو حديث صحيح ممهور بألف مهر من مشايخ الدجل والتبرير للمجرمين جرائمهم.

فقد روى حفاظ السلف روايات الرؤية، وهي بالعشرات، ولكن لم يثبت منها أية رواية على شرطهما المذكور في كتب الدراية مثل الوثاقة والاستقامة والعدالة، وكذا روايات التجسيم ورويات القدر وروايات التفضيل. . . إلخ وكلها روايات ليست على شرطهما، وقد جعلوها في مرتبة أعلى من الصحاح واعتمدوها دينًا ويقينًا وعقيدة، كفّروا وبدّعوا من لم يعتمدها، فأين شرطهما الذي يدعون؟!، وأين ما يدعون من دقة في الاختيار وعلم متين، وما شابه ذلك من أكاذيب؟!

أما المنهج الشيعي فهو منهج حذر على الدين، ينطلق من (التكليف) وخطورته، فهم يريدون (صحة الصدور)، لا شروط قانونية لرجال السند فما وافقها فهو صحيح كما

يفعل الآخرون، وهذا وحده يحتاج إلى كتاب لشرحه خصوصًا للعقول التائهة التي لا تفهم إلا ما يقول لها السلطان.

خصائص الدين تثبت بالرواية الحجة، والحجة في ثبوت الصدور وهو يحتاج إلى شروط أهمها إما صدق الناقل وإما عمل الصادقين عليها، وإما هما معًا حسب أهمية الموضوع وعلاقته بالتكليف، وهناك معايير وقرائن كثيرة تعتمد.

وفي عصر الأئمة كان الأئمة المعصومون يقودون عملية تنقية وتعريف الرجال والحديث نفسه، ولهذا فالرواية عندنا ليس فيها مشكلة في زمن الأئمة وقد انصب جهد أصحاب الأئمة في مطابقة عملهم أم لا، كما أن المعايير الأكثر نقاشًا هي في الفترة التي تلت الغيبة لإنقطاع الإمام من الإشراف على الحديث والمحدثين، فالحديث عند الشيعة مركزي وهم يعرفون أن في رواياتهم ما لا يؤخذ به لكونه صدر مصدرًا ليس للعمل، بخلاف روايات أخرى صدرت للعمل، فالحجة عنهم مسيطر عليها من قبل الإمام نفسه بطريقة جمع فيها الأئمة عليهم السلام بين أمرين مهمين، هما تسديد شيعتهم وتقويمهم وما في أيديهم من روايات، وبين سلامة الشيعة ومعتقدهم، ابتعادًا عن تداخل الظالمين وبدعهم وجرائمهم في الدين والدنيا.

فأين هذا المنهج من ذاك؟

ومن يصدق النسر حين يريد أن يقنع المغفلين بأن نقد معايير الدجل هو نقد للتشيع وللإسلام بل للعلوم الإنسانية، وهو يعلم أن المعايير – التي لا يبقى معها علم ولا

دين- هي معايير السلاطين والمعايير الغامضة المغلفة بآلاف البحوث الكاذبة غير القابلة للتطبيق العملي، وإنما وردت لتكون مصدر تَفَلُّتٍ من الإلزام، حين يكون صاحبها فلّينًا لا يغوص في لجة المعرفة، وإنما يطفو على سطحها دائمًا متفلتًا من أي إلزام بهذه المعايير الكاذبة والخادعة التي يخترعها أصلاً للتخلص، ولكنه لا يريد أن يلتزم بها نفسها، وسيأتي بعض تكملة الحديث.

(وهنا لي ملاحظة: لقد انتقد النسر تكرار بعض المعاني في تعقيباتي مثل هذا المعنى، فما ذنبنا إذا كان المقابل لا يفهم حتى مع التكرار ؟!)

قال النسر: (فإن لم يوجد أصل الكتاب بخط مؤلفه، ممهورًا على طرته توقيعه، مع عرض الرق على علماء الآركيولوجيا لتبيين زمنه الجيولوجي، فلا قيمة له عند المنار كما في مشاركاته حول توثيق نسبة صحيح الإمام البخاري إلى مؤلفه)

العبد الضعيف يقول: دعواي واضحة حول كتاب صحيح البخاري، فإن كتابًا حضره تسعون ألفَ صاحبِ محبرةٍ وورقٍ وعلم، وكتبوا عنه الكتاب في عشرات السنين كما يدعى، فلماذا لم يروه إلا واحد في الحقيقة؟!، ولم يظهر إلا بعد حوالي ستين سنة من وفاته!، وكان كتابًا غير مكتمل، وقد تم التصرف به وفيه بالتغيير، باعتراف من نقل الكتاب عمن وجد عنده، كما أن الذي وجد عنده شخصية غير معروفة في علم الرجال وكل توثيقاته مبنية على أنه من روى كتاب الصحيح!، وهذا دور واضح لا يمكن قبوله علميًا.

فأين هذه الدعوى مما يقوله النسر؟!، وما أكثر الدور المقبول في معايير الحديث السني وكأنه عصير فاكهة!

وقد يندمج الدور بالتناقض والإنعكاس في مواقع كثيرة من بحوثهم!، فمن العجائب عندهم أن يضعف الحديثُ الراويَ، إذا كان لا يعجبهم، على العكس من شرطهم وفرضهم بتضعيف الحديث لضعف الراوي، وأمامي مثال عشوائي فابن لهيعة ليس فيه نكارة أو كذب ولكنه حين روى إعراض النبي عن الشيخين وإقباله على علي وقول علي علمني رسول الله ألف باب يفتح لي كل باب ألف باب، قالوا عنه ضعيف يتشيع! فانظر في ترجمته في البداية والنهاية وغيرها .

وما أكثر مثل ذلك مثل روايات الأصبغ بن نباتة وسليم بن قيس والحارث الهمداني... إلخ.

فمرة الحديث يضعُف بسبب الراوي، ومرة الراوي يضعّف بسبب الحديث!، حسب المزاج والهوى غير مكترثين بتوقف الشيء على نفسه أو نقض الغرض أو الانقلاب على المعايير وعكس المحمول أو الموضوع أو تبادل موقعهما.

ونشكر زميلنا النسر على مصطلح (الزمن الجيولوجي) الذي يشبه (كرشه الدماغي)!

كتب الشيعة

قال النسر[*]: (وكذلك الإشكال على منهج أهل السنة وطريقة انتقاءِهم للرواة وقبول المرويات رغم أنه يرد على الشيعة بطريق ألزم لأن التوثيقات في كتب الشيعة متأخرة زمانًا ورتبة عن أهل السنة فكل ما يمكن أن يقال في مصنفاتهم سيرد على مصنفات الإمامية لزومًا، وهذا اللازم يدركه من كان له بصيرة وأدنى حظ من النظر في كيفية وصول التراث الإسلامي بشقيه)

يقول العبد الضعيف: يستدل النسر بأن كل نقد ينال المنهج السني فهو ينال المنهج الشيعي بطريق أولى، وهذا عكس ما نعرفه بأن نقدهم للمنهج الشيعي الذي يعرفونه ونقدهم للمرويات إنما هي نقد للمنهج السني ومروياتهم فاشترى منّا وباع علينا كلامنا السابق معه قبل سنين، ونوضح له أن القضية لا تنعكس لاختلاف المنهجين أولاً، ولأن دليله بأن تأخر التوثيقات تلزم أن يكون المنهج تبعًا لذاك المنهج فيسقط بسقوطه، وهذا كله هراء.

فلا التوثيقات الشيعية متأخرة بل هي متقدمة فقد كان علي عليه السلام وأصحابه يحرمون الرواية من أبي هريرة وممن كذب على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله والعاقل تكفيه الإشارة، فهذه التوثيقات كانت قبل أن يوجد عند أهل السنة توثيقات بمئة عام.

---

[*] محاور وهابي، مرّ ذكره.

وقاعدة التحديث وضعها أمير المؤمنين للشيعة قبل أن يخلق الله الحجاج لعنه الله وأخزاه، فهو الذي أمر بوضع هذه القواعد المفخرة لهم بواسطة رجل مفخرة لكل مجرم عتيد.

ولا هو نفس المنهج كما قدمنا، ولا يحتاج أن نعيد، فتبين أن هذا الكلام دعاية كذب وتزوير.

أما ضوابط الجرح والتعديل عند الشيعة فهي قديمة قدم الرسالة وتلميذها النجيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو أول من علّمنا كشف الكذابين وتصنيف الرواة وطريقة التعامل مع الرجال.

وسأنقل من كتاب سليم بن قيس الهلالي رغم أنف زميلنا النسر فإنني أعرف نظره، فكتاب سليم رغم وثاقته التي تغيظ المجرمين، فإنه يشكل معضلة لهؤلاء المدعين السبق، فإن هذا الكتاب كُتِبَ قبل ولادة مالك بن أنس بخمسين سنة أي قبل أن يخلق صاحب أول تأليف عند أهل السنة، فسواء قالوا: إنه كتاب صحيح أو كتاب غير صحيح، فهو من كتبنا وهو أقدم مما كتب غيرنا رغم أنوف الوهابية، وفيه تقسيم الرجال، فلننظر إلى بعض المعايير الرجالية في كتاب شيعي قديم:

كتاب سليم بن قيس الهلالي / الذريعة لآغا بزرگ (ج ١١ / ص ١٥):

نقل سليم عن أمير المؤمنين قوله: (وإنما يأتيك بالحديث أربعة نفر ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدًا، فلو علم المسلمون أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا: (هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، رآه وسمع منه وهو لا يكذب ولا يستحل الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله). وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بما وصفهم فقال الله عز وجل: {وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم}.

ثم بقوا بعده وتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والنفاق والبهتان، فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم من الدنيا، وإنما الناس مع الملوك في الدنيا إلا من عصم الله، فهذا أول الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا فلم يحفظه على وجهه ووهم فيه ولم يتعمد كذبًا وهو في يده يرويه ويعمل به ويقول: (أنا سمعته من رسول الله)، فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوا، ولو علم هو أنه وهم فيه لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شئ ثم أمر به وهو لا يعلم، حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ. فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون أنه منسوخ إذ سمعوه لرفضوه.

ورجل رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله بغضا للكذب وتخوفا من الله وتعظيمًا لرسوله صلى اللہ علیه وآله ولم يوهم، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمعه

ولم يزد فيه ولم ينقص، وحفظ الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ.

وإن أمر رسول اللہ صلى اللہ علیه وآله ونهيه مثل القرآن، ناسخ ومنسوخ، وعام وخاص، ومحكم ومتشابه.

وقد كان يكون من رسول اللہ صلى اللہ علیه وآله الكلام له وجهان: كلام خاص وكلام عام، مثل القرآن، يسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ومن عنى به رسول الله صلى اللہ علیه وآله.

وليس كل أصحاب رسول اللہ صلى اللہ علیه وآله كان يسأله فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم حتى أن كانوا ليحبون أن يجيئ الطارئ والأعرابي فيسأل رسول اللہ صلى اللہ علیه وآله حتى يسمعوا منه.

وكنت أدخل على رسول اللہ صلى اللہ علیه وآله كل يوم دخلة وفي كل ليلة دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول اللہ صلى اللہ علیه وآله أنه لم يكن يصنع ذلك بأحد من الناس غيري. وربما كان ذلك في منزلي يأتيني رسول

الله صلى الله عليه وآله، فإذا دخلت عليه في بعض منازله خلا بي وأقام نساءه فلم يبق غيري وغيره. وإذا أتاني للخلوة في بيتي لم تقم من عندنا فاطمة ولا أحد من ابني.

وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكت أو نفدت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي، فكتبتها بخطي، ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني.

فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها وعلمني تأويلها، فحفظته وأملاه علي فكتبته. وما ترك شيئا علمه الله من حلال وحرام أو أمر ونهي أو طاعة ومعصية كان أو يكون إلى يوم القيامة إلا وقد علمنيه وحفظته ولم أنس منه حرفًا واحدًا. ثم وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علمًا وفهمًا وفقهًا وحكمًا ونورًا، وأن يعلمني فلا أجهل، وأن يحفظني فلا أنسى.

فقلت له ذات يوم: يا نبي الله، إنك منذ يوم دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا مما علمتني، فلم تمليه علي وتأمرني بكتابته؟ أتتخوف علي النسيان؟

فقال: يا أخي، لست أتخوف عليك النسيان ولا الجهل، وقد أخبرني الله أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك).

وخذ هذا النص من كتاب سليم، فأيهما أقدم في تمييز صفة الرجال ما عند الشيعة أم ما عند المتأخرين عنهم زمنًا وفكرًا ومعيارًا؟

(سليم بن قيس قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: احذروا على دينكم ثلاثة رجال:

رجل قرأ القرآن حتى إذا رأيت عليه بهجته اخترط سيفه على جاره ورماه بالشرك. قلت: يا أمير المؤمنين، أيهما أولى بالشرك؟ قال: الرامي.

ورجل استخفته الأحاديث، كلما حدث أحدوثة كذب مدها بأطول منها.

ورجل آتاه الله عز وجل سلطانا فزعم أن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، وكذب لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. لا ينبغي للمخلوق أن يكون حبه لمعصية الله، فلا طاعة في معصيته ولا طاعة لمن عصى الله، إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر. إنما أمر الله عز وجل بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر لا يأمر بمعصيته وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصيته.)

كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٤٠٨.

وهنا أقول للنسر: يا نسر دعك من استسخافك لكتبنا ولكتاب سليم بالذات لأنه يفضح دين معاوية وأتباعه، ولكن قل لي هل هذا الكتاب قديم أم متأخر عن كتبكم المزعومة؟

إنه كتاب قبل كتبكم بكثير قطعًا، فمن هو المتقدم في معايير الرجال يا رجل؟!

قال النسر: (ومن تتبع آلية وصول التراث الإسلامي إلى العصور المتأخرة جزم بأن كتب أهل السنة فيها مزية عن كتب الشيعة الإمامية من شقين:

الأول: أن كتب أهل السنة خرجت من رحم شرعي بعقد صحيح وولدت تحت أشعة الشمس وضوء النهار تنخل كما ينخل الحب في يوم عاصف عرفها الموافق والمخالف واشتهرت على الألسن وعمل بها جل الأمة، ينادى بها من على رؤوس المنابر، وتدرّس في جوامع البلدان، وحواضرها وبواديها، وكتاتيبها، واعتنقتها جل الأمة المحمدية، وعلى العكس من ذلك ولدت كتب الشيعة من سفاح بغير عقد شرعي وألقيت على قارعة الطريق، فتلقفتها طائفة من الأمة

تخزنها خزن الذهب والفضة بإجماع الطائفتين)

أقول: مزايا كتب أهل السنة كثيرة جدًا ففيها من المعايير التي ما أنزل الله بها من سلطان كثير، وللأسف فإن بعض علماء الشيعة استخدموا نفس مصطلحات علماء السنة لتوحيد المصطلح، ولكنهم لا يقصدون نفس المعنى، فـ (الصحيح) عند السنة ما وافق شرطهم، و (الصحيح) عند الشيعة ما كان حجة شرعية في نسبة الحكم للمعصوم. فأين هذا من ذاك؟

وأما الرحم الشرعي فبهْ بهْ، فإن من أمر بإبعاد رواة فضائل أبي تراب هو معاوية ومن أمر بتمييز أشخاص أتباع علي هو الحجاج ومن أمر بتأليف كتاب الموطأ (أول كتاب

عند السنة) هو أبو جعفر المنصور الذي قتل مليوني مسلم في حياته كما يروى، فما أعظم هذا الرحم!

وقد كانت سجون الحجاج وبقية المجرمين ليس فيها سقف يحمي السجناء لأنه يؤمن بالرحمة الإنسانية فأراد أن تحرقهم الشمس بسرعة لتقليل فترة الألم من خمسين سنة إلى عشر سنوات، فقد ولدت كتب السنة عند من لا يؤمن بالسقف وهو يرى أن الدنيا تحت أشعة الشمس أفضل. هذا معنى أنها ولدت تحت الشمس وإلا فإن كتّابها المتآمرين على الدين لصالح الحكام الشياطين فهم في أقبية الجرائم وأحضان الراقصات بقيادة زرياب وعُليّة وشيخ المغنين إبراهيم.

وأما نخل الروايات والكتب، فبَهْ بَهْ، فقد نخلوا الكتب حتى لم يبق إلا الكذب والدجل والتحريف، فلهذا تكوّنت مبادئ عجيبة لم يسمع بها رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه ولم تعرفها الملائكة الكرام، مثل مبدأ الرؤية والصفات التشبيهية والتجسيم والقول بالجبر [تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا]، وطاعة الجائر وإدخال مسح الخفين في العقيدة الإلهية وتنوير الفكر البشري بإدعاء تجويز الذنوب والكذب على الأنبياء واختراع الصلاة خلف من غلب، واختراع الفضائل المكذوبة واختراع نظرية أن من ثبت له فضائل ممن يحبون فهو أفضل ممن ثبّت النبي ولايته وأولى منه بالولاية، وتجويز الكذب على رسول الله وتكذيب الصحيح الثابت المتواتر بحجة أنه يخالف بدعتهم...إلخ. فكل هذا من المنخل الجميل.

حضرتني طريفة صارت أمامي، قال البنّاء لعامله: وصلنا إلى استعمال الجص الناعم فانخل لنا الجص، وحين أتاه بالجص قال له ياغبي هذا جص خشن، فأجابه العامل بأنه نخله نخلاً جيدًا، فالتفت إلى المنخل فوجدته متهرئ الأسلاك ممزقًا، فقلت له: ليس العيب فيه وإنما العيب في المنخل.

فإذا كانت العقائد الكفرية والإساءات للرسول والأنبياء ورفع بعض الصحابة فوق منزلة الله هي نتائج هذا المنخل، فالعيب في المنخل قطعًا فهو مثقوب ومتهرئ الأسلاك ليس فيه فتحة تشبه الأخرى، وتحياتنا لهذا العمل المنخول .

وأما تلقي الأمة فمن المعلوم أن السلاطين يأمرون شعوبهم وجندهم بالتزام تعليم معين فيكون هو علم عامة الناس وغوغائهم، وأما الحديث والكتاب الشيعي فيقول عنه نشأ من رحم سفاح وبعقد غير شرعي!

فإن كتاب علي بن أبي طالب بإملاء رسول الله وكتاب ابن أبي رافع بإملاء علي وكتاب سليم بن قيس وكتب الحارث الهمداني التي كتبها عن أمير المؤمنين عليه السلام، كلها ولدت من رحم محمد وآل محمد، فهل مثل هذا الرحم يدنو له سفاح؟!

و بعقد غير شرعي؟!، هل كل هذا لأن إمامتهم تخالف إمامة قادة بدر وأحد من المشركين والسفاحين.

وهل هذه الكتب متأخرة زمنًا عن كتاب الموطأ الذي كتب بعد سنة ١٤٢ هـ بينما هذه كتب بعضها كتب في سنة ٨ للهجرة وبعضها في سنة ١٦ للهجرة وبعضها في سنة ٣٧ و ٣٩ للهجرة. فهذا تأخر بمعنى أبعد زمنًا، هكذا يرى من يقف على رأسه.

وأما أن يتلقفها الشيعة بالكنز . فهذا حق وصدق فإننا كنزنا علوم أهل البيت من شوائب الدجل والتدخلات الغريبة، وما فتئنا نسهر على صيانتها وإبقائها رغم قتلنا وحرق بيوتنا ومصادرة أموالنا، ومع ذلك ملأنا الخافقين بالكتب عنهم سلام الله عليهم ولم نمكن القتلة والظالمين من أمانيِّهم في إبادة جميع تراثنا، كما كانوا يرغبون، ولهذا فقد ضاع فألك يا نسر حين رأيت أن تمكنكم من حرق كتبنا يعني أن ديننا الإسلام ممثلاً في النبي وآله صلى الله عليهم باطل، وما ذاك إلا لأن باطل معاوية وطليق عورته وأتباعهما مكرس لسحق الضمائر، وملاحقة عليٍ وذريته وشيعتهم قتلاً قتلاً، وحرقًا حرقًا ورغم محاولة الاجتثاث هذه، الفريدة نوعًا، ورغم أن القتل والحرق الكثير الغريب ظل ما بقي يفوق رواياتكم عشرة مرات ولحد هذا اليوم، وهذا بفضل الله علينا أن جعلنا نضن بهذا التراث عليكم، ونحرسه حرس الكنوز، فبقي ما شاء الله من العلم الوفير والعمل المبرور المشكور إن شاء الله وبإذن الله وبركة التبي الأكرم وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

وعلى كل حال فهذه تعبيراتك عن أهل البيت وطريقتهم ولا يمكنك أن تعتذر بأنك تقصد الرواة عنهم فأنت اعترفت أنه لا يعقل أن يجتمع هذا العدد من الناس على

الكذب، فإن تراث الشيعة فعلاً منسوب لأهل البيت عليهم السلام، لهذا شتمتهم وجعلتهم هم المقصودين بشتمك.

فنحن لا نأمل من ناصب غمس الله قلبه بكراهية رسوله وأهل بيته أن يقول غير هذا الكلام البذيء والعياذ بالله.

قال النسر: (الثاني: أن علم الجرح والتعديل بني على أيدي أهل السنة ثم سرق إلى كتب الإمامية بإضافة بعض الرتوش للتمويه)

أقول: قد بينّا أن هذا لا صحة له بل الشيعة اعتمدوا معايير ومقاييس أمير الموحدين وقائد الغر المحجلين عليه السلام ناقلاً ذلك عن رسول عن جبريل عن الباري عز وجل، وأما مقاييسكم فاختراعات شيطانية ... وإذا كنت بطلاً فقل لنا معاييركم في موضوع آخر واسمح للشيعة أن يناقشوك في كذب هذه المعايير وستجد أنه لا يوجد عندكم قاعدة مطردة أبدًا؛ لأن معاني الصحيح والحسن عندكم لا تتعلق بالحجة الشرعية البتة، وهذا أمر فوق مستوى عقلك.

وهنا أريد أن أنبه من لا يعلم فإن تلاميذ الإمام الصادق عليه السلام هم أول من كتب في علم الأصول وكذا تلاميذ الإمام الكاظمعليه السلام، فالمؤمن الذي سنبين حاله هشام بن الحكم ت ١٩٩ هـ، أول من ألف كتاب (الألفاظ ومباحثها) قبل أن يُعرف الشافعي أصلاً، ويونس بن عبد الرحمن ت ٢٠١ هـ صنف كتاب (اختلاف الحديث) في مباحث التعارض. وقد روى معنى الكتاب عن الإمام الكاظم عليه السلام (أقول:

استشهد الإمام الكاظم عليه السلام سنة ١٨٥هـ وكان محبوسًا قبل ذلك بخمسة عشر سنة أي أن كتابة الكتاب لا بد أن تكون قبل سنة ١٧٠هـ، فافهم) انظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام لسيدنا حسن الصدر نور الله ضريحه ص ٣١٠.

وقد ألّف أبّان بن عثمان المتوفى ٢٠٠ هـ في علم التاريخ والأصول وعلم الحديث كتبًا عديدة، وألف علي بن الحكم الأنباري ت٢٤٠ هـ كتاباً اسمه (رجال الشيعة) أو الرجال باختلاف في تسميته والمعنى واحد. وهو في علم الرجال مرتب ومبوب وقد نقل عنه ابن حجر في لسان الميزان كثيرًا، وعليه فيكون تأليف هذا الكتاب مقارنًا لزمن ابن معين ت ٢٣٣ هـ وابن حنبل ت ٢٤١ هـ وغيرهما ممن كتب ابتداءً عند السنة بشكل غير منظم على المثبت بدقة هو كتابة عبد الله بن أحمد عن أبيه وابن معين وغيرهم في علم الرجال وأأا كتاب ابن معين فهو رواية عنه كما يظهر، فيكون تأليف كتاب علي بن الحكم سابق عليهما في التأليف وهو ليس أول كتاب عند الشيعة في علم الرجال فهناك كتب كتبت قبله بزمن، وقد بينا ذلك وسننقل نصًّا يبين مؤلفين ماتوا قبل علي بن الحكم.

أنقل لك هذا النص عما كتب في علم الرجال خصوصًا وكتب الشيعة عمومًا:

تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره – (ج ١ / ص ١٠٤):

(فهذا هو هشام الكلبي ألّف أكثر من ٢٠٠ كتاب، وألّف ابن شاذان ١٨٠ كتابًا، ولابن دوئل مائة كتاب، ولابن أبي عمير ٩٤ كتابًا، وللحسن وللحسين الاَهوازيين ٣٠

كتابًا[١]، وسيوافيك انّه أُلّف بعد رحيل الرسول إلى عصر الغيبة الصغرى (١١-٣٦٠هـ) ما يقارب عشرة آلاف كتاب، وقد قام غير واحد من أصحابنا بترجمة رجال الحديث، وبيان منزلتهم في القوة والضعف نظير:

أ. كتاب الرجال لعبد اللّه بن جبلة الكناني (المتوفّى ٢١٩هـ).

ب. مشيخة الحسن بن محبوب (المتوفّى ٢٢٤هـ).

ج. رجال الحسن بن فضال (المتوفّى ٢٢٤هـ).

د. رجال ولده علي بن الحسن بن فضال.

هـ. رجال العقيقي (المتوفّى ٢٨٠هـ).)

---

[١] الذريعة، قسم المقدمة: ١٧.

انتهى كلامه .

ولو أردت أن أجمع لك تأليف الشيعة في ما قبل سنة ١٥٠ هجرية لكانت أعدادها بالآلاف، فالأصول فقط وهي عبارة عن أبحاث في عناوين دينية برعاية الأئمة سلام الله عليهم (السجاد والباقر والصادق عليهم السلام =) بلغت أربعة آلاف، ووصلنا منها مدمجاً مع الكتب الأخرى، وقد ضاع بعضها نتيجة الإحراق والإتلاف المتعمد من قبل

الظالمين لعنهم الله، ولكن قد ورد في تراجم مئات الرجال الشيعة أعداد كبيرة من كتبهم، فيما قبل مرحلة التدوين السني. وقد نقلت لك عينة بسيطة، فهل هذه التراجم وزمنها وتعداد الكتب فيها غير معتبر أيضًا عندك؟ أم أن تكرارها وتسالم الناس عليها لا يعقل أن تنتج عن فراغ؟ ولو فرضنا أن الأصول الأربعة آلاف مبالغ في عددها، فهل هي ٤٠٠ وهذه قبل أول كتاب عند أهل السنة؟ أم هل هي ٤٠ وهذه قبل أول كتاب عند اهل السنة؟، أم هل هي ٤ وهذه قبل أول كتاب عن أهل السنة؟ .ولكنها للأسف أكثر من أربعة آلاف وقد خاب فأل كل خراص ومعتد على أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

وجيزة عن علم حديث المخالفين

قال النسر: (ولم يحدث له أي تجديد بل على العكس نجد أن غالب الكلام في الرجال يأتي بشكل جملي، مشابها عصر ما بعد التدوين (عصر الإجازات) وغير مفيد للناظر في الأسانيد وأحوال الرواة).

أقول: هذا كلام غائم عائم لا مصداق له ولا مفهوم أصلاً، وكيف لم يحدث في علم الجرح والتعديل تجديد؟

ثم لماذا تريد التجديد؟! اليس التجديد بدعة؟! هل تريد أن تنقلب زنديقًا ؟!

إن المعارك الأصولية في حجية الظن وحجية القطع وأبحاث تعارض الأدلة، وتكوين المدارس الحديثة في هذه الموضوعات وتشعباتها أمور لا يعرفها العلم السني أصلاً، أو يعرف بعضها وقد توقف على العصر العباسي ولم يتطور.

فمتى قرأت هذه العلوم لتحكم عليها؟ ومتى تفهم ما تقرأ حتى يحق لك الحكم؟

فنحن نبسّط كلامهم كثيرًا إلى درجة كبيرة، بلغة أصحاب الجرائد، وإذا بك لا تفهم ما يقال لك، وتجيب خارج حدود المطروح، فكيف تفهم عبارات أهل الفن؟

وهنا يجب أن نقول ملاحظة مهمة جدًا، وهي أن علماء الشيعة بعد أن فهرسوا العلوم جزأوا علوم الحديث ومتعلقاته إلى عدة علوم فجعلوا أهمها وأقومها وهو فلسفة علم الحديث وأساسيات الحكم فيه وقواعده الأساسية من مباحث علم الأصول كحجية

الظن وأصالة صدق الثقة (حجية قول الثقة)، ومباحث صحة الصدور، وحجية خبر الواحد وما شابه ذلك، فإنها قواعد عامة يحتاجها الفقيه فتكون داخلة في أصول الفقه، ولا يجوز له أن يقلد فيها أبدًا، وهناك مسائل أرسلوها إلى علم المصطلح كعلم الحديث وهذه فيها تقسيمات الحديث وأحكامه، ضعفاً وقوةً، بناءً على القواعد العامة المحققة في علم الأصول، وهناك متعلقات تتعلق بكبرى قضية خبر الثقة درست في علم الأصول، وهناك أحكام متعلقة بنفس الرجل وتحقيق الحال فيه، وهذه مسائل جزئية تدرس في علم الرجال فكبرى قول الثقة في علم الأصول وصغراها في علم الرجال، فالقضية مفهرسة ولا تبحث في مكان واحد أو علم واحد وإنما تبحث في أماكن متعددة نتيجة الموضع من العلم حسب التقسيم المنطقي للعلم.

ولا يجوز لمجتهد أن يقلد غيره في تحقيق أحوال الرجال ولا في كبرى القضية الرجالية، وإنما عليه أن يتحقق من حجية كل راوٍ في السلسلة، حتى يحكم على السند بأحكامه التي قررها في علم الأصول وعلم الحديث واصطلاحاته وحسب مبانيه المحققة عنده، وهناك دراسات جانبية أخرى تتفرع على هذه العلوم، وهذه الفهرسة لم نجدها بهذا الشكل والإنضباط عند سلفية السنة ومحدثيهم، ولعل السبب أن من يهتم منهم بالحديث لا يعرف الفقه كما هو حال الألباني وغيره ومن يهتم بالفقه لا يعرف علم الحديث جيدًا، ومن يهتم بعلم الكلام لا يجيد العلمين وهكذا الحال في أصول الفقه، فإن من يقرأ في هذه العلوم عند المذاهب السنية المتعددة يجد حاجزًا بين العلوم ولا يجد ترابطًا حقيقيًا بينها فكل منهج له مذاقه المختلف عن غيره.

ولو أخذنا مثلاً البحث في حجية قول الثقة فإنها تنطلق من أن الشريعة منعت بالعمل بغير العلم، وأن قول الثقة بنفسه لا يورث إلا الظن، فكيف يعمل به من الناحية الشرعية؟ مع الحكم العقلي هو أن تصديق قول الثقة من الأمور العقلائية التي بنى عليها العقلاء عملهم، فهل يعتبر هذا الدليل العقلي حجة شرعية لاعتبار خبر الثقة؟ أم لا يجوز ذلك؟ أم هناك حجة أخرى في الموضوع ؟

ومعنى حجية قول الثقة يستند إلى مفهوم سلبي، وهو نفي الكذب عن الثقة ولكنه ليس موجبة كلية، وهذا لا يصح عكسه بجميع مصاديقه، و الشريعة بنيت على العلم فكيف نعالج ذلك مع أنه مخلوط بجهل؟

هنا تفنن علماء الشيعة في القول بالحجية فمنهم من قال بالإمضاء لدليل العقل، ومنهم من قال بالتأسيس على أساس الدليل العلمي لا العلم، ومنهم من وجد أن الأمر مبهم لا يصل فيه الدليل إلى قناعة فإن الدليل الناقص لا بد له من الجعل الشرعي، وقد ناقش بعضهم في الجعل خصوصًا من كان يعتمد على السيرة العقلائية والاجماع فإنه يرى أن حجية قول الثقة مقبولة في الشبهات الموضوعية وهي خارج عمل الفقيه لأنه يتعلق بالشبهات الحكمية والدليل قاصر عنها، ومثل هذا القائل ينسى النصوص ولعله نسي أنه حتى في الشبهة الموضوعية إنما يشترط البينة وليس خبر الثقة مطلقًا، وعليه فإن مثل هذا القائل يجري الأصل العملي في مواجهة هذا العمل للفقيه بين من يقول بأصالة البراءة وبين من يقول بأصالة الأحتياط بحسب منظور الشك في التكليف أو المكلف به،

وهكذا تفرعت عليها الصور العلمية الدقيقة التي لا نجد لها في الفكر السني مثل هذه الدقة والتوسع في البحوث، ولا نجد في علم الحديث السني لهذه المسألة ذكرًا إلا فيما إذا توازيا أو تعارض إرسال الثقات مع موصول ثقة واحد فيؤخذ قول الثقة ويترك المرسل، ولكن دون ان تكون هذه القاعدة سالمة عندهم من التعارض، وأما البحث عن مصدر الحجية وفلسفتها وكيفية تكوينها حجة أمام الله، فهذا لم يبحث بشكل علمي حسب ما وجدت بين يدي من مصادر كثيرة في علم الأصول والحديث والرجال والمصطلح عند السنة.

ولو رجعنا إلى حجية خبر الثقة فسنجد أمرًا خطيرًا عندهم:

هم يقولون بأن خبر الثقة دليل ظني وليس علمًا، ويقولون أن التوحيد سمعي، ويقولون يجب في السمع أن يكون علمًا أي دليلاً قطعيًا، ولكنهم يعتمدون الخبر الضعيف في الغالب – وسنقول تنزلاً أنهم يعتمدون خبر الثقة –، وخبر الثقة ظني وليس من العلم، فكيف يصلون إلى التوحيد حسب مبانيهم؟

لا جواب على هذه المعضلة الحقيقية.

وأكثرهم واقعية من قال أن خبر الثقة مقبول في التوحيد بغض النظر عن كونه دليلاً ظنيًا أو علمًا لكون سيرة العقلاء أخذت به (وهذا دليل عقلي على صحة الدليل السمعي وهو باطل عندهم) ويكتفي بذلك مغمضًا عينيه عن المشكلة، ومثل هذا القائل يجوز عنده الأخذ بالحديث الصحيح ولا يجوز الأخذ بأحاديث الآحاد غير الموصوفة

بالصحة، وقد سار على هذا السيد الغماري والسيد حسن السقاف في حوارهم المرير مع السلفية، القائلين بأخذ العقيدة من الآحاد وإن لم تورث العلم، و هناك مشكلة ثانية وهي في تعريفهم للصحيح فهو ليس ما كان ثابت الصدور، وإنما هو ما كان مطابقًا لشرطهم، ولهذا يقولون ليس الصحيح هو صحيح الصدور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما الصحيح هو ما كان متصلاً ثقة عن ثقة، وهذا هو الصحيح عندهم، (فليس خبر الثقة عندهم لازمًا لثبوت قول المعصوم وعليه فلو اعتمدوا الخبر في التوحيد فهو ليس بالضرورة قول المعصوم وإنما هو صحيح السند فقط!) وهذا المنهج يستبطن ما يقبله العقلاء في سيرتهم من الاعتماد على خبر الثقة فأين الدليل الشرعي السمعي الحقيقي على صحة اعتماد هذا الخبر ليكون دليلاً في الاعتقاد والتوحيد؟

وقد تجد بعضهم يحاول أن يجد مخرجًا شرعيًا فيستدل بمفهوم الوصف لآية التبين من خبر الفاسق، بعدم الحاجة إلى التفحص في قول الثقة من أجل أن يوحي بأن هناك دليلاً سمعيًا على اعتماد خبر الثقة، ولكن هذا الدليل يعتمد على أمور قد لا يعتمدونها ولا يقبلون تطبيقها دائمًا خصوصًا المحدثين وعلماء الرجال منهم، مثل مشكلة إطلاق حكم مفهوم الوصف فمثل هذا يقتضي إذا قال لك القائل آتني بالماء فإنه يحرم أن تأتيه بالعصير لمفهوم الوصف المخالف، ومشكلة أن الفسق هنا في الآية يساوي عدم الصدق، فإذا لم يأخذ بهذا التفسير فهو مبهم قد يشمل عدم الكون على جادة الصواب والشريعة فيجب تفحص قول الصادق أصلاً لأنه قد لا يكون مستقيمًا على جادة الشريعة بينما العقل يقول أن الصادق المتمرس على الصدق يؤخذ بقوله، ثم إن عدم

صدق فلان لا ينعكس بصدق غير فلان، ثم لو سلمنا بمفهوم الوصف فإن القضية لا تدل على التوثيق أو صحة العمل على قول الثقة، وإنما غاية ما تدل عليه هو عدم الحاجة لفحص قوله، وهذا قد يصحح العمل، ولكنه لا يولد علمًا كما هو حاجة الاعتقاد للعلم، فيبقى دليلاً ظنيًا فلا يدخل هذا في الدليل القطعي الباعث على العلم بالمعتقدات، ولم يدعي أصحاب هذا الاستدلال بالجعل، فهو استدلال بالسمع بطريقة اللازم ولكنه بدون إشارة إلى الجعل في الدليل فإنه بهذا لا يمكن أن يصحح الدليل، فلو ادعوه ورتبوه لكان هناك مجال لقبول قولهم باعتبار المعذورية في تشكيل الاعتقاد وفق الدليل المجعول من قبل الشارع المقدس، وبهذا يجوز أن يسمع تبريرهم مشكلة التوحيد عندهم إلا أنهم لم يفعلوا .

ننظر أولاً في فهمهم للصحيح وكيفية الاستدلال على حجية خبر الثقة من كتاب سلفي متأخر جدًا في الزمن لنرى مقدار علمهم:

المقترح – مقبل بن هادي الوادعي — الطبعة الثانية (ج ١ / ص ٦٣):

(كما أجاب بهذا محمد بن إسماعيل الأمير في كتابه "ارشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد"، فقال: إن قولهم: هذا حديث صحيح معناه: أنه متصل السند يرويه العدل عن مثله غير معلّ ولا شاذّ، ولكنهم يستطيلون هذا، فهم يختصرونه بقولهم: صحيح، فهذا من باب قبول خبر الثقة، وليس من باب التقليد، فإن الله عز وجل يقول في شأن قبول خبر الثقة: {ياأيّها الّذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن

تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين(٢)} مفهوم الآية أنه إذا جاءنا العدل بالخبر نقبله). انتهى

فقد صرح كما ترى بأنه استفاد قبول قول الثقة من مفهوم الوصف للآية الشريفة، وهو مستقى من قضية: إذا جاء غير فاسق فلا تتبينوا، وقد بيّنا أنه لم يحل المشكلة ولم يعرف كيف يتخلص من أعوص مشكلة معرفية يواجهها التسنن .

فمشكلة خبر الآحاد الثقة في العقيدة مشكلة مؤرقة للفكر السني السمعي، ولا يوجد أي إبداع في التخلص منها، ومن لوازمها حيث يشترطون القطع في العقيدة ولا يوجد عندهم إلا خبر الآحاد، فينبغي أن لا تتكون عندهم عقيدة أصلاً، فإن المتواترات القطعية لا تتجاوز عدد الأصابع وليست كلها في العقيدة، وحتى المتواترات يمكن الطعن بها عندهم لأسباب ليس محل بحثها هنا.

ولو قرأ القارئ الكريم أي نص في المعركة بين القائلين بحجية خبر الآحاد في العقيدة وبين غيرهم يجدهم كلهم يجمعون على ظنية الطريق وكل ما بينهم من نقاش يؤدي إلى نفس المشكلة، فإن القائلين باعتماد خبر الواحد الثقة في الاعتقاد وذلك لأنهم يعتمدونه في العمل أي الفقه فيجوز في العقيدة، ولكن الآخرون يقولون أن ملاك الفقه هو العمل فيجوز أن نعمل بالدليل الظني لأن العمل لا يؤخذ في حده العلم، وإنما العلم بالمراد، ولو احتمالاً فنقوم بأداءه، ولكن ملاك العقيدة هو العلم بما هو اعتقاد علمي، والعلم لا يكون بما يحتمل فيه الجهل، فهذا خلاف الملاك الأساس فيما نحن فيه، وعليه فإن

كلا القائلين إنما يعترفون بأن توحيدهم من باب أي كلام ومن باب الظن فقط وفقط، وليس لديهم حجة شرعية في العقيدة، وهذا من أضحك ما يواجه الإنسان، وصاحبنا العبقري لا يرى إبداعًا عند الشيعة في تفسير أسس فلسفة علم الحديث للتخلص من مثل هذه المشكلة العويصة، فلو أنهم اعتمدوا على ابداعات الشيعة لكان لديهم عقيدة على أقل تقدير، ولكنهم لا يريدون تكوين عقيدة، وإنما مجرد لقلقة كلام، انظر هذا النص واقرأ جيدًا فستجد ما يهولك:

المعتمد - (ج ٢ / ص ١٠٢):

(ومنها قولهم لو جاز التعبد بأخبار الآحاد في فروع الشريعة جاز التعبد بها في الأصول وفي الأدلة والأخبار حتى إذا روى لنا الواحد أن أهل اللغة وضعوا اللفظ للعموم قبلناه وإذا أخبرنا الواحد أن زيدا في الدار جاز أن نخبر نحن أنه في الدار قطعا كما نخبر قطعا بوجوب ما أخبرنا الواحد بوجوبه عن النبي صلى الله عليه و سلم .

الجواب يقال لهم ما تريدون بالأصول؟

فإن قالوا الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان

قيل قد كان يجوز ورود التعبد باخبار الآحاد فيها ولا يكون حينئذ من الأصول لأن أصول الشريعة هي ما لا يكون العلم بوجوبها متعلقا بظن، وإن قالوا نريد بالأصول توحيد الله وعدله.

قيل لو قبلنا أخبار الآحاد في ذلك لقبلناها في الاعتقادات وذلك لا يجوز لأن الواحد إذا أخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم ان الله لا يرى لم يعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم قال ذلك فلا يعلم أن الله لا يرى لأنا غير عالمين بدليله وإذا لم نكن عالمين بأنه لا يرى واعتقدنا ذلك لم نأمن كون اعتقادنا جهلا وكل اعتقاد لا يؤمن كونه جهلا فهو قبيح.

وأما فروع الشريعة فليست اعتقادات فيكون المقدم عليها مقدما على اعتقاد لا يامن كونه جهلا بل هي أعمال. فإن قيل ألستم عند خبر الواحد تعلمون وجوب الفعل عليكم فقد أقدمتم على اعتقاد أيضًا.

قيل إنا نأمن كون ذلك الاعتقاد جهلاً لأنه قد دل عليه دليل قاطع وهو ما دل على وجوب المصير إلى أخبار الآحاد.

فإن قيل فهلا جاز أن يدل دليل قاطع على قبول خبر الآحاد في الرؤية وغيرها فتعتقدون ذلك وتأمنون كون اعتقادكم جهلاً.

قيل إنا لا نجوز ذلك لأن كون الباريء تعالى غير مرئي امر حاصل في نفسه لا يحصل بحسب ظننا فلم يجب إذا ظننا صدق الراوي أن يكون تعالى غير مرئي وإذا لم يجب ذلك لم يجز أن يدل دليل قاطع على كونه كذلك إذا ظننا صدق الراوي أنه سمع النبي صلى الله عليه و سلم يقول إن الله سبحانه لا يرى وكون العمل مصلحة يجوز أن يقف على أن نفعله ونحن على صفة وهو كوننا ظانين صدق الراوي وإذا جاز أن تكون

مصلحتنا أن نفعل الفعل ونحن نظن صدق الراوي لوجوب الفعل جاز أن تدل دلالة قاطعة على وجوب ذلك علينا عند ظننا فإذا دلت على ذلك علمنا وجوب ذلك الفعل علينا واخبرنا قطعًا عن وجوبه علينا.

فإن قيل فيجب إذا أخبركم عن النبي صلى الله عليه و سلم بأن الله لا يرى من يغلب على ظنكم صدقه أن تظنوا أن الله لا يرى وتقتصروا على ذلك.

قيل لئن جاز الاقتصار على الظن في التوحيد والعدل والصفات لجوزنا ورود التعبد بالاقتصار على الظن في ذلك ولكن لا نجوز الاقتصار على الظن في ذلك وهذا السؤال إنما يلزم على القول بأن خبر الثقة غير الظن وهذا يوافقنا عليه خصومنا فإن كان السؤال لازمًا لنا فهو لازم لهم أيضًا ولا جواب عنه إلا ما ذكرناه من أنه لا يجوز الاقتصار في التوحيد والعدل على الظن دون العلم وما ذكرناه هو الجواب عن الأخبار لأن زيدًا إذا أخبرنا بأن عمرًا في الدار وظننا صدقه لم نأمن أن لا يكون في الدار لأنه كونه في الدار ليس مما يحصل بحسب ظننا بل هو أمر في نفسه كذلك ظنناه أم لم نظنه فخبرنا قطعًا عن أنه في الدار خبر لا نأمن من كونه كذبا فقبح فإن أخبرنا بحسب ظننا جاز لأنا نأمن كونه كذبًا.

فإن قيل أ يجوز أن يقول لكم النبي صلى الله عليه و سلم إذا ظننتم صدق من أخبركم بشيء فهو كما أخبركم.

قيل لا يجوز ذلك لأنه لا يجوز اتفاق الصدق في خبر كل من ظننا صدقه ولا يجوز أيضا أن يقول إذا أخبركم زيد بشيء وظننتم صدقه فهو صادق لأنه لا يجوز أن يتفق الصدق والصواب في كل ما ظنناه ويجوز أن يقول إذا أخبركم زيد بأمور يسيرة وعينها وظننتم صدقه فهو كما أخبركم لأنه يجوز أن يتفق الصدق والصواب فيما نظنه إذا كانت أشياء يسيرة نحو أن يقول إذا أخبركم زيد عن النبي صلى الله عليه و سلم بأن الله لا يرى أو قال إذا أخبركم مخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم بأن الله لا يرى وظننتم صدقه عن النبي عليه السلام فهو كما أخبركم أو يقول إذا أخبركم زيد بأن النبي عليه السلام قال إن الله لا يرى فهو صادق وإذا قال ذلك انتقلنا عن ظننا إلى القطع وجاز أن نخبر عن ذلك قطعا فأما إذا أخبرنا الواحد عن أهل اللغة أنهم وضعوا لفظا للعموم فانا لا نقطع على ذلك لأن كونهم واضعين له ليس مما يحصل بحسب الظن فهو بخلاف كون الفعل مصلحة ويجوز أن نظن أنهم وضعوا ذلك للعموم وأن يتعبدنا الله سبحانه بالاستدلال بذلك اللفظ على الشمول في الفروع الشرعية)

.: انتهى النص :.

أقول: إن العارف بالعلوم يعرف بأن هذا النقاش فطير من الطرفين، ويمكن حل القضية بغير ما تماحكوا به، وقد خرجوا بنتيجة: أنه إما أن نعتمد الظن في العقيدة وهو خلاف نص القرآن أو لا عقيدة ... وهذا لا ندري أين نضعه في القرآن؟

إن الشيعة لا يحتاجون لهذا الصراع أصلاً لأنهم يقولون أن الاعتماد على السماع دورٌ باطل، وإنما في العقيدة الأساس يجب أن يعمل العقل، وبعدها فالسماع مؤيد وكاشف عن الصحة، وأما الاعتقادات بأفعال الله والخصوصيات التي ليست من شأن العقل فيعتمد فيها على العلم أو العلمي وذلك بالسماع المأذون، فتنحل المشكلة كليًا.

فأين الابداعات وأين الدقة في التفصيل عند غير الشيعة في هذا المجال الرحب، وهذه كتبنا شاهدة علينا، وهذه كتبهم قرأناها فلم نجد أي ابداع وأي نباهة كبيرة في مواجهة الحكم الشرعي ليكون الفقيه محصّنًا أمام الله.

فكل ما قاله النسر إنما يعبر عن عدم معرفة وعدم تدبر، وهو يلقي هذه الأقوال للدعاية ظانًا أننا لا نرد عليه ولا نكشف الكذب والجهل.

ومن يقرأ كلامهم في علوم الحديث يجد أنهم يتعلقون بالشجرة ويضيعون الثمرة، وتابعون الفرع ويتركون الأصل، فهم في مجال فقه الحديث ستة أصفار للشمال ولكنهم في مجال الكذب في الجزئيات فما أحلى الشطارة فيها.

فيا أخي المسلم فكر في موقفك من الله، فهل تتبع هؤلاء الذين لا يعرفون الله ولا يهمهم أمره ولا يعرفون العلم وأصوله، أم تتبع الهداة الذين كلفك الله ورسوله باتباعهم؟

كتب الصحاح والرواية عند الشيعة

قال النسر[*]: (لذلك لا تجد للشيعة كتبًا في تمييز الصحيح عن غيره لوعورة تتبع الكلام في الرجال إلا فيما ندر، وأنا أعتقد أن الإجازات والسماعات ركبت بعد ذلك أو على الأقل بعضها وأعتقد أن بعض كتب الإمامية هي وجادات ركبت عليها سماعات، خاصة كتب الأصول التي اندثرت أو نقلت إلى المجاميع الحديثية)

أقول: وهذا جهل آخر، فقد قلنا إنه لا معنى عندنا لتأليف (كتب صحاح)؛ لأن المدار عندنا مدار التكليف، والقضية اجتهادية لا يجوز فيها التقليد، فكتب الصحاح وضعت للتقليد في الرواية عند السنة ولحصرهم بهذا الباطل كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية، وهذا غير جائز عندنا، فهي عار على من يفعلها، وأما اعتقادك أن السماعات تركيب، فهذا لأنك تعتقد بأن صحيح البخاري فيه تركيب إذا روى ما يذم إمامك الداعية إلى النار؟ التراكيب هي عند أصحاب الدكاكين ورجال العشيرة الأموية، ولأنك لا تفهم طبيعة الحديث الشيعي أبدًا فلهذا تسقط هذه السقطة، ولن نوضح لك شيئًا لتموتوا بغيظكم.

وأما ادعاؤك أن كتب الشيعة وجادات، فلأنك تعلم علم اليقين أن صحيح البخاري هو وجادة عند مجهول لم يثبت نسبته إليه، ولهذا تستهزئ وتقول أنه لا يثبت عندنا الكتاب إلا بمهر وتوقيع، فأنت تكتفي بالوجادة وتغمض عينيك، وتعتقد أن كتب

---

[*] محاورٌ وهابي، سبق ذكره.

الشيعة وجادات لعدم فهمك طبيعة التأليف عند الشيعة، وأنت لا تعلم أن الشيعة أصحاب تأليف وتوثيق تختلف طريقتهم عن طريقة حزب معاوية قائد أحد وبدر والداعية الرسمي إلى نار جهنم، فالكافي تعتقدون أنه كتاب تأليف وهو معنن والعننة عندكم ضعف بينما هو ليس كتاب تحديث وإن كان موضوعه الحديث، وإنما كتاب توثيق لكتب سبقته بطريقة العرض وموضوعها الحديث، والعنعنة فيه بهذا السبب فإنه توثيق لكل رواية وردت في كتاب شيخ من شيوخه قرأه عليه، وهذه هي الإجازة عندنا أي إجازة استنساخ موثقة بطريقة علمية دينية أوجدها وأصّلها رسول الله وسميت بالعرضة وهي نفسها مع اختلاف المصطلح فنحن نعامل التراث بما نعامل معه القرآن في الغالب، والكافي عبارة عن توزيع عشرات الكتب الصغيرة في كتاب كبير، وليس كما تعتقدون أنه كتاب تحديث ونقل روايات، والعنعنة فيه تعني اتصال الرواية بكتاب إلى المعصوم ولكن مصداقية الحديث منوطة بأمور غير كونها مذكورة في كتب مسندة، لأنها محكومة بطرق معينة يحددها التكليف الواقعي والظاهري وليس مجرد كون الرواية عن ثقة أو غير ثقة، فالمنهج مختلف تمامًا، ولهذا فإنه لا اعتبار لزمن الكليني في حديثنا باعتبار أنه أوعز للكتب السابقة بطريقة العرضة، فالحديث نرجع بتاريخه إلى زمن أول كتاب وهذا جواب على سؤالك الجهلي عن التحديث بالإمام المهدي قبل ولادته [ولم أجبك في حينها لعدم أهليتك للجواب]، فكل ما حدث به الكليني إنما هو نقل عن كتب قبل ولادة المهدي عليه السلام بمئات السنين ونحن لم ينقطع عندنا التأليف منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأصول عندنا

متسلسلة من زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكتّابها معروفون وليس محلها هنا لبيانها.

ولا يضرها رأي مثلك كما أبديت رأيًا في كتاب سليم بن قيس الذي عرض ما ينافي عقيدتك جملة وتفصيلاً فادعيت أنه كتاب مكذوب وأنت تعلم أنه باعتراف الجميع أنه كتاب تم تأليفه بحدود ٣٨ هجرية، سواء كان ما يحويه كذبًا عندك أو صدقًا فهو قبل أول كتاب عندكم بـ ١٠٠ سنة تقريبًا، وكل هذا وأنتم السابقون زمنًا وفهمًا وعلمًا، يا سلام على هذا السبق التراجعي!

قال النسر: (وأما ما دندن به في مشاركاته من وصم للصادق بالكاذب والكاذب بالصادق، والخائن بالمأمون، والمأمون بالخائن، فمآله إلى ما سبق من تباين في النقل وليس في قواعد وأسس كيفيات القبول والرد لأنها اتفاقية)

أقول: بل للقواعد والممارسات واختلاف شخصيات النقل، ولم أكذّب الصادق أو أصدّق الكاذب، وإنما نقلت ما عليه الواقع وإنما السلاطين جعلوا من الكاذب صادقًا وقد بيّنا فيه القول فلا حاجة للإعادة، فما تقول في من نقل عنه سلفكم بأنه كان يكذب على رسول الله وجعلتموه راويًا، بل راويًا صادقًا؟!

بل ما تقول فيمن نزلت فيه آية تشهد بكذبه فجعلتموه صادقًا ثقة تروون عنه وتولونه الولايات ويتحكم برقاب المسلمين وقد سماه الله فاسقًا؟

كما أنه من النواصب لرسول الله ولعلي، ولن أقول أكثر من هذا.

يقول النسر: (فهو ينقل الرواية من كتب أهل السنة والمفترض أن يحققها على مبانيهم وطريقتهم في قبول ورد المرويات، لكنه فضّل أن يحقق الرواية بكلام علماء الإمامية في رواة أهل السنة وهذا أدى إلى ضعف في التحقيق وانتقائية في الفهم أطربتني فرحا، وزادتني ابتهاجا)

أقول: نحن نروي الرواية من كتب غيرنا، لإلزامهم بما يناقض مدعاهم، وأنا أحقق على مباني أهل السنة وليس على مباني الشيعة قط، ولكن هذا ديدنكم فأنتم تتهمون كل من يكشف عواركم حتى لو كان سنيًا بأنه يتشيع وأنه يناقش بمقاييس غير سنية! ، فأين هي المقاييس السنية التي تدعيها؟، فإذا كان ثمة مقاييس مجمع عليها بينهم فقد استعملها علماء سنة بينوا طريقتكم في التجسيم فنفيتم عنهم العلم والاعتماد على مقاييس أهل السنة مثل الكوثري والغماري والسقاف ودحلان وأبي رية وكثير من كتاب السنة الذين عاشوا وماتوا بين ظهراني أهل السنة ولم يناصروا التشيع ولم يتقربوا إليه جسدًا ولا عملاً.

فاتهامك لي بأنني أستعمل مقاييس الشيعة على روايات السنة كذب محض وجهل مطلق ولا تستطيع أن تثبت أمامي بادعائك هذا.

هل هناك مذهب لأهل البيت؟

الملاحظة الأولى: النسر* متمسك بفكرة لم تبارحه رغم ادعائه الإيمان بحديث الثقلين وببعض لوازمه، ولكنها فكرة في الغالب تتناقض مع هذا الإلتزام، داخليًا على أقل تقدير.

والفكرة هي: أن التشيع لصيق بأهل البيت عليه السلام، وإلا فإن أهل البيت ليس لهم مذهب، ولم يعرف لهم مذهب، بل يدعي بأن مذهبهم هو مذهب أهل السنة.

ويستغرق في الخيال فيذهب إلى أن الرواة عن أهل البيت يكذبون عليهم فيلصقون بهم الفتاوى والعقائد وهم براء منها، وقد ذهب إلى أكثر من ذلك حيث شكّك في نفس أهل البيت المعاصرين لنشوء مذاهب أهل السنة، مثل الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

وهذه الدعوى قديمة ومعروفة – رغم جسارة الفكرة الأخيرة، وهي التشكيك بالباقر والصادق، وهذا لم يفعله إلا النواصب والحاقدون الذين لا وزن لهم عند أهل السنة الحقيقيين– والجواب عنها يحتاج إلى رد حاسم محقق، وقد قيض الله الكثير من أهل السنة والشيعة لردها بكتب ودراسات .

---

* محاورٌ وهابي، سبق ذكره.

وهذه الشبهة رددها بعض النواصب فقد قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية (٥: ١٦٢ – ١٦٣) وهو يتكلم عن الإمامية ومصدر تلقيهم: (وهم في دينهم لهم عقليات وشرعيات فالعقليات...إلخ.

..وأما شرعياتهم فعمدتهم فيها على ما ينقل عن بعض أهل البيت مثل أبي جعفر الباقر وجعفر بن محمد الصادق وغيرهما. ولا ريب أن هؤلاء من سادات المسلمين وأئمة الدين ولأقوالهم من الحرمة والقدر ما يستحقه أمثالهم، لكن كثير مما ينقل عنهم كذب، والرافضة لا خبرة لها بالأسانيد والتمييز بين الثقات وغيرهم، بل هم في ذلك من أشباه أهل الكتاب كل ما يجدونه في الكتب منقولاً عن أسلافهم قبلوه، بخلاف أهل السنة فإن لهم من الخبرة بالأسانيد ما يميزون به بين الصدق والكذب. وإذا صح النقل عن علي بن الحسين فله أسوة نظرائه كالقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وغيرهما، كما كان علي بن أبي طالب مع سائر الصحابة).

انتهى قول ابن تيمية وكذبه الصريح، حيث بينا عناية الشيعة بالحديث والتمييز قبل أن يؤلَف عند أهل الحديث السنة أي كتاب، وقبل أن يفكروا في التمييز. وهو كما ترى ينسب شرعيات الشيعة إلى أئمة أهل البيت، ولكنه يدعي بأن الشيعة يكذبون عليهم في تلك المرويات، وأن أهل البيت ليس لهم مذهب معين وإنما كانوا مع أهل السنة، فعليٌ مع نظرائه من الصحابة، والسجاد مع نظرائه مثل القاسم بن محمد

وسالم بن عبد الله، وهذا الكلام هو المدار الحقيقي لكل التهم الفرعية التي يتفرع منها كلام النسر، وإجمالاً نقول في رد هذه التهمة بعقلية سلفية وليست شيعية:

إن تكوين أي مذهب إنما يكون بصور وعلامات، منها وجود فتوى مستقلة ومنها وجود تراث لهم، مخالف لغيرهم ومنها ثبوت أنهم مرجعية لجملة من الناس.

وهذه الأمور الثلاثة ثبتت بالنصوص السنية سواء بالصحيح منها أو المغضوض عنه الطرف أو المُغَيَّب لأسباب طائفية. وإن ثبوت هذه الأمور لا يحتاج إلى دليل عند الباحث، ولكن سنورد بعض النصوص والأفكار لتثبيت ذلك.

فلا شك في تصدر أهل البيت في العلوم الشرعية وتصديهم للفتيا العلني، ابتداء من الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى آخر أبنائه المعصومين عليهم السلام، وإلتفاف الناس حولهم وأخذهم العلم عنهم، والتصريح بخصوصية المنهج والفتيا: وفي سبيل ذلك نترك كل ما عندنا من نصوص ونأتي بنصوص سنية تدل على هذا التصدي والتميز والمشايعة لهم:

كتاب «القضاء والقدر» للبيهقي (١: ٤٢٦):

٤٠٢- أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: سمعت أبا الحسن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن جعفر بن موسى بن جعفر المعروف بالموسوي بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الروضة يقول: سمعت أبي يذكر عن آبائه، أن علي بن

موسى الرضا كان يقعد في الروضة وهو شاب ملتحف بمطرف خز فيسأله الناس ومشايخ العلماء في المسجد فسئل عن القدر فقال: قال الله عز من قائل: {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}.

الشاهد فيه تصدر الإمام الرضا عليهم السلام في الروضة المطهرة، وإلتفاف الناس والمشايخ يسألونه، وهو لم يدرس عند مدرس قط.

الذهبي في ميزان الاعتدال (٢: ٤٣٩):

في رواية عن الحميدى قال: حدثنا سفيان عن عبدالله بن شريك، قال: قال الحسين: «نبعث نحن وشيعتنا كهاتين، وأشار بالسبابة والوسطى»

والحديث حجة في علم الحديث السني لنفي الانقطاع وتوثيق الرواة.

الشاهد فيه تقرير الإمام الحسين بوجود شيعة خاصة لهم، بخلاف أكاذيب السلفية بنفي علم الأئمة بوجود تشيع لهم، وإنما هو من عمل المتأخرين، وهذا يدل على التميز الديني والعلمي وهو معنى المذهب.

حلية الأولياء (٣: ١٤١):

(أخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد البغدادي في كتابه وحدثني عنه عثمان بن محمد العثماني ثنا عبد الصمد بن محمد حدثني جعفر بن محمد بن جعفر ثنا مخلد بن مالك

عن سفيان بن عيينة عن الزهري، قال: دخلنا على علي بن الحسين بن علي، فقال: يا زهري ! فيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا الصوم فأجمع رأيي ورأى أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب إلا شهر رمضان، فقال: يا زهري، ليس كما قلتم الصوم على أربعين وجهاً ... – إلى أن قال – وأما صوم المريض وصوم المسافر، فإن العامة اختلفت فيه: فقال بعضهم: يصوم، وقال قوم: لا يصوم، وقال قوم: إن شاء صام وإن شاء أفطر، وأما نحن فنقول: يفطر في الحالين جميعًا، فإن صام في السفر والمرض فعليه القضاء، قال الله عز وجل: ﴿فعِدّةٌ مِنْ أَيَّامٍ﴾).

الشاهد فيه قوله: (ليس كما قلتم، فإن العامة اختلفت فيه، ونحن نقول ..) فهذه كلمات دالة على التمايز في الفتيا وفي المذهب لا شك فيها، ويكفينا هذا حين يذكر في كتب أهل السنة فإنه دليل وجود المذهب.

سير أعلام النبلاء (٦: ٢٥٧–٢٥٨):

(ابن عقدة الحافظ، حدثنا جعفر بن محمد بن حسين بن حازم، حدثني إبراهيم بن محمد الرماني أبو نجيح، سمعت حسن بن زياد، سمعت أبا حنيفة، وسئل: من أفقه من رأيت؟ قال: ما رأيت أحدًا أفقه من جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من مسائلك الصعاب، فهيأت له أربعين مسألة. ثم أتيت أبا جعفر، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما، دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر،

فسلمت وأذن لي، فجلست. ثم التفت إلى جعفر، فقال: يا أبا عبد الله، تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها: قد أتانا. ثم قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله فابتدأت أسأله. فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعا، حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرم منها مسألة.

ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟!).

الشاهد فيه: (فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعًا). وهذا دليل على التفرد في المذهب، وأن لأهل البيت قولاً مختلفًا، ولهم أتباع فيه.

ابن أبي حاتم في تفسيره (٨: ٢٧٨٦):

(عن أَبِيه، عن جعفر بنِ محمد، قَال: (نزلت فينا وفِي شيعتنَا حتى إِنا لَنشفع ونَشفَع فَلَما رَأَى ذَلِكَ مَن لَيس منهم ، قَالوا: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ}).

وابن أبي حاتم وأبوه أبو حاتم الرازي: أئمة أثبات، والصادق هو الصادق.

الشاهد فيه: اعتراف أبي حاتم بأن الصادق وآله أئمة أثبات وصادقون معلقًا على رواية تقول بأن أهل البيت وشيعتهم هم الشفعاء المتميزون يوم القيامة، وهو يدل على وجود مجموعة بشرية متميزة في الفقه والعلوم الدينية والممارسة الدينية الناجحة عند الله.

وقد ورد في ترجمة آحاد أهل البيت ما يدل على تزعمهم لشيعتهم وتشكيك علماء السنة في شيعتهم ولم يشككوا فيهم، ويكفينا أنهم يعترفون بأن لأهل البيت شيعة وأولادًا يلتفون حولهم وينقلون عنهم، وليس علينا من قولهم بأنهم يكذبون عليهم فهذا إدعاء يحتاج إلى دليل، وهو مصادرة، فإن هذا مبني على عدم وجود مذهب لهم بينما نفس الإعتراف بالتشيع لهم، وهم أهل علم، يعني أن لهم مذهبًا، والإدعاء هذا تناقض تام.

قال أبو حاتم ابن حبان في ترجمة الإمام أبي الحسن علي بن موسى الرضا في كتابه «الثقات» (٨: ٤٥٦):

(يعتبر حديثه إذا روى عنه غير أولاده وشيعته وأبى الصلت خاصة، فإن الأخبار التي رويت عنه، وتبيّن أنها بواطيل، إنما الذنب فيها لأبى الصلت ولأولاده وشيعته؛ لأنه في نفسه كان أجل من أن يكذب).

والشاهد فيه: أن له شيعة يختصون به، ويلاحظ أنه يتهم الطريق إلى الرضا عليه السلام وهي تهمة قديمة دون دليل، وإنما دفعتها الأهواء والكذب على آل البيت بهذا

الأسلوب الملتوي، فإن من يعرف أن له شيعة فكيف يدعي بأنه سليم، ولكن شيعته يكذبون عليه، وهذا غباء وسذاجة ورقة عقل لأنه يقرر تناقضًا واضحًا، لا لشيء إلا لأنه يخالف ما نشأ عليه من التقليد الأعمى وأخذ الأكاذيب واللا معقول أخذ المسلمات.

وقال الشهرستاني في الملل والنحل (١: ١٦١):

(جعفر بن محمد الصادق: وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدة).

الشاهد فيه: صراحة قول الشهرستاني بوجود شيعة للإمام ينتمون إليه ويفيض عليهم أسرار العلوم.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤: ٤٠١):

عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر: (وليس هو بالمكثر، هو في الرواية كأبيه وابنه جعفر، ثلاثتهم لا يبلغ حديث كل واحد منهم جزءًا ضخمًا، ولكن لهم مسائل وفتاوى).

الشاهد فيه اعتراف الذهبي بأن للأئمة الثلاثة فتاوى ومسائل، وهذا يدل على تصديهم ونشرهم لمذهبهم الخاص المتميز.

قال ابن القيم في إعلام الموقعين (١: ٢١):

(وأما علي بن أبي طالب عليه السلام فانتشرت أحكامه وفتاويه).

الشاهد فيه أن إمام الأئمة عند الشيعة وأول الأئمة علي بن أبي طالب عليه السلام له أحكام وفتاوى متميزة، وهو ما يدل على مذهبه المتميز.

قال ابن خلدون في المقدمة (١: ٤٤٦):

(وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها، وفقه انفردوا به، وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمة، ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلها أصول واهية، وشذّ بمثل ذلك الخوارج، ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم، بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح، فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم، ولا نروي كتبهم، ولا أثر لشيء منها إلا في مواطنهم، فكتب الشيعة في بلادهم، وحيث كانت دولتهم قائمة...).

الشاهد فيه: إقرار ابن خلدون بأن أهل البيت لهم مذهب شاذ عن أهل السنة، وأن هذه النظريات التي يشتم بها الشيعة هي من نظريات أهل البيت أنفسهم.

قال الشيخ وهبة الزحيلي في كتابه الفقه الإسلامي وأدلته (١: ٥٨):

في معرض ترجمته لأئمة المذاهب الفقهية: (سابعًا: الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، مؤسس مذهب الإمامية).

الشاهد فيه: اعتراف باحث متأخر من علماء أهل السنة بأن جعفر الصادق مؤسس مذهب الإمامية كما يعتقد، وهذا اعتراف صريح، رغم خطأ نسبة تأسيس مذهب الإمامية إلى الإمام الصادق، بينما المؤسس هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا شواهد تجل عن الحصر أجمع عليها الشيعة والسنة. سوف أورد بعضها من دون بحث في الروايات، أو في السند، لعدم أهمية الإثبات؛ لأن هذا المعنى ينطبق عليه التواتر وهو لا يحتاج إلى سند. مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: كما في تفسير نور الثقلين - (ج ٥ / ص ٤٩٥) بإسناده إلى الصدوق رحمه الله بسنده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

يا على أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش، يفزع الناس ولا تفزعون ويحزن الناس ولا تحزنون. فيكم نزلت هذه الآية: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون} و فيكم نزلت: {لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون}.

وفي تفسير فرات الكوفي - (ج ٢٣ / ص ٧) بسنده:

(قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش يفزع الناس

ولا تفزعون ويحزن الناس ولا تحزنون وفيكم نزلت هذه الآية: {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون} إلى قوله {توعدون} وهي ثلاث آيات.

يا علي أنت وشيعتك تطلبون في الموقف وأنتم في الجنان متنعمون.)

وفي تفسير فرات الكوفي – (ج ٨٦ / ص ٤):

بسنده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (يا أخي ألم تسمع قول الله في كتابه: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية)؟ قال: بلى يا رسول الله.قال: هو أنت وشيعتك غر محجلون ! شباع مرويون أولم تسمع قول الله في كتابه: {إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جنهم خالدين فيها أولئك هم شر البرية}؟ قال: بلى يا رسول الله.)

وفي شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل – (ج ٦ / ص ١٣):

الصواعق المحرقة — ابن حجر الهيتمي [ص ٩٦ ط. الميمنية – مصر. و ص ٢٤٦ ط. دار الكتب العلمية –بيروت] في الآية الحادية عشرة، وذلك قوله تعالى: (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية): أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس رضي الله عنهما: ان هذه الآية لما نزلت قال (ص) لعلي: [هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضابًا مقمحين]. قال: ومن عدوي؟ قال: [من تبرأ منك ولعنك].

[ثم قال رسول اللّه (ص): [ومن قال: رحم اللّه عليا رحمه اللّه]

وفي شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل - (ج ٦ / ص ١٦):

روى ابن عباس، وأبو برزة، وابن شراحيل، والباقر عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي مبتدئًا: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية} أنت وشيعتك، وميعادي وميعادكم الحوض، إذا حشر الناس جئت أنت وشيعتك غرًا محجلين].)

وفي شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل - (ج ٦ / ص ١٤):

(الصبان: قال في كتابه إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار [ص ١٧٢ - ١٧٣]: وأخرج الطبراني بسند ضعيف، أن عليًا قال: إن خليلي صلى الله عليه وآله قال: يا على إنك ستقدم على اللّه أنت وشيعتك راضين مرضيين، وتقدم أعداؤك غضابًا مقمحين، ثم جمع علي يده إلى عنقه يريهم الاقماح .)

وفي شواهد التنزيل لمن خص بالتفضيل - (ج ٢٤ / ص ١١):

(قال: وبسنده [يعني الطبراني] إن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله قال لعلي عليه السلام: أنت وشيعتك تردون على الحوض رواة مرويين، مبيضة وجوهكم، وإن أعداءك يردون على الحوض ظماءً مقمحين.)

وفي كنوز الحقائق للمناوي [ص ١٨٩] ولفظه: يا علي أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض ورودًا.

وفي مستدرك الصحيحين [٣: ١٥١] روى الحاكم بسنده عن عاصم بن ضمرة عن علي (ع) قال:

(أخبرني رسول اللّه (ص) أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلت: يا رسول اللّه، فمحبونا، قال: مِن ورائكم. [قال الحاكم: صحيح الإسناد] وقال الحسيني في فضائل الخمسة [٣: ١٣٣]: وذكره المحب الطبري في ذخائر العقبى [ص ٢٧] وقال: أخرجه أبو سعيد.)

تدوين القرآن - (ج ٤ / ص ١):

(وأخرج ابن عدي عن ابن عباس قال لما نزلت: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لعلي: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين.

وأخرج ابن مردويه عن علي قال: قال لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: الم تسمع قول اللّه: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون غرا محجلين)

وفي مختصر تاريخ دمشق - (ج ٥ / ص ٤٠٤):

(وعن علي قال: قال لي رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: " أنت وشيعتك في الجنة".

حدث أبو محمد القاسم بن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن عبد اللّه عن أبيه عبد اللّه بن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: " يا علي، إذا كان يوم القيامة يخرج قوم من قبورهم، لباسهم النور على نجائب من نور، أزمّتها يواقيت حمر، تزفهم الملائكة إلى المحشر "، فقال علي: تبارك اللّه ما أكرم هؤلاء على اللّه قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: " يا علي، هم أهل ولايتك وشيعتك ومحبوك، يحبونك بحبي، ويحبونني بحبّ اللّه، هم الفائزون يوم القيامة ".)

وفي تاريخ بغداد – (ج ١٢ / ص ٢٨٩):

٦٧٣١ – عصام بن الحكم بن عيسى بن زياد بن عبد الرحمن أبو عصمة الشيباني العكبري حدث عن سفيان بن عيينة ويحيى بن آدم وجميع بن عمر البصري وإبراهيم بن هراسة روى عنه ابنه عبد الوهاب ومحمد بن صالح بن ذريح العكبري وصالح بن احمد القيراطى حدثني الحسن بن أبى طالب حدثنا احمد بن إبراهيم وصالح بن احمد بن يونس البزاز حدثنا عصام بن الحكم العكبري حدثنا جميع بن عمر البصري حدثنا سوار عن محمد بن جحادة عن الشعبي عن على قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أنت وشيعتك في الجنة)

أقول: لست هنا في باب توثيق هذه النصوص ولو فعلت لبينت أنها من أوثق النصوص المتفق عليها بين المسلمين (المؤالف والمخالف لعلي). ولا إلتفات لقول المحكوم بالكفر من قبل علماء السنة ابن تيمية حينما كذّب هذا الحديث وقال إنه موضوع بإجماع المسلمين، وهذا إجماع من جيبه الخاص، فلا يوجد من قال بوضعه إلا النواصب والجهلة. نعم في بعض طرقه هناك من شكك في ضبط أو وثاقة بعض رواته ولكنه حسب طريقتهم يرتقي إلى الصحيح لغيره لأنه حسن متعدد الطرق.

ويبقى ابن تيمية يريد أن يدافع عن نفسه أمام أهل السنة حين حكمه علماء السنة بالكفر وبوجوب القتل، فأخذ يعمي عليهم مدعيًا أنه عدو الشيعة ويسب بهم ويشتم بينما كل فتاواه التي حكم عليها بالإعدام هي فتاوى أهل البيت مثل قوله بعدم وقوع الطلاق بالثلاث إلا طلقة واحدة وأمثالها من فتاوى أهل البيت التي تبناها ولم ينسبها لأهلها وإنما سرقها فحكم عليه علماء الشافعية في الشام ومصر بالكفر والخروج عن الدين، فما قام به إنما هو للتشويش وليس له أي علاقة بالعلم الديني.

نعود لموضوعنا.

فإن نسبة المذهب لأهل البيت في التراث السني مسلم به، فإذا أضفنا لهذا الكلام السابق محاولة استقراء الفتاوى الشيعية ومطابقتها لما روي عند السنة من فتوى أهل البيت فسيجد الإنسان شيئًا عجيبًا وهو أن حوالي ٩٨٪ من الروايات المنسوبة لأهل البيت في التراث السني هي بعينها موجودة عند الشيعة، مما يعني أن التراث السني

يشهد على أمرين، الأول هو نسبة هذه الفتاوى إلى أهل البيت والثاني هو مخالفة الفتوى السلطانية لفتوى أهل البيت عمدًا. وهذا يؤدي بالنتيجة برهان سني يقيني بأن مذهب أهل البيت هو نفس المذهب الإمامي الموجود بشهادة التراث السني، وأستطيع أن أثبته بالأرقام، فإن عندي من النصوص والأرقام ما تملأ ألف صفحة تقريبًا.

وهذا البيان ينسف أساس الشبهة التي تنفي وجود مذهب مشخص ومحدد لأهل البيت.

وعليه فإن الأرضية التي ينطلق منها بشكل أساس زميلنا النسر ما هي إلا هواء، وقضية غير صادقة كما يقول البلاغيون، ويمكن تفسير كل تقلباته وكلماته بناء على هذه الخلفية الذهنية المترسخة عنده، وهي خلفية نابعة من الدعايات الطفولية التي لم تستند إلى تحقيق.

قصة مسار الحديث

قال النسر*: (ولعل منشأ هذا الخطل عنده أنه لم يتتبع البداية الحقيقة لتدوين العلوم الإسلامية وغيرها، ولا شك أنه كلما بعد العصر النبوي تعالت الهمم وتوافرت الدواعي إلى نقل التراث الإسلامي وإحاطته بالحفظ والتدوين، خشية عليه من الضياع والتفلت بموت العلماء، فمع تكاثر هذه الأمة لابد أن تحدث طفرة في التحديث وخاصة أن شجرة الأسانيد تتضخم كلما بعدنا عن العصر النبوي)

أقول: النسر هنا لا يفرق بين الحديث وبين الرواية، فالحديث هو واحد ورواياته متكثرة، وقد زاد بعضهم تفريقًا لمفهوم الرواية، فقال بأن الرواية هي ما كانت عن المصدر الأول عن المعصوم مثل حديث الصحابي، وأما تعدد الطرق إلى ذلك المصدر الصحابي في (الطرق) أو الأسانيد. وقد كتب في ذلك الأستاذ برهان بخاري بحثًا ثمينًا لا يمكن أن يفهمه السلفية.

ولعلي أميل إلى أن الحديث هو موضوع معين مسند إلى مصدر صدور ذلك النص مثل المعصوم، والرواية هي من روى ذلك النص عنه بما نقله من نصه الذي نقله، مثل الصحابة، والطريق هو ما كان من الروايات عن ذلك الراوي، وهذا يأتي لمن بعد الناقل الأول عن المصدر.

---

* محاور وهابي مرّ ذكره.

إذن الحديث هو ما كان عن المعصوم مثل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والرواية هي ما كانت تنقل ذلك الحديث عن المعصوم، والطرق هي الأسانيد المتعددة للرواية.

أما إذا لم يستند النص إلى معصوم وإنما لغيره، فيسمى الموقوف، أي موقوف على مصدر النص ولا يعلم هل هو من المعصوم أم من عند نفسه، ولو علم أنه منه شخصيًا فهو حديثه، ولكنه لا يكون حديثا شريفًا. هذا تلخيص لما يقوله أهل الفن في الموضوع رغم أن بعضه من مصطلح المتأخرين جدًا، لكنه تفريق جيد أصبح معروفًا بين أهل العلم.

هذا كله لا يفهمه ولا يدري به صاحبنا المجسم.

وما تبرع به من الحاجة التراكمية لنشأة الحديث، مجرد خيال شعري، وهو يتوافق مع طبيعة أي علم في الدنيا، ففي البداية يكون قليل المحتوى ثم تظهر الحاجات وتبدأ عمليات التفريع والصقل والفهرسة وغير ذلك فيتضخم العلم.

فالتحليل إذاً بُني على ظواهر الأمور الطبيعية فهذا الكلام صحيح، ولكنه لا ينطبق على نشأة علم الحديث عند السنة والشيعة، فلكل منهما منطلق مختلف تمامًا، ويدرسان بمسار متوازٍ، ولكن هناك احتكاك وردود أفعال من الطرفين.

فحين استعمل أنصار علي الحديث للمطالبة بالحق طلب أصحاب مدرسة الشورى التوقف عن الحديث، إلا بما يرضي الحاكم فقط، بنصوص صريحة سنأتي إليها.

ولكن بعد مجيئ أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحكم انفتح التحديث بشكل مرهب لمدرسة الشورى، فقرر معاوية – كردّ فعل – أن يستعمل إغراق الفكر الإسلامي بالكذب، وبعد أن تم إغراق العالم الإسلامي بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واختلط الحق بالباطل، كان هناك رد فعل عند العترة فقد أصدر الإمام زين العابدين والإمام الباقر عليهما السلام أوامر تحروا أن تكون بعيدة عن السلطة وعيونها، بإعادة ترتيب الحديث، وأن تبدأ المسيرة بنقل الإمام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من أجل تثبيت الصحيح من الحديث، فحصل حصر زمني إجباري لتنقية الحديث من قبل الأئمة أنفسهم عليهم السلام، إلا ما كان موافقًا لما نقلوه أو ما عليه إجماع الأئمة مما لا ينكر قط.

ولهذا فإنني مجبر أن أوضح لمن يجهل مسيرة الحديث والتدوين، وهي قصة مختلفة تمامًا، ومبرهنة بالنصوص، والروايات التاريخية والحديثية. ولكنني ساختصر؛ لأن الموضوع يحتاج الى كتب، وبالفعل هناك كتب درست هذه القضية يمكن مراجعتها.

قصة مسار الحديث الشريف، مختصرة:

لا نذهب إلى حياة الرسول فالمسألة فيها تعقيدات ولكن في رزية الخميس قال عمر بن الخطاب: "حسبنا كتاب الله" أو "وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللَّهِ حَسْبُنَا"، ونهى عن إحضار الدواة والكتف، وهذه مِن أوائل إشاراته إلى رأيه في التناقض بين القرآن وكلام الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه يفضل فهمه للقرآن على كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، مهما كان محددًا.

قد يجادل فيها النسر أو غيره، لأنها مسألة تفننوا في الاعتذار لها في رزية الخميس. (وهي أعذار لا يمكن أن تحجب شمس الحقيقة المؤلمة التي هي كارثة بحد ذاتها، كما نقل لي احد المستبصرين حفظه الله فقال لي: إن ما شيعني هو قراءتي لرزية الخميس مئات المرات، وأنا أحاول أن لا اصدق بها، لكونها كارثة دينية حقيقية)

لكن ما حدث بعد تلك الحادثة بالنسبة للحديث الشريف، لا يمكن المجادلة فيه إلا بالمغالطة وبمعايير غير إسلامية، فقد أورد مسلم في صحيحه رواية صريحة بأن عمر بن الخطاب كان يرى تعارضًا بين القرآن وبين كلام الرسول، ويحمل كلام الرسول على الخصوصية للرسول وهي ليست لتكليف البشر. ودعا علانية لترك كلام الرسول والتمسك بعموم القرآن. والرواية فيها نكات علمية كثيرة، ولكن المحدثون السابقون يتغاضون عنها، لأن هذا الرأي من عمر مرفوض عندهم ظاهرًا ولا يريدون التصريح بذلك.

(قبل نقل الرواية أقول كلمة مهمة وهي أن رسول الله له خصوصيات حكمية خاصة مثل طهارته التامة ومثل حلية الزواج لأكثر من أربعة ووجوب صلاة نافلة الليل عليه وغير ذلك، وهذا ليس محل حديثنا ونقدنا وإنما البحث يقتصر على ادعاء أن سلوكه وقوله صلى الله عليه وآله وسلم نابع عن خصوصية بمعنى أن النبي كان يحكم

بموجب خصوصية بينه وبين الله وانتفت هذه الخصوصية بموته، فلا يستدل بسنته في الدين، وهذا اتجاه آخر تماما فأرجو الانتباه لذلك)

سأنقل الرواية عن المسند الجامع بدل صحيح مسلم بسبب ما أعقبها من تخريج وهو مفيد لعبّاد السند:

المسند الجامع – (ج ٤ / ص ٢٩):

عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَأْمُرُ بِالْمُتْعَةِ، وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَنْهَى عَنْهَا، قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: عَلَى يَدَيَّ دَارَ الْحَدِيثُ

((تَمَتَّعْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ قَالَ: إِنَّ اللهَ كَانَ يُحِلُّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ مَنَازِلَهُ، فَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ، وَأَبِتُّوا نِكَاحَ هَذِهِ النِّسَاءِ، فَلَنْ أُوتَى بِرَجُلٍ نَكَحَ امْرَأَةً إِلَى أَجَلٍ إِلاَّ رَجَمْتُهُ بِالْحِجَارَةِ.)).

أخرجه أحمد ١/ ٥٢(٣٦٩) قال: حدَّثنا بَهْز (ح) وحدَّثنا عَفَّان، قالا: حدَّثنا هَمَّام، حدَّثنا قَتَادَة . وفي ٣/ ٢٩٨(١٤٢٣١) قال: حدَّثنا مُحَمد بن جَعْفَر، حدَّثنا شُعْبَة (ح) وحَجَّاج، قال: حدَّثني شُعْبَة ، قال: سَمِعْتُ قَتَادَة . وفي ٣/٣٢٥(١٤٥٣٣) قال: حدَّثنا عَبْد الصَّمَد، حدَّثنا حَمَّاد، عن عاصم . وفي ٣/٣٥٦(١٤٨٩٥) قال: حدَّثنا يُونُس، حدَّثنا حَمَّاد، يَعْنِي ابن سَلَمَة، عن علي بن زَيْد، وعاصم الأَحْوَل . وفي ٣/٣٦٣(١٤٩٧٨) قال: حدَّثنا عَفَّان، حدَّثنا حَمَّاد، أخبرنا علي بن زَيْد، وعاصم

الأَحْوَل، و((مُسْلم)) ٣٨/٤(٢٩١٩) قال: حدَّثنا مُحَمد بن الْمُثَنَّى، وابن بَشَّار . قال ابن الْمُثَنَّى: حدَّثنا مُحَمد بن جَعْفَر، حدَّثنا شُعْبة ، قال: سَمِعْتُ قَتَادَة . وفي (٢٩٢٠) قال: وحدَّثنيه زُهَيْر بن حَرْب، حدَّثنا عَفَّان، حدَّثنا هَمَّام، حدَّثنا قَتَادَة . وفي ٥٩/٤(٣٠٠٠) و١٣١/٤(٣٣٩٨) قال: حدَّثني حامد بن عُمَر البَكْرَاوِي، حدَّثنا عَبْد الواحد، عن عاصم . ثلاثتهم (قَتَادَة، وعاصم، وعلي) عن أَبي نَضْرَة، فذكره.) .

فإذن هذه الرواية صريحة في منهج عمر بترك سنة رسول الله واعتقاده بأن لرسول الله خصوصية يجب على المسلمين تركها، فإن الله يحل له ما شاء بما شاء، وهذا لا يعتمد في شريعة المسلم.

هذا الحديث يمكن التفريع عليه بفقه عجيب غريب لا يمت للإسلام بصلة، ويمكن شرحه وشرح لوازمه بكتيب صغير، ولكننا تركناه للقارئ الذكي. فليفكر في قول عمر: (إِنَّ اللهَ كَانَ يُحِلُّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ،) وهو دال على اعتقاده الخصوصية التشريعية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم المتعارضة مع الشريعة العامة لأحكامه ليست من الشريعة التي يكلف بها الناس.

وقوله: {وَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ مَنَازِلَهُ، فَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ، وَأَبِتُّوا نِكَاحَ هَذِهِ النِّسَاءِ} وهو دال على تعارض سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع القرآن ويجب التمسك بالقرآن وترك السنة. وقوله: {فَلَنْ أُوتَى بِرَجُلٍ نَكَحَ امْرَأَةً إِلَى أَجَلٍ إِلاَّ رَجَمْتُهُ بِالْحِجَارَةِ} وهو دال على أن ما فعله الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم من سماح بحكم متعة النساء إنما هو حكم محرّم وزنا بنظره يوجب الرجم حتى على غير المحصن، وهذا كله لا يقول به الفقيه السني ويعارضة أشد المعارضة لأن فقهه ترقيعي في الغالب، وهو يؤمن بمصدرية الكتاب والسنة، وهذا الحديث يلغي مصدرية السنة من أساسها، وقد صرح الشافعي إجماع المسلمين برفع الحد والعتاب على من استعمل متعة النساء، وأما متعة الحج فقد بنوا فقههم عليها وخالفوا عمر، وهذا كله خلاف مقولة الخليفة، وباقي الفهم موكول إلى العقل الوقّاد.

فإذا كان هذا رأيه في نفس سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، فأي حديث وأي تدوين؟ فلا مجال لهما قطعًا.

ولكن هل هذا الحديث وحده يدل على هذه النظرية الخطيرة، الجواب: لا. فإن هناك العديد من الأحاديث مختلفة الاتجاه والمعنى تدل على هذا الاتجاه التشريعي الخطير، وعلى هذه النظرية.

معركة الخلافة والصراع مع النص الشريف

ونبدأ بيوم وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم، فإنه قد نشأ صراع افتعله شخصان هما أبو بكر وعمر، للمبادرة بسلب الخلافة من الخليفة المنصوص، مستغلين التوجه الخاطئ عند الأنصار في الصراع بين قبيلتين وكل واحدة تريد أن تستأثر بالأمر، ولكن سرعان ما بدأت المطالبة بحق علي بن أبي طالب بحكم النص عليه من النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم، لكن لم يلتفت إلى هذه النصوص بل أغفلت تمامًا!

وبهذه المناسبة نذكر أن بعض حمقى السلفية يكررون أن عليًا أو غيره لم يحتج بصحة إمامته بالنصوص، متوهمين أن الناس لا تقرأ ولا تعقل، بينما حرب النص هي أول الحروب، ولكن السلطة حاولت طمسها إلا أن اللّه أظهرها على لسان أحبابه وأعدائه، فهذا الناصب الكاره لأهل البيت السلفي شديد التعصب ابن قتيبة الدنيوري الذي ألف كتاب في السياسة، خلاصته أن سياسة الحاكم المسلم يجب أن تكون بالحيلة والغلبة والسيف والظلم وليس لها أخلاق أبدًا.

الإمامة والسياسة – ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني – (ج ١/ ص ١٩):

(إباية علي كرم اللّه وجهه بيعة أبي بكر رضي اللّه عنهما

ثم إن عليًا كرم اللّه وجهه أتى به إلى أبى بكر وهو يقول: أنا عبد اللّه وأخو رسوله، فقيل له بايع أبا بكر، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة

لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله عليه وسلم، وتأخذونه منا أهل البيت غصبا ؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان [لِمَكان] محمد منكم، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الامارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار نحن أولى برسول الله حيا وميتا فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال له عمر: إنك لست متروكًا حتى تبايع، فقال له علي: احلب حلبا لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غدًا.

ثم قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه.

فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك، فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي كرم الله وجهه: يا بن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم، ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك، وأشد احتمالاً واضطلاعًا به، فسلم لأبي بكر هذا الأمر، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء، فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق، في فضلك ودينك، وعلمك وفهمك، وسابقتك ونسبك وصهرك.

فقال علي كرم الله وجهه: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته، إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فو الله يا معشر المهاجرين، لنحن أحق الناس به. لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم

بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله، فتتزدادوا من الحق بعدًا.

فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان) انتهى

أقول: إلى هنا وقف ابن قتيبة ولم يكمل الرواية لأن البقية فضيحة، والآن نكملها من كتاب الإحتجاج وروايات أخرى مؤيدة وداعمة وموضحة للموقف.

الاحتجاج للطبرسي – (ج ٩ / ص ٢):

فقال بشير بن سعد الأنصاري الذي وطأ الأرض لأبي بكر وقالت جماعة من الأنصار:

يا أبا الحسن لو كان هذا الأمر سمعته منك الأنصار قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان.

فقال علي عليه السلام: يا هؤلاء كنت أدع رسول الله مسجى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه، والله ما خفت أحًدا يسمو له وينازعنا أهل البيت فيه ويستحل ما استحللتموه، ولا علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله ترك يوم غدير خم لأحد حجة ولا لقائل مقالاً، فأنشد الله رجلاً سمع النبي يوم غدير خم يقول: "من كنت

مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وخذل من خذله " أن يشهد الآن بما سمع.

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلاً بدريًا بذلك وكنت ممن سمع القول من رسول الله صلى الله عليه وآله فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا علي علي فذهب بصري.

قال: وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت وخشي عمر أن يصغي الناس إلى قول علي عليه السلام، ففسح المجلس وقال: إن الله يقلب القلوب، ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة، فانصرفوا يومهم ذلك.

الاحتجاج الطبرسي – (ج ٩ / ص ٢):

وعن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام:

جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثني عشر رجلاً:

من المهاجرين خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي.

ومن الأنصار أبو الهشيم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري.

تكمل الرواية محاججة الصحابة مع أبي بكر حين صعد منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

الاحتجاج – (ج ٩ / ص ٥):

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال:

اتق الله يا أبا بكر فقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ونحن محتوشوه يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: (يا معاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها وموعدكم أمرًا فاحفظوه، ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي، ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم أشراركم، ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي واجعل لهم نصيبًا من مرافقتي يدركون به نور الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض)

فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا ممن يقتدى برأيه.

فقال له خالد: بل اسكت أنت يا ابن الخطاب فإنك تنطق على لسان غيرك، وأيم الله لقد علمت قريش إنك من ألأمها حسبًا وأدناها منصبًا وأخسها قدرًا وأخملها ذكرًا وأقلهم عناءً عن الله ورسوله، وإنك لجبان في الحروب بخيل بالمال لئيم العنصر، مالك في قريش من فخر ولا في الحروب من ذكر، وإنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان {إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين} فأبلس عمر وجلس خالد بن سعيد.

ثم قام سلمان الفارسي وقال "كرديد ونكرديد" أي فعلتم ولم تفعلوا، وقد كان امتنع من البيعة قبل ذلك حتى وجئ عنقه.

فقال: يا أبا بكر إلى من تسند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه، وإلى من تفزع إذا سئلت عما لا تعلمه، وما عذرك في تقدمك على من هو أعلم منك وأقرب إلى رسول الله وأعلم بتأويل كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ومن قدمه النبي صلى الله عليه وآله في حياته وأوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله وتناسيتم وصيته وأخلفتم الوعد ونقضتم العهد وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد حذرًا من مثل ما أتيتموه وتنبيها للأمة على عظيم ما احترمتموه ومن مخالفة أمره فعن قليل يصفو لك الأمر وقد أثقلك الوزر ونقلت إلى قبرك وحملت معك ما كسبت يداك، فلو راجعت الحق من قريب وتلافيت نفسك وتبت إلى الله من عظيم ما اجترمت كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم تفرد في حفرتك ويسلمك ذوو نصرتك، فقد سمعت كما سمعنا ورأيت

كما رأينا، فلم يردعك ذلك عما أنت متشبث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقلده ولاحظ للدين ولا المسلمين في قيامك به، فالله الله في نفسك، فقد أعذر من أنذر ولا تكن كمن أدبر واستكبر.

ثم قام أبو ذر الغفاري فقال: يا معشر قريش أصبتم قباحة وتركتم قرابة، والله ليرتدن جماعة من العرب ولتشكن في هذا الدين، ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان، والله لقد صارت لمن غلب، ولتطمحن إليها عين من ليس من أهلها، وليسفكن في طلبها دماء كثيرة – فكان كما قال أبو ذر —

ثم قال: لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

"الأمر بعدي لعلي ثم لابني الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي" فأطرحتم قول نبيكم وتناسيتم ما عهد به إليكم، فأطعتم الدنيا الفانية ونسيتم الآخرة الباقية التي لا يهرم شابها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكانها بالحقير التافه الفاني الزائل، فكذلك الأمم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها ونكصت على أعقابها وغيرت وبدلت واختلفت، فساويتموهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وعما قليل تذوقون وبال أمركم وتجزون بما قدمت أيديكم. وما الله بظلام للعبيد.

ثم قام المقداد بن الأسود فقال: يا أبا بكر ارجع عن ظلمك، وتب إلى ربك وإلزم بيتك، وابك على خطيئتك، وسلم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله صلى الله عليه وآله في عنقك من بيعته، وألزمك من النفوذ تحت راية أسامة

بن زيد وهو مولاه، ونبه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه بضمه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشنان والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيه صلى الله عليه وآله {إن شانئك هو الأبتر} وهو كان أميرًا عليكما وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي أنفذه رسول الله صلى الله عليه وآله في غزاة ذات السلاسل، وأن عمروًا قلد كما حرس عسكره، فأين الحرس إلى الخلافة، اتق الله وبادر بالاستقالة قبل فوتها، فإن ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركن إلى دنياك ولا تغرنك قريش وغيرها، فعن قليل تضمحل عنك دنياك ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت وتيقنت أن علي ابن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله، فسلمه إليه بما جعله الله له فإنه أتم لسترك واخف لوزرك، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأمور.

ثم قام إليه بريدة الأسلمي فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا لقي الحق من الباطل، يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت وخدعت أم خدعتك نفسك أم سولت لك الأباطيل، أو لم تذكر ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وآله من تسمية علي عليه السلام بإمرة المؤمنين والنبي صلى الله عليه وآله بين أظهرنا، وقوله له في عدة أوقات "هذا علي أمير المؤمنين وقاتل القاسطين"، اتق الله وتدارك نفسك قبل أن لا تدركها وأنقذها مما يهلكها واردد الأمر إلى من هو أحق به منك، ولا تتمادَ في اغتصابه، وراجع وأنت تستطيع أن تراجع، فقد محضتك النصح ودللتك على طريق النجاة، فلا تكونن ظهيرًا للمجرمين.

ثم قام عمار بن ياسر فقال: يا معاشر قريش ويا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم وإلا فاعلموا أن أهل بيت نبيكم أولى به وأحق بإرثه وأقوم بأمور الدين وآمن على المؤمنين وأحفظ لملته وأنصح لأمته، فمروا صاحبكم فليرد الحق إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف أمركم ويظهر شتاتكم وتعظم الفتنة بكم وتختلفون فيما بينكم ويطمع فيكم عدوكم، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم، وعلي [أقرب منكم إلى نبيكم وهو] من بينهم وليكم بعهد الله ورسوله وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال عند سد النبي صلى الله عليه وآله أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلها غير بابه، وإيثاره إياه بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها إليه منكم، وقوله صلى الله عليه وآله "أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها" وإنكم جميعًا مضطرون فيما أشكل عليكم من أمور دينكم إليه وهو مستغن عن كل أحد منكم إلى ما له من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه وتبتزون عليا حقه وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة بئس للظالمين بدلاً، أعطوه ما جعله الله له ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا ترتدوا على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين.

ثم قام أبي بن كعب فقال: يا أبا بكر لا تجحد حقًا جعله الله لغيرك، ولا تكن أول من عصى رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيه وصفيه وصدف عن أمره، اردد الحق إلى أهله تسلم، ولا تتمادَ في غيك فتندم، وبادر الإنابة يخِفّ وزرك، ولا تخصص بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك نفسك فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه وتصير إلى ربك، فيسألك عما جنيت وما ربك بظلام للعبيد.

ثم قام خزيمة بن ثابت فقال: أيها الناس ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري؟ قالوا: بلى. قال: فأشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول "أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل وهم الأئمة الذين يقتدى بهم" وقد قلت ما علمت، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

ثم قام أبو الهشيم بن التيهان فقال: وأنا أشهد على نبينا صلى الله عليه وآله أنه أقام عليًّا – يعني في يوم غدير خم – فقالت الأنصار: ما أقامه للخلافة، وقال بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله صلى الله عليه وآله مولاه، وكثر الخوض في ذلك فبعثنا رجالا منا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن ذلك فقال: قولوا لهم علي ولي المؤمنين بعدي وأنصح الناس لأمتي، وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، إن يوم الفصل كان ميقاتًا.

ثم قام سهل بن حنيف فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي محمد وآله ثم قال:

يا معاشر قريش اشهدوا علي أني أشهد على رسول الله وقد رأيته في هذا المكان – يعني الروضة – وقد أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول: أيها الناس هذا على إمامكم من بعدي ووصيي في حياتي وبعد وفاتي وقاضي ديني ومنجز وعدي وأول من يصافحني على حوضي، فطوبى لمن اتبعه ونصره، والويل لمن تخلف عنه وخذله.

وقام معه أخوه عثمان بن حنيف وقال: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدموهم وقدموهم فهم الولاة من بعدي، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله وأي أهل بيتك؟ فقال، علي والطاهرون من ولده. وقد بين صلى الله عليه وآله فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به، ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: اتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم، واردوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا صلى الله عليه وآله ومجلس بعد مجلس يقول: " أهل بيتي أئمتكم بعدي" ويؤمى إلى علي ويقول "هذا أمير البررة وقاتل الكفرة مخذول من خذله منصور من نصره" فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه إن الله تواب رحيم، ولا تتولوا عنه مدبرين ولا تتولوا عنه معرضين.

قال الصادق عليه السلام: فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جوابًا.

ثم قال: وليتكم ولست بخيركم أقيلوني أقيلوني، فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يا لكع إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك واجعلها في سالم مولي أبي حذيفة.

قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل

فقال لهم: ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس لنأخذن الذي فيه عيناه.

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا بن صهاك الحبشية أبأسيافكم تهددوننا أم بجمعكم تفزعوننا، والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم وأنا لأكثر منكم وإن كنا قليلين لأن حجة الله فينا، والله لولا أني أعلم أن طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري.

فقام [فقال] أمير المؤمنين: اجلس يا خالد فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك، فجلس .

وقام إليه سلمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بهاتين الأذنين وإلا صمتا يقول "بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار يريدون قتله وقتل من معه، فلست أشك إلا وأنكم هم"

فهم به عمر بن الخطاب فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض ثم قال: يا ابن صهاك الحبشية لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم لأريتك أينا أضعف ناصرًا وأقل عددًا.

ثم التفت إلى أصحابه فقال: انصرفوا رحمكم الله، فو الله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون، إذ قال له أصحابه {فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون} والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله صلى الله عليه وآله أو لقضية أقضيها فإنه لا يجوز بحجة أقامها رسول الله صلى الله عليه وآله أن يترك الناس في حيرة.

احتجاج السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها بالنص (النص من كتاب الاحتجاج برواية الإمام الصادق المصدق سلام الله عليه وصلواته : عن كتاب الاحتجاج بعد تلك الرواية:

(وعن عبد الله بن عبد الرحمن قال: ثم إن عمر احتزم بأزاره وجعل يطوف بالمدينة وينادي: ألا إن أبا بكر قد بويع له فهلموا إلى البيعة، فينثال الناس يبايعون، فعرف أن جماعة في بيوت مستترون، فكان يقصدهم في جمع كثير ويكبسهم ويحضرهم المسجد فيبايعون حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى، فدعا عمر بحطب ونار وقال: والذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لأحرقنه على ما فيه. فقيل له: إن فاطمة بنت رسول الله وولد رسول الله وآثار رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، وأنكر الناس ذلك من قوله، فلما عرف إنكارهم

قال: ما بالكم أتروني فعلت ذلك إنما أردت التهويل، فراسلهم علي أن ليس إلى خروجي حيلة لأني في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه وألهتكم الدنيا عنه، وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا أدع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن)

(قال وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم فوقفت خلف الباب ثم قالت:

لا عهد لي بقوم أسوأ محضرًا منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم تؤمرونا ولم تروا لنا حقًا، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم، والله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة.)

ابن قتيبة يقول إن عليًا اتهم الشيخين بالكذب على رسول الله وادعاء ما ليس لهما:

الإمامة والسياسة – ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني – (ج ١ / ص ٢١):

(وإن أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده. لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له يا أبا حفص. إن فيها فاطمة ؟ فقال وإن، فخرجوا فبايعوا إلا عليا فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن، فوقفت فاطمة

رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقًا.

فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟

فقال أبو بكر لقنفد وهو مولى له: اذهب فادع لي عليا، قال فذهب إلى علي فقال له: ما حاجتك؟

فقال يدعوك خليفة رسول الله،

فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله.

فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى أبو بكر طويلاً.

فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة،

فقال أبو بكر رضي الله عنه لقنفد: عد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفد، فأدى ما أمر به، فرفع على صوته فقال سبحان الله ؟ لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفد، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً،

ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب،

فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: (يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة) فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تنصدع، وأكبادهم تنفطر، وبقى عمر ومعه قوم، فأخرجوا علي، فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه ؟ قالوا: إذا والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك، فقال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم،

فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك ؟ فقال: لا أكرهه على شئ ما كانت فاطمة إلى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح ويبكي، وينادي: {يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني}

ثم يسترسل السلطاني الناصب ابن قتيبة في الحدث فيسرد:

الإمامة والسياسة – ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني – (ج ١ / ص ٢٤):

(فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به ؟ قالا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ قالا نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لاشكونكما إليه)

ثم يسترسل ابن قتيبة بنقل أحداث تعاكس هذه الأحداث بالاتجاه، تقول إن عليًّا وافق على تنصيب أبي بكر بعد ذلك، بل زاد كذبًا بأن أبا بكر طلب الإقالة وكان عليٌ هو من يثبته ويقول له ما معناه : (أنت أحق بها منا) على طريقة الكذب والنصب وخلط الأوراق، وكل ما يهمنا هو إيراد ما أورده مما أجمع عليه الرواة من محاججات بالحديث وبالنص الشريف.

أقول: هذه صورة لما تم فيه استخدام حديث رسول الله أصحاب السلطة القائمة على السيف.

ولكنها لم تقف عند هذا الحد فقد اشتعلت بعد ذلك بصورة أشد ضراوة أدت إلى اغتيال بنت رسول الله لكونها حملت راية الحديث والمحاججة الدينية الشرعية، وهم من استفزها.

معركة النِّحلة وصراع الحديث الشريف

تعارض السنة مع الرسالة، وتكريس ادّعاء الأحكام الخاصة للنبي التي لا تهم المكلف.

ثم بدأت معركة افتعلاها [أي أبي بكر وعمر] أيضًا بعد أيام من استقرار الحكم لهما، وهي قضية فدك، حيث تم سحبها من يد فاطمة عليها السلام، بدعاوى هزيلة فقامت فاطمة بمجابهتهما بالنصوص والمحاكمة للفعل، فجعلوها قضية قضائية، وحكما فيها بما يخالف أي قضاء معروف في الدنيا، والقضية تمثل حيازة أرض بيد شخصٍ يدعي عليه أحدهم (هو المدعي وهو القاضي!)، فيقيم صاحب اليد الأدلة على أنها ملكه نحلة من أبيه ويأتي بشهود هم (من كان مع الحق والحق معه أينما دار) (وسيدا شباب أهل الجنة) وامرأة [أم أيمن] وصفها الرسول بأنها (امرأة من أهل الجنة) فترد شهادتهم، بدعوى أن هناك بيانًا خاصًا من رسول الله لمن ليس محل ابتلاء ـ مع نفي أصحاب الابتلاء بوجود ذلك البيان، ففي هذه القضية عدة مخالفات قضائية ارتكبت، أجملها:

١- أن المدعي هو عين القاضي!

٢- أن الدعوى من أجنبي على صاحب يد، ولو قيل بأن اليد لا تدل على أكثر من صحة التصرف (وهذا محل نقاش) فإن المدعى عليه أتى بالشهادة الدالة على الملكية.

٣- أن القاضي طلب من المنكر البينة، بينما لم يأت المدعي بالبينة، وقد أصبح نفي المدعي لملكية الزهراء هو الدليل على عدم ملكيتها وأخذها منها وهذا بحكم القانون الإسلامي غصب واضح.

٤- اضطرت الزهراء أن تقيم البينة على كونها نحلة وملكًا خاصًا لها، فَرُدَّتْ بينتُها الشرعية لأسباب لا علاقة لها بالقضاء الإسلامي، مثل رد شهادة علي بن أبي طالب، حتى لو قال عنه رسول الله (الحق معه أينما دار) بحجة أنه زوج، والزوج لا يشهد لزوجته بحق! ، ورد شهادة اثنين شهد لهما رسول الله بأنهما سيدا شباب أهل الجنة بحجة عدم جواز شهادة الفرع للأصل، ورد شهادة امرأة شهد لها رسول الله (بأنها من أهل الجنة) بحجة أنها أعجمية! ولا يصح قبول شهادة الأعجمي.

ثم إن الزهراء عليها السلام بعد أن جار عليها القاضي الحاكم المدعي، وقد سلب منها ملكية الأراضي، حولت القضية إلى أمر آخر، فطلبت أن تكون الأرض تركة موروثة باعتبارها ملكًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتحولت المحاكمة إلى موضوع آخر، وهو الإرث بعد أن طويت قضية الملكية بطريقة لا قانونية، وتم سلب العين المتنازع عليها، وقد ارتكب الخليفة أخطاء قانونية أخرى، حسب الشريعة الإسلامية، وقد تجاوز هذه المرة إلى أصل التشريع، وسأختصر الأخطاء القانونية بنقاط:

١- أن القاضي هو عين المُدَّعَى عليه.

٢- أن المدعِي هو من أهل العلم بالشريعة، وله خصوصية كبيرة حيث إنه ابن المورث الذي هو نفسه المشرّع الأساس ومصدر الشريعة الإسلامية، وهو يعلم بأن ابنته فاطمة وعليًا وابنيها يحتاجون مثل هذا النص المُدَّعَى فيما لو كان هناك استثناء شرعي، لأنهم تحت رعايته المباشرة، وهم أهل الحاجة دون غيرهم، و المُدَّعِي (الذي هو الزهراء عليها السلام) ادعى صحة التوريث وأنه لا خصوصية للنبي ولم يرد عن النبي أي خصوصية في ذلك.

٣- اعتمد القاضي المدعَى عليه على فكرة نزع أملاك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الشخصية إلى الملكية العامة، ونفى التوريث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدعوى أن هذا لخصوصية له.

٤- تحوّل القاضي المدعَى عليه إلى مشرع خاص حين نفى التوريث عن الأنبياء بخلاف نصوص القرآن الكريم هذه المرة ولم يستجب للاستدلال بكتاب الله في توريث الأنبياء المال، وحين أمر بتحويل الملك الخاص إلى ملك عام بدعوى علمه الخاص.

٥- ادعى القاضي وجود نص عن الرسول لا يعرفه أحد من المسلمين، وخصوصًا أهل بيت النبي الذين هم أهل الابتلاء بالحكم، والحديث هو تركيب جزء مع حديث أصلي وهذا المضاف هو: (ما تركنا صدقة)، مع الحديث الذي لا ينكره أهل البيت هو (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبًا ولا فضة وإنما نورث العلم)، وهذا النص الأخير غير مُنكَر، ولكن التوريث المنفي فيه هو التوريث للأمة، وليس كلامه في الملك الخاص

فأضاف الحاكم (ما تركنا صدقة) لهذا النص المعترف به، فأصبح توجيها لتحويل الملكية الخاصة للعامة.

٦- في تطبيق هذه الإضافة ادعاء خصوصيتين: الأولى هي عدم ملكية النبي لأموال خاصة بعد وفاته (ولعل دعوى الحاكم أن الرسول في حال حياته لا يملك ملكًا خاصًا)، فإن الأنفال هي أملاك النبي الخاصة تتحول إلى عامة بعد وفاته، وهذا دون اثباته خرط القتاد؛ لأنها أملاك خاصة في حياته، فكيف تتحول إلى عامة بعد وفاته؟، والخصوصية الثانية المدعاة: ادعاء وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بكل ملكيته لتتحول إلى ملك عام، وهذه وصية بأكثر من الثلث وهي ممنوعة، فمعناه أن الرسول – وحاشاه – لا يفهم الشريعة، حسب هذا النص المضاف، ولهذا فان الضرورة تحكم بإختلاق هذا النص أو إساءة تصوير وتفسير الجزء الصحيح من النص بشكل مكشوف.

٧- تحتج الحاكم المدعَى عليه بحجتين:

أ) بتصرف النبي في أملاكه وأنه كان ينفقها على المسلمين والإنفاق دليل عدم امتلاكه للمال، وهذا دليل لا يقول به اقل طلبة العلم، لأن الإنفاق من الكريم لا يدل على نفي الملكية الخاصة.

ب) بعلم الحاكم الشخصي بطرقه الخاصة، صحة حكمه هذا مثل علمه الخاص بوجود نص عن الرسول غاب عن كل المسلمين، ونحن نعلم أن الفقهاء اختلفوا في حكم القاضي بعلمه في قضيةٍ يحكم بها، فقال الأعم الأغلب بعدم

الجواز، وقال قلة بالجواز، ولكن لا يوجد فقيه واحد في الإسلام يقبل أن يحكم القاضي في دعوى هو ركن فيها بعلمه الخاص، وإنما يقدمها لقاض آخر ويعرض بينته. فتصرف الخليفة غير مسموح به بحكم جميع فقهاء المسلمين.

٨- التناقض الواضح في تطبيق الحكم، في موارد كثيرة:

أ) فحين طولب الحاكم بشهادة على صحة نسبة النص لرسول الله، وعجز فأتى بشهادة ابنته، ولم يطبق نظريته في عدم صحة شهادة الفرع للأصل، التي رد بها شهادة الحسنين، وقد صارت الأموال تحت تصرفه وتملكها شخصيًا بدليل التوارث فيما بعد من سلب الحكام لها كل واحد من ورثة الذين قبله، فهذه شهادة من الفرع جرت نفعًا على الأصل، وأي نفع أكبر من مال تمكن به الخليفة من إدارة دولته لعظيم خطر ذلك المال؟

ب) لم يتوقف عن توريث نساء النبي ولم يعتمد نصه ودعواه عدم التوريث

جـ) تبيّن فيما بعد أن فدك لم تكن لعامة المسلمين وإنما تم تداولها بين الحكام، وانتهى أمرها في زمن عثمان بتوزيعها تركة على بني أمية، وقد كشف ذلك عمر بن عبد العزيز حين تنازل عن حصته من تلك التركة لأنها ليست له وإنما هي لأبناء فاطمة، وتبين أنها وزعت على بني أمية، وهذا الخليفة يقولون عنه خليفة راشد ومتدين، وهو يكشف السر بأنهم لا يؤمنون أصلاً بالملكية العامة، وإنما سلبت لأسباب سياسية، والمحاكمة كلها صورية، فبحسب ضميره أرجع ما وقع تحت يده من سلب.

د) تبين فيما بعد بأن تركة الرسول قد حولت كليًا إلى مغتصب الخلافة نفسه وهو من حولها إلى ابنته عائشة، فحين طلب بنو هاشم دفن الحسن عليه السلام في ملكه بالإرث في بيت الرسول؛ لأنه وريث فاطمة التي تملك ٨٨,٨٨٩٪ من بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، قالت السيدة عائشة: (لا تدخلوا بيتي من لا أحب)، فهي تملك البيت إذن، وهي لا تحب سيد شباب أهل الجنة وابن خير خلق الله، (وعدم الحب هنا له معان طويلة عريضة من الحب عند السلفية)، بينما هي دفنت أباها، ودفنت عمر بن الخطاب، بطلب منها مع أنه والد زوجة ثانية للرسول فلم ير له الحق في ذلك، مما يشير إلى أنه يعرف بأن ملك رسول الله في داره امتلكه الخليفة الأول ملكًا شخصيا له، ومِن ثَمّ ملّكه للسيدة عائشة، وإلا لماذا يطلب منها الإذن وهي لا تملك إلا ١,٤٪ (تسع الثمن) من أصل لا يزيد عن ٣٠٠ مترٍ مربع، فحصتها تقارب أربعة أمتار مربعة، وهو مكان يسع لقبر واحد من قبور المسلمين المعتادة والتي هي بأبعاد تقريبية: ١,٥× ٢,٣ = ٣,٤٥ مترًا مربعًا، أو قل لا يسع أكثر من قبرين قطعًا، فكيف كانت تسكن في البيت إذا أعطت حصتها لمن قبرتهم في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهذا يفسر أنها تملك كل البيت ملكًا خاصًا مسلوبًا من جميع الورثة بواسطة والدها، الذي شهدت له عائشة بأن ملك الرسول صدقة للمسلمين ولا يجوز توريثه، فهل هذا انسجام وعدم تضاد؟، فالأمر يتبع عقل الإنسان وذوقه وتربيته على العدل والفطرة، وهناك الكثير من التناقضات أغفلناها كراهة التطويل.

وفي سبيل ذكر النصوص الدالة على خلل المحاكمة الشرعي والقانوني، والاعتراض الشرعي من قبل أصحاب القضية وجدت اختصارًا مفيدًا للسيد محمد كاظم القزويني في كتابه (فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد) وهو مناسب لاختصار جميع النصوص الكثيرة في الموضوع ومن أراد التحقيق فعليه بقراءة كل النصوص في القضية في مظانها، والآن ننقل نص السيد القزويني :

فاطمة الزهراء من اللحد إلى المهد — القزويني : ١٧٣/١ :

(كانت فدك للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من ثلاثة وجوه: الوجه الأول: أنها كانت ذات اليد، أي كانت متصرفة في فدك، فلا يجوز انتزاع فدك من يدها إلا بالدليل والبيّنة. كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (البيّنة على المدعي، واليمين على من أنكر) وما كان على السيدة فاطمة أن تقيم البيّنة لأنها ذات اليد.

الوجه الثاني: أنها كانت تملك فدك بالنحلة والعطيّة والهبة من أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

الوجه الثالث: أنها كانت تستحق فدك بالإرث من أبيها الرسول ولكن القوم خالفوا هذه الوجوه الثلاثة، فقد طالبوها بالبينة، وطالبوها بالشهود على النحلة، وأنكروا وراثة الأنبياء.

وبإمكان السيدة فاطمة أن تطالب بحقها بكل وجه من هذه الوجوه.

ولهذا طالبت بفدك عن طريق النحلة أوّلاً، ثم طالبت بها عن طريق الإرث ثانيًا كما صرّح بذلك الحلبي في سيرته ج ٣ ص٣٩ قال: إن فاطمة أتت أبا بكى بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالت: إن فدك نحلة أبي، أعطانيها حال حياته. وأنكر عليها أبو بكر وقال: أُريد بذلك شهودًا فشهد لها علي، فطلب شاهدًا آخر فشهدت لها أُم أيمن فقال لها: أبِرَجُلٍ وامرأة تستحقينها؟

وذكر الطبرسي في الاحتجاج: فجاءت فاطمة (عليها السلام) إلى أبي بكر ثم قالت: لِمَ تمنعني ميراثي من أبي رسول الله؟ وأخرجت وكيلي من فدك وقد جعلها لي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر الله تعالى؟

فقال: هاتي على ذلك بشهود فجاءت أُم أيمن فقالت: لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنشدك بالله ألست تعلم أن رسول الله قال: أم أيمن امرأة من أهل الجنة؟ فقال: بلى. قالت: فاشهد أن الله عز وجل أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله {وآت ذا القربى حقه..}. فجعل فدك لها طعمة بأمر الله تعالى فجاء عليّ عليه السلام فشهد بمثل ذلك، فكتب لها كتابًا ودفعه إليها فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: إن فاطمة ادَّعت في فدك وشهدت لها أُم أيمن وعليّ، فكتبته لها. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة، فتفل فيه فمزَّقه، فخرجت فاطمة (عليها السلام) تبكي.

وفي سيرة الحلبي ج٣ ص٣٩ أن عمر أخذ الكتاب فشقّه.

نعود إلى ما ذكره الطبرسي قال: فلما كان بعد ذلك جاء عليّ (عليه السلام) إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار فقال: يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد مَلَكته في حياة رسول الله؟! فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين، فإن أقامت شهودًا أن رسول الله جعله لها وإلا فلا حق لها فيها فيه! فقال عليّ: يا أبا بكر تحكم بيننا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال: لا. قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه فادَّعيت أنا فيه مَن تسأل البينة؟ قال: إياك أسأل، قال: فما بال فاطمة سألتها البينة على ما في يديها، وقد مَلَكته في حياة رسول الله وبعده، ولم تسأل المسلمين البينة على ما ادَّعوها شهودًا كما سألتني على ما ادَّعيت عليهم؟

فسكت أبو بكر فقال: يا علي دعنا من كلامك، فإنّا لا نقوى على حجتك، فإن أتيت بشهود عدول، وإلاّ فهي فيء للمسلمين، لا حقَّ لك ولا لفاطمة فيه!

فقال عليّ عليه السلام: يا أبا بكر تقرأ كتاب الله؟ قال: نعم.

قال: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ {إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرًا}. فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟ قال: بل فيكم! قال: فلو أن شهودًا شهدوا على فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بفاحشة ما كنت صانعًا بها؟ قال: كنت أُقيم عليها الحد كما أُقيم على نساء المسلمين!

قال عليّ: كنت إذن عند الله من الكافرين! قال: ولِمَ ؟ قال: لأنك رددت شهادة الله بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها، كما رددت حكم الله وحكم رسوله أن جعل لها فدك وزعمت أنها فيء للمسلمين!. وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): البينة على المدعي، واليمين على من ادُّعي عليه.

قال: فدمدم الناس، وأنكر بعضهم بعضًا، وقالوا: صدق – والله – عليّ.

وقد روى العلامة في كشكوله عن المفضَّل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام رواية لا تخلو من فائدة نذكرها بصورة موجزة، قال:

لما قام أبو بكر بن أبي قحافة بالأمر نادى مناديه: من كان له عند رسول الله دين أو عدة فليأتني حتى أقضيه.

وجاء جابر بن عبد الله وجرير بن عبد الله البجلي، وادَّعى كلٌّ منهما على رسول الله صلى الله عليه وآله فأنجز أبو بكر لهما.

فجاءت فاطمة إلى أبي بكر تطالب بفدك والخمس والفيء فقال: هاتي بينة يا بنت رسول الله، فاحتجت فاطمة (عليها السلام) بالآيات، وقالت: قد صدّقتم جابرَ بن عبد الله وجرير بن عبد الله البجلي ولم تسألوهما البيّنة، وبَيّنتي في كتاب الله، وأخيرًا طالبوها بالشهود، فبعثت إلى عليّ والحسن والحسين وأُم أيمن وأسماء بنت عميس وكانت تحت أبي بكر (أي زوج أبي بكر) وشهدوا لها بجميع ما قالت.

فقالوا: أما علي فزوجها، وأما الحسن والحسين فابناها وأما أُم أيمن فمولاتها، وأما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبي طالب فهي تشهد لبني هاشم، وقد كانت تخدم فاطمة وكل هؤلاء يجرّون إلى أنفسهم.

فقال عليّ: أما فاطمة فبضعة من رسول الله ومَن آذاها فقد آذى رسول الله، ومن كذَّبها فقد كذَّب رسول الله.

وأما الحسن والحسين فابنا رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة، من كذَّبهما فقد كذَّب رسول الله، إذ كان أهل الجنة صادقين.

وأما أنا فقد قال رسول الله: أنت مني وأنا منك، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، والراد عليك هو الراد عليَّ من أطاعك فقد أطاعني ومن عصاك فقد عصاني.

وأما أُم أيمن فقد شهد لها رسول الله بالجنة، ودعا لأسماء بنت عميس وذريتها.

فقال عمر: أنتم كما وصفتم به أنفسكم، ولكن شهادة الجارّ إلى نفسه لا تقبل، فقال عليّ: إذا كنا نحن كما تعرفون ولا تنكرون وشهادتنا لأنفسنا لا تقبل وشهادة رسول الله لا تقبل فإنا لله وإنا إليه راجعون، إذا ادَّعينا لأنفسنا تسألنا البيّنة فما من معين يعين، وقد وثبتم على سلطان الله وسلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بينة ولا حجة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ثم قال لفاطمة: انصرفي حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.) انتهى ما اقتبسناه من السيد القزويني.

هذه النصوص التي ذكرها اختصارا السيد القزويني تستند وتعتمد على عشرات النصوص، ومن يُرِد أن يتحرى الحقيقة يعثر عليها قطعًا.

إذن يا عزيزي المحب لله ورسوله، كان سقوط هاتين المحاكمتين قضائيًا سقوطًا لفقه الخليفة، بل سقوطًا لشرعيته رأسًا، ونكوصًا في متابعة النص النبوي إلى درجة الفضيحة، حيث إن التراث النبوي الذي ظهر بعد ذلك أثبت عدم التسليم بجزئيات الأحكام التي وردت في المحاكمتين، وعدم قبولها أصلا عند جميع فقهاء المسلمين بما هو موروث متواتر لديهم، فالقضية هنا لها وجه آخر غير الوجه السياسي والقانوني. وهو الوجه الحديثي النصي الذي يحاصر أنصار السلطة بدعوى الشورى وجمع الكلمة.

فقد كانت النصوص تحاصر الحاكم من كل صوب، ولهذا فقد أدرك الحاكم ومساعده وبقية مساعديه أن نصوص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خطيرة جدا عليهم، ولهذا اخترعوا ترك السنة والاعتماد على القرآن الكريم (وإن كان القرآن عرضة للترك حين يخالف عمل الحاكم) كما رأينا في سرد هذا الموضوع. وسيأتي كلام في ذلك إن شاء الله.

كما اخترعوا الأحكام الخاصة بالرسول (الخصوصية التشريعية خارج الأمور المخصوصة بالرسول) في كل ما لا يريدون من حكم. وكان الخليفة عمر الناطق الرسمي عن المجموعة، وهو أكثرهم صراحة، فكان يغيّر أحكام رسول الله في سنته، محتجًا بأنها لم ترد في القرآن! ، وأن نصوص الرسول أحكام خاصة به لا تنطبق على المسلمين، وقد قدمنا نماذج من أفكاره وهي واضحة لا يُلوى لها عنق، منذ حياة الرسول إلى آخر عهد خلافته.

وفي فترة المحاكمة وهي فترة البدء لمشروع الخلافة المناهضة للنص، فقد انهالت نصوص كثيرة في الحدث وغيره، وقد ظهر لأول مرة نص موضوعٌ مفترى، ادعاه فريق الحاكم، وكذبه بشدة فريق آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهنا ظهرت لأول المرة النصوص المتضاربة في النسبة لرسول الله بعد رحيله، وتكذيب بعض الصحابة بعضُهم بعضًا، في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأهل البيت كذبوا الخليفة وابنته زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، و كذَّبوا مستشاريه المتعددين وعلى رأسهم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب. وقد أظهر فريق المعارضة الكثير من النصوص المحاصرة للحاكم وخطته، وكانت النصوص منسوبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، ولم يصدر أي تكذيب لها. فكانت في جانبها الثانوي معركة نصوص ومعركة حديث، وهذا الحدث وَلَّدَ حالة تشنج السلطة من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي أدَّى إلى حالة منع التدوين ومنع التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قتل الإنسانية

نسأل أنفسنا سؤالاً مهمًا:

لقد قتل بنو أمية وحزبهم ثلة من آل الرسول في يوم الطف، فما هو نوع من قتلوا؟ لنستخلص العبرة، لنعدد أصناف من قتلوا:

قتلوا الشيخ الهرم

قتلوا الطفل الرضيع

قتلوا المرأة

قتلوا الرجل

قتلوا الشاب

قتلوا الرجل المتكامل

قتلوا العالم

قتلوا المحارب

قتلوا العابد

قتلوا الكريم

قتلوا الوجيه

قتلوا الحليم

قتلوا الحكيم

قتلوا المسلم

قتلوا النصراني التابع

قتلوا الحر

قتلوا العبد

قتلوا العريس بقتل علي الأكبر وأقرانه

قتلوا العروس والفتاة المقبلة على الحياة بقتل رقية واقارنها

قتلوا حفّاظ القرآن

قتلوا حفّاظ الحديث

قتلوا حفظة الأسرار وعلماء المنايا والبلايا

قتلوا أبطال الفتوحات

قتلوا أهل الشهامة وأشجع شجعان العرب كعابس والعباس

قتلوا أبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قتلوا أبناء الخليفة الحق علي بن ابي طالب عليه السلام

قتلوا المعصوم

قتلوا الإمام الشرعي، إنه القتل النوعي لا الكمي.

فإذن، تعال معي نجرد كل فضائل الناس وكمالاتهم فسنجدها مجسدة في هؤلاء، فإذن هم قتلوا بالحسين وحزبه كل الإنسانية، وكان الحسين رمزًا لكل الإنسانية التي تذبح بيد من لا حدود لإرهابه، ولا خطوط حمراء عنده في الصراع على السلطة، فلا محرمات ولا إنسانية ولا ذوق ولا خُلق ولا ديانة ولا فقه ولا رزانة ولا عقل.

إنها الإبادة البشرية التي تقصد الكيان الإنساني (الرفيع)، من اجل ان يبقى الكيان الحيواني (الوضيع)!

إن أسلحة الدمار الشامل تقتل الوضيع والرفيع بلا تمييز، وهؤلاء يقتلون الرفيع من أجل بقاء الوضيع .

إن الفكر الذي يحمله هؤلاء أخطر بكثير من القنابل النووية والجرثومية والكيمياوية، إنهم قنبلة مدمرة لكل صدق، ولكل دين، ولكل إخلاص، مدمرة للعدل وكرامة الإنسان، إنهم اسلحة الشيطان بذاته من دون رتوش .

وهذا لا تقوم به أسلحة الدمار الشامل .

إن جيش يزيد هو سلاح دمار شامل انتقائي، يقتل الخير فقط من أجل بقاء الشر، يقتل الإيمان من أجل بقاء الكفر والجحود للباري، يقتل التهذيب من أجل بقاء السفالة.

المشكلة أن تربية هذا الجيش مستمرة، وهو يشكل خطرًا على كل الإنسانية.

فعلى جميع الأديان والمنظمات الإنسانية أن تلتفت لهذا الخطر.

وكل قوة تحاول الاستفادة من هذا السلاح الإجرامي إنما هي تتماشى مع نفس أهداف وسلوك جيش يزيد، مهما وصفوا أنفسهم بالرقي الحضاري والتقدم العلمي، فإن من يستغل تربية يزيد وأبيه من عبدة الشيطان ومحبي الدماء، ليحقق أهدافه في تدمير المجتمعات، لهو عدو لأصل الانسانية ولا يستحق من الإنسان المتحضر أي تقدير .

لماذا حسم الأمويون معركتهم بالحجارة؟

الملاحِظ لسلوك الجيش الأموي في المعركة هو أنه حسم معركته مع مسلم بن عقيل بالحجارة، وحسم معركته مع الحسين بالحجارة، فما قصة هذه الجيوش الجرارة التي تحسم القتال مع فرد مقابل جيش بالحجارة؟

أليس هذا غريبًا؟

السؤال مفتوح لكل من يفكر ويجد تحليلاً لهذه الظاهرة النشاز.

تحليلي الشخصي هو ما يلي:

لقد كان معروفًا أن بني هاشم لهم أماكن سرية للتدريب على تقنيات القتال العالية، التي يستطيع فيها المقاتل من السيطرة على عدوه، وهي تقنية لو توفرت لجميع مقاتلة المسلمين لما وقف أمامهم بلد إطلاقًا، ولهذا فإن النبي و الإمام علي وبعض أهل البيت صلوات الله عليهم كانوا بمفردهم يعادلون جيوشًا كاملة ويسيطرون على المعارك.

ولكن بما أن الدولة الإسلامية تحولت إلى قوة غاشمة بيد أعداء أهل البيت، فإن أهل البيت لم يمنحوا هذه التقنيات لغيرهم، ونعما فعلوا، فإن هذه التقنيات خطيرة لا يوجز شرعًا تسليمًا لقوة غاشمة لا تمتلك أدنى شرف وشرعية .

إن هذه التقنيات حين توصف لهي أقرب إلى تقنيات الاديرة الصينية واليابانية التي ظهرت اخيرا للعلن، في برامجها وحركاتها، وبفلسفتها في مكامن القوة والضعف، وفي استغلال فيزياء الكون لتكون قوة مضاعفة تطيح باكبر جبل بشري.

فكان اعتماد جيوس بني امية على الكثرة والسهام والغدر والضرب من الخلف وما شابه ذلك من وسائل بسيطة وغير محترمة في القتال تفتقر إلى أبسط قواعد التدريب القتالي الحقيقي، وهو أمر لم يكن يحضى باحترام وإنما يدعو للخوف والرهبة من الوحشية المفرطة.

غير أن تقنية أهل البيت كانت تفوقهم قوة، فقد كان مقاتلهم لا يمكن السيطرة عليه حتى أن وصف وحشي للإمام علي يدل على أنه في معركة أُحد لم يجد له ثغرة لأنه متحرك بحيث يكون دائمًا أمامك، يتقيك ويتفاعل معك بسيف سريع خطير.

هذه التقنية واجهوها مع مسلم بن عقيل، فلم يكن منهم إلا أن هبطوا إلى مستوى الوحوش، فقرروا قذفه بالحجارة وصب الماء الحار عليه من السطوح، وما شابه ذلك من وسائل خسيسة في القتال، لا تقوم بها أي من الجيوش المحترمة التي تفضل الموت والهزيمة على استعمال هذه الأساليب الخسيسة التي لا تدل على أي شرف في الجندية، فإن الجندي الذي يستعمل الحجارة من السطوح والماء الحار وما شابه ذلك لا يعتبر جنديًا بل هو غوغائي يفتقر إلى ابسط لياقات العسكرية، ولهذا فحينما جابهوا العباس، كان قتالهم معه من بعيد بالحجارة والسهام، واستخدام الكمين للغدر

به، والإتيان له من الخلف، لأن منطقة القتال كان فيها أشجار ونخيل، حيث كمنوا له حين حاول الوصول إلى الماء ليسقي عطاشى أهل البيت لهفي عليهم، فضربوه من الخلف غدرًا، وهذا النوع من القتال هو من الخسة بحيث لا يقبل أي جيش أن يدونه في مذكراته لأنه عار على هذا الجيش.

وأما الإمام الحسين فقد كان يقاتل في أرض مكشوفة، فلم يستطيعوا أن يواجهوا قوته القتالية وبأسه الشديد، لما يمتلك من تقنيات، فلهذا فإن الخسيس أمر بالخسة، فإن الإمام الحسين تنبأ أن يكشف بقتله لهم هوانهم: (قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن حميد بن مسلم قال:....، قال: وسمعته يقول قبل أن يقتل وهو يقاتل على رجليه قتال الفارس الشجاع، يتقى الرمية، ويفترص العورة، ويشد على الخيل، وهو يقول أعلى قتلي تحاثون؟ أما والله لا تقتلون بعدي عبدًا من عباد الله أسخط عليكم لقتله مني، وأيم الله اني لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم) ولهذا قال عمر بن سعد لقومه: الويل لكم، أتدرون من تبارزون ؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب، فحملوا بالطعن مائة وثمانين وأربعة آلاف بالسهام، لكن الحسين كان مدربًا على توقي السهام أو التقليل من أثرها رغم أن دروعه أصبحت كالقنفذ من كثرة السهام، فما كان منهم إلا أن رموه بالأحجار كالمطر، وحين أصيب بحجر حلت الكارثة، لأنه ينبغي أن يتقي الدم على عينه، وينبغي أن يمسحه، فبانت منه نقطة ضعف قتالية، فرموه بالسهم المثلث المسموم.

إن قتل الإمام الحسين بالحجارة يعتبر عارًا كبيرًا على جيوش المسلمين، فهو يكشف الهمجية وأسلوب الغابة، ويكشف الضعف الحقيقي في تدريب المقاتلين، بل قد لا يكونوا مقاتلين أصلاً، إنما هو تجميع سفلة الشوارع لتكوين جيش، وأنا أجمع بين الصورتين لأنهم جيش حقيقي منظم، ولكنه مجموع من سفلة الشوارع وغير المدربين على تقنيات القتال الحقيقية، وأنه جيش لا يعرف قيم القتال ولا أخلاقيات الفارس النبيل، ليس لديه أي قوانين للاشتباك، وليس له أي حدود وخطوط حمراء للإجرام أو الإرهاب، إنه لا يمكن تصنيفه كجيش محترم بكل المقاييس، إنما هو حركة وحشية بربرية منحت اسم جيش.

وبهذا الموقف كشف الإمام الحسين، لماذا يثور على هؤلاء؟

أولاً: لأنهم مجموعة من سفلة الخلق، تملك زمام أعظم دين سماوي.

ثانيًا: لأنهم في أخلاقهم لا يشابهون أبسط الأمم حولهم، فهم يمتلكون جيشًا يحسم أمر قتاله بالحجارة والسهام وصب الماء الحار من بعيد.

ثالثًا: لأنهم لا يعرفون الشرعية الدينية والإنسانية، ولهذا فإن عدم النهضة ضدهم يعتبر امضاء اجتماعيًا، لهذا الهبوط الديني الذي سيؤدي إلى إنقلاب الدين إلى ضده.

ويبقى السر الأساس في ثورة الإمام الحسين كما عرفناها بالسبر هو: أن الإسلام كان في دائرة قرار الزوال، ولكن ثورة الإمام الحسين عليه السلام وما تلاها من تداعيات، أوقفت كل هذه المشاريع وخوفت الظلمة من التحرش بأصل الاسلام وكيانه الأساسي.

ولهذا فإن من غباء السلفية الحالية أن يدافعوا عن يزيد وعن أفعاله، لأنه أعلن أنه يريد أن يأخذ بثارات بدر من المسلمين وهذا الإعلان بعد مقتل الحسين علناً وقبله سرًا يحدد خارطة الأحداث المرسومة، فما يقوم به السلفية هو ليس دفاعًا عن رمز سني كما يعتقدون وإنما هو دفاع عن محاولة القضاء على الإسلام وعلى القيم العليا والمبادئ الشريفة.

إن الدفاع عن يزيد وفعلته إنما هو دعوة صريحة للقضاء على أصول الإسلام وجذوره بل حتى اسمه، وهذا لا يريده السلفيون ولا يريدون الوصول إليه لأنهم سيكونون كمن ضيع رأس ماله، ولكنهم يتحركون من دون تفكير ولا يرون مقدار إنعكاس الهمجية والوحشية في سلوك يزيد وجيشه على مجمل الفكر الإسلامي بما يظهره رجوعًا إلى التخلف آلاف السنين إلى قيم الغابة ومناوشة الضباع.

إن تحليلي هذا قد لا يكون هو الأفضل للتفكير في هذه الحقيقة المرة، وهي أن جيشًا عرمرمًا يحسم قتاله مع أفراد قلائل من الفرسان النبلاء بالحجارة والسهام من بعيد!

ولهذا قد نجد تحليلات أخرى.

.: تعقيب :.

لم يكن في نيتي التعليق وكنت أحب أن يستكشف القارئ الجواب من المقال نفسه، ولهذا لم أعلق عليه، ولكن الآن بدا لي توضيح بعض الغامض من كلامي:

١- إن اعتماد المعابد البوذية في الصين وثم في اليابان لقتال الأعزل واستخدام أسرار القوة في الجسم البشري بدأ أصلاً قبل تسعمائة سنة، والسابق لا يقلد التالي قطعًا.

٢- إن علماء الفيزياء يؤكدون أن اكتشاف مصادر القوة في الجسد البشري من خلال فنون القتال إنما هو أمر غير طبيعي وهو متأخر جدًا حتى بعد دعاوى الصينيين بأنهم اخترعوا ذلك بدافع رد اليابانيين والمغول، وهذا يعني أن التنبه لهذا خصوصًا في البداية لا يمكن أن يكون بطريقة عادية فهو إما بطرق روحانية كاشفة عن بعض الحقائق الأرضية وإما بطريق الوحي وكلاهما طريق غير طبيعي لنتائج غير طبيعية فإن توجيه قوة بمقدار طن ونصف من خلال ضربة مركزة في مساحة قليلة يعتبر هذا أقوى من تأثير السيف لأنه لو كان في مكان حساس فسيقتل الإنسان فورًا.

٣- لم يقل أحد أن النبي الأكرم والإمام علي صلوات الله عليهما وعلى آلهما لم يكونا من البشر ولم يستعملا تقنيات بشرية عالية وفيها قدرة متميزة! وأن ارتكاب هذه التقنية يخرجهما عن العَلقة بالله! فهذا أمر يحتاج إلى ألف دليل، فإستعمال النبي وبني هاشم لتقنيات متقدمة إنسانيًا لا يعني أنه ليس بنبي وإنما يعني أنه يستلم من ربه أقرب الطرق للوصول إلى تحقيق المطالب، فقد استخدم النبي التجسس والتحليل

والتسليح وتقنيات خطة المعركة وتدرب ودرّب المسلمين على الفروسية وحثهم عليها حتى أجاز الرهان على بعضها، وحين خالف المسلمون خططه صلى الله عليه وآله وسلم خسروا وفشلوا لمخالفة الخطة العسكرية المحكمة، فهل يدل هذا التدبير على أن النبي صلى الله عليه وآله قد انسلخ عن نبوته وإنما هو مجرد مثقف وقائد عسكري محنك كغيره مثل رومل أو مونتغمري؟ فهذا ممّا يؤسف له.

٤- قلتُ أنه يبدو أنه أمر سري بين بني هاشم مما يدل على أنها طرق للقتال يتدربون عليها قبل وجود النبي صلى الله عليه وآله، ولهذا فإن بني هاشم كان لهم صيت في الحروب وقوة غير طبيعية في البأس، وقد اختلف فيما بينهم قوة الشجاعة والفتك بالأعداء في المعركة، فبعضهم تم أسره من قبل المسلمين بينما هناك منهم من تخاف منه السباع كما هو حال حمزة وهناك من قتل أشد المقاتلين بأسًا مثل كبار مقاتلي اليهود، عمر بن عبد ود ومرحب وغيرهما مثل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وهنا يجب أن نلاحظ بأن في مجتمع جزيرة العرب المبني على السلب والنهب والفتك لا يوجد من هو أقوى وأشد في المعارك من أصحاب الأديان مثل اليهود والنصارى في جزيرة العرب وهذا له معنى أيضًا أتركه للتفكير، ومما ينبغي أن يعرف للجميع فإن آباء النبي هم من الأنبياء في ديانة الحنيفية الموازية للنصرانية، ومن يقوم بدراسة مسألة الدين الحق قبل النبي فسيجد بأن هناك دينان مقبولان هما الحنيفية الإبراهيمية والنصرانية كإمتداد للإبراهيمية الحنيفية وقد نفى النبي الأكرم والإمام علي عليهما السلام أن يكون آباءهما قد عبدوا صنمًا قط، فخذ من (إكمال الدين) للصدوق

رحمه الله بطريقه إلى الأصبغ بن نباتة قال: سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (والله ما عَبَدَ أبي ولا جدّي عبد المطّلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط). قيل: فما يعبدون؟ قال: (كانوا يصلّون إلى البيت على دين إبراهيم ومتمسِّكين به).

وقد نقل المسعودي خطبة لأمير المؤمنين عجيبة قال في كتابه إثبات الوصية الجزء الثاني:

خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) في انتقال نور محمّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) مِن آدم إلى أنْ يولد.

إلى أنْ قال:

«حتّى قبله (تارَخ) أطهر الأجسام وأشرف الأجرام، ونقلتَه منه إلى (إبراهيم)، ثمّ خصصتَ به (إسماعيل) دون ولد إبراهيم، فلم تزل تنقله من أب إلى أب حتّى قبله (كنانة) عن (مدركة)، فأخذتَ له مجامع الكرامة ومواطن السلامة، وأحللتَ له البلد الذي قضيتَ فيه مخرجه، فسبحانك لا إله إلاّ أنت أيّ صلب أسكنتَه فيه ولم ترفع ذكره، وأي نبي بُشّر به فلم تقدّم في الأسماء اسمه، لم تزل الآباء تحمله والأصلاب تنقله، كلّما أنزلته ساحة صلب جعلتَ له صنعاً يحثّ العقول على طاعته ويدعو إلى مقته، حتّى نقلته إلى هاشم خير آبائه بعد إسماعيل، فأيّ أبٍ وجدٍّ ووالدِ أسرةٍ ومجتمع عترة ومَخرج طُهْر ومَخْرج فَخْر يا ربّ جعلتَ هاشماً، لقد أقَمْتَه لدن بيتك وجعلتَ له المشاعر والمتاجر، ثمّ نقلته من هاشم إلى عبد المطّلب، فأنْهَجْتَه سبيل

إبراهيم وأَلْهمْته رشداً للتأويل وتفصيل الحقّ، ووهبتَ له عبد الله وأبا طالب وحمزة وفديتَ في القربان بعبد الله كَسِمَتِكَ في إبراهيم بإسماعيل، ووسمتَ في بأبي طالب في ولده كَسِمَتِكَ في إسحاق لتقديمك عليهم وتقديم صفوة لهم».

وما نراه من بعض الكتاب من اعتبار آباء النبي هم المؤسسون الحقيقيون للإسلام وأن دعوة النبي محمد صلى الله عليه وآله هي دعوة آبائه التي أعلنها عبد المطلب، على ما في هذه الدعوة من مغالطات ولكنها خلطت بين صفاء ونقاء دعوتهم إلى التوحيد الحنيفي وبين إرسال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى أن د. سيد محمود القمني في كتابه سيء الصيت (الحزب الهاشمي وتأسيس الدولة الإسلامية) إدعى أن مؤسس التوحيد هو عبد المطلب بن هاشم جد النبي بسبب تفرق العرب على آلهة متعددين فأراد أن يوحدهم فوحد لهم الإله، قائلاً: (فكان إدراكه النفاذ لسنة جده قصي الدينية والسياسية مساعداً على تحديد الداء ووصف الدواء؛ والداء فرقة قبلية عشائرية، والأسباب تعدد الأرباب وتماثيل الشفعاء، ومن هنا انطلق عبد المطلب يضع أسس فهم جديد للاعتقاد ؛ فهم يجمع القلوب عند إله واحد، ويتميز بأنه يلغي التماثيل والأصنام وغيرها من الوساطات والشفاعات؛ لأنه لا يقبل من أحد وساطة ولا شفاعة إلا العمل الصالح!) وهذا الفكر الخاطئ من القمني إنما بنى على دلائل صحيحة بنبوة آباء النبي وقوتهم في طاعة الله ومعرفته والتلقي منه وقد صرح هو بذلك في كتابه وهو موجود على النت على ما أظن، وهو يصرح بعلاقة بني هاشم بالسماء ولكنه يريد أن يبرره تبريرًا قوميًا ينتمي إلى شرف الفروسية فقط فهو يصدق دعوى

الإخباريين العرب في وصف عبد المطلب أنه (صاحب ملة متعلقة بالله)، مثل قوله (وليس أدل على مثل هذه التوجهات بشأن عبد المطلب مما زعمه الإخباريون من اعتقاد العرب في شأنه، كصاحب ملة، وكرجل له نوع ما من العلاقة بالسماء، وفي أنه ثمة رابط بين ذلك وعلمه اليقيني المسبق بأن حفيده؛ محمد بن عبد الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) هو نبي الأمة وموحدها المنتظر. فتشير كتب التراث إلى أن قريشا استقت به من السماء بعد جدب أشرفت معه على الهلاك؛ فصعد بهم ومعه حفيده إلى جبل أبي قبيس ينادي ربه: "اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنو إمائك، وقد نزل بهم ما ترى، وتتابعت علينا السنون، فذهبت بالظلف والخف والحافر؛ أي الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير، فأشفت على الأنفس، أي أشرفت على ذهابها، فأذهبن عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب، فما برحوا حتى سالت الأودية ").

فما هذا الخلط إلا من جهة تمكن التربية الأموية من مجتمعه حيث تربي الذي يصور آباء النبي بالكفار ويريد أن يجعلهم أقل شأنًا من الكفار الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نافقوا وأسلموا كذبًا وأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسموا بالطلقاء.

وهناك أدلة كثيرة على كونهم أنبياء أصحاب رسالة حقة وأن دين الحنيفية هو دين حق مجزء ومبرء للذمة وبهذا يجب تفسير الفترة تفسيرًا آخر، ولكن بني أمية النواصب يعجبهم أن يقولوا بأن آباء النبي كفار وكانوا يجابهون بها أئمتنا صلوات الله

وسلامه عليهم أجمعين وقد علموها حتى للشحاذين من المجتمع الإسلامي مثل ما نقل العيّاشي بطريقه إلى الزهري قال: أتى رجل أبا عبد الله فسأله فلم يُجِبْهُ [لعل هذا الناصب كان مستعطيًا معاديًا] قال له الرجل: فإن كنتَ ابن أبيك فإنّك من أبناء عبدة الأصنام. فقال له: (كذبتَ، إنّ الله أمر إبراهيم أنْ ينزل إسماعيل بمكّة ففعل، وقال إبراهيم: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ)، فلم يعبد أحد مِن وُلد إسماعيل صنماً قط). وما نراه من ديدن بني أمية ومن اتبعهم من الحمقى والمغفلين أنهم لا ينظرون إلى القرآن ولا يتدبرون في آياته. وهذه النصوص وغيرها مما يعتمد في الباب تدل على أن الوحي والنبوة لم تنقطع عن بني هاشم عليهم السلام وأن بينهم وبين الله أسرارًا كثيرة ليس هنا مكان شرحها ولا يضيرهم إذا كانوا يتدربون على القتال. ولعل مما ينير بصيرتك أن قريشًا حينما أرادت قتل النبي يوم هاجر قال لهم إبليس اجمعوا من كل قبيلة قاتلاً فإن بني هاشم لا يستطيعون قتال جميع العرب حتى يضيع دمه بين العرب، يعني كما فعلوا من اجتماعهم جميعًا بحصار بني هاشم في الشعب، وما ذلك إلا لأن كل القبائل العربية كانت تخاف من بني هاشم وهم لا يتجاوزون الأربعين نفرًا كما في الروايات ولم نعلم أن لهم موقعة أو غزوة أو فظاعة من فظاعات العرب الوحشية! فلمَ هذا الخوف منهم من قبائل عملاقة تغزو العرب ولا تهاب القتال؟

٥- لقد نقل في تفسير نور الثقلين رواية مهمة ترد على مثل هذه الشبهة: عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين في حديث طويل أنّه قال فيه: (سمعتُ رسول الله صلّى الله

عليه وآله وسلَّم يقول في حديث طويل فأمّا ما ذكر تعالى من أمر السابقين فهم أنبياء ومرسلون، فجعل الله تعالى فيهم خمسة أرواح:

روح القدس وروح الإيمان وروح القوّة وروح الشهوة وروح البدن.

فبروح القدس: بعثوا أنبياء، مرسلين وغير مرسلين، وبها علموا الأشياء.

وبروح الإيمان: عبدوا الله تعالى ولم يشركوا به شيئاً.

وبروح القوّة: جاهدوا عدوّهم، وعالجوا معاشهم.

وبروح الشهوة: أصابوا لذائذ الطعام، ونكحوا الحلال من شباب النساء.

وبروح البدن: دبوا ودرجوا، فهؤلاء مغفور لهم ومصفوح ذنوبهم)

فإن جهاد أعداء الله كان بروح القوة، وهذا غير روح الإيمان وروح القدس وإنما هي قسيم لها، وروح القوة يمكن التعبير عنها فيزيائيًا بتحقيق القوة وتركيزها لقهر الخصم كما هو حال أي تركيز للقوة والبحث عن الأماكن الضعيفة ويقابلها تركيز القوة الخطيرة، وهذا هو أساس كل الفنون القتالية المتأخرة التي اكتشفت بعد ٥٠٠ عام من ظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأخيرًا إن من ينظر في تاريخ ـمير المؤمنين وتاريخ النبي الصحيح وتاريخ بني هاشم يجد شيئًا غريبًا ليس على مستوى الطبيعة العادية فإن عليًا عليه السلام مثلاً كان لا

يخاف أن يقاتل مسلحًا من دون سلاح وإذا استعمل السلاح بتر خصمه بترًا نهائيًا (القد والقط)، فأرجو التفكر ببعض النصوص التي اخترتها لك فهل هذه سيرة محارب عادي أم أنه محارب بطريقة تركيز القوة التي لا يعرفها العالم في ذلك الوقت ولعلها حللت وأخذت منه، فسيرته على لسان أهل المعرفة في كل العالم، والله العالم:

كانت لعلي عليه السلام ضربتان: إذا تطاول قدّ، وإذا تقاصر قطّ، وقالوا: كانت ضرباته أبكاراً، إذا اعتلى قدّ وإذا اعترض قطّ، وإذا أتى حصناً هدّ، وقالوا: كانت ضرباته مبتكرات لا عونًا. المصدر: المناقب ٢٩٤/١

بيـــان: في الحديث "كانت ضربات عليّ مبتكرات لا عونا" أي إنّ ضربَتَه كانت بكراً يقتل بواحدة منها، لا يحتاج إلى أن يعيد الضربة ثانية.

وفيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف: لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرصة من رقابها لسارعت إليها. المصدر: المناقب ٢٩٦/١

روي أنّ علياً عليه السلام كان يحارب رجلاً من المشركين، فقال المشرك: يا بن أبي طالب !.. هبني سيفك فرماه إليه، فقال المشرك: عجباً يا بن أبي طالب في مثل هذا الوقت تدفع إليّ سيفك؟!..

فقال: يا هذا !.. إنك مددت يد المسألة إليّ، وليس من الكرم أن يردّ السائل، فرمى الكافر نفسه إلى الأرض وقال:

هذه سيرة أهل الدين، فقبل قدمه وأسلم. المصدر: المناقب ٢٩٦/١

ألا ترى هذه الفروسية معتمدة على قدرة قتال الأعزل مقابل المسلح؟ فهل يدل ذلك على مجرد ثقافة وتقنيات عادية؟

الخلاف بيننا وبين العلمانيين

الحق أقول، إن قسمًا مما يطرحه العلمانيون من إشكالات التطبيق صحيحة، فلا يمكن أن نعتبر ممارسات المسلمين أسلوبًا إسلاميًا في الحكم.

ومشكلة الخلاف بيننا وبين العلمانيين هو أن العلمانيين ينظرون إلى التطبيق فقط ويعتبرون صواب النظرية بتطبيقها وليس بهندسة النظرية نفسها، وهذا خطأ منهم ولكن هذه هي تركيبتهم العقلية، وإشكالهم بموجب تركيبتهم العقلية متوافق مع مناهجهم.

غير أن خطأهم في المنهج، لأن الفكر العلماني فكر سطحي بسيط لا يفرّق بين الناقة والجمل ويغمض العين عن الحقائق، فهم لو كانوا يعقلون لما أشكلوا إشكال عدم وجود نظام سياسي إسلامي أمام الشيعي الذي يرى أن الخلافة والإمامة من مقومات الدين.

فكيف ينطق أمام من يرى ذلك؟ فيقول أنه لا يوجد نظام إسلامي، رغم علمنا بأنهم يشكلون على الواقع التاريخي لا على الفكرة.

ورغم ذلك فإن التشيع يؤمن بشرعيتين للحكم الأولى: هي الإمامة المعصومة والثانية: هي الشرعية البديلة.

والشرعية البديلة متحققة من أكثر من سبعة قرون بشرعية الحاكم المجاز من قبل الفقيه الجامع للشرائط، وعليه تمت إقامة دول شيعية متعددة لا مجال لحصرها، وهي

دول وإمارات تمتاز بالشرعية البديلة وهي قائمة على إجازة الفقيه الحاكم الشرعي أو على قيام الفقيه بمهامه مباشرة.

ودولة الإسلام حسب الشرعية البديلة هي دولة التكنوقراط أي دولة الخبراء المبرئين لذمة الأمة من المحاسبة أمام الله والعقل والقانون، فهم الصفوة في الاختصاصات التي تنفع الناس وتحفظهم وتبعد عندهم دواعي الهلاك وتقربهم من طاعة الله قدر الإمكان بعد غياب الإمام روحي فداه وعجل الله فرجه الشريف.

وهذا النظام البديل معروف بين الأمم وليس نشازًا ولا بدعًا بين النظم بل هو من النظم الراقية بدل نظم الدكتاتورية المستبدة أو نظم الميوعة والتمثيل الشعبي المباشر وتصعيد الجهلة والكذابين إلى الحكم عن طريق اقتراع موجّه من قبل المنتخَبين (بالفتح) بحسب أموالهم ودعاياتهم.

فالنظام الذي يؤمن به التشيع هو نظام مسيّطر عليه عبر الاعتراف الشعبي بفقيه جامع للشرائط مستوف لشروط الرقي العلمي والأخلاقي والقدرة الممتازة على الإدارة وهذا هو أحوط ما يكون في الحكم ونظام الحكم.

ومن ثم هو من يقرر بعض الكيفيات التي تأتي بخبراء المواد المطلوبة لإدامة المجتمع وحفظ الناس سواء بالاقتراع على مجموعة خيارات كبيرة من قبل الناس أو بالتلزيم المباشر للسلطة نتيجة القناعة التامة بالقدرة والكفاءة.

واقعيّة التعددية الدينية

التعددية الدينية هي نظرية بروتستانتية للتخلص من مساوئ الكنيسة، وهي فرع القول بالقراءة المتعددة، ومبنية على نفس أسسها، ولكن مجالها هو السياسة والمجتمع وليس الفهم الديني وأسس التشريع وإن تطرقت إليها.

ما معنى التعددية الدينية؟ وهل هي باطلة من جهة عقلية؟

الجواب أن التعددية لها عدة معاني لا نستقصيها، منها:

١- التعايش بين الديانات والمذاهب .

٢- صحة كل الديانات والمذاهب لعدم وجود حقيقة وحق مقابل الباطل، فهذا يمنح الحق للكل أن يحكم ويقرر كما يشاء وحكمه صحيح لا غبار عليه .

المعنى الأول نقول به ونسعى إليه جاهدين، وقد رأينا من أئمتنا الكرام ابتداءً من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الإمام المهدي عجل الله فرجه، ثم إلى مرجعياتنا المتسلسلة إلى هذا اليوم، الدعوة الحثيثة إلى قرار السلم بين الكتل المتخالفة في الفهم والمصالح، والتعايش تحت ظل خيمة التسامح والإخوّة في الدين أو الإنسانية على أقل تقدير.

وأما المعنى الثاني فهو غير واقعي، وبنائه هش جدًا، لأنه مبني على نسبية المعرفة ونسبية الحق والحقيقة، وهذا لا يملك واقعًا، فإن عدم التمييز بين الحق والباطل

خلاف الوجدان، فأساس الفكرة هزيل جدًا، بينما التطبيق العملي لها شبه مستحيل، نعم إن ما جرى إنما هو من نوع التعايش السلمي، لا من نوع التسليم بصحة قرار وأفكار الآخر، ولهذا فلا يمكن أن نصدق ان الليبرالية الأوروبية أو الأمريكية، ألغت مفهوم الباطل مقابل الحق، فهذا أبعد ما يكون على العقل البشري المميز وعن الواقع.

وكل المناقشات لأسس الخلل في القراءات المتعددة، هي مناقشات من وجهة ثانية لأسس التعددية الدينية .

وقد تفضل السيد عمّار أبو رغيف* بعدة اعتراضات سوف أبسطها للأخوة القراء بدل التراكيب الجملية المعقدة المطروحة.

١- نسبية المعرفة تعني عدم المعرفة ونسبية الحقيقة تعني عدم الحقيقة المعيارية، وهذا ما لم يلتزم به التعدديون أنفسهم حيث يرون أن نظريتهم حق يجب الأخذ به وهي قضية جزمية لا تقبل النقاش، فأين عباس من دباس؟ فكيف تكون نسبية وجزمية؟

٢- نفس اعتقادهم بأن مذهبهم التعددي حق يجب اتباعه يعني أنه أحد المذاهب المضافة لنفس التعددية فلا تكون حلاً، وإنما هي تكثير في المقالات فقط، وعليه فقد زاد المتنازعون منازعًا شرسًا ليس إلا.

* في معالجة له عنونها بـ(مدخل إلى إشكالية الفرقة الناجية).

٣- نفس إعلان أن الحل الوحيد هو التعددية حسب نسبية الحقيقة والمعرفة يعني أنه توصية إلزامية بالعمل، وهذا يخالف أساس الطرح الذي هو التوصيف، فهي بذاتها إلغاء للاخر وتسلط على الواقع، بواقع خيالي لا حقيقة له أصلاً، فإنتقالهم من التفسير إلى التوصية يعتبر إنقلابًا فكريًا وعسكريًا على الإنسانية بإدخال عنصر يؤسس لإلغاء الآخر بحجة قبوله المطلق، وهذا من طرائف الأفكار المتصفة بالحمق المبطن بالعقلانية.

٤- هذه النظرية مبنية على أساس خيالي يعتمد على افتراض قبول البشر عمومًا لمفهوم نسبية الحق والمعرفة، ولكن لا أحد من العقلاء يسلّم بوجود هذه النسبية، ويقبل أن تطبّق عليه، فهي مجرد خيال فالقضية مصادرة أي تنفي نفسها.

٥- أثبتت التجارب السياسية هشاشة هذا الطرح فإن أهم ليبرالية وهي الولايات المتحدة الامريكية أخذت تنحو باتجاه رفض الأخر داخليًا وخارجيًا، وليس في منطقها الفكري والسياسي المعاصر خصوصًا بعد ١١/سبتمبر أي مجال لقبول الآخر والتعايش معه، فأين التطور نحو الحداثوية وما بعد الحداثة؟ وأين التعددية؟

٦- من يريد أن يؤسس لمقولة أن المذاهب خالية من العنف ورفض الآخر فلهذا فإن فشل الليبرالية الحداثوية ينسب لمفسري تلك المذاهب والمسيطرين عليها وليس لها، وقد اعترض نصر حامد أبي زيد بأن الآيديولوجية الدينية تولد العنف من داخل الدين، والسيد أبو رغيف لا يوافق كلا الإتجاهين فإنه يرى أن الدين الحق بنفسه

خلوًا من العنف ورفض الآخر والجور المطلق، ولكن القراءات التأويلية التبريرية لأصحاب القوى المسيطرة كالحكام المملوئين بشهوة الحروب والفساد في الأرض يطبعون الدين بطابعهم نتيجة تحريف معاني النصوص .

الحداثوية ومدرسة الرأي

إنّ الحداثوية ليست جديدة على العالم الإسلامي فإن في بداية الإسلام ظهرت مدرسة الرأي وهي نفس اتجاه الحداثوية بتحكيم العقل على النص، ورفض مصدر النص، بل في فكر المسلمين ما هو أكبر شناعة من الحداثوية، فإن غاية ما تقوله الحداثوية المتطرفة أن دلالة النص لا يمكن إدراك حقيقتها، ولهذا فإنها متروكة لنا لنفهم ما يريده النص بغض النظر عن مصدر النص، إلا أن في المسلمين من قال بأبعد من ذلك فقد قالوا بأن الوقائع خالية من الأحكام، وأن الله يجري حكمه وفق ظن المجتهد، فهذا لم يقله أكفر الكافرين، حيث يضع المسلم الله في جيبه بكل صلافة، وتكون كل أحكام الدين بيد الفسقة والفجرة، والله يصير مجرد تابع لهم.

هذه هي نظرية التصويب التي يقول بها كل أهل السنة إلا ابن حزم الظاهري وأغلب المعتزلة والزيدية، ويقال أن أول من وضعها هو الامام أبو حنيفة والله أعلم فقد تكون سابقة له.

إنّ الحكومات المسيحية البروتستانتية مبرمجة على الحداثوية لأنها تريد صيانة المسيحية من السقوط النهائي نتيجة التقدم العلمي وانكشاف جهل وكذب رواد الكنيسة الأوائل، وهذا أمر يخصهم وهم أولى بدينهم من السقوط، ولكن المشكلة في الحداثيين الإسلاميين الذين يريدون إسقاط الإسلام باستيراد هذه الترهات وتطبيقها

على النص الديني والفهم الديني، مبعدين كل المنظومة العلمية التي عالجت النص وعالجت استنباط الحكم.

فكم الفرق بين من يحاول اسناد دينه بدعامات حتى لو كانت غير منطقية وإنما بالحيلة والمغالطة وبين من يحاول إسقاط دينه بنفس الحيل والمغالطات التي يراد تسنيد قوام دين المسيحية.

وأما ما يقتضيه فكرهم من تصحيح الحكم الوضعي وإتباع الحكم الديني له لأنهم يقولون بأن المعرفة نسبية، فعليه يمكن أن يكون أي من الحكمين صحيح، فلهذا يقدمون الحكم البشري المفهوم، على الحكم الميتافيزيقي غير الواضح، وهو منهج حداثوي خطير دينيًا، ولكنه بالنسبة للمسيحية يعتبر حلاً جميلاً، لأن الكنيسة لا تملك تشريعًا أساسًا وهي تعتمد على النصوص التوراتية الغامضة والمشوهة نتيجة التفسير المتعدد المتناقض. فليس من حل يخلص الكنيسة من تبعات أتباع التوراة المتناقضة مع العصر إلا الاعتراف بأن أحكام العصر أفضل من أحكام التوراة ومقدمة عليها.

فهل في القرآن مثل ما في التوراة؟ هنا تكمن المشكلة.

وهنا يكمن جهل الحداثويين. فإنهم حاولوا جاهدين استخدام المتشابه والفهم الغلط من أجل إبراز حقيقة أن القرآن نفسه كالتوراة غير قابل للتطبيق، وفيه أغلاط وانتقاص من

كرامة الإنسان إلى آخر قائمتهم السخيفة التي لا يقبلون مناقشتها إلا بطريقة الوهابية فقط .

شرعية الدولة في الإسلام

لا مشاحة في المصطلحات، وما اخترتُه من مصطلح للشرعية هو كلام يتداول بين الخاصة والمقصود به أننا لا نعترف بحاكم كحجة شرعية إلا للمعصوم الذي نوجب تعيينه ووجوده حين التكليف المباشر للناس لأن الله لا يعذب قبل البيان ولا يكلف ظلمًا، وهذا الإمام يمثل حكمه الحكم الواقعي وهو الحكم الأصيل والشرعية (الأصيلة).

بينما حين يغيب عنا هذا المعصوم سلام الله عليه، فتختلف نوعية الحجة ونوعية التكليف، فيكون موضوع الإلتزام بالحاكم وإعطائه الشرعية إنما بموجب الأدلة الشرعية (المُعذِرة) وهنا ندخل في وادٍ آخر هو الشرعية بالدليل العقلي والجعلي، وهذه شرعية (بديلة) تختلف عن شرعية الحجة التامة لأن الفرق بين التعذير والتنجيز أو بين التعذير والواقع فرق كبير .

فأنت حين تفتقد الحكم الواقعي تلجأ إلى الحكم الظاهري لتعتذر أمام الله، وقد استقر رأي علماء الأصول على إجزاء الحكم الظاهري عن الحكم الواقعي بضوابط سطروها يعرفها المتعلم.

ولكن لا يمكن أن يكون الحكم الاجتهادي التعذيري كحكم المعرفة الأصيلة الكاشفة عن دين الله وإرادته كما هو متحقق في الذين يعلمون تأويله بإذن الله سلام الله عليهم.

ثم إن هنا أمرٌ مهم لم نفصّله وإنما أشرنا إليه إشارة عابرة وهو أن الشرعية الظاهرية، إنما هي للفقيه الجامع للشرائط، ولكن جرت عادة الفقهاء إعطاء الإجازة للحكام والسلاطين في حكم البلاد حكمًا شرعيًا بالوكالة.

وقد عُرف منها إجازة الشيخ الكركي وإجازة الشيخ كاشف الغطاء المليئة بالشروط الشرعية، ومن يقرأ بين السطور في حياة الشهيد الأول مع شاه خراسان وقبله العلامة الحلي مع الشاه خدابنده يعرف أن توكيل الفقهاء للسلاطين معتمد وفيه تبادل خاص من أجل حماية الأمة وحفظ النظام العام والمطالبة بتطبيق الشرع الشريف.

وهذا يعني أن البداية المعروفة لنا كانت في القرن السابع الهجري ولكن هناك دعاوى لكون الحمدانيين كانوا يحكمون بطرق شرعية وأن الشيخ الخصيبي رحمه الله كان خصيصًا بهم وغير ذلك من دعاوى غامضة تدل على كون الوكالة قبل هذه الفترة بقرنين أو ثلاث، ولكن هذا غير متيقن.

وعلى كل حال فمن اعتقد بأن الدولة الحمدانية شرعية (أي مجازة من الفقيه كشرعية بديلة) فهو يعتقد بأن الشرعية البديلة مورست قبل زمن العلامة الحلي وخدابنده بزمن بعيد.

وعلى كل قد تصح ضابطة عامة حين نجد فقيهًا شيعيًا ملتزمًا غير متزلف للسلاطين حين يصف سلطانًا (بالعادل) فإنه يعلم بأن لديه إجازة من الفقيه وهو يعتمد الشرعية البديلة، ولأن فقهائنا لا يصفون غير الشرعي بالعادل أبدًا.

فلا يمكن أن يوصف الجائر بالحكم الإسلامي الشرعي وكل فقيه جامع للشرائط يصف الحاكم بالعادل من دون تقية فهو يعلم بالطريقة الشرعية التي يحكم بها ذلك الحاكم، ولا بد من حسن الظن عمومًا.

وهنا أنبه إلى أن الفقه الشيعي يفرّق بين الشرعية البديلة بمعنى تطبيق الشرع بالأدلة كما هو حال الحاكم الشرعي وبين الشرعية البديلة بمعنى الحكم الظاهري بالشرعية واعتبارها شرعًا كما هو حال اعتبار الدول الإسلامية دول شرعية من حيث (الفقه)، حيث الموافقة على المعاهدات والقوانين وعدم الخروج على النظام ووجوب النصرة حين تواجه دولة الإسلام الغزو من قبل الكفار، رغم عدم شرعيتها الحقيقية كدولة المسلم الجائر وهذا الموضوع ليس مقصودنا في بحثنا وإن كان صحيحا في نفسه.

وحين يصل الفقه الإسلامي إلى السلطة يعني أن المجتمع مسلم، وحين يرفض الحكم الإسلامي فيعني بأن المجتمع قد ارتد بكامله.

ولكن هل في الحقيقة يرفض الحكم الإسلامي أم أحكام إسلامية معينة؟

ومن يرفضها؟

إن ما يرفض من قبل المسلمين هو أحكام إسلامية قد يكون المجتمع المسلم متأثرًا بثقافات غير إسلامية فيها كما هو حال الكثير من نساء المسلمين الآن حيث تشبعن بفكر مسيحي غربي يمنع الزواج المتعدد، فلو أُجري استفتاء على قبول النساء للزواج

المتعدد فسيكون الجواب ٩٥٪ إذا لم يكن أكثر بالرفض وذلك للتمازج بين غيرة المرأة على زوجها وبين الثقافة الغربية التي تسربت عبر وسائل الإعلام والتثقيف المضاد لهذا الحكم.

فمثل هذه الحالة يجب أن تكون محل تأمل المسلم.

وهنا يأتي السؤال؟ هل نغّير حكم الله؟ لرغبة النساء التي تشكل أغلبية وقد يناصرها الكثير من الرجال التغريبيين .

في الحقيقة إن طلب رفض حكم شرعي نتيجة ثقافة مضادة أو ميول وغرائز فيه الكثير من المجازفة القانونية ولا يقبله حتى القانون الوضعي لأن الحكم لا يأكل نفسه. نعم، غاية ما يقال بأن على الدولة الإسلامية أن لا تمارس ضغطًا بخلاف رغبة الجمهور فلا تحاسب من يقول بمنع وتحريم تعدد الزواج فليقل ما يقول وليمتنع عن تعدد الزوجات كما يشاء، كما أنها لا تستطيع الاستجابة لتحريم هذا الحكم.

وهذا هو مثال بسيط فأغلب ما يطلبه الناس هو جزئيات وليس الإعتراض على أصل حكم الإسلام وهو العدل والكفالة لضعيف، و قسم من اعتراضات الجمهور معهم الحق فيه، فمثلاً لو كان الحكم الإسلامي يبتني على الحكم المستبد الظالم فليس من القبيح أن يطالب بتغيير هذا القانون إلى قانون العدل والى الزعامة الجيدة وحتى يمكن المطالبة بتوقيت زمن الرئاسة وشروط كفاءة الموظفين والوزراء، بل من الواجب ليس على عامة

الشعب بل على الفقهاء أيضًا أن يطالبوا بزوال هذا الحكم حتى لو ادعى أنه إسلامي فالظلم مرفوض واستبداله بنظام عادل ثابت ليس ألعوبة بيد حاكم جائر.

ولعل هناك مسألة مهمة وهي أن بعض الناس قد يطالبون بإيقاف بعض الحدود الشرعية مثل قطع يد السارق وجلد الزاني أو رجمه.

وهذه المسألة فيها جهل كثير فإن كل الفقهاء المسلمين تقريبًا يقولون بأن الحدود لا يقيمها إلا الحاكم الشرعي، وبحسب الفقه فإن بعض المذاهب يرون شرعية الحاكم الجائر فهم إنما يطبقون هذا الحكم لإيمانهم بشرعية الحاكم "الراقص".

وهذا ليس ملزمًا للفقهاء الحقيقيين فإن شرعية الحاكم ليست سهلة ولكن مما يسهل الخطب فإن أغلب فقهاء المذاهب الأربعة يرون الآن عدم شرعية الحكام وعدم كون الفقيه السني شيخ الإسلام فلا علاقة لهم بما يجري بالحكم بعد زوال دولة العثمانيين، فهم يطالبون الآن بعودة الحكم الإسلامي ليحكموا بالحدود، أما من يطالب بالحدود الشرعية مع بقاء الدولة غير إسلامية فهذا لا يعرف الفقه وهو مجرد شخص جاهل لا يفهم مذهبه.

ولهذا فالحدود الآن معطلة بحسب رأي فقهاء المذاهب الأربعة لأنهم لا يؤمنون بشرعية وخلافة الدولة الإسلامية الحالية، إلا اللهم قد نستثني اتجاهين الأول هو مؤيدي كون المملكة المغربية مملكة خلافة وهذا له مؤيدون قلائل جدًا.

والثاني هو المذهب الفقاعي السلفي الذي يجيز للمعلمة المرجعية الدينية والفتوى في الدين، فهذا قد يحكم بإمكانية إقامة الحدود بلا حاكم شرعي وبعضهم قد ادعى بأن دولة طالبان دولة شرعية لأنها موافقة شروطهم (حاكم أعور سلفي متحجر يكره التراث ويقتل المسلمين ويهدم الآثار، وهذا هو المطلوب)، فمثل هؤلاء لا يجب مناقشتهم في إقامة الحدود و إنما في معاييرهم الفاسدة للشرعية.

وعليه فلا وجود لما يطالب به بعض التغريبيين من ترك إقامة الحدود في أغلب بلاد المسلمين السنة.

وأما عند الشيعة فهم لا يختلفون ولكن عندهم أن دولة ولاية الفقيه (حين تطبيقها) دولة شيعية بموجب المباني الشرعية حتى عند من لا يؤمن بالولاية المطلقة، ولكن مع ذلك فإن مثل هذه الحدود لم تطبق إلا بحدود ضيقة وهي محل خلاف في التطبيق بينهم لأن هناك من يرى أن إقامة الحدود لا تكون إلا بأمر (المعصوم).

فمسألة بهذا الحجم من الخلاف لا يجوز أن تعتبر قضية أساسية يجب البحث فيها والحوار حولها من قبل عموم المجتمع وإنما هي شأن ثقافي قابل للحوار الداخلي ولتقديم الحجج والاجتهادات وليس بعنوان رفض حكم الله.

فالخلاصة: إن المسلمين قد يرفضون حكمًا إسلاميًا ولكن لا يمكن أن يرفضوا الإسلام إلا إذا ارتدوا عن الإسلام وحينها فيكون حكمهم حكم غير المسلمين في بلاد الإسلام.

وهذا الحال لا يختلف عن حال النظام الديمقراطي الرأسمالي فهو يقبل الاعتراض على جزئياته ولكن لا يقبل رفضه لأنه سيترك الساحة ويكون هو بنفسه غير مطلوب.

وهنا قاعدة مهمة وهي أن دولة الإسلام لا تنقلب إلى غيرها حتى لو ترك الإسلام أهل تلك البلاد فيكون حكمهم حكم الكفار في دولة الإسلام يدخلون بمعاهدات وضرائب وغير ذلك .

الاستفتاء حين يأتي بنظام فلا يصح بعد ذلك إجراء الاستفتاء على نفس النظام لأن الأمر ليس بلعبة إلا إذا حصلت ردة على النظام فهذا يعامل بحسب ما في النظام من قوانين في دستوره ونظامه الداخلي.

فهل سمعت يا عزيزي بأن النظام الأمريكي طلب أن يصوّت على تغيير الحكم والدستور إلى الحكم والدستور الشيوعي؟

وهل سمعت بأن المملكة المتحدة طالبت بالتصويت على تغيير نظامها؟

فلماذا يُطالب المسلمون بالتصويت يوميًا على إسلامهم وهل يقبلونه أم لا يقبلونه؟

فهل وصلت بنا المسخرة إلى هذا النحو.

فهذا من الاستخفاف بالإسلام والاستهتار به وكأنه خرقة مزقتها الريح ويطلب من المسلمين يوميًا أن يراجعوا قبولهم بهذا الدين وبحكمه.

وأكرر بأن المطالبة ببعض شروط الحاكم أو ببعض الأحكام الخلافية لا بأس به ولا بأس بالتقيد به ما لم يكن مخالفًا لحكم ضروري. وأكرر أنه ليس المطالبة بإقصاء الاستبداد والظلم وحكم يقوم على الظلم باسم الإسلام هو مطالبة لإقصاء الإسلام.

وأما مطالبة المسلمين بترك الإسلام وأحكامه بشكل مطلق واللجوء إلى حكم غير إسلامي فهذا نوع من السخرية واحتقار الذات. ولا يُقبل عقلاً ولا شرعًا.

فالسلطة هي من أجل إقامة العدل وليس من العدل تحكيم غير العادل فلا مخالفة في المطالبة بتغيير نظام غير عادل، ولكن لو كان الحكم مطابقًا لكل شروط العدل فكيف يتصور من المسلمين طلب تغيير الحكم بكامله أي ترك الإسلام؟

حق المرأة السياسي

الملاحظ إن مداخلات كثيرة من أخوة سنة – ولعل أغلبهم سلفيين يتظاهرون بالتسنن – تقول أن لا حق للمرأة بشيء في السياسة وإنها استلمت جميع حقوقها بتحريرها من الرق وبإعطائها الإرث، فما تريد أكثر من هذا؟

أسمع كلامهم وأضحك، كأنهم نسوا أن زوج الرسول صلى الله عليه وآله كانت قائدًا عامًا عسكريًا وقادت حربًا وهي الإمام المطلق فيها وكان الجميع تحت إمرتها ولولا الهزيمة لكانت أميرة المؤمنين بلا منازع، عجيب أمر الجهل وخصوصًا الجهل بالمذهب الذي ينتسبون إليه.

ولو ألغينا هؤلاء الشواذ الفكريين من حديثنا فسيكون الحديث هو بين من يقول بأن المرأة لا يجوز لها حقوق في السياسة لوجود أدلة (السنة منقسمون في هذا) وبين من يقول بأن لها الحق السياسي، وفقط لا حق لها في الإمامة العامة ولا في القضاء. (وهذا هو الرأي الشيعي وهناك من يقول به بين السنة مثل ابن حزم)

أما أدلة منع المرأة من السياسة فهي تفتقر إلى جملة أمور أغلبها يتعلق بموضوع النزاع فإن الأدلة لا تتناسب مع الموضوع كما هو حال التمايز بين الأزواج وغير ذلك، ولكن لا شك بوجود درجة علو للرجل على المرأة تكوينًا وتشريعًا، إلا أن هذا لا يتجلى مطلقًا في الحقوق وفي العطاء، فلو قالت المرأة قولاً سديدًا فهل يقال لها أنت امرأة وقولك مخالف للرجل فعليه يترك قولك حتى لو كان سديدًا؟ هذا كلام هراء.

فكل أدلة منع المرأة غير قابلة للتطبيق على حقوقها السياسية وأغلبها قياسات وتنـزيلات، فما علاقة عدم فلاح القوم الذين ولووا عليهم امرأة كسروية استبدادية بتقدم المرأة لخوض الانتخابات في مجالس الشورى؟

وقوامة الرجال على النساء في عقد الزواج لا يعني أنها لا تفهم السياسة ولا تخدم الأمة.

لقد درسنا جميع الأدلة فوجدناها غير ذات علاقة بموضوع البحث، والاعتماد عليها إنما هو فتوى غير دقيقة.

وأما القائلون بالمنع إلا من القضاء والإمامة العامة فلأنهم فندوا جميع الأدلة واعتمدوا النصوص في هذه الموضوع، وهنا لي رأي، وهو إن الولاية العامة لم يرد إلا في رواية وصفت بالمرسلة وهي عندي صحيحة ولكن سيأتي الحديث عنها.

وأما القضاء فقد ورد فيه روايات قليلة رغم ضعفها فهي مجبورة. ولكنني وجدت رأيًا لطيفًا للشيخ محمد مهدي شمس الدين قدس الله نفسه ورحمه برحمته الواسعة، يقول بأنه بعد دراسة طويلة وجد أن مضامين النصوص ليس للنهي عن تولي القضاء وإنما لنفي التكليف به، وهذا يعني أن المرأة غير مسئولة شرعًا حين يقصّر المسلمون بهذا التكليف الكفائي ولكنها لو تبرعت فحكمها ينعقد قطعًا إذا كان بموجب الأدلة الشرعية، لأن الانعقاد أمر وضعي لا يمكن نفيه حين العقد فلو حكمت امرأة على أن الحق لفلان في الموضوع الفلاني، وقد تسلمت موقع القضاء برضا الناس، فكيف لا يعقد

هذا الحكم؟ خصوصًا إذا كانت المرأة القاضية تطبق دقائق الشريعة بما لا يزيد عليها رجل في التطبيق.

فهذه مسألة وضعية وليست حكمية حتى يقال لا ينعقد ولا يصح رأيها الصحيح. نعم هي غير مكلفة بذلك. وهذا رأي لطيف وقد راجعت موارده فوجدته كما قال إلا موردًا واحدًا كان يدل على النهي ومقتضى النهي الفساد ولكن الحق يقال إن ما سبق النص من أحكام في الرواية دال على نفي الوجوب وليس النهي ويمكن إتيان المرأة بالموضوع (ليس على النساء أذان ولا إقامة ولا جمعة ولا جماعة ....ولا تولى المرأة القضاء ولا تلي الإمارة ...) فالبداية هي بداية نفي الوجوب وإن صح من المرأة الإتيان به ولها عليه ثواب معلوم وبعض الموارد لا يصح الإتيان بها للمرأة لأنه تشويه لها مثل (ولا الحلق) في الحج فهذا ممنوع (طبعًا) وليس (شرعًا فقط) لكونه تشويهًا لها.

ولكن قوله (ولا تولى) يدل على النهي بهذه الصيغة، فهل البداية قرينة صارفة من النهي إلى نفي التكليف أم لا؟

فهذا يختلف فيه نظر النظار. وقد ذهب الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله إلى أنه قرينة صارفة.

وبهذا يكون ما يقال من عدم شرعية القضاء للمرأة محل نظر فهو (عدم تكليف لها) وليس (نفي الشرعية لقضائها) خصوصًا وقد أشكل بعدم معقولية نفي نظرها الشرعي الصحيح في القضايا؟

وأما الإمامة فعندنا أمرها سهل فالإمامة عندنا بنص الله ولا يهمنا إن كان رجلاً أو إمرأة بل ما يهمنا هو طاعة الله. ولكن الواقع لم ينص الله على امرأة، وهذا أمر محدود ومفروغ منه. وما عدا الإمامة لا يشمله المنع. فكل أدلة المنع إنما هي للإمامة وهي منصوصة لرجال معينيين وتوجد نصوص أو ما يشبهها من إجماع على عدم كون الإمام إمرأة مع عدم منع عصمة المرأة فإن أحد المعصومين عندنا امرأة كما لا يخفى.

فلو انتخب المسلمون امرأة لتطبيق الشريعة وهي مقيدة بالشرع الشريف، فما المانع من ذلك؟

لا مانع مطلقًا.

وهنا يتفق بعض الفقهاء السنة على جواز التولي لما دون الامامة العامة رغم أنهم قبلوا تعيين شجرة الدر إمامًا عامًا استبداديًا على المسلمين .

ونختم الكلام بهذا النص من المحلى لابن حزم ج٩ ص ٥٢٣–٥٢٥ المسألة ١٨٠٠ :

(وجائز أن تلي المرأة الحكم ، وهو قول أبي حنيفة وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه ولّى (الشفّاء) — امرأة من قومه– السوق) وقال: (فإن قيل : قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة " قلنا: إنما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الأمر العام الذي هو الخلافة. وبرهان ذلك قوله صلى الله

عليه وآله وسلم: "المرأة راعية على مال زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها" وقد أجاز المالكيون أن تكون وصية و وكيلة، ولم يأتي نص يمنعها أن تلي الأمور ....)

إرث البنات بين السنة والشيعة

ما طلبت بيانه من الفرق بين المذهبين (مذهب أهل البيت ومذهب الخلافة) في مسألة إرث البنات، فنقول بشكل مختصر وسريع، وعلى الله الإتكال :

مقدمة :

من العلوم بالضرورة إن أي معادلة يجب أن تكون متساوية الطرفين، وأن أي كسور حينما يراد لها الصحة فيجب أن تساوي بمجموعها واحد.

فإذا قلنا ثلث ونصف فقط فهذه لا تساوي واحد بل هي أقل منه، والمعادلة لا يتساوى طرفاها أي الواحد لا يساوي الثلث والنصف فقط .

وإذا قلنا ثلثين وثلث وثمن فهذه تساوي أكثر من واحد، والمعادلة لا يتساوى طرفاها.

وفي كلا الصورتين لا تصح المعادلة .

والقرآن الكريم فيه مثل هذا الحساب في الإرث، حسب ظواهر القرآن الكريم بدون معالجة، خصوصًا في إرث البنت أو البنات والأخت أو الأخوات، والأخذ بظاهر القرآن اتهام للقرآن بالخطأ، فلهذا لا يوجد مسلم يأخذ بظاهر القرآن في نصوص الإرث هذه، من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلى أبسط علماء الفرائض في الإسلام.

ولكن ما هي معالجة رسول الله لهذا الأمر ؟

هنا يوجد طريقان:

الطريق الأول: يقول إننا لم نسمع من رسول الله شيئًا في ذلك، ونخترع من عقولنا طريقة للمعالجة، وهذا مسلك الخليفتين .

والطريق الثاني: يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عالجه بعلاج معلوم وضّحه، وهذا مسلك علي بن أبي طالب عليه السلام.

فالدعوى أنه لا يوجد سنة نبوية في ذلك، بينما كلام علي أن الحل بيّنه رسول الله وهو يرويه ويفرعه.

وبهذه المعالجات نشأ خلاف كبير في الحقوق ومداخلات مختلفة بين المعالجتين واختلاف في طريقة الحساب.

المعالجة لهذه المشكلة:

ومختصر المعالجتين هو ما يلي:

١- معالجة الشيخين:

أ - إن أي سهام منصوصة إذا زادت على المال (زيادة البسط على المقام) فالحل الذي اقترحه عمر بن الخطاب أن يزاد من المال، لسد عول الفريضة، ويدخل النقص على الجميع، كثلثين وثلث وربع، فأصل المال أقل من السهام بمقدار ربع، فيدخل النقص

على الجميع بزيادة المال افتراضًا، ويسمى هذا العول، فهنا تكون المعادلة ١٥ سهمًا، مقابل ١٢ من أصل المال، أي أن البسط ١٥ والمقام ١٢، فكل ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب هو أن جعل المقام ١٥ أيضًا، فأدخل النقص على الجميع، فأدخل نقص على الزوج وهو ممن لا يدخله النقص أبدًا، وسهمه ثابت دائمًا في نصوص القرآن لأن سهمه ثابت النصف مع عدم الولد والربع مع الولد، ولا يوجد أي نص يدخل عليه نقص أو يزيده.

ب- إذا نقصت السهام عن المال (زاد المقام على البسط)، فالحل عندهم أن يعطى المتبقي إلى طبقات أخرى محجوبة بالطبقة الحالية، ويسمى هذا بالتعصيب، أي توريث عصبة الميت بدون نص أو دليل شرعي، وإنما هو اجتهاد فيما لا يعرفون التصرف به، فأهدي الزائد إلى غير الورثة، وقد عبر بعضهم عن هذا التصرف أنه قياس، والتعصيب يمكن أن يكون للطبقة التالية مباشرة كالإخوة والأخوات ويمكن أن يكون لأبعد الطبقات كأبناء الأعمال والأخوال البعيدين، وفي هذا الحل إدخال لغير أصحاب الحق فيما لا حق لهم به وهم محجوبون لبعدهم عن الميت وطبقة الورثة.

٢- معالجة علي بن أبي طالب عليه السلام:

أ- إذا زادت السهام عن المال (زاد البسط عن المقام بالتعبير الرياضي الحديث) ، فإن الزيادة تدخل راجعة على من سهمه متغيّر وغير ثابت كالأب والأم والبنت، لأن لهم صور متعددة في الإرث فالبنت تارة تأخذ نصف حصة أخيها وتارة تأخذ النصف وتارة

تأخذ الثلث وتارة تأخذ ثلث أو ربع الثلثين حسب تعداد البنات، وكذا الأب تارة يأخذ جميع المال وتارة يأخذ الثلث وتارة يأخذ السدس وتارة المتبقي، وأما الزوج والزوجة فسهامهم ثابتة مع جميع الطبقات، ولا يمكن إدخال النقص عليهما، وهنا سيكون الحساب معقدًا، ولا يحله إلا رياضي يعرف أصول الحساب، لأنه سيشكل شراكة من الذين يصح النقص عليهم، كالأبوين والبنت أو البنتين، وسيدخل النقص بنسبة الشركة بينهما، وهذا هو حل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما هو عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو ينفي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبين حل هذه المعضلة، فمن نصدق ؟ من يقول: أنا أعلم وأروي الحل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ أم من يقول: أنا لا أدري وأقترح الحل الفلاني؟ وحل علي بن أبي طالب عليه السلام يحافظ على سهم الزوجين الثابت، وهو محافظة على نص القرآن بدون إغماض عين وتداخل بين النصوص.

ب- إذا نقصت السهام عن المال (نقص البسط عن المقام) فإن الزائد يرد على من سهمه متحرك بنسبة المشاركة بينهم، فلو كان مع الأبوين بنت، فللأبوين السدسان، وللبنت النصف، والباقي رد عليهم أخماسًا (بمعنى أن الزائد يقسم على خمسة ويرد بنسبة كل مستحق). ولو كان عنده إخوة للأب أو الأبوين، كان الرد على الأب والبنت أرباعًا، لحجب الأخوةُ الأمَ من الرد عليها، وهكذا بتفصيل يذكر في الفقه، لأن الأقرب يحجب الأبعد بضرورة الإسلام، فلا يصح توريث أخ مع وجود الابن أو الأب، ولا يصح توريث خال مع وجود الجد أو الأخ وهكذا، والاقتراح المفروض في حل

الشيخين يتجاوز على هذا الثابت، بدون دليل شرعي، وهو تخصيص للقاعدة بدون مخصص.

بينما حل الإمام علي عليه السلام يحافظ على الطبقات وعلى قاعدة الحجب، ولا يقبل بمنح الحق إلى غير أهله، وهو حل العدل والإحسان الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فهذا ملخص الفرق بين المعالجتين ، وقد بينت السر في ذلك ضمنًا بجهل الخليفتين للحساب!

وقد آثرت ترك الأحاديث والآيات الواردة في المقام والمناقشات فيها فهي طويلة ومعقدة بعض الشيء ، وهناك رد وبدل عند الفقهاء يدور حول هذه المعاني حصرًا، واكتفيت بهذا البيان، ومن يراجع سوف يجد أن هذا هو أصل المطلب بكل وضوح. (ملاحظة كتبت هذا من الذاكرة لعدم توفر المراجع).

القول بابن عباس

حسب دراستي فأنا أرى أن ابن عباس (الموجود في كتب المسلمين) شخصية هامشية ضخمت كثيرًا بالكذب عليها سلبًا وإيجابًا، كجزء من الصراع بين الأمويين والعباسين خصوصا في الفترة العباسية، حيث كان أنصار بني امية يمتازون بالكذب المفضوح الشنيع وكانوا يجيزون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله حسبة، وكانوا يقلبون الأسانيد ويغمزون بابن عباس وبأهل البيت حتى أنهم كذبوا على علي بن أبي طالب عليه السلام بنسبة أكثر الفتاوى المخالفة لرأيه إليه، وبنو العباس كانوا يكافئون من يكذب على ابن عباس وغيره لنسبة العلوم إلى جدهم.

فلهذا فإن أي بحث في عبد الله بن عباس لا أقيم له وزنًا ما لم يكن شاملاً بطريقة الفرز .

ولو تتبعنا تفسيره للقرآن فسنجد أنه شرح للتوراة والتلمود مطبق على القرآن كما هو في الإسرائيليات، ومن المعروف عن ابن عباس أنه لم يتهم بالاسرائيليات في وقته، فتبين أن هذه العلوم المزعومة وصفة الحبر الاعظم المزعومة، هي من مختلقات الصراع الأموي العباسي.

نعم يمكن للباحثين فرز روايات ابن عباس بطريقة التقاطع البياني في جداول البيانات وهي طريقة صعبة في معالجة البيانات، ولكنها ممكنة حتى مع الصعوبة، وتقديري أنها ليست بالقضية المستحيلة، ولعل هناك طرقًا بسيطة جدًا للتفريق كالرجوع إلى

أسس معرفته، فما وافق علم علي بن أبي طالب فإن احتمال نسبته لابن عباس أقرب مما لو خالفه لكونه تتلمذ عنده، وهذه قاعدة ذهبية للفرز فهناك دائمًا أقوال متناقضة عن ابن عباس في طرفي القضية، مما يدعونا لأن نصحح واحدة، وهذا معيار ينصف ابن عباس نفسه، حيث تنسب توافق معلوماته مع شيخه لا مع عدوه، وعلى ذلك يكون فرز أحاديث ابن عباس في كتب السنة والشيعة.

وهناك طرقًا أخرى أكثر تعقيدًا، منها تتبع بداية كل رواية عن ابن عباس متى ظهرت؟ وهل ظهرت في القرن الأول؟ أم الثاني والثالث؟ ويمكن من ذلك معرفة بدء ذلك الخبر ونسبته للغرض أو عدمه؟ وهناك طرق أخرى يمكن اعتمادها وتصفية كل هذا الركام العجيب عن ابن عباس رضي الله عنه.

تبقى نفس شخصية ابن عباس الحقيقية لا التي في الكتب، فالذي أميل إليه أنه كان على مذهب أهل البيت ولا علاقة له بما ينسب إليه من أفكار مخالفة لهم، لكثرة ما ورد عنه من موافقة حادة لمذهب أهل البيت ومخالفة حادة لأعداء علي (شخصًا وفكرًا) فهو بنفسه أهل للثقة وللإيمان كما يبدو على ظاهر الأمور، وأما انحراف ابناءه وحقدهم فليس هو المسؤول عنه، إلا إذا اتى أحد بدليل أنه هو من رباهم على كره النبي وأهل بيته كما فعلوا، ولكن هيهات أن نجد مثل هذا الدليل .

ومع ذلك نقول أن الائمة عاملوا أعداءهم بالحسنى، فكيف لا يعاملون مخطئا منهم؟ (على فرض ثبوت الخطأ).

على أننا لم يثبت عندنا خيانة عبد الله بن عباس، وإن كانت ممكنة، وقد شكك الكثير من العلماء بهذه الرواية وادعى أن فيها زيادات أموية خطيرة.

ولم يثبت عندنا أن الحسنين كانا يقربان ابن عباس بل ثبت عندنا أن الإمام زين العابدين عليه السلام قال له يا أعمى البصيرة، والروايات التي ذكرتها ورأيت أنها ثابتة، لا تعتبر كذلك.

وقد اختصرت لك الأمر بأن البحث في شخصية عبد الله ابن عباس بحث لم يبدأ بعد، فكل حوار عنه، إنما هو حوار في أمر لم يميز بعد، فكيف تحاور فيه وتعتبره واقعًا محققاً؟

أرجو مراجعة قولي بدقة، فإن هذه الشخصية يجب بحثها بصورة علمية مجردة، فإنه من أكثر الصحابة الذين كُذب عليهم، حتى أن ابنه الفضل ربط عكرمة تلميذ ابن عباس في زريبة الحيوانات، لكثرة ما كذب على أبيه. فهذا واحد من عشرة كانوا يؤلفون الأحاديث وينسبونها لابن عباس، ولهذا فأحاديثه متضاربة بشكل يدعو للدهشة، وقد أوردت لك في بحث إرث البنات، روايات عن ابن عباس لو دققت فيها لوجدتها تحمل تناقضًا داخليًا، فإنه في الوقت الذي ينفي فيه التعصيب والعول يستدل بصحة التعصيب، ويقسّم الإرث بناء على التعصيب، فكيف يكون هذا الرجل واحدًا يتناقض في حديث واحد؟ فكيف وهناك روايات يرونها عنه وعن علي تقول بالعول والتعصيب؟ ومذهبه عدم العول والتعصيب وأنه مخالف للقرآن!

وبهذا فإن تمييز ابن عباس الحقيقي عن المختلق المكذوب عليه، مشكلة علمية حقيقية لم يبدا فحصها في تاريخ الإسلام بشكل علمي لحد الآن، فهناك من يدافع عنه وعن أخطائه، كالسيد ابن طاووس رضي الله عنه وكالسيد مهدي الخرسان حفظه الله، وهناك من يضعف شخصه الحقيقي وينفي كل ما انتج، وهناك من لا يفّرق بين الأبيض والأسود

ولكن حسب الطريقة التي أنبأتك عنها لم يحدث البحث فيها، ولهذا فلا يصح أصلاً الإستدلال بقضايا غير ثابتة، نعم يمكن الاستدلال بابن عباس من باب الإلزام بما ألزموا به أنفسهم، وهذا جدل صحيح لبيان بطلان أهل الباطل، ولا يصح الاستدلال بكلامه على من يشكل على أصل ثبوت كلامه، وقد كان عند أهل السنة ما هو أكثر من قولي قولاً وعملاً، فإنهم يتركون جعفر بن محمد الصادق والباقر وغيره من أعيان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم، بسبب أن أهل السنة يضعفون تلاميذهم، فيقولون بأنهم بأنفسهم ثقات ولكن لا نوثق تلاميذهم الذين هم ألوف الأتقياء الأنقياء العلماء مقابل الشرطة السفلة الذين يتلبسون بعلم الحديث كالزهري وغيره، ولهذا يتركون أهل البيت لعدم الوثوق بما نسب إليهم، فكيف يستندون إلى ابن عباس؟ وهم يقولون بأنه كثيرًا ما كذب عليه وهم يرون أن بني العباس كانوا يمنحنون الجوائز لمن ينسب فضائل لجدهم ابن عباس؟

فالقضية قد بينتها بدقة، وكنت أرجو قراءتها بدقة بدون الحاجة إلى مثل هذا التصريح وأكثر ، وفقك الله.

أما قضية أن خطأ ابن عباس بنقص من قدر علي بن أبي طالب، بأي تقرير كان، فهذا ينم عن غفلة عن حال الأنبياء فضلاً عن الأئمة، فإن الأنبياء صادقوا وقربوا المنافقين والخطاة والمجرمين لاسباب يعلمونها هم بحسب تعليم الله لهم، فهل يصح أن نقول بأن تأمير النبي لخالد بن الوليد في فتح مكة =، ومن ثم حين بلغه أن خالدًا غدر وقتل أهل مكة فتبرأ منه، بأنه دال على نقص النبي (حاشاه)؟ ومثل هذا الفرض موجود بعشرات الأمثلة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما في حياة الأنبياء. فاعتقد بأنك قد تعجلت في تحكيم هذه الفكرة في عقلك وكان ينبغي ان تفكر في امتداد الفكرة وارتدادها .

فإن السني المنزه لله ولرسوله من المعايب، عليه أن يفكر بإرتداد أي فكرة على أصل التنزيه، وهذا يجب أن يكون مسلكنا جميعًا.

على أن قضية ابن عباس نفسها، لم تثبت، وليس كل ما في نهج البلاغة صحيح، فهو كتاب حديث مرسل، مؤيد بأحاديث مسندة بحدود ٩٠ ٪ منه وأكثر، وليس منها، موضوع خيانة ابن عباس حسب ما قال المحققون في ذلك. نعم إنني قد توصلت إلى ما هو أخطر مما ورد في ذلك الحديث، وهو استدعائه زياد بن أبيه من الأهواز وتسليمه ولاية البصرة وذهابه إلى المدينة، بما لا يفهم سببه، فإن زيادًا نغلٌ مشهور، ومِن اسمه

يتبين ذلك، ولا يشفع له أن يكون ممن يعلن ولاءه لأمير المؤمنين عليه السلام، فلا يصح تولية ابن الزنا على رقاب المسلمين، بينما له كل الحقوق الأخرى والحرمة الكاملة، فكيف يقوم ابن عباس بذلك؟ فهذا أهم من احتواء المال الذي قد يكون من حصة بني هاشم من الخمس أو الزكاة، فهذا احتمال ممكن .

وهو شبهة شرعية على كل حال، فهذا التصرف من ابن عباس ورّط الإمام علي في ولاية هذا الرجل، وقد اطلعت على رسالة توبيخ لابن عباس على هذا الأمر، لا اذكر أين عثرت عليها، وقد كان ما كان من انقلاب هذا النغل على شيعة الإمام عليه السلام، وطلب أخوّة معاوية من الزنا، واعترف معاوية بأنه أخوه من الزنا. وكان عاملاً له يقتل أحباب علي بن أبي طالب الذين يعرفهم بدقة لأنه كان من مجموعهم.

ومع كل ذلك فإن سلوك المعصوم مع الناس لا يدل على عصمة من تعامل معهم، ولا يدل على نقص العصمة، بل هو سلوك المعصوم مع عموم البشر حسب تكليفه الذي رسمه الله، من مراعاة كل البشرية، والمعصوم ينسب لكل العالم (رحمة للعالمين)، وليس فقط للمؤمنين، وهذا يفسر سلوك النبي مع المنافقين والخطاة وغيرهم، ممن يكثرون الخطأ، كما يعتني بشكل خاص بمن وفقهم الله لطاعته.

نسأل الله لنا ولكم الهداية والتفكير السليم.

لماذا يقتلون زوّار الأئمة عليهم السلام؟

إن أي عمل إرهابي أو غير إرهابي لا بد له من هدف ومنفعة ظاهرة أو خفية، وهذا أمر لا يشك فيه أي عاقل.

وهنا نتساءل ما هي مصلحة الإرهابيين في التفجيرات بأجساد زوار الأئمة الطاهرين عليهم السلام؟

فلنفترض الفروض المعقولة ونناقشها:

١- لتخويف الزوار وتقليل حماسهم وكف أيديهم من التأييد لأئمتهم (سبب طائفي)

٢- للإرباك الاجتماعي وتحصيل مصالح في مفاوضات سياسية (سبب سياسي)

٣- للقول بأن الدولة فاشلة (سبب سياسي بعثي طائفي بالدرجة الأولى)

٤- لإظهار الحاجة لتسليم الإرهابيين الحكم (سبب بعثي طائفي بحت)

٥- لإزعاج السياسيين العراقيين للهرب من العراق وتسليمها إلى الطغمة السابقة بشرط الارتباط بالمنظومة الطائفية السعودية العربية (سبب سياسي بعثي طائفي بالدرجة الأولى)

٦- لحد الآن فالأسباب المذكورة أعلاه هي الأسباب المعقولة، وأما أن يكون لمجرد تفريغ الحقد الطائفي فهذا غير معقول وعمل جنوني ولهذا سنعتبره الاحتمال السادس

وهو لا يمكن أن يدرس باعتباره عملاً جنونيًا، ولا يمكن دراسته إلا كحالة مرَضيّة تمامًا، ولكن من المريض؟ ومن الطبيب الذي درس مثل هذه الظاهرة إن وجدت؟

إنّ ما يحصل جراء هذه التفجيرات على أرض الواقع هو:

١- زيادة في عدد الزوار كمًّا ونوعًا.

٢- زيادة التمسك والحماس لمناصرة أهل البيت عليهم السلام ونصرة مذهبهم.

٣- زيادة إلتفاف الشيعة حول مرجعيتهم وإنسانيتها.

٤- زيادة كراهية الشعب العراقي للإرهابيين ومن يقف وراءهم.

٥- تعلم الحذر الشديد من العدو الحقيقي الكاره لرسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة، والذي يعبر عن هذا الكره بهذه المواقف سواء كان سياسيًا أم طائفيًا.

٦- عدم اكتراث المسؤولين العراقيين الشيعة وكأن القضية لا تتعلق بهم وإنما هي في المريخ فلا أثر سياسي لها مطلقًا مطلقًا.

٧- عدم تأثر الدولة والمجتمع نهائيًا.

٨- عدم المساومة السياسية على هذه الأعمال مطلقًا.

٩- عدم الإخلال بالمجتمع وبنيته مطلقًا.

١٠- فشل أي اتجاه لتغيير الحكم في العراق ولو حدث فإن الشعب العراقي مهيأ لمسح كل من يحدث نفسه بارجاع الظلم والجور وأصبح فيه من هم أشبه بعابس بن شبيب رضوان الله عليه.

١١- عدم اكتراث أهل الضحايا بل سيزيدون من زيارتهم فإن من لم يزر سيزور نيابة عن الشهيد أو رغم أنوف الأعداء فإن بعض الأسر العراقية التي فقدت أحد شبابها المتحمسين الزائرين أصبحت كلها تزور الأئمة رغم أنوف أعدائهم.

١٢- عدم تأثر الوضع القانوني أو الاقتصادي للدولة لا سلبًا ولا ايجابًا.

١٣- عدم اهتمام المنظومات الدولية المتغافلة عن الحدث وبالمقابل يتغافل الإنسان العراقي عن هذه المؤسسات ولا يعيرها أي أهمية خصوصًا مؤسسات حقوق الانسان التي تستعمل سياطها ضد الدول وضد التدين في الغالب بحجة محاربة انتهاك حقوق الانسان، فكلام هذه المنظومات السياسية هواء في شبك عند العراقيين نتيجة تكرار هذه الأعمال الوحشية وعدم الاهتمام بها.

١٤- خلقُ جوٍّ من عدم المبالاة مقابل فداحة الحدث بحيث أصبح الشعب العراقي مجهزًا لأن يكون مقاومًا بشكل طبيعي بحيث سوف لن تنفع معه السياط لأن جلده قد ثخن فلا يحس بهذه السياط.

١٥- زيادة عزم الشيعة بكنس كل هذه الوجوه الكالحة الطائفية في المنطقة مع أن قناعة العراقي الآن بإزالة إسرائيل على يديه أصبحت شبه طبيعية حتى أن التاريخ القدساني للشيعة كان إلى زمن قريب غير متوقع له الحدوث فإن تحرير القدس على يد شيعة العراق كما هو وارد في نبوءات الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام ورسم صورة لتاريخ مصنوع من الله ينطلق فيه الشيعة لتحرير القدس ولن ينتهي حتى يُسلم كل العالم، لم يكن له أي أرضية واقعية قبل هذه الأحداث لعدم وجود العزيمة والفكرة لتطبيق هذا التاريخ القدساني عند المجتمع الشيعي المكون من أكثر من أربعمئة مليون شيعي في العالم، وإنما هي أشبه ما يكون بالخيال، ولكن الآن في زمننا هذا وبهذه الأفعال أصبح الأمر ليس خيالاً فقد تعبأ الشعب الشيعي تمامًا ليرد ردًا صاعقًا بقيادة معصومة مقتدرة من الله تذلل جميع الصعاب وتنصر عباد الله المؤمنين، وهذه صورة مشرقة لمستقبل مشرق للشيعة وهي صورة مظلمة لمستقبل رهيب للنواصب والمجرمين.

١٦- زيادة عدد المستبصرين من دون تبشير إطلاقًا، فلا القيادات الشيعية تعلم باستبصار مجموعات كبيرة ولا العمل قائم على ذلك وإنما هو نتيجة التأمل بما يجري من إرهاب ووحشية وتزيف في التاريخ واللعب على قيم الإنسان، واعادة قراءة تاريخ وفكر أهل البيت عليهم السلام والتحول الجماعي الذي لا نعلم عنه شيئًا. فنحن لا نعلم بوجود مستبصرين بهذا الحجم في سوريا ولكن من خلال القتل النوعي للمستبصرين بين أهلهم في قراهم ومدنهم السنية نعلم بأن التشيع بدأ ينتصر بحماقة المجرمين ونصر الله العظيم، "ولهذا نحن نضحك على عقول بعض مشايخ الأزهر

حيث أنهم مقتنعون بوجود تبشير شيعي رهيب في مصر يخشون منه زوال التسنن في مصر، فهذه مزحة طريفة وجهل فضيع بما يجري فعلاً وهم لا يعلمون بأن مراجع الشيعة غير مهتمين بالتبشير إطلاقًا لأن أغلب المتمكنين منهم وحدويون يحرمون المساس بشعور الآخر، بينما المتحمسون لنصرة المذهب والذين لا يؤمنون بهذه الوحدة الفاشلة ليس لهم القدرة فالإتجاه منتفٍ موضوعًا وعقول بعض مشايخ الأزهر التي لا تعرف التفكير السليم لا تعرف أي حقيقة حول ما يجري وأن السبب هو الوهابية والمجرمون الإرهابيون الكذابون الذين يكذبون علنًا بما يثير عقول أبنائنا من المتعايشين في المجتمع السني وقد بدأ يتحول إلى المذهب الشيعي طواعية بدون أي سعي شيعي".

١٧- فشل المشاريع السياسية الغربية التي قد تشير بعض الافتراضات إلى أن السر الخفي هناك في تلك المشاريع، وأن هؤلاء المجرمون إنما هم أدوات تنفيذ.

وقد يسأل سائل أن كل ما يقال عن حصوله لا بد أن يكون له أرقام معينة تسند هذا الادعاء بزيادة التمسك على أقل تقدير حتى نقتنع بأن الاتجاه عكس ما يفترض تحقيقه من قبل الإرهابيين المجرمين مع العلم أن عدم اكتراث السياسيين وعدم تأثير الوضع عليهم بل هم مستفيدون لهو ممّا يُسلم به في الواقع.

نجيب بالحقائق التالية:

١- أقرب مثال هو زيارة الإمامين الجوادين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام قبل عدة أيام* في مناسبة وفاة الامام الكاظم عليه السلام حيث تزايدت عمليات القتل والتفجيرات عن بُعد وبواسطة الإنتحاريين وقتل وجرح المئات منهم، طيّب، هذا حصل من قبل الزيارة بثلاثة أيام إلى ثاني يوم بعد الزيارة، فماذا حصل؟ إن عدد الزوار في هذه المناسبة ارتفع من مليونين قبل وبعد سقوط النظام الطائفي إلى أربعة ملايين في العام الماضي وفي هذه السنة تم تعداد الداخلين إلى الصحن الشريف بواسطة وسائل الاحصاء العلمي وكان بحدود ١٣ مليون إنسان، فإذا افترضنا أن الزائر يدخل مرتين للزيارة فإن الداخلين فقط إلى الصحن الشريف يصبح بحدود ٦,٥ مليون إنسان غير مكرر على أن اغلبهم أي بنسبة ٨٥ بالمائة لا يكررون الزيارة حيث يزورون ويرجعون إلى أماكنهم، فإذن، كان دخول الناس الى مدينة الكاظمية بأعداد مهولة أكثر بكثير من هذا الرقم وقد أعلنت بلدية الكاظمية المقدسة بأن عدد الزوار هو ستة ملايين ونحن نعرف بأنهم يقرون بـ ٦٠ بالمائة من الرقم الحقيقي للاحتياط باعتبار أن الإحصاءات رياضيّة احتمالية.

٢- كانت زيارة الأربعين تعادل مليوني زائر، وقد أصبح رقم مليوني زائر إلى ثلاثة ملايين هو الرقم الطبيعي في ليالي الجُمع على مدار السنة، وأما دخول مدينة كربلاء المقدسة في زيارة الأربعين فقد كان رقمًا خياليًا فقد سمعت من الأجهزة المختصة في الزيارة الفائتة أن الداخلين إلى كربلاء بين ٢٥ و ٢٧ مليون داخل، وأن الزوار

---

* كتب هذا الموضوع بتاريخ ٢٧ رجب ١٤٣٣ هـ، وذكرى شهادة الإمام الكاظم عليه السلام في ٢٥ رجب.

الأجانب فقط في تلك الأيام العشرة يزيدون عن ٥٥٠ ألف زائر، ولو سمحت الحكومة العراقية بالزيادة لوصل لأكثر من عشرين مليون زائر ولكن الحكومة العراقية باعتبارها لا تحسن الظن بالله فهي ترى أن هذا العدد لا يمكن استيعابه في مدينة في العالم حتى في مدينتي دلهي ونيويورك.

٣- أن بعض أماكن التفجير أصبحت منتديات عظيمة فإن المخيمات البسيطة التي فجرت تفجيرًا مزدوجًا بتفجير سيارة وحين اجتمع الناس للإنقاذ تم تفجير السيارة الثانية فكانت الحصيلة أكثر من ١٦٥ شهيدًا عدا الجرحى بالمئات وهذا رقم خيالي كما ترون، وفي السنة الثانية تم تفجير المكان نفسه، ولكن تم التحوّط لمنع هذه التفجيرات للخمس سنوات التالية وأصبح المكان من أعظم المنتديات التي تغص بآلاف الزائرين، ويوميًا هناك أشعار وكلمات تلقى على الزائرين حتى أن في يوم التفجير يُقام احتفال أدبي فني كبير وقد زادت مساحة المنطقة المخصصة لهم خمسة أضعاف وزاد عدد روادهم أكثر من عشرة أضعاف بحيث يدخل منتداهم يوميًا أكثر من عشرة آلاف شخص ولمدة ثلاثة عشر يومًا تقريبًا، وكل من رأيتهم من أهل المنطقة ومن أصحاب الموكب قالوا لو فجرونا من جديد فسنزداد عددًا وعملاً.

٤- أن نسبة المتحمسين زادت بشكل غريب جدًا حتى أنني لاحظت أن الخطيب أو المنشد حين يقرأ قصيدة غير حماسية ينفض عنه الناس طوعًا وحين يثير الخطيب أو المنشد الحماس يزدادون إلى درجة مثيرة للتعجب. فقد شاهدت مرة أمرًا عجيبًا حيث

أن منشدًا قرأ قصيدة بعد العشاء فكان الزوار مستلقين على الأرض فلم يعيروه اهتمامًا ولكن حين بدأت القصيدة باثارة حماس المتدين رأيت أغلب المستلقين قاموا مشاركين حتى تحول المشهد فجأة إلى تظاهرة كبرى.

إنّ هذه المعطيات البسيطة وغيرها مما هو مبرهن على أرض الواقع يعني شيئًا واحدًا هو فشل مشروع الإرهاب الطائفي بكل معاييره ومقاييسه سواء لمجرد الفعل الطائفي أو للفعل السياسي بغطاء طائفي وهو أغلب الاحتمالات التي يرجحها المراقبون، ولكن من خلال مطالعة النتائج نجد أن الإصرار على هذا الفشل يدعونا للتفكير في جدية عقل المخططين وفي حقيقة مداركهم لما يجري في العالم، فإن هؤلاء أصبحوا مرضى نتيجة أعمالهم ولا يدرون بأن كل النتائج عكسية تمامًا بل أصبح الأمر كما لو تم إيقاظ الأسد الذي يأكلهم.

فلا يعقل أن هذه الأعمال تصدر من عقلاء يمكن التعامل معهم بتحليل علمي لنعرف ماذا يريدون أو ما هو النفع العائد إليهم وما هو الضرر العائد على خصومهم فقد كان الأمر مقلوبًا وهو كل النفع للشيعة وكل الضرر عليهم وعلى أقل تقدير ذهاب أموالهم وأفعالهم هباءً منثورًا، هذا إذا لم يكن من حسابهم في ضرر أنفسهم تلاحم الشيعة وزيادة وعي الغافلين منهم وزيادة نسبة التشيع بشكل مدهش نتيجة هذه الأعمال الصبيانية.

فإذن، يبقى الإحتمال السادس للمنافع التي ذكرنا في أول الكلام وهو العمل لتفريغ الحقد فقط وليس له أي علاقة لا بمبدأ ولا بمصلحة ولا بنتائج إيجابية بالنسبة لهم، ولكنه فرض يستبعده العقل السليم.

وهذا الإنقلاب من الضرر إلى النفع أمر ليس طبيعًا تمامًا.

فإن إنقلاب هذه الأفعال الشنيعة إلى نتائج ايجابية للشيعة من دون أن يفعلوا هم شيئًا، ليس أمرًا طبيعيًا ولو حدث مع أي أمة فلن يكون الأمر إلا مدمرًا وفانيًا للمجتمع.

إن من يدرس حياة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين عليهم السلام يجد هذه الظاهرة جليّة تمامًا في كل مسيرتهم حيث كلما إزداد عليهم الظلم والجور ينمون في المجتمع نموًا هائلاً، فهذا رسول الله خاض ٢٦ معركة أو محاولة معركة وكانت هناك خمس أو ست معارك حقيقية حصلت هي بدر وأُحد والخندق وكانت كلها بقيادة أبي سفيان وابنه معاوية بن أبي سفيان وبقية أخوته وعشيرته بالتعاون مع اليهود لعنهم الله، والرابعة خيبر والخامسة حنين بعد فتح مكة، والبقية إما سرايا لم يحضرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أنها بمجرد أن يصل الرسول يهربون ويسلمون أو يعطونه الجزية وهم صاغرون، وأن عدد قتلى المسلمين في الغالب أكثر من قتلى الكفار مع أن عدد المسلمين لا يقارن بقتلى الكفار، ولكن كانت كل الضغوط عليه صلى الله عليه وآله وسلم تنقلب انتصارات له وتتحول إلى مفاتيح لفتح الباب ليدخلوا في

دين الله أفواجا كما عبر القرآن الكريم. وهكذا الضغوط على شيعة رسول الله ووصيه عليهما الصلاة والسلام وأئمة الشيعة عليهم السلام في السجون أو المطاردة والقتل حتى أن أربعة أئمة ولدوا في مقر الإقامة الجبرية (الجواد، الهادي، العسكري، المهدي عليهم السلام)، ولكن الآن الشيعة ثلث المسلمين أو اكثر ويتمتعون بقوة هائلة في المنطق العقائدي وفي السلوك وفي التعبير عن الذات. فهذه حالة غير طبيعية تمامًا تنذر بانتصار التشيع من غير عمل وإنما بتوفيق الله وتوجيه العقول الراقية والقلوب النظيفة إلى إدراك معاني الحب والسعادة الحقيقية بالقرب من الله حقيقة لا بالدجل والكذب.

ولهذا فهناك حالة من الموازنة بين الألم لفقد الناس ومعاناتهم الإنسانية وبين الفرح للنتائج العكسية لصالح التشيع من كل هذه الأعمال.

وما يحدث الآن في بعض البلدان العربية من دعوات طائفية متشنجة سوف تكون هي بنفسها دعاية للتشيع ودعوة صريحة لكل مسلم حر أن يعيد حساباته ليكون مع جيش يزيد المجرم الإرهابي الفاسق الفاجر أم يكون مع سبط رسول الله الحسين الذي لا يوجد على وجه الأرض في زمنه من هو أعلم بشريعة الله ولا أقرب منه إلى الله إمامًا منصوصًا عليه من رسول الله بقوله الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما، وهذا نص على عصمتهما وارتباطهما بالله لأنهما إمامان حتى لو قعدا عن الحكم والتصدي فليفهم كل مسلم هذا المعنى الجليل من قِبل رسول الله صلى الله عليه

وآله بحديث متواتر لا يحتاج إلى سند أصلاً. وهذا الخيار بدأ يتكاثر ببركة أعمال الإرهابيين وحقدهم وكذبهم ضد أهل البيت عليهم السلام.

الشيعة والحرب الأهلية

لنواجه سؤالاً مهمًا وهو: هل حدث سابقًا في لبنان حرب أهلية؟

الجواب: بكل أسف نعم حدث ذلك.

وهل حدث في العراق حرب أهلية؟

الجواب: بكل تأكيد لم تحدث حرب أهلية في العراق، رغم قتل مئات الألوف من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ظلمًا وعدوانًا؛ يُقال أنهم بحدود ١٣٠ ألف ولكن الخارجية البريطانية قالت أنهم ٦٠٠ ألف وعدنان الدليمي ادّعى كذبًا أنه قد قتل من السنة فقط مليون مائتي ألف، فكم قتلى الشيعة إذن؟ وهذه كلها أرقام للدعاية لا تستند إلى دليل وقد أعلنت الحكومة العراقية في سنة ٢٠٠٧ بأنّ مجموع قتلى الإرهاب هو بحدود ٩٥ ألف والعهدة عليها والله العالم.

السؤال هنا: لماذا قلنا أنه لم تحدث حرب أهلية وقد كان عدد القتلى كبيرًا جدًا؟

الجواب: بكل وضوح إن معنى الحرب الأهلية هو تقاتل الأهليين فيما بينهم، وهذا لم يحدث في العراق، والذي حدث هو أن عصابات إجرامية كانت تقتل من الشيعة بكميات كبيرة سواءً بالقتل الفردي بالذبح والطلقات القريبة أو الجماعي بالتفجيرات، ولكن لم يجبهم الشيعة بالمِثل، وقد حرّم مراجع الدين الشيعة قتل أهل السنة على

الهوية لأنهم مسلمون محقونوا الدم، بل حرموا قتل أي مواطن من دين أو مذهب ما دام مواطنًا مستأمنًا، وقد حصل اعتراف عالمي بذلك.

بينما قامت القوات العراقية بمساعدة المخابرات العراقية (وهي سنية) وبعض المجموعات الشعبية مثل جيش المهدي ومنظمة بدر وأبناء الصحوة وأبناء العشائر السنية والشيعية وشباب المناطق، بقتل المتورطين في القتل وكانوا يلاحقون من ثبت أنه قاتل يقتل ببرود دم، وكانوا أعدادًا كبيرة جدًا، وقد تبيّن أن قرار حلّ الجيش العراقي ساعد على تكوين طبقة مشتركة بالحروب والقتل وقد أفلست ماليًا نتيجة التسريح من الجيش فأخذت تتلقى المال وتنحرف نحو قتل أبناء شعبهم باسم القاعدة أو المقاومة أو ما شابه ذلك. وأنا أبرّأ جيش المهدي ومنظمة بدر بنسبة ٩٩,٩ بالمائة من قتل الأبرياء، وإنما تعاونوا على رصد القتلة فقتلوا بعضهم، بينما هرب البعض الآخر، وكل ذلك كعمل دفاعي لتأمين استقرار المجتمع المهدد بواسطة هذا الإرهاب المدعوم خارجيًا.

وهذه الحال ليست حال حرب أهلية. إنما هو إعتداء من قيادات مجرمة لأغراض سياسية على بنية المجمتع بأكمله وتم معالجته تطوعيًا من كل الشعب العراقي وكانت المعالجة تحت إدارة الدولة العراقية.

فلا السني (كإنسان عادي وليس كفكر ديني) كان راضيًا، رغم أن أغلب المجرمين منهم، ولا الشيعي قد قبلَ الحالة، فالكل قاومها وقد كانت مقاومة أبنائنا السنة في

العراق للإرهابيين لا يعرفها إلا الجهات الأمنية التي تخبر قياداتنا بذلك، وأما الشيعة فمما لا شك فيه باعتراف جهات دولية بأنهم لم ينساقوا إلى الحرب على الهوية أبدًا مع أشد الاستفزازات مثل تدمير ضريح إماميين معصومين عند الشيعة، وما صدر من أعمال ثأر إنتقامي أو مطاردة بعض القتلة لم يكن حربًا أو إعتداء على المجتمع كما فعلت الفصائل الإرهابية البعثية بحجة المقاومة بل هو لتأمين المجتمع وبنائه. وكتدليل عرضي أذكر أن الفاتيكان أقام [سينودس] خاص ببحث وضع الجالية المسيحية في العراق فأقر بأن المسيحيين بأمان في المناطق الشيعية وليسوا بأمان في المناطق السنية أو المختلطة، ولم يعللوا ذلك بسلمية وإلتزام الفكر الشيعي، ولم يوجهوا شكرًا للشيعة وقياداتهم على الإطلاق.

فليس بمقدور أحد أن يقول أن هناك حربًا أهلية وقتال شوارع أو ما شابه ذلك، ولم نر ذلك إطلاقًا، إنما هي اغتيالات وتفجيرات موقوتة أو عن بُعد وبعض الأحيان بنسبة ضئيلة مفخخات بشرية.

أما الحال في لبنان فالوضع مختلف تمامًا، وقصة لبنان تحتاج إلى توضيح كبير ولن يسعَ وقتي للتوضيح ولكن اختصر الوصف العام والبدايات.

لقد حدث قتال بين الطوائف بشكل عسكري، وقتلٌ في الحواجز على الهوية وغير ذلك من أركان الحرب الأهلية وهذه هي الصورة الإجمالية.

البدايات والموقف الشيعي:

في سنة ١٩٦٨ وصل البعثيون العراقيون إلى السلطة نتيجة مؤامرة صيغت في مدينة شتورة في لبنان، وفي سنة ١٩٦٩ قرر الرئيس العراقي أحمد حسن البكر تخريب الوكر الذي جاؤوا منه إلى السلطة خوفًا من تشكيل مؤامرة ثانية تقصدهم فقرر حزب البعث العراقي تكليف ياسر عرفات بتفجير الوضع في لبنان وخوفوا المارونيين وزودوهم بالسلاح والمال للدفاع عن أنفسهم لتوريطهم، ولكن ياسر عرفات كان ثقله في الأردن حين ذاك، وقد بدأ باستفزاز المسيحيين في لبنان بشكل خفيف ولم تصل الأزمة إلى حرب حقيقية.

ثم في سنة ١٩٧٠ اندلعت الحرب في الأردن، وشارك العراق وسوريا البعثِيَين إلى جانب ياسر عرفات ضد الملك حسين، وكان في حينها العماد حافظ الأسد وزيرًا للدفاع وعضوا في قيادة البعث في سوريا، وكان لديه مخابرات قوية فعلم بأن أصل القضية هي مؤامرة على العرب وهي تطبيق مشروع الضابط الإسرائيلي إرييل شارون في كتلة الليكود باسم (الوطن البديل) وأصل الخطة هي قيام منظمة التحرير بإحتلال الأردن بمساعدة البعثيين في العراق وسوريا وإعلان شرق الأردن دولة فلسطين وتبقى إسرائيل على حالها، وتحل القضية الفلسطينية بالتغاير بين فلسطين وإسرائيل باعتراف عربي فلسطيني.

فهنا تحرك حافظ الأسد فورًا وقام بإنقلاب على قيادته الخائنة للأمة العربية، وتأزمت علاقته بياسر عرفات والعراق لاشتراكهم بخطة شارون وناصر الملك حسين

وطرد الفلسطينيين من الأردن، فقام بتحويل حزب البعث السوري من جهاز للخيانة الحقيقية إلى منظومة مساندة للأمة العربية.

فانتقلت منظمة التحرير إلى لبنان، وهناك إنقلب حال المنظمة إلى دولة مستقلة كما هو حالها في الأردن فمارست نفس المنهج في الأردن، ثم أخذ يتدخل في السياسة اللبنانية وأخذ ياسر عرفات يركز على منصب رئاسة الجمهورية ويريدها للمسلمين السنة بدلاً عن المسيحيين.

فإنقلبت التجاذبات إلى خوف عارم عند المسيحيين وتسلحوا بمعونة دول كثيرة منها العراق والأردن ومصر وإسرائيل وقبرص وفرنسا وأمريكا من أجل مواجهة الفلسطينيين. وكانت القشة التي كسرت ظهر البعير هي مطالبة رئيس الوزراء اللبناني رشيد كرامي وهو سياسي سني من طرابلس بأن يكون منصب رئيس الجمهوية وصلاحياته للأكثرية وهم المسلمون ورشح نفسه كمرشح محتمل في المستقبل، فقرر المسيحيون إحداث مجزرة بالفلسطينيين الذين رعوا هذه الفتنة فكانت حادثة الباص الشهيرة وهي قتل مجموعة فلسطينية في باص مر في أحد أحياء بيروت (أظنه عين الرمانة إن لم تخنني الذاكرة)، فاشتعلت الحرب أولاً بين المسيحيين والفلسطينيين ثم انتشرت كحرب كبيرة من شارع إلى شارع حيث انحاز كل شعب إلى فريق. ولم تنته إلا بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية ودخول صدام للكويت واستعمال سوريا مشاركتها في الحرب ضد صدام كعربون للحل اللبناني حيث طلبت سوريا الحل كشرط للمشاركة في ضرب المجرم

صدام وكان ذلك برعاية فرنسية أمريكية وباشراف الوكيل السعودي في المنطقة (اتفاقية الطائف). وقد استغلتها القوى الكبرى من أجل وضع حل جديد للقضية الفلسطينية المتوج باجتماع مدريد (مرجعية مدريد للسلام) ثم بكامب ديفيد الثانية وعربه وغيرها من بدائل كامب ديفيد الأولى من الحلول التي نعيشها الآن.

الموقف الشيعي:

كان الشيعة لهم أقل من حصتهم في الدولة بكثير فهم يشكلون ثلث المجتمع اللبناني ولكنهم لا يملكون قرارًا أصلاً ولا يسهمون في وظائف الدولة حتى بأقل من نسبة ١٠ بالمائة، وكان الفقر متفشيًا بينهم نتيجة الإفقار المتعمد منذ الحكومة العثمانية الطائفية ومرورًا بالفرنسيين والحكومات اللبنانية المقسمة على أساس طائفي مع تهميش الشيعة، فلهذا كان أغلب شباب الشيعة يبحثون عن عمل ممول خارجيًا مثل العمل السياسي والتنظيمي الشائع في لبنان فانظم الكثير من شباب الشيعة إلى منظمة التحرير وقد قاموا بأكثر من ٨٠ بالمائة من العمليات ضد إسرائيل باعتراف قيادات الفلسطينيين وليس ببعيد عنا مقابلة نايف حواتمة في الجزيرة حيث اعترف أن القوة الفلسطينية كانت تعتمد على الشيعة في أغلب العمليات في العمق الإسرائيلي وأن الفلسطينيين أساؤوا إلى الشيعة وأعراضهم وأموالهم كما اعترف.

ولكن القيادات الشيعية كان لها رأي آخر يقول: أننا شعب متعايش وأن الفلسطينيين لهم مشاريع إقليمية ودولية لا ترتبط بلبنان فلهذا لا يصح منا أن نتقاتل مع المجتمع

اللبناني وعلى الأخص المسيحيين الذين يقاتلون الفلسطينيين وفصائل سنية معروفة الإنتماء لليبيا والعراق ومصر لتخريب وطننا وأمننا من أجل مشروع أجنبي.

وكان يتبنى هذا الرأي السيد موسى الصدر رحمه الله وهو رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، ولهذا ومن أجل حماية الشيعة وكل محروم ومسكين في لبنان أسس حركة المحرومين كحركة سياسية مدنية ثم بعد ذلك أسس حركة أمل كجناح عسكري لحركة المحرومين، ورفض بإصرار شديد إعلان حالة الحرب مع المسيحيين وحين سمع بأن بعض أبنائنا استلموا أموالاً وأوامر من ياسر عرفات لضرب بعض القرى المسيحية كقرية دير الأحمر في شمال بعلبك ذهب إليها وأعلن أن ضرب دير الأحمر هو ضرب للمجلس الشيعي الأعلى، فأخذ ياسر عرفات يشنع على السيد موسى الصدر بأنه عميل مسيحي وأنه عميل أمريكي وعميل لشاه إيران بحجة أن الذي يُنّظم حركة أمل هو المجاهد المنشق عن الشاه المناصر للسيد الخميني قدس الله سره الذي يحمل لقب (شمران). والمرحوم الشهيد مصطفى شمران هذا كان عالمًا عبقريًا نال جوائز عالمية وكان مرشحًا لجائزة عالمية كما أظن، وهو الذي قام بعمل التنظيم ووضع السياسة لحركة أمل وهو من أعداء الشاه المشهورين وقد أصبح قائدًا إيرانيًا عسكريًا كبيرًا أبان الحرب الايرانية العراقية وقد قتل رحمه الله، وهكذا نحن نواجه الأكاذيب دائمًا فقد كان معاوية يقول لأهل الشام بأن علي عليه السلام ابن أخ الكافر أبا لهب الوارد ذمه في القرآن الكريم وكان يبعث على التجار العراقيين أمام عامة حضار مجلسه ويطلب منهم إرسال النصائح لعلي بن أبي طالب عليهما السلام أن يغتسل غسل الجنابة وأن

يصلي فإنه لا يصح للمسلم ترك صلاته، وهكذا أكاذيب عشناها بشكل دائم فالفاجر ابن آكلة الأكباد يعلّم أصول الإسلام لمن قام الإسلام بسيفه وعلمه ذاك علي بن أبي طالب عليهما السلام.

المهم أن السيد موسى الصدر لم يقبل الدخول في حرب أهلية، فقام ياسر عرفات باقناع معمر القذافي بالتخلص من السيد موسى وقد سانده الرئيس العراقي فبعث مبعوثًا من قبله هو الضابط محمود شيت خطاب لإقناع القذافي بقتل السيد موسى بحيلة فنية، فتمت عملية خطفه وقتله، وبعد قتله تم التحرش بحركة أمل بضغط شديد من قبل المسيحيين المصريين والأكراد المرسلين من العراق فدخلت الحركة إلى المعركة بشكل خجول ودفاعي بحت بالإتفاق مع منظمة التحرير، ثم تبيّن أن المنظمة هي من تقوم بتوجيه المسيحيين لقتال الشيعة حيث ثبت أن الفلسطينيين يأتون بالدراجات إلى المناطق الشيعية ويضربون المناطق المسيحية بالقذائف المحمولة ويهربون من أجل أن يحصل الرد المسيحي لتوريط الشيعة بالحرب الأهلية، ثم تحولت القطيعة مع المنظمة إلى قتال معها وكان السوريون قد تم إرسالهم من قبل جامعة الدول العربية لفض النزاع مع قوات عربية أخرى غير أن السوريين أدركوا مؤامرة الإسرائيليين عبر حركة منظمة التحرير للحرب الأهلية وتكوين شرق أوسط جديد خال من لبنان وتأثيره في الأحداث السياسية كما يريد العراق بالضبط، فكلّف القوات السورية بحماية المناطق المسيحية وضربت القوات الفلسطينية. وفي هذه الفترة كانت أمل قد انفصلت عن التحالف

الفلسطيني فانظمت إلى القوات السورية لضرب الفلسطينيين حين يهجمون على المناطق الشيعية بوحشيتهم العجيبة.

وإلى هنا نقول نعم دخل الشيعة في الحرب الأهلية قليلاً ولكنهم لم يدخلوها ابتداءً ولم يستمروا بها وإنما حولوا بندقيتهم إلى الجهة التي تريد إشعال الحرب الأهلية لخدمة اسرائيل فإذا كانت هذه الجهة من جملة الشعب اللبناني (وهي ليست كذلك) فمعناه أن حركة أمل استمرت في الحرب الأهلية لمدة سنة ونصف بينما الواقع أن المشاركة لم تكن أكثر من معركتين عرضيتين أو أكثر قليلاً احدثها الفلسطينيون.

وقد كانت المناطق الشيعية واقعة على خط النار وفي وسط المعركة فكانت تسقط عليها القذائف من الطرفين وقد أخطأ المسيحيون لمدة طويلة بقتل الشيعة على الحواجز على الهوية باعتبارهم مسلمين حيث حولوا العمل السياسي إلى حرب دينية لا تميز بين الاخضر واليابس، وهذا الخطأ ساعد كثيرًا على بعض المواجهات الدموية. وبحكم معرفتي بالوضع فإنني أشهد بأن الشيعة لم يقاتلوا إلا دفاعًا عن أنفسهم ولضرب مؤامرات دولية لتدمير المنطقة يديرها منظومة الحكم السني المرتبط بالغرب مثل العراق وليبيا والسعودية ومصر السادات وحسني مبارك وكان يقف ضد هذه المؤامرة سوريا والأردن وبعض القوى الداخلية اللبنانية ومنهم الشيعة ومجموعة فرنجية ومجاميع مسيحية ومجموعة الناصريين السنة ومجاميع أخرى وإن اشتركوا في القتال للدفاع عن النفس.

ومما يذكر أن الإنفصال عن ياسر عرفات والمعارك معه أنتجت خلخلة في صفوف حركة أمل فتم الإنقسام النفسي بتحريك من حزب الدعوة إقليم لبنان العائد من العراق وإرهاب صدام مع بعض المتدينين من أعضاء الحركة ضد بعض من لا إلتزام له، ثم بعد الاجتياح الإسرائيلي تم تشكيل حزب الله من المجموعات المنسحبة من الحركة وبعد ذلك تم الخلاف داخليًا في حزب الله بين حزب الدعوة بقيادة الطفيلي وبين مناهضيهم من أنصار السيد موسى الصدر، فأقصي الطفيلي لعقليته الفتنوية ورفضه الإندماج بالمجتمع اللبناني، ولكونه مسؤولاً عن الدماء الشيعية بتصعيد الخلاف الداخلي للإقتتال، وأخيرًا انتصر أنصار السيد موسى الصدر ومنهم السيد حسن نصر الله وهو الشاب المدلل للسيد موسى الصدر، وإن بقي قسم من حزب الدعوة في حزب الله ولكنه ينتمي (حسب ما يبدو لنا) إلى حزب الله وليس إلى حزب الدعوة والله العالم بالسرائر.

وهذه التتمة بعيدة عن موضوعنا ولكن ذكرتها من أجل تكوين صورة بسيطة لما حدث ولتفسير الكثير من غوامض الأمور كالقتال الداخلي الشيعي الشيعي وما شابه ذلك، على أن كلا الفصيلين الشيعيين يدركان الآن خطأهما السابق ويتعاونان، ويعملان على عدم تكرار هذا الخطأ نتيجة الإلتباس والتدخلات غير الشيعية في الموضوع مثل اندساس من ينتمون إلى ياسر عرفات بين الفصيلين وتحريك البعث العراقي لبعض الشباب الشيعة بالسر.

وهنا نعود إلى الخلاصة فإنه في لبنان حصلت حرب أهلية اشترك فيها الشيعة جزئيًا ولحظيًا مضطرين، وقد كانوا مقاومين لنشوء هذه الحرب حتى اختطاف السيد موسى وقتله وقد شاركوا بالتعاون مع ياسر عرفات ثم انفصلوا عنه وقاوموه، وكانوا الوحيدين الذين قللوا من مشاركتهم رغم أنهم قدموا أكبر التضحيات بالنفوس والأموال لكونهم تحت مطرقة الطرفين، ولكنهم حصلوا على أعلى نسبة لهم بالمساهمة في الدولة نتيجة حسن تنظيمهم وانضباط سلاحهم وقوة عزيمتهم، فارتفعت مساهمتهم إلى أكثر من عشرين في المائة في بعض المؤسسات وإن كان اقصاؤهم لا زال في مؤسسات كثيرة على العادة القديمة فهم الرابح الأكبر بأقل المساهمات رغم كثرة الخسائر العرضية التي لم تكن نتيجة قرار شيعي بالقتال بل دفاعًا عن النفس وكان بقية الطوائف قد اضطرت للتنازل عن بعض الامتيازات في الدولة بخلاف الشيعة فلم يقدموا أي تنازل مطلقًا. فكانت الحرب الأهلية ذات نعمة على الشيعة عمومًا رغم الخسائر الجائرة من قبل القتلة المتوحشين.

والكثير يسأل: هل يمكن أن تعود الحرب الأهلية اللبنانية؟

الجواب: أن هناك عوائق حقيقية لعودة الحرب اللبنانية، وأهم هذه العوائق هو الوعي عند الكثير من قادة الحركات اللبنانية، وتحول الجيش اللبناني من جيش استعراضي إلى جيش مقاتل، وامتلاك سلاح رادع عند القوى التي لا تريد الفتنة ولا الحرب الأهلية، وانقسام المجتمعات المسيحية والسنية والدرزية بين رافض بقوة لعودة القتال

وبين مريد لها ولكن الرافضين هم الأكثر كما أثبتت الانقسامات والاتجاهات وهم الأقوى الآن على الساحة ما عدا الساحة السنية فهي مضطربة والأكثر يناصر الحرب الأهلية إلا أنهم لا يستطيعون تغيير أي شيء ويمكن اسكاتهم خلال أقل من ٧٢ ساعة في حال نشوب أي بادرة لحرب أهلية مهما تسلحوا واستقدموا الهمج المقاتلين من كل حدب وصوب فالأمور لحد الآن ممسوكة جيدًا.

وهنا أتمنى ان يصحح لي ما اذا خانتني الذاكرة أو التعبير لوصف معين يتعلق بخصائص الحركات الشيعية داخل لبنان والأحداث الخطيرة التي شابها الغموض لنكون أقرب إلى الواقع على أنني أدرك بأن الكثير من المشاركين لا يعرفون هذه الحيثيات لأن ثقافتهم ثقافة المتلقي وليس ثقافة المشارك، ولأن الكثير مما قلته لازال طي الأسرار الدولية التي لا يباح بها وبتفصيلاتها فالمشروع العراقي لتدمير لبنان لم يطلع عليه أغلب قادة لبنان أنفسهم والمشروع الفلسطيني لتطبيق خطة شارون لا زال قيد الكتمان وغيره الكثير من الأحداث التي لم يكشف عنها وما لخصته يحتاج إلى بسط كبير وأدلة كثيرة سوف تظهر بعد عدة عقود وليس هذا الزمن زمنها، ولكنني أردت أن يفهم أبناؤنا المجريات من فوق التل.

فإذا عرفنا أنه في العراق لم يكن هناك حرب أهلية رغم كثرة القتلى وأن هناك حربًا أهلية في لبنان رغم قلة مشاركة الشيعة فيها، ولكن الكثير من الطوائف تقاتلت

وبعضها طويلاً كالمسيحيين والدروز والسنة، وبعضها قليلاً كالشيعة وبعض السنة الرافضين للمشروع الفتنوي والكنيسة الشرقية الأرثوكسية.

نأتي إلى الوضع السوري:

سوريا تشبه في خصائصها ما حدث في العراق بعد سقوط الصنم، فإن هناك إمدادًا خارجيًا لقتل الشعب السوري وإعلام مركز للفتنة وتضليل الناس لإقناع كل فرقة بأنها مستهدفة من الآخرين من أجل التحفيز للقتال، ولكن ثبت لحد الآن وعي الشعب السوري وقد اعتبر هذا الشعب الإرهابيين هم العدو المشترك رغم أنه شعب يريد الحريات من حكومته ويتمنى التغيير، ولكن صورة الأحداث لا تساهم في الرغبة بالتغيير الآن لأن البديل الإرهابي خطير جدًا على بنية المجتمع، وما يتعلق بالشيعة فلن يشاركوا بحرب أهلية وإنما سيشاركون بالدفاع عن مناطقهم، وأما العلويون فهم قوة مسلحة معزولة يمكنها الإنغلاق على نفسها في الأخير ولا يمكن هزيمتهم في ديارهم فسيستقلون ويبقون مصدر قلق أكبر مما لو كانوا مشاركين بحكومة سنية كما هو عليه الحال منذ إنقلاب حافظ الأسد لحد الآن.

وهذا الفهم للحرب الأهلية في سوريا هو ما فهمته القوى الأخرى فقد صرحت وزارة الخارجية الروسية بأن الحرب الأهلية عبارة عن إمداد المقاتلين بالسلاح وبالأوامر للقتل الجماعي، وإيران صرحت من قبيل هذا التصريح وكذا العراق صرح بمثل ذلك، وهناك مراكز دراسات كثيرة اعتبرت أن معنى الحرب الأهلية هو القتل للأهليين على

يد المسلحين المدعومين من الخارج، وعلى يد القوات السورية حين تقوم بالرد والتطهير، فإذا كان هذا هو معنى الحرب الأهلية فإن سوريا في حرب أهلية منذ سنة وليس الأمر بجديد ليهددوا به.

وهذا الفهم يعني أنهم لا يعتقدون بوجود شعب يتقاتل فيما بينه على الحقيقة، وهذه نقطة حساسة توجه الاتهام والبحث إلى جهة غير الجهة التي يراد اتهامها من قبل الداعمين للسلاح الإرهابي القاتل.

وحدة الوجود ومثال البحر وموجه

إن الإعتقاد بأن أي شيء في الكون يمكن أن يكون خاليًا من اللّه، فهو حد اللّه حتى لو كان رأس دبوس، بمعنى أن اللّه ينتهي إلى هذه النقطة فينقلب الواجب ممكنًا وهذا مستحيل.

وأي شيء يكون حدًّا للّه تبدأ منه ألوهية أخرى لأنه مسانخ له حتى صار حدًّا له فهو إما وجود أو عدم وكلاهما سيكونان من سنخ اللّه نفسه فيكونان شريكًا للباري بالضرورة.

أما لماذا السنخية فهو لفرض أنه حدٌّ للّه. ولا يكون حدّ محض الوجود إلا محض الوجود أو محض العدم، للتقابل كما لا يخفى، فالوجوب سنخه الوجوب والوجود المحض سنخه الوجود المحض وإلا لما قدر أن يكون حدًّا.

فإذن كل ما في الكون هو من اللّه في اللّه وإلى اللّه بلا شك.

يبقى هل تنفى الأشياء بنفسها؟ أو أن نقول بأن اللّه حلَّ فيها؟ لحل الإشكال!

كلاهما خطأ بل كفر.

والسبب أن نفي الأشياء بنفسها يعني نفي النفس وإنكار الواقع ويعني نفي الدين أصلاً وهل الكفر إلا هذا؟

وأما حلول الله في الأشياء فهو يستدعي أنها المغايرة وجودًا، وهذا يعني أنها حدٌّ له وهو يتلبس غيره مما هو موجود متفرد بوجوده في ذاته من ذاته وهذا يعني تعدد الواجب، وهو قول من قال بأصالة الماهية وهو شرك واضح، والحل غير هذا وهذا، بل هي هي وهي مقومة بوجوده وهوهو.

فكيف يقرّب العارف للناس مفهوم بسط الوجود وقيمومته لكل موجود وأنه لو سحب الوجود الإلهي من أي شيء لكان هباءً منثورًا بل لا شيء إطلاقًا لأن الشيء بلا وجود ذاتي أو مكتسب فهو عدم قطعًا لأن الموجود الخارجي هو من تمتع بالوجود وصبغ به ووجوده ليس من ذاته فهو من غيره وما بالغير ينتهي إلى ما بالذات وإلا تسلسل.

قال العلماء لا يصح أي تقريب أو تمثيل لقصور أي كلام من تقريب المعنى، وإنما مقتضى التوحيد هو عدم خلو شيء من تقويم الله بوجوده لا بخصوصياتنا التي هي هندسة طارئة على الوجود نفسه وبها تكون حقائقنا المتميزة، إلا أن تطلعات الإنسان وطموحاته المعرفية تريد تقريبًا ولو من جهة ناقصة.

بعضهم قربه بالكائن وظله ليقول أن الظل مستمد لوجوده من ذي الظل فكذا المخلوق، ولكن هذا المثال به مغايرة مكانية واضحة، فهو مقال فيه من المشكلات أكثر مما فيه من الأجوبة.

وبعضهم قربه بالمفهوم اللغوي فإن البحر مثلاً وهو الاناء الذي يحتوي الماء الخاص بهذه السعة، وقد يسمى خصوص الماء بالبحر في بعض الأحيان، فإن البحر بحر، وموج البحر موج من جهة وهو نفسه البحر.

وهذا مثال لانطباق المفهوم على مصاديقه مع التغير في الخصوصيات، وهو لا يناسب ذات الواجب لعدم السنخية، ولكن أقرب صورة تكون هي هذه من أجل التوحيد الحق دفعًا لشبهات الملحدين وبعض الصوفية الذين لا يميزون بين النفي النسبي وبين النفي المطلق مما يجعلهم يرون أن الأشياء هي الله أو أن الله هو الأشياء والعياذ بالله فهم لا يرون موجًا أو لا يرون بحرًا حتى يحذفوا التغاير ظنًّا منهم بأن هذا توحيد.

فهذا المثال اللفظي يدل على أننا نفهم أن الكون المخلوق هو كون مخلوق متميز بهندسته تمامًا كتميّز الموج عن البحر، ولكنه لا يمكن أن يخرج عن وجود الواجب، لأنه لا وجود للمخلوقات بالذات بل بالغير، كالموج لا وجود له بدون البحر لأنه بحر في حقيقته.

وما بالغير ينتهي إلى ما بالذات بالضرورة وهو الواجب بلا شك، وإلا ليس لنا عقل أصلاً ونكون كالوهابية المشركين بالله الذين لا يؤمنون به إطلاقًا وإنما يؤمنون بقوة قادرة عليهم لا يعرفون ما هي؟ وما لوازم علمهم بها؟ كالوثنيين الذين يرون أن كل قوة هائلة بأنها إله يُعبد، فقلبوا الطاسة وقالوا بأن هناك قوة خفية نسميها الله وهي جسم على شكل إنسان.

فلهذا يعتقدونه على شكل جسم ويفرحون بوجود الحد له ويعتقدون بأن عدم الحد منقصة له، وهذا عين الشرك قطعًا باجماع المسلمين عارفين وغير عارفين لأنه مما يتصادم مع حقائق العقل النظري كما قلنا عن البديهة السابقة.

وأعتذر منكم واستغفر الله من أي تقصير في البيان أو سوء في الفهم.

الإثارة حول مخطوطة إنجيل برنابا

لقد نشرت وسائل الإعلام ومنها صحيفة الديلي ميل خبر طلب بابا الفاتيكان من الحكومة التركية الاطلاع على نسخة مخطوطة مهربة من العراق استولت عليها مباحث تركيا يقال أنها نسخة من إنجيل برنابا قيل عنها أنها مكتوبة منذ ١٥٠٠ سنة ويقدر ثمنها بـ ١٤ مليون جنيه إسترليني. وفيها نص بالبشارة بالنبي محمد غير الأرضي الذي سيأتي بعد المسيح ونفي الصلب والثالوث المقدس وغير ذلك، وهو كتابة يدوية بحروف آرامية (سريانية) ذهبية، لفتت انتباهًا شديدًا من الفاتيكان

ويعتقد أنه تقليد لكتاب آخر فيه هذه المعاني وينكر ـن الآتي هو المسيح بل هو إسماعيلي ويعتقد أنه من القرن السادس عشر (يقصد به إنجيل برنابا المشهور) وأصله بالأسبانية والإيطالية.

فقد حاولت أن افهم ما يجري فعثرت في اليوتيوب على برنامج مصور من الكنيسة بعنوان (مخطوطة إنجيل برنابا السري):

http://www.youtube.com/watch?v=Db7tOmtK77k

يتكلم فيها قس مثقف يفند صحة هذه المزاعم مكررًا جملة: أنه لا يوجد شبهة حتى نرد عليها أو لا يوجد مشكلة حتى نبحثها وإنما ندعو المسلمين للتريث لحين انكشاف أمر المخطوطة حتى لا يمسك على المسلمين خطأ، ثم تكلم بحرفية واضحة عن تقدير عمر المخطوطة وما ورد فيها حسب الصورة، وكان في الغالب كلامًا منطقيًا يعبر عن

حرفية مقنعة بحيث أقنعني بأن المخطوطة هي من كتابة القرن السادس عشر ميلادي، ويبدو أن الرجل خبير آثار وأستاذ في معرفة المخطوطات ودراستها بحيث أعطى درسًا مفيدًا عن المخطوطة وهي صورة من دون أن تكون المخطوطة بين يديه، وهذا قمة الإحتراف.

ولكن نفس كلامه وبحثه ولّد شبهات عظيمة ومشاكل عويصة يجب ان نجد أجوبة عليها لأنها نبهت عقولنا إلى أمور كنا قد غفلنا عنها وكان بحثه الكريم هو ما نبهنا إلى هذه الأمور، وينبغي أن نبحثها فيما بيننا بعلم وفن لعلنا نجد الجواب أو نحيل السؤال عليه حينما نعجز عن مساعدته.

أولاً عرض موجز ما عرضه الفاضل المحقق في الآثار والمخطوطات وهو قس كما هو واضح من أسلوبه وكلماته، وكأن الموضوع المطروح عبارة عن درس في المخطوطات ووجد ـن هذه المخطوطة أجمل مثال للدراسة.

موجز البرنامج:

الرجل قال أنه لا يرد على شبهة لأنها أصلاً غير موجودة، ولكنه يدرس الإدعاءات الصحفية وما نشر حول هذه المخطوطة، قائلاً: قد تصور المسلمون بأن هذه المخطوطة ستدخل –لا سمح الله– الناس إلى دين إله الإسلام أفواجًا كما قال، وقال أنه لا يوجد دليل على أن اسم النبي محمد مذكورا في المخطوطة فقد عودنا المسلمون على ادعاء مثل هذا ثم يتبين أنه غلط أو كذب، مثل ورود كلمة محمديم وتبين أنها كذب وغير

موجودة في نشيد الإنشاد، ويحتمل أنه قد قيلت الكلمة ولكن في سياق آخر فيختلف المعنى، ثم قال أنه لا يوجد دليل واضح في الموضوع ويمكن أن يكون هذا من الاناجيل المنحولة (الأبكريفية)، ويمكن أن تكون مخطوطة مهمة لمجموعات متشددة مثل مجموعة المعمدانيين، ولهذا يجب أن نعرف كل شيء عن هذه المخطوطة حتى يمكن ان نحكم عليها، فعلينا ان نعرف نص المخطوطة ومن أي عائلة هي؟ وفكرها؟ وهل بها أخطاء تاريخية أو جغرافية أو لغوية أو لاهوتية أو غيرها.

وأول عمل يريد أن يقوم به هو دراسة عمر المخطوطة حسب علم Philologie، والمخطوطة عبارة عن كتاب من ١٢ ورقة بـ ٢٤ صفحة في كل صفحة ١٣ سطر مكتوبة بالذهب على جلد أسود ومجلدة جّيدًا.

وعمر المخطوطة يتحدد من خلال:

- الحبر وهو مكتب بحروف ذهبية
- الغلاف
- الورق وهو جلد حيواني اسود
- نوع الخط السرياني الارامي المكتوب فيه
- لغة الكتاب وهي الارامية وفي صورة الكتاب هناك نص مقروء تمامًا

التفصيل:

الحبر الذهبي: لم يصنع إلا في نهاية القرن التاسع، فإن النقوش الذهبية كانت في القرن الخامس ولكنها كحبر كتابة فلم يحصل إلا بعد القرن التاسع، وهذا يعني أن حبر المخطوطة لم يكن موجودًا أصلاً قبل القرن التاسع. وكان أول كتاب مكتوب بالذهب محفوظ الآن هو مكتوب في سنة ١١٤٣م والقس طلب أن يتأكد من الذهب، فقد لا يكون ذهبًا وإنما شبيه الذهب فيبدو أنه عند ذاك يختلف الحكم ولكنه أغمض في الموضوع.

شكل الكتاب هو الكودكس وزمن الكودكس هو من زمن قديم ولكنه اشتهر في زمن يوليوس قيصر وهو قبل الميلاد، ولكن مرحلة صنعها من جلد البارشمينت الأصفر منذ القرن الرابع وتطور إلى لوحين مغلف بجلد وبينه ورق جلدي في القرن الثامن والتاسع، وهذه المخطوطة تحتوي على ورق ثخين (أشبه بالكرتون) في غلافها مدعما بالخشب وهذا الورق لم يظهر إلا بعد القرن الحادي عشر.

نوع الجلد: وهو نوع غير معتاد في القرون الأولى وهو جلد غامق غير معتاد عند المسيحيين واليهود في القرون الخمسة الأولى لأن أحبارهم سوداء فلا يصح الكتابة على جلد أسود وقد استخدمت هذه الجلود بكثرة بعد القرن الرابع عشر لتوفر الأحبار الذهبية.

فمجموع هذه المعطيات الثلاثة يعني أن هذه المخطوطة صنعت في القرن الخامس عشر وما بعده ولا يمكن أن تكون في القرن الخامس، وقد أتى بمخطوطة بنفس المواصفات تقريبًا مخطوطة في سنة ١٤٧٠م.

الخط أو الحرف الآرامي (السرياني) وهو نوع من الخطوط من المراحل الثلاثة (الآرامي الحديث واسمه سيرتو) ينتمي إلى ما بعد عام ١٢٠٠م.

وأخيرًا فإن هناك جملة ظاهرة ترجمها الاستاذ فادي الكلداني وهي تقول: (باسم الرب تم كتابة الكتاب على يد ربان الدير العالي في نينوى سنة ألف وخمسمائة لميلاد ربنا)

وهذا يوحي بأن هناك احتمال اشتباه قراءة أنه في ١٥٠٠م فقيل أنه منذ ألف وخمسمائة عام، ومن المستحيل أن يقول أن هذا الكتاب كتب قبل ألف وخمسمائة أو أن عمرها كذلك، فهذه معجزة إسلامية تحولت من تاريخه إلى عمره.

فمن هذه المعطيات يستبعد أن يكون الكتاب قد كتب في القرن الخامس، ويمكن أن يكون في القرن الخامس عشر أو القرن السادس عشر كما هو مذكور في نص الكتاب بالحرف الآرامي.

يقول أنه لا يرد على شبهة ولكنها شائعة وانطباعه الأولي أنها غير صحيحة، لحين التأكد من كل المعطيات.

إلى هنا ينتهي عرض الفيديو.

❖ **أقـــــــــول:**

إن من يتابع الفيديو يجد الكثير من التهجم والتحقير للمسلمين باعتبارهم جهلة يصدقون أي شيء ويكذبون وينشرون أشياء قبل أن يتأكوا منها، وقد شتم الله بقوله إله الإسلام بطريقة تحقيرية، ويقصد به أنه إله غير مثلث فلا قيمة له، وما شابه ذلك من التعديات الثقيلة المصاغة بأسلوب رقيق وخفيف.

وعلى كل حال أنبه إلى أن النص المترجم إذا كان كما قال بأنه نص مقروء وهو ينص على أن نسخ الكتاب في سنة ١٥٠٠م فلا حاجة لكل هذه التحليلات، فالكتاب نسخ في سنة ١٥٠٠ ميلادي ولسنا بحاجة إلى Philologie ولا هم يحزنون، وقد يحتمل أن ترجمة جملة (باسم الرب تم كتابة الكتاب..) هي بديل عن جملة (باسم الرب تم نسخ الكتاب..) والمعنى يتغير بشكل كبير، وأنا أميل إلى تصديق تاريخ النسخ الآن حسب معطيات هذا القس، وآضم صوتي له باحتمال تغيير المعلومات حينما يتم فحص الكتاب بطريقة علمية حقيقية ولكننا نصدق لحد الآن بأن الكتاب نسخ في تلك الفترة، وهذا نفسه ما ولّد الكثير من المشكلات والشبهات التي سنبين أهمها، ولكن قبل ذلك لي بعض الملاحظات على تطبيقات علم المخطوطات Philologie التي قام بها الاستاذ القس الذي لم أطلع على اسمه. وهذه هي الملاحظات الأولية:

١- المعروف أن الحبر الذهبي هو من اختراع جابر بن حيان الكوفي بتذويب الذهب في الماء الملكي وتصفيته وجعله قابلاً للتحول إلى ذهب على الورق بعد الجفاف وقد

انتشرت أعمال جابر بن حيان الكوفي في أواسط القرن الثامن في العراق كما يقول المؤرخون، وإن كنت أظن أنه قبل ذلك من أعمال الفرس الكيميائية في اصطخر، والمخطوطة وجدت في العراق فليس عجيبًا اذا تأخر ظهور ذلك ١٠٠ أو ٢٠٠ سنة في أوربا ولم يعلمه علماء Philologie في أوروبا لعدم وجوده عندهم، ولكن هذا التاريخ الذي يقوله الخبراء الكيميائيون يؤيد عدم وجود هذا الحبر قبل جابر بن حيان المولود في ٧٢١م فيمكن النسخ في منتصف القرن الثامن حيث ظهر مثل هذا الحبر بدل التطعيم بالذهب المرقق والصمغ المصنوع في القرن الرابع ولكن لا يصل إلى القرن الخامس بناء على هذه المعلومة، ولهذا فليس صحيحًا ما يقوله القس بأنه من المستحيل حصول حبر مذهب في القرن التاسع، ولكن نسأل: أنه من يقول بأن الحروف كانت ذهبية حقيقية، فقد يكون غير ذلك كما ذكر في العهود الساسانية قبل القرن الخامس من وجود مواد شبيهة بلون الذهب؟ وهذا يحتاج إلى فحص كيميائي وقد وضع القس هذا الاحتمال بالحسبان فيبدو أن هناك أحبارًا ألوانها فاتحة أو شبه ذهبية قبل فترة اكتشاف الحبر الذهبي الحقيقي.

٢- يدعي الخبراء التونسيون بأن أعمال التجليد بجلد الماعز الأسود تقنية مأخوذة من زمن البيزنطيين في القرن الخامس، فما المانع إذا كان هذا النوع من الجلد يستعمل بالتجليد بواسطة تمديده وهو رطب ويترك حتى ييبس أن يستعمل في الكتابة أيضًا بأحبار برونزية أو كبريتية فاتحة؟ وقد قيل بوجود مخطوطات يمنية قديمة قبل الإسلام من الجلد الأسود وقيل أن بعضها مذهّب كما أن هناك رقيات وأحجبة فارسية

وعربية وعبرية من الجلد الأسود المذهب، ولم أتحقق هل التذهيب كحروف أم نقوش ولكن الجلد الأسود كورق فهو مؤكد الاستعمال كما قال القس، فلعل معلومة انحصار استعمال الجلد الأسود في القرن العاشر بسبب الحبر الذهبي فيها نوع من عدم الدقة أو المبالغة في نفي النوادر.

٣- بالنسبة لورق الكرتون فتاريخ انتقالها إلى العرب قبل ذلك كما قاله الخبراء لا كما قاله القس، فقد أشارت الدراسات بأنها قد (انتقلت صناعة الورق إلى العرب عندما وقع صناع صينيون في الأسر بسقوط سمرقند في يد العرب سنة ٧٠٥م)، وهناك من يقول بأن المنطقة العربية وصلها الورق قبل أن يصل إلى العرب في الجزيرة، فإن شمال العراق وبلاد فارس كانت تتبضع بالورق الصيني، مع أن سمرقند كانت جزء من البلاد الساسانية التي حكمت العراق ٦٠٠ عام من القرن الأول الميلادي حتى سنة ٦٣٩م وعاصمتها طيسفون وهي جنوب بغداد الآن وكانت الموصل ومنطقة المسيحيين في الجرف القاري من الأنبار حتى السماوة كلها تحت الحكم الساساني المتقدم صناعيًا في ذلك الوقت فلا يعقل استعمال الورق في مدينة من البلاد ولا يستعمل في العاصمة ونواحيها، وبعد الدولة الأموية أصبحت معامل الورق في دمشق منتشرة جدًا في زمن هارون العباسي ٨٠٠م، واختيار دمشق يعني أنها كانت مجبولة على مصانع الورق في الزمن الأموي وبقيت على تلك الحالة فلا يعقل أن تنتقل الصناعة الجديدة إلى غير العاصمة بينما دمشق كانت عاصمة الأمويين، وقيل أن وصول صناعة الورق ومعاملها إلى المغرب العربي تأخر إلى حدود القرن الثاني عشر والعهدة على الرواة حيث لا يعقل

ذلك، فلهذا فإن القول بأن ورق الكرتون متأخر إلى القرن الحادي عشر فيه مجازفة ولعل هذه المعلومات التي يوفرها القس مبنية على ما حدث في أوربا في القرون المظلمة حيث تأخرت عن العراق والبلاد الإسلامية مئات السنين.

٤- وأما موضوع نوع الحرف الآرامي، فلست مطلعًا عليه ولكنه أشار على حرف قال أنه متميز جدًا من العصر المتأخر للخط الآرامي أي فيما بعد ١٢٠٠م ولكنني حين دققت في حروف المراحل الثلاث وجدت الحرف موجودًا بالذات في العصر الوسيط ٢٠٠ — ١٢٠٠ م، ولهذا فإن هذه المعلومة لا بد أن تراجع بواسطة خبراء في الحرف الآرامي في العراق، خصوصًا وأن الكلمة كانت قليلة النقاط وهذا وصف لحرف الدور الوسيط، ولكنني لا أجزم، إلا أن مثل هذه المعارف في الحقيقة ظنية، وهي قابلة للتفسيرات الشخصية إلى حد بعيد، خصوصًا وقد ثبت لنا بأن الكنيسة تعمدت في كثير من الدراسات إخفاء الحقيقة والكذب في المعطيات وتصويرها على أنها قضايا علمية يقينية فيتبين أنها مقلوب الحقيقة لاسباب دينية أو مذهبية وليس هناك حيادية في البحث.

أقول هذه الملاحظات لا نريد بها أن نبعّد زمن المخطوطة إلى القرن الخامس، فليس أمامنا إلا تصديق نص ما كتب على المخطوطة بأنها كتبت في سنة ١٥٠٠م، بل نريد تبيان أن هذه البحوث تبقى ذات طبيعة قشرية وأدلتها ظنية في الغالب، وإن كنت أرى عدم صحة تجاوز بعض الحقائق حتى مع ظنيتها، وذلك أنها باجتماعها أو

بامتناع بعضها حقيقة تكون ظنًا معتبرًا لا يمكن تجاوزه، ولكن هذه النقاشات الطويلة التي تؤول إلى أن المخطوطة نسخت في نهاية القرن الخامس عشر، بغض النظر عن مضمونها تشكل معضلة اضافية تمنع الكثير من التشكيكات إنجيل برنابا وهو الكتاب السابق عليها في الظهور فهي الرسالة منصوص أنها نسخت قبل ظهور ذلك الكتاب للعلن بأكثر من مائتي عام، فإذا تطابق مضمونها فهنا مشكلة عويصة وهي أن هذه الرسائل مخفية عند الكنيسة ولم تكن عند المسلمين فهنا تحرك هذه الرسالة التساؤلات عن كمية المخفي الآخر؟ فلماذا لا يمكن الإطلاع على مثل هذه الرسائل إلا بالسرقة والفضيحة داخل الكنيسة وليس خارجها، وهنا أحاول تفصيل بعض هذه التساؤلات وغيرها عسى أن نجد جوابًا مقنعًا من قبل الكنيسة.

المشاكل التي ولدها هذا الدرس المتين:

١- أولاً قبل كل شيء إن ظهور هذه الرسالة التي أقطع أنها نسخة عن نسخٍ سابقةٍ لها، كانت متداولة إلى عهد ليس بالبعيد جدًا كما يبدو من حفظها عن أربابها المحافظين عليها، فهي تشكل دافعًا حقيقيًا للتساؤل عن طريقة تعامل الكنيسة مع الفكر المسيحي المخالف لها؟ وهذه الحقيقة مؤرقة بالفعل حين نجد أن الكنيسة تعترف بالزيادة التدريجية للكتب الملهمة عبر التاريخ من دون حرج وتعترف بذلك في مقدمة الكتاب المقدس، بينما تحرم العلم والمؤمنين من الإطلاع على مثل هذه الكتابات حتى لو كانت سخيفة أو باطلة في نظر الكنيسة كما يقول الأب بولس الفغالي، فمن

حق المؤمنين أن يطلعوا على الضعيف كما من حقهم أن يطلعوا على القوي وأما طريقة تغطية عين الحصان حتى لا يرى بزاوية كبيرة إنما تنفع الحيوان النافر لا الإنسان العاقل.

٢- ثانيًا تثير هذه الرسالة تساؤلاً عن طبيعة الكتب المحظورة؟ فإن من الواضح تبرير المنع بأنه خلاف إرادة الكنيسة ذات الحق الإلهي الممنوح، فليس في هذه الرسائل الممنوعة التي ظهرت بحكم العولمة في القرن الاخير أي شيء أعظم من نفس ادعاء الكتب القانونية بل هي أفضل منها بالنسبة للمؤمنين، ففي كتاب ممنوع أن يسوع عمل معجزات وهو صبي فيعلق عليها بعض القسسة بأن هذا سخف، وأن يسوع تكلم في المهد ودافع عن شرف أمه فيكون هذا مثيرًا لغضب الكنيسة على الكتاب وتحريمه وكأن تبرئة مريم من الدخول بها من قبل من قال أنه ملك وهو إنسان كما يدل نص الكتاب القانوني وهو قد يكون عابر سبيل عابث أو يمكن اتهامه هكذا، فرفع هذا الإحتمال يعتبر جريمة فكرية ودينية! أليس هذا المعيار لرفض الكتاب فيه مشكلة بذاته؟ إنه كموقف بعض المسلمين الذين يثبتون سفالة النبي -والعياذ بالله- ويغضبون لإثبات عصمته بينما يستشيطون غضبا على من يكشف ذنبَ أي شخصية مذنبة ثبت عليها الذنب بالنص القرآني والنبوي فضلاً عن التاريخ وهي من المرتبطين بالسلطة التي ينتسبون إليها، فهل يجب على البابا كرَسول أن لا يرفع الحظر عن المسجون بينما له الحق في سجن الحر؟ وصلاحيته من الله مطلقة، انظر ما يقول الباحث الأب الفغالي حيث قال: (نقول أوّلاً إنّ للكنيسة وحدها الحق والسلطة لتحكم إذا كان هذا

الكتاب أو ذاك ملهَمًا أم لا، وبالتالي فالكتب التي قبلتها الكنيسة في قانونها هي وحدها إلهية مقدّسة وملهمة، ولقد قال القدّيس أغوسطينس أنه يقبل الأناجيل من يد الكنيسة) فهو حق مطلق للنفي والإثبات، فلماذا لا نرى اثباتًا لما هو منفي قبل ١٦ قرنًا؟ ولو على نحو الاعتبار؟ خصوصًا وان ما فيها من وصف للمسيح وسلطاته التشرعية والتكوينية اقل بكثير مما للكنيسة فلماذا يستكثر هذا يسوع ويمنح بسرور لرجال الكنيسة، ستقول الكنيسة أنها تريد صيانة قلب المؤمن من رؤية هكذا أمور لا تؤمن بها الكنيسة. طيب هل ان الله منح الكنيسة حق التحكم بقلب العبد أم على الكتاب؟ تبين أنها وكالة إلهية عن جميع الكون وأن ولاية الكنيسة التشريعية والتكوينية أقوى وأشد بعدًا من أي ولاية قانونية حيث تريد السيطرة على الكتاب وعلى التفسير وعلى الدماغ الذي يتلقى التفسير وهي ولاية لا تقبل الكنيسة أن تمنحها ليسوع نفسه حيث أن في بعض الكتب المنوعة ما يشم منها رائحة الكرامة الإلهية والقدرة على التكوين والتشريع الممنوحة من الأب ليسوع.

٣- لنوضح ما قلناه أكثر في نقطة حساسة إن ظهور هذه الرسالة تعني اختفاء حقائق هامة داخل الديانة المسيحية وأن معالجة الكنيسة للإيمان إنما هي بطريقة التجهيل والإخفاء المتعمد كما يبدو من انكشاف هذه النسخة. وهذه وحدها تحتاج إلى ملاحظات كثيرة.

٤- إن كون هذه الرسالة نسخت في سنة ١٥٠٠م يعني أنها نسخت بعد ظهور الإسلام بتسعمائة عام، فهي كانت متداولة ومخفية نهائيًا عن المسلمين وبقيت كذلك حتى سرقت، وكل ما نراه من الكنيسة الآن هو التمترس حتى لا يفرح المسلمون بها أو يستدلوا بها، فإذن هناك شعور في الكنيسة بأن هذه الرسائل تفيد المسلمين فنووا إخفاؤها عن علم واصرار.

يا سيدي القس أنت تعتبر هذه غير موافقة لخطة الكنيسة طيب، فلماذا تكذب عليّ ألف وأربعمئة عام وتقول أنه لا يوجد أي شيء مما تقولونه؟ قل لي: أنه لدينا كتب لا نعترف بها تقول بما تقولون. أليس من الصدق والواقعية ذلك؟ فهل في الديانة يجوز استمرار الكذب هذه الألفيات من الأعوام؟ فماذا تم اخفاؤه أيضَا؟

٥- نحن لا نريد أن نستدل بأي من هذه الكتب على صحة ديننا لأن هناك فاصلاً مهمًا بين الإسلام والمسيحية تجاوز الكتب والاستشهادات، وهو هل هناك عقل أم لا؟ وهل من حق العقل أن يقول أن الواحد يساوي واحد أم ليس من حقه؟ وهو يساوي ثلاثة أو أربعة أو خمسة، فالدليل الديني أصبح ليس بما في هذه الكتب التي لا تعترف أنت بها، ولكن هل تقبل أن أستدل عليك بأنك تدّعي على اخوانك بأنهم كاذبون تنتصر عليهم بالسيف والذبح، فما الدليل على أنك صادق مع ظهور هكذا نصوص تستنكفون منها وتتهمون كتبتها بالكذب والكفر وهم ذائبون في يسوع والـ"مسيّا"؟

٦- إن المسلمين كتبوا بأنهم لا يقبلون إنجيل برنابا المطبوع ولا نقبل هذه الرسالة الصغيرة لأنها قد تخالف بعض ثوابتنا، ولا نقبل أن توافقنا جزئيًا وتخالفنا بما هو أكبر، فلماذا تخافون من الاعتراف بانها موجودة في الكنيسة ومخفية؟

٧- إن النقاش حول إنجيل برنابا كان يتركز على أنه نسخة فريدة فهو مشكوك به وهذه الرسالة المطابقة في بعض الأمور المخالفة كما صرحوا به يعني أنه ليس نسخة فريدة فلها ثانٍ وثالثٍ وألف، محفوظ ومخفي في الكنائس، فيجب سحب كل الأدلة على بطلان إنجيل برنابا الموجود باعتباره نسخة فريدة تم التشكيك بها وبمن كتبها أو علق عليها أولغة التعليق وإسلام القس الذي علق عليها دليل على إسلامية الكتاب بعكس المطلوب فإنه نصراني قرأ الكتاب فأسلم لا أنه مسلم ألف الكتب بدليل هذه الرسالة المنسوخة في نهاية القرن الخامس عشر.

٨- في مناقشة الكنيسة لقيمة وصدقية إنجيل برنابا، قيل أن هناك إنجيلاً حرمه البابا جلاجيوس الخامس فهو إذن ذاك الإنجيل المحرم، فأجابت الكنيسة لا تلك رسالة صغيرة اسمها رسالة برنابا وكانت تقرأ في محافل المؤمنين، فلماذا نعترض الآن ونقول أن عدد أوراقها قليل؟ فقد تكون هذه هي رسالة برنابا الصغيرة العدد؟ وليست إنجيل برنابا الحالي، ثم إن الأب بولس الفغالي يقول لنا أن هناك رسالة قانونية لبرنابا كانت تقرأ في الكنائس في القرنين القريبين من يسوع، لتنوير قلوب المؤمنين فقال الأب بولس فغالي: (أمّا آباء القرنين الأوّل والثاني فهم يوردون الاستشهادات العديدة من

الأناجيل ورسائل القدّيس بولس، في رسالة برنابا وأغناطيوس الأنطاكي وبوليكربوس ... ولكن، أمام الخطر المحدق بتعليم المسيح، سيدافع الآباء عن عقيدة الكنيسة المتعلّقة بالكتب القانونية. وهذا الخطر جاء من مرقيون ذلك الفيلسوف الذي أنكر الطابع الإلهي على كتب العهد القديم، كما أنه لم يحتفظ من العهد الجديد إلاّ بإنجيل القدّيس لوقا وببعض رسائل القدّيس بولس. فذكّره إيريناوس وترتليانس بالتقليد الذي تمارسه الكنيسة. وجاء الخطر أيضاً من مونتانوس وتبّاعه الذين أقحموا في العهد الجديد كتبًا تروي الوحي الذي جاءهم من الله، ناسين أنّ الوحي انتهى بموت آخر رسول من رسل المسيح).

إذن، رسالة برنابا كانت قانونية وتقرأ لمدة قرنين بل لنقل أربعة قرون لحين منع البابا جلاسيوس الخامس هذه الرسالة، فكيف أصبحت خطرة على الإيمان بعد ذلك هل تغير الإيمان؟ أم أن الرسالة أصبحت ثوبًا ضيقًا على اللابس؟ أم هل كان الجيل الأول من حملة الرسالة ضالون مجدفون؟ هذا تساؤل خطير جدًا ولا يكفي في اجابته ما أورده البابا جلاسيوس (٤٩٢– ٤٩٦): (إنّ هذه الكتب (المنحولة) وما شابها قد علّمها ودوّخها الهراطقة والمنشقّون وتبّاعهم. فنحن نرفض هذه الكتب ونستبعدها في كل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الرسولية ونحرّمها مع كاتبيه).

فإنها تهمة لكل تلك الأجيال العشرة أو الأكثر، فإذا كانت من عمل الهراطقة المنشقين فكيف نَصِف أجيال ٤٥٠ سنة وهم عشرة أجيال أو ضعف ذلك من اتباع

يسوع ورسله كانوا يقرؤون هذه الرسائل ولم تظهر فجأة كما يوحي النص، فالأب فغالي يقول أنها كانت تتلى قرنين وسكت عن الإمتداد الزمني إلى سنة ٤٩٢م، ولولا أنّ القس أثبت في الفيديو أن هذه النسخة منسوخة في سنة ١٥٠٠ لما تبادر إلى ذهننا هذا الإشكال حيث كنا نكتفي برفض الكنيسة ونعتقد بأن تلك الرسالة المقروءة قد فنت، ولكنها ظهرت بعد ألفي عام من بدء قراءتها وهي تستنسخ ومعناها تقرأ فلا يعقل أن ينسخها الإنسان بدون قراءة ووعي. أليس هذا مبعثًا للتساؤل المشروع؟

٩- لوحظ أن هذه ثاني مرة يعثر فيها على شيء منسوب لبرنابا في الكنيسة عن طريق السرقة والتهريب، ولم يعثر عليها في مكاتب إسلامية، بل المسلمون لا يعرفون شيئًا عنها وقد عثر عليها في محتويات الكنيسة. فلماذا يحدث ذلك؟ وما علاقة المسلمين به حتى تحاول الكنيسة نفي الكتاب؟ إن الكنيسة لا تقبل أن تقول هذا الكتاب مرفوض عندنا وإنما تقول هذا الكتاب أصلاً غير موجود عندنا بينما هو مسروق بواسطة مسيحيين من داخل الكنيسة، أليس في ذلك مفارقة؟

١٠- لا أعرف من ادعى بأن مجرد ذكر كلمة محمديم يعني اسم النبي محمد فهذا لا يقوله عالم، إنما يقول المسلمون بأن هناك كلمات هي اسم علم وردت إما بمعنى محمد أو أحمد أو المهدي المنتظر. وهذه ثابتة والمناقشة فيها هي كتغطية وجه الشمس بغربال، ولست هنا لمناقشة موضوع التسمية ويكفينا أن الاحتمال يبطل الاستدلال واحتمال وجه من وجوه الـ"بركليت" هو أفعل التفضيل من حمد بجذر اللغة اليونانية

الأصلية فلا يحتاج المسلمون إذن لإنجيل لا تعترف به الكنيسة في اثبات ما هو ثابت ومردود على الكنيسة بتعسفها برفض المحتمل، فمن يكذب فهو أحمق لأنه يترك العسل ويطلب البصل.

١١- كان الأستاذ القس يهدئ من روع خدام الرب بأنه قد نعثر على أخطاء تاريخية أو جغرافية في هذه المخطوطة، في حين أنه قد أقرت الكنيسة أن في كل الكتب المقدسة القانونية أخطاء تاريخية وعلمية وجغرافية ولكن لم يؤثر ذلك على قداستها، فكيف ستؤثر على المخطوطة إذا لم يكن ذلك معيارًا في ذات الكتب القانونية؟ كما هو حال العهد القديم والجديد على السواء، ولكن فعلت الكنيسة ذلك مع إنجيل برنابا باكتشاف أخطاء مثل كلمة اليوبيل الذهبي حيث قالوا أنه مصطلح متأخر فبطل الكتاب وانكشف كذبه وما شابه ذلك، فما ستقول الكنيسة إذا وجد مثل هذه الجملة أو غيرها من المشكلات في هذه الرسالة أيضًا؟ طيب إذا كانت لجنة الكتاب المقدس تقر بالنمو التدريجي للكتب المقدسة فلماذا لا تقبل نموًا تدريجيًا في كتاب منحول؟ فليكن الأصل صحيح وأما النمو فغير معترف به لأنه لم يقرأه الجيل الأول من المؤمنين بينما المقروء يمكن قبوله إلى حد ما أو لنقل أنه نفس الأبكريفا الأصلي لا أن ننفي وجوده ونكذبه من الأساس، فلماذا يترك هذا كله ولا تترك الكتب الخمسة التي يتحدث فيها موسى الكليم عليه السلام عن وفاته وكيفية وقوعها وهو كاتب الكتاب نفسه؟ فكان الحل بأن هذا نمو تدريجي ملهم. طيب فلتكن هذه الأخطاء كانت نموًا تدريجيًا غير ملهم فهي أخطاء مرفوضة ولنقذف بها في النهر، ولكن يبقى الأصل المقروء لمدة قرنين،

فعدم وحدة المعيار يكشف أن إرادة الكنيسة غير معللة وليس لها علاقة بترابط الحقائق وإنما رفض ما لا ترغم وتثبيت ما ترغب، وهذه تهمة تبرزها ظهور نسخ من الأبكريفا لم نعثر فيها على سوء وإنما على مخالفة تعاليم الكنيسة الحالية، فهو اتجاه مذهبي بحت، فكيف يسرى على جميع الدين واسكات كل المذاهب الأخرى ذات الصوت المخالف؟

إن هذه بعض الملاحظات على ما شاهدته من الفيديو أمس بعد الغروب، ولعلنا لو درسنا الموضوع بعمق لوجدنا هناك عشرات المشاكل والشبهات التي تزعزع شرعية الكنيسة ولا أتكلم عن مقارنة الأديان في إشكالاتي هنا، فما يقوله القس الفاضل أنه لا يوجد شبهة أو إشكال، فإنما كان قبل أن يثبت ما أثبت من خلال علم المخطوطات، وأما بعد ما اثبت فهناك عشرات الإشكالات التي قد لا يسعني المجال لاستقصائها فإن طريقة النفي والاثبات وحدها فيها أكثر من عشرة إشكالات وإن طريقة تحليل النصوص فيها عشرات الإشكالات والشبهات وكلها تصب في شبهة الإنتقائية التي هي الباطل بعينه، والمذهب الصحيح لا يصح أن يبنى على الباطل فالبحث في جزئيات المبحث يقتضي فحص الأصول، وفي كل جزئية عثرت على خلل في أصل معرفي لا علاقة له بالدين، وإنما له علاقة بخلل المنطق، وهكذا فيما يتعلق برفض النصوص وقبول النصوص حيث حاكمية الذات على النص، وهذا خطر على الدين ولا يمكن أن يقوم دين بذلك لأنه الباطل بعينه بينما الدين هو الحق بعينة، فكيف يكون حاق الباطل حقيقة الحق؟

وأكتفي بهذا القدر ما استطعت من الكتابة اليوم، لعدم تفرغي وضيق وقتي وسعة الموضوع وهو يحتاج إلى بحوث معمقة وهناك من هم أفضل مني في هذا التخصص مثل الأخ ابن قبة والأخ مصطفى الهادي والأخ رحمة العاملي وغيرهم من الأخوة حفظهم الله جميعًا، وأرجو أن يعذرني أخوتي لقلة المناقشة واختزال بعضها نتيجة التعجل وسوء الصحة وكثرة الأشغال.

أخيرًا لدي ملاحظة على الحكومة التركية وهي إن أي شرطي حينما يعثر على المسروق فهل يرجعه لأهله الشرعيين أم يضعه في الجيب؟ إن ما قامت به المباحث التركية عبارة عن سرقة من السارق لأن النسخة عراقية وهي ملك شخصي أو عام، فيجب إرجاعها لأهلها، وإنني رأيت عجبًا في العشرين سنة الأخيرة من حكم صدام فلم يبق في العراق تحفة أو كنز إلا وقد بيع بثمن بخس أو استدرجت المباحث في دول الجوار العراقيين المساكين فما أن تصل التحفة حتى يلقى القبض عليها بحجة تهريب الآثار ثم تؤخذ إلى جهات مجهولة ولم نر لها أثرًا بعد ذلك، وقد كان هناك ضباط متخصصون بإغراء اصحاب المقتنيات الثمينة لتهريب مقتنياتهم المليونية عسى أن يحسّنوا عيشهم السقيم نتيجة حكم هذه الحكومات التقدمية فإذا بالكمين يسرق التحفة مدعيًا أنها مسروقة ولن يستطيع صاحبها أن يثبت أنها له لأنها أصلاً غير مسجلة وهي من أملاك أهله القديمة المملوكة قبل التسجيل للممتلكات، فهذه المخطوطة التي قيمتها ١٤ مليون استرليني أي ٢٠ مليون دولار تقريبًا لماذا تسرق من صاحبها العراقي المسكين؟ ونسأل الله أن يرزق الناس معرفة الرحمة للإنسان واحترام

حقوقه، وأن يتعلم المسلم أن السرقة حرام في دين الإسلام، ولكن من حق البشرية اظهار هذا الكنز بعد دفع مبلغه لأصحابه المسروق منهم هذا الكنز.

وأضيف تعليقاً بسيطاً على ما سبق:

الخبراء يعرفون أنه منذ مجمع نيقية ٣٢٥ م تحولت الديانة المسيحية من ديانة شعبية إلى غير ذلك، وهي مقادة بمؤسسة تقرر أبسط التفاصيل وترفض كل ما لا يتوافق معها جزئيًا أو كليًا، ولهذا فإن الكنيسة بقسميها الشرقي والغربي مسؤولة عن كل إخفاء أو كذب يحدث في وسط المجتمع المسيحي.

وهذه الملاحظات على ظهور مخطوطة لرسالة برنابا أو غيرها لا تحاور المسيحية من ناحية حوار مبادئ دينية، وإنما من جهة أن الكنيسة تتحمل المسؤولية كل كذب وإخفاء وتزوير بعد أن حملت هي على عاتقها كل جزئيات الفكر المسيحي وأفعاله، ولم تصبح المسيحية مثل بقية الأديان الأخرى كالإسلام وغيره ديانة شعبية لا يوجد فيها سيطرة على الأفكار والأفعال بشكل منظم.

فإن ظهور هذه المخطوطة الآن، التي يرجح أنها نسخت في نهاية القرن الخامس عشر، يثير تساؤلات كثيرة على مصداقية الكنيسة مع اتباعها فضلاً مع غيرها، فقد كنا نرى دراسات مسيحية كثيرة بشكل يثير الإعجاب لكثافة الدراسات وتنوعها كلها لنفي أمور أو اثبات أمور ويتبين بالتالي أنها أكذوبة وليس لها صحة وأن دعوى الكنيسة للأسف لم تكن صادقة مثل إدعاؤهم عدم وجود إنجيل ولا رسالة لبرنابا وأن

رسالة برنابا هي غير ما هو موجود في إنجيل برنابا وكانت شيئًا آخر. ولكنهم لم يظهروها، فإذا في القرن الثامن عشر يظهر لنا إنجيل مسروق من سرير البابا وفي بداية القرن الواحد والعشرين يظهر كتاب مسروق وتسيطر عليه شرطة التهريب في تركيا يعتقد أنه رسالة برنابا فيها نصوص مشكلة قريبة مما في ذلك الإنجيل الذي عثر عليه في غرفة نوم البابا، فما تفسير هذا مع نفي الكنيسة عن وجود هذه الرسالة؟ فهل كان إفقار الشعب العراقي بالكامل يؤدي إلى مثل هذه الغلطة بمحاولة سرقة وتهريب هذه المخطوطة؟

إذن، نفي الكنيسة علمها بذلك الكتاب وعدم علاقتها به هو عبارة عن كذب، وأن شدة التكتم والإخفاء هي التي منعت العلم والحقيقة من الإطلاع على النصوص والحقائق التي تخفيها الكنيسة.

فليس في أي من الحادثتين يوجد أي شك في الأصل المسيحي للكتابين.

وفي هذه الرسالة أصبح من المفيد فتح ملفات قد زورت فيها الكنيسة معلومات وحقائق تتعلق بإنجيل برنابا من أجل نفيه وإلصاق التهمة بالمسلمين الذين ليس لهم أي علاقة أو علم بما في هذا الكتاب، حتى أن هذا من المفارقات فإن القس عوض سمعان اعتبر عدم معرفة الكتّاب العرب بهذا الإنجيل دليلاً على بطلانه لأنه لو كان موجودًا لعرفه المسلمون واستدلوا به وبما أنهم لم يستدلوا به فهو إذًا مصنوع في فترات متأخرة، وقد بدأوا حبك القصة من تعليقات المدعو مصطفى العرندي، وهو كما يقولون عنه بأنه

يهودي تنصر ثم أسلم وعلق على هذا الكتاب فإذن هو إسلامي، بينما بعد العثور على هذه الرسالة ذات المحتوى المشابه يوجه القصة بشكل عكسي فإن مصطفى العرندي كان يهوديًا فتنصر نتيجة بحثه ورؤية أن المسيحية دين حق، وبعد التنصر والتعمق وقع في يده هذا الإنجيل فدرسه جيدًا وأسلم بسببه وعلق عليه ولا أحد من المسلمين يعرف به وقد يكون عاش ومات داخل أسوار الكنيسة ولذلك يعرفون من هو؟ بخلاف المسلمين.

إن فتح هذا الملف سوف يسقط الكثير من الدراسات أو لنقل من القرائن التي اعتمدتها الكنيسة على نفي الكتاب، بينما هذه الكتب عندهم في مكتباتهم وهم ينسخونها وقد تكون هناك كتب حديثة النسخ والكل لا يدري حتى اتباع الكنيسة أنفسهم فهم أكبر مكذوب عليهم.

إن أنصار الكنيسة يعيشون قرونًا طويلة بكذبة عجيبة ثم يتبين أنها كذبة، مثل قصة كفن المسيح المقدس الذي تبين أنه محاولات للتصوير الفوتوغرافي قام بها ليوناردو دافنشي ـو غيره من عصر النهضة، وقد أثبتت الفحوص أن القماش من صنع القرن الرابع عشر، وأن وجهه يتطابق مع صورة لدافنشي وهو شاب بينما صورة الكفن لرجل تجاوز الخمسين والمسيح ابن الثلاثينات، والخلفية إما لرجل آخر أو حصل تكبير في عملية التسقيط الضوئي لأنها أكبر قليلاً من الوجه.

فمثل هذه الأكاذيب لا تكون من مسؤولية جماعة من الدجالين لأن الكنيسة ليست متروكة للشعب بل هي مؤسسة منضبطة، ومن أجل زيادة الثقافة في موضوع كفن المسيح أضع بعض الروابط لبرامج وثائقية حوله:

كشف تزوير كفن المسيح

http://www.youtube.com/watch?v=soe1ox6ZYGA

التأكيد على تزوير كفن المسيح في نفس البرنامج غير مدبلج بل مترجم

http://www.youtube.com/watch?feature=endscreen

وهذا فلم من خمسة أجزاء للتحقيق في كفن المسيح قامت به الكنيسة فيه نوع القماش وغير ذلك:

feature=BFa&http://www.youtube.com/watch?v=QIopkDTSRCo

فإذن، ظهور هذا المخطوط لرسالة برنابا، يثير الكثير من التساؤلات، ويبدأ بإعادة فتح ملفات تبيّن أن بنائها كان فيه خلل حيث اعتمدت على مقولة مسبقة بأن هذا الإنجيل موضوع كليًا ومكتوب في القرن السادس عشر تقريبًا، وأن هذا التحضير الذهني المسبق لكل المعلومات التي ستبنى عليه الأبحاث من أجل تفحص ما يسمى بالأخطاء والبيانات، قد سقط نهائيًا بظهور مخطوطة أخرى أسبق منه نسخًا وهي مقدسة بشكل كبير بحيث كتبت بماء الذهب على جلد أسود فاخر وبخط آرامي لا يتقنه إلا المسيحيون وهو لغة الكنيسة في شمال العراق وكان هذا الكتاب محفوظًا بشكل لم

يستطع المسلمون الوصول إليه لمدة ٥٠٠ سنة تقريبًا من نسخه بينما قد أخذ من نسخ أخرى لم تظهر لحد الآن ولم تقع بيد مسلم لمدة تقارب ١٤٠٠ سنة.

أقول: إن هذه الحادثة سترفع حالة الإنذار والتأهب في الكنيسة لمدة عشرات أو مئات السنين لئلاّ يتم تسريب نسخة أخرى من الكتب الممنوعة جدًا، وسوف توضع أغلب مكتبات الشرق تحت حراسة سرية لمدة طويلة خوفًا من تكرار هذا الأمر خصوصًا وأن ما يجري في سوريا سوف يساهم بكشف الكثير من الأمور وهذا من أخطاء النصرانية بمحاولة إسقاط النظام السوري فإنه قد يسلط من يتاجر بكتبهم الخطيرة ولا يحترم إلا الدولار فتكون كل أسرارهم في خطر ولعلنا نشكر حامية الكنيسة، الحكومة الفرنسية، على مثل هذا الخطأ الفاحش.

وهنا يثير ظهور هذا الكتاب مسألة في غاية الأهمية، وهي أن الحكام المسلمين أمروا بحرق كتب الأقوام الأخرى وكتب الفلسفة والطبيعيات ولكنهم حافظوا على مكتبات الكنيسة بهذا الشكل الجيد من دون الاستفادة منها مطلقا من أجل دين الإسلام؟

حتى أن كتاب عمر بحرق مكتبة الاسكندرية معلل بأنها كتب الفلسفة اليونانية والعلوم الطبيعية ولم يرد فيها كتب المسيحية كما اتذكر، وقد ثبت أن القسسة أحرقوا مكتبة الإسكندرية المسيحية قبل ظهور الإسلام بـ ١٠٠ –٢٠٠ عام بسبب الخلافات المذهبية ومسح الأدلة المضادة للإيمان النيقاوي المعلن في مجمع نيقية الذي أمر بقتل مئات ألوف المسيحيين في مهد المسيحية وهي مناطق الشرق الأوسط.

فماذا يخفي ذلك الاحتفاظ بكتب الكنيسة وعدم الاستفادة منها مع حرق كل المكتبات الفارسية والمصرية واليمانية وغيرها من سر خفي؟

هذا يحتاج إلى مؤسسات دراسات إسلامية مخلصة لكشف هذا السر والعلاقة السرية بين من يستوزر سرجون الماروني الذي يكتب ابنه كتابًا في إبطال الإسلام بتمويل دولة عبد الملك بن مروان الأموي في وقت مبكر، وهو كتاب يطعن بشخصية نبي الإسلام ويصدر من تحت سقف القصر الأموي الذي عاش فيه سرجون المشير بقتل الحسين عليه السلام وابنه كاتب ذلك الكتاب بنقض الإسلام.

فقضية هذه المخطوطة تفتح الكثير من الملفات المهمة لبيان الحقيقة، ولكن سوف يقوم الحكام بإغلاق أي ملف سيفتح، لسر لا تعرفه إلا الكنيسة نفسها.

بالمناسبة: أعتقد أن القصد من (رباني الدير العالي في نينوى)، هو الأب في دير مار متّي الشهير على رأس جبل وعر في الموصل، وهذا الدير تخرّج منه بابوات الكنيسة الأرثذوكسية الشرقية التي مقرها في سوريا. وشخصيًا أعرفه وأعرف بعض مثقفيه والمرتبطين به من دون دخول في تفاصيله إلا أن جميع أصدقائنا من اتباع هذا الدير يرون أنه كنز معرفي كبير ولا ندري ما هو مدى صدق هذا الوصف فإذا كان حدسي في محله فإن هذه المخطوطة تكشف عن سر كبير في هذا الدير وغيره، وللأسف فإنهم يخفون ذلك على أتباعهم.

الإغتيال بالغدر

إن مسألة الغدر وقتل الضيف على وليمة مسألة مشهورة الصدور من يسمّون بزعماء المسلمين، وكانت هذه الحركة في العباسيين أوّلاً وقد اشتهرت بعد ذلك في العثمانيين وعمالهم، والذي يحضرني الآن:

– حادثة قتل الإمام الرضا عليه السلام بوليمة وتسليمه السم في عنب أو رمان كما هو معروف فعله عن المأمون العباسي.

– حادثة وليمة الموصل من قبل يحيى بن محمد بن علي العباسي «.. ولم يلبث أن اشتد يحيى بن محمد بن علي العباسي في معاملة أهل الموصل وكان جبارًا سيئ السيرة، فقد دعا بعض أهل المدينة إلى وليمة فقتلهم ..»

– حادثة قتل محمد علي باشا عامل العثمانيين في مصر حيث عمل وليمة واحتفالاً كبيرًا فقتل فيه المئات من المماليك: «.. وأرسل يدعو الأعيان والعلماء والمماليك لحضور الاحتفال. لبى المماليك الدعوة، وما أن انتهى الاحتفال حتى دعاهم محمد علي إلى السير في موكب ابنه، تم الترتيب لجعل مكانهم في وسط الركب، وما أن وصل المماليك إلى طريق صخري منحدر يؤدي إلى باب العزب المقرر أن تخرج منه الحملة، حتى أغلق الباب فتكدست خيولهم بفعل الانحدار، ثم فوجئوا بسيل من الرصاص انطلق من الصخور على جانبي الطريق ومن خلفهم يستهدفهم. راح ضحية تلك المذبحة المعروفة بمذبحة القلعة كل من حضر من المماليك، وعددهم ٤٧٠ مملوكًا، ولم ينج من المذبحة

سوى مملوك واحد يدعى "أمين بك"، الذي استطاع أن يقفز من فوق سور القلعة، بعد ذلك أسرع الجنود بمهاجمة بيوت المماليك، والإجهاز على من بقي منهم، وسلب ونهب بيوتهم، بل امتد السلب والنهب إلى البيوت المجاورة، ولم تتوقف تلك الأعمال إلا بنزول محمد علي وكبار رجاله وأولاده في اليوم التالي، وقد قُدّر عدد من قتلوا في تلك الأحداث نحو ١٠٠٠ مملوك»

- وفي العصر الحديث حدث في العراق أن دعت غرفة التجارة تجار العراق الشيعة الى اجتماع تداولي فجمعوهم ووضعوهم في سيارات وقذفوا بهم على الحدود في جبال جرداء فمات من مات ونجا من نجا وهم بحدود ١٠٠ رجل.

- وفي اليمن دست السعودية رجالها بين اليمنيين فاجتمع ضابطان وتآمرا على الرئيس وهما علي عبد الله صالح ورئيس الأركان أحمد الغشمي فعمل الغشمي وليمة الغدر للرئيس الحمدي تكريمًا لعبد العزيز عبد الغني فقتلوه.

الأمثلة كثيرة وهذا ما حضرني الآن على هذه العجالة.

وقد وجدت شيئًا لطيفًا في تعاليم الذبح التي يتعلمها المجاهدون في دروسهم في أفغانستان حيث عثرت على دروس عبد الله عزام يعلمهم فيها الرحمة في ذبح الناس غدرًا بالذبح بسكين حادة حتى لا يتعذب المغدور مستشهدًا بأحكام الذبيحة! «وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» وهذا بلا تعليق.

طبعًا لا نعترض على مقاتلة الكافرين ولكن من خلال القصة فإنهم يقتلون مسلمين أفغان يتهمونهم بالشيوعية فيطلب منه أن يقرأ له رسالة في زاوية وذبحه غدرًا.

ولا أعرف في أي فقه يمكن تمجيد الغدر مع مسلم من دون محاكمة؟ فهذه هي تربيتهم وأترككم لتستمعوا بقراءة الدروس القرآنية لعبد الله عزام مؤسس القاعدة في افغانستان.

بالمناسبة يستدل بآية السيف فليذكر هذا.

« في ظلال سورة التوبة للإمام الشهيد عبد الله عزام:

http://www.alboraq.info/showthread.php?t=143555

(فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)، هنا يقول القرطبي (بأي صيغة شئتم)، المهم أن تقتله، ومن هنا عموم أنواع القتل.

عبد الصبور أفغاني من كابل عمره حوالي خمس وعشرون سنة ،قلت له يا عبد الصبور كم شيوعيا قتلت؟- هو مجاهد في داخل كابل يقاتل- قال الذين ذبحتهم بيدي بالسكين تسعة وعشرين، ذبحهم! أما الذين رششتهم مع المجاهدين لا أعرف كم، كيف؟ يكون ماشيا في الشارع ويلقي واحدا يقول له: يا (رفيق) يا (برادر) إقرأ لي هذه الرسالة، بجانب حائط فيذبحه، أثناء الذبح، تذبحه بالسكين يجب أن تكون السكين حادة (وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) نعم، (إن الله كتب الإحسان في كل

شيء، فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) أرح الذبيحة، تريد أن تقتله اقتله بسرعة ..»

عجيب كم قلبه حنون ويشعر بالإنسانية الفائقة..!

منكر الولاية وطهارة المولد وراية الطاغوت

لقد أثبت زميلنا الوهابي المشرك «حسن – بن جيران – حسان»[*] بأنه لا يريد بحث صلب الموضوع، ويأتي بأمور جانبية عبارة عن قص ولصق لشتائم على مواضيع وكلمات لا يفهم معناها، معتقدًا بأن هذا قد يشوش ذهن أي جاهل لا يدري ما الخبر؟ حتى لا يفكر فيما نقول، ولا يكون لقولنا تأثير في عقله باعتبار تلاحق التهم المصورة على أنها إشكالات حقيقية.

وفي سبيل أن أبيّن إن هذه ليست إشكالات وليست تهم بل هي بخلاف ما يفهمها هذا الجاهل وستنقلب عليه وهي إشكالات وتهم عليه لا يستطيع ردها، أبين بعض ما سلَقَنا به من مواضيع خارج المطلب، وسيتبين أنها خارج المطلب تمامًا، ويمكن أن ترتد عليهم، فتفضلوا لفحص ما طرحه الناصب:

١– موضوع تكفير منكر الولاية:

أولاً: الكفر هنا ليس كفرًا بالإسلام وإنما كفر بالولاية والفرق بينهما كبير عندنا، وهذا يرجع إلى المعنى الأصلي للكفر وهو الجحود والستر، وعند أهل السنة ما هو أشد وبدون دليل شرعي فعندهم ساب الشيخين يقتل بدون استتابة وعمليًا بدون تحقق وتثبت من الصدور لمجرد الشبهة يقتل وشواهد التاريخ على ذلك لا تحصى.

---

[*] محاورٌ وهابي حاوَر العلامة المنار في شبكات الانترنت لسنوات طويلة.

وثانيًا: أن الشيعة عندهم أن لازم الكفر هو عذاب الله في الآخرة، بينما أهل السنة عندهم غالبًا بأن لازم الكفر هو (القتل)، ولولا تصريح السيد حسن السقاف حينما قال على الشاشة الصغيرة بأن الكفر عنده هو استحقاق العذاب الأخروي وليس الدنيوي، لقلت أن جميع علماء السنة يرونه القتل، ولكن لأن السيد حسن السقاف عالم سني باحث له معرفة بأسرار أفكار الأشاعرة والسلفية، فلعله وجد من يقول بذلك فاستند عليه، وقد يكون قوله مستنبطًا من الجمع بين تكفير بعض المبتدعة وبين حقن دمائهم عند قليل من الفقهاء السنة، بينما الغالب يقول بقتل المبتدع بدون استتابة إذا كان سابًا للنبي والشيخين وباستتابة ؛ذا كان سابًا لله وغيره.

فإذن، طرح موضوع التكفير جيد بالنسبة لهذا الموضوع، ولكن ليس على الشيعة لأنهم لا يربطون بين الكفر وبين القتل أبدًا، بينما الفكر السني عنده الكفر يعني جواز أو وجوب القتل فورًا، وكلامنا هنا بهذا الإنحراف النفسي العقلي لتجويز القتل لمجرد مخالفتهم في أفكارهم ووصمهم بالمبتدعة.

فلا ينفع إذن لو كتب صاحبنا كتابًا كاملاً يثبت فيه تكفير منكر الولاية، فهو لن يثبت أي نوع من أنواع الإرهاب – ولو المتخيلة – لأن الإرهاب معناه القتل أو التهديد به بدون وجه شرعي، بينما أن ابسط حكم عندهم في حق الكافر بفكرهم بل المبتدع منهم هي القتل، وهذا المبتدع مسلم بل سني يقرون بأنه يشهد الشهادتين يدافع عن

الشيخين فستجدهم يطالبون بقتله لكونه مخالفًا لهم كالصوفية والأشاعرة عندهم من المبتدعة الذين يجب قتلهم فورًا.

حتى أن صاحبنا هذا استنكر على الشيعة عدم قولهم بقتل المسلمين المبتدعة أمثال الأباضية! ويكفيك هذا فهمًا لمسلكهم فهم لا يقبلون التعايش مع غيرهم أصلاً كالوحوش لا يريدون تعايشًا، وما نراه من عموم من ولد بينهم بأنه لطيف المعشر ومتعايش فلأنه غير متعمق بهذا الفكر التكفيري القاتل الداعي إلى القتل وعدم التعايش، فما طلبه هذا الناصب يمثل التعمق في مذهبه إلى حد ما، فإن مذهبه بهذا الاتجاه يعتبر سيرًا بالطريق الصحيح نحو كمال الشيطانية.

٢- موضوع طهارة المولد:

من المعلوم أن طهارة المولد تابع للعقد، والعقد لابد له من شروط تصحيح، منها الإذن الشرعي بالعقد ومنها صحة الثمن ومنها صحة بقية الشروط، وقد ورد في بعض النصوص تطهير الشيعة من البغاء وذلك لأنهم يستوفون شروط العقد، حيث أن ثمن العقد عند كل البشر متعلق فيه حق الله والرسول وذوي القربى ولم يدفعه المكلفون إلى أصحابه إنكارًا وجحودًا، والعقد على الثمن الباطل باطل عند بعضهم ومعلق على صحة الثمن عند آخرين بحيث يجب أن يدفع الصحيح لا الباطل وهذا حين يعلم بأنه سيدفع الثمن الصحيح لا أنه مصر على السحت كمن يصر على أن يكون ثمن النكاح زق خمر لا غير، وبما أن كل فلس فيه حق مضيع فهو ثمن سحت لا تعقد به العقود

فتكون كل عقودهم باطلة وناتج العقد ليس شرعيًا، ثم إن العقود إمضائية و(شرط الإسلام) في عقد نكاح المسلم هو شرط للإمضاء، والإسلام تارة يؤخذ على مجرد الشهادتين وتارة بشرط الايمان ومنه ولاية الله ورسوله ومن نص عليهم، والأول: هو للحكم الظاهري، والثاني: هو للحكم الواقعي.

ولهذا فإن الشيعة يصححون عقود كل المسلمين للحكم الظاهري، ويتعاملون على ذلك حتى في النكاح، وفي الحكم الواقعي لا يستطيعون الجزم بصحة عقود ناقص الإيمان لأن شرط الإمضاء منتف هنا، وبهذا فإن الناتج من عقد باطل غير منعقد أصلاً لأنه فقد شرطًا أساسيًا للإمضاء الواقعي، فهو في الواقع ناتج غير شرعي، فلهذا يصح ما نقله التعيس من قولهم عليهم السلام: «..والله يا أبا حمزة إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا الشيعة»، ثم إن في قوله تعالى {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً} [الإسراء:٦] مفسرة بأنه — أي الشيطان – لعنه الله يشارك في نكاح أزواج أتباعه بالتمازج أو التفرد، وكل من فارق الحق وولاية الله ورسوله كان من أتباعه خصوصًا جماعة ابن تيمية الذي يفتخر باليزيدية عبّاد الشيطان*، فإنهم يفتخرون بالارتباط بالشيطان الأمرد الجميل الذي فعل به قوم لوط لجماله كما ورد في الروايات السنية، وهذا يعني أنهم أولاد بغايا شاركهم فيه الشيطان ولم يكن تولدهم عن مواقعة صحيحة خالصة بل فيها شرك إبليس كما أذن الله لإبليس {وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ}

* راجع موضوع: سرُّ ابن تيمية، في هذا الكتاب.

فأموالهم وأولادهم فيها نَفَس وروح إبليس بنص القرآن الكريم، وقد فسر الوقاع الفاسد بشرك الشيطان أن الشيطان يضع أصبعه كما ورد في الضعيفة: «ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم أنه من شيعتنا حجبه عن ذلك الشيطان، وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان أصبعه السبابة في دبره، فكان مأبونًا، وذلك أن الذكر يخرج للوجه، فإن كانت امرأة أثبت في فرجها فكانت فاجرة».

ثم هذا ليس له أي علاقة بالإرهاب فضلاً عن جذوره، إلا إذا قلنا بأن هذا يفسر الميل الطبيعي للملعوبين بأصبع إبليس إلى الإرهاب والدموية فإن المشهور عن إبليس بأنه يرغّب أتباعه بحب الدماء من أجل الإفساد في الأرض فيكون ما نقله الناصب الذي يفتخر بنسبته لجيران أبيه واقعًا مفسرًا لحالهم وميلهم للدماء، فهذا له ربط بعكس ما يريده الناصب وينقلب عليه.

فإن جذر الإرهاب أيضًا هو اتباع الشيطان في حب الشر وليس أكثر من أن يكون مفعولاً للشيطان لصيقًا به فهذا يمكن أن يفسر جزئيًا ميل اتباع هذا الفكر الفاسد إلى الجرائم والفتك وانعدام الخطوط الحمراء فإنهم أقرب إلى الشيطان من جميع البشر لأن همّه في الأحق ثم الأحق فمن عادى الأحق في الأرض فهو الأقرب إليه فتم المطلوب بحمد الله.

والخلاصة، أن موضوع طهارة المولد لا عَلْقَة له بالإرهاب أصلاً لأنه ليس دعوة للقتل أو ما شابه ذلك، وإنما هو بيان للحكم الواقعي غير المحاسب عليه دنيويًا، وهو فضيحة حقيقية على النواصب وعلى شيعتنا أن يبينوا لهم ذلك ويثبتوا لهم أن المعايير في هذا

الأمر مقبولة سنيًا أيضًا ولكنهم لا يلتفتون لأنه يمسهم بالذات، على أننا نتعفف من البحث في هكذا مواضيع ولكنهم يريدونه لفضح أصولهم الواقعية.

٣- راية الطاغوت:

إن مذهب الشيعة مبني على معادلة معروفة وهي أن المُنعم له حق التكليف وقد كلف عباده فيجب طاعته وتقصي الإمتثال، فلا يجوز فعل أي فعل إلا بشرعية (حجة عند الله) وكل عمل مخالف لأمر المولى فهو طاغوت يوجب الخسران في الآخرة. وطلب الزعامة بدون حق شرعي فإنما هو راية طاغوت، والتحاكم إلى الحاكم غير الشرعي فإنما هو تحاكم إلى الطاغوت وما نتج عنه باطل، وثمنه سحت، حتى لو كان حقه فعلاً، إلا أنّ طريقة أخذه كان من الطاغوت وكل هذا في الحكم الواقعي، وبعضه في الحكم الظاهري كحكم عدم جواز الإلتحاق براية لم تكتسب الشرعية بدعوة الإمام الحق أو حرمة التحاكم عند الجائر غاصب الحكم بدون شرعية. وهذا من أهم موارد محاربة الإرهاب لأن كل الطواغيت هم فتاكون غير شرعيين ومحاربتهم بهذا الشكل الدقيق من أئمتنا عليهم السلام إنما هو محاربة عملية رائعة للإرهاب الإجرامي الذي عليه هؤلاء، وهم حساسون من هذه الحرب الشعواء على إرهابهم.

وهنا يجب أن نفكر لماذا أتى هذا الناصب بهذه النصوص؟

الأسباب كثيرة:

الأوّل: لتشويش فكر من يدخل للموضوع حتى يختلط عليه الحق والباطل ولا يفكر في جذر الإرهاب الحقيقي، خصوصًا حينما يجد أحمقًا يقول بأن مجرد معصية رسول الله صلى الله عليه وآله إرهاب، بدون تعريف للإرهاب حتى قال عن الأعرابي الجلف الذي قال أعدل يا محمد أنه جذر الإرهاب، بينما هو خارج تعريف الإرهاب الإسلامي الذي هو (الحرابة). وخارج تعريف الإرهاب الغربي الذي هو استعمال العنف والتهديد، وهذا ليس منه قطعًا، فكذلك يأتي بهذه الأمور ليشوش فقط وإن كان ليس لها علاقة حقيقية.

الثاني: أن هؤلاء يستشيطون غضبًا حين تكشف جرائمهم وصفتهم وعلاقتهم بالطاغوت، وهم يريدون أن يبرروا إرهابهم وقتلهم للشيعة بلا سبب، حيث يريدون أن يقولوا انظروا سوء نظر هؤلاء بالطواغيت المجرمين من أمثال طواغيتهم، فإذن يجب قتل الشيعة لأنهم لا يؤمنون بهم وبطاغوتهم، فهو في علم النفس رد فعل نفسي خفي يسمى (الدفاع النفسي)، حيث يخرج من الشخص تصرفات تدل على دفاعه عن مخالفاته وقبائحه لتبريرها عند نفسه على أقل تقدير، وهذا منها بحمد الله وهو منهجهم ويفسر إيرادهم لهذه الأمور التي هي في الحقيقة ضدهم وضد ما يقولون وشرحها يفضحهم بحمد الله.

ولعل هناك أسبابًا أخرى أتركها لذكاء القارئ الكريم.



تم الكتاب بحمد لله سبحانه وتعالى

وصلى الله على نبيه الأكرم وآله الأطهار وسلّم